

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء الخامس والعشرون من القرآن الكريم

الدكتور عبد الله شحاته



سعة علم الله ، وختام سورة فصلت

المفردات

أكسمسامسها؛ جمع كم - يكسر الكاف - وهو الوعاء الذي تكون الثمرة بداخله.

.....اك، أعلمناك وأسمعناك.

ماميًّا من شهيد، ليس منا من يشهد بأن لك شريكا.

ملي المتنول

⁻⁻⁻⁻

لا يسام: لا يملُ.

المحير ، النعيم ، كالمال والصحة والولد .

الشير، كل ضيق ، كالفقر والمرض وعدم الإنجاب.

ال المفر بالشيء .

السقية من وطا يأس مفرط يظهر أثره على المرء ، فينكسر ويتضاءل .

الصسنى، الجنة.

عداب غليط ، بالغ الغاية في الشدة والإحاطة بهم من كل جانب ، فهو كالوثاق الغليظ الذي لا يمكن للإنسان أن يخرج منه .

وتاي بحائبه ، تباعد عن دعاء الله وذكره ، كناية عن الانحراف والتكبر والصلف .

در دعماء عمريض : كثير مستمر : مستعار مما له عَرْض متسم ، إشارة إلى كثرته .

شقاق سعيد، خلاف بعيد عن الحق كل البعد.

الأفـــاق النواحي عمومًا من مشارق الأرض ومفاريها ، وشمالها وجنويها .

على كان شيء شهيد ، هو شاهد سيحانه ومطلع على أعمالهم ، وفي شهادته ما يغنيك عن كل شيء سواه . - بر مسسوريسسة ، شك وربية من القهامة والبحث .

بكل شيء محيط ، إحاطة تامة ، لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

التفسيره

49 – إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن لَمَوَاتِ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْنَىٰ وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنافِعِهِمْ أَلَنَّ لِمُرْكَاءِى قَالُواْ ءَاذَلْنَكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ .

أحضى الله عِلم يوم القيامة عن خلقه ، وقال تعالى : إِنَّ ٱلسَّاعَةَ عَائِيَّةً أَكَادُ أُخْفِيهَا لِشَجْزَىٰ كُلُّ لُفُس ٍ بِمَا تَسْعَىٰ ، (طه : ١٥) .

. وقال سبحانه : يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَة أَيَّانَ مُرْسَهَا » فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَسُهَآ » إِنَّى َرْبُكُ مُنتَهَاهَآ » إِنَّمَا أَنتَ مُنادِرُ مَن يَخَشَلُهُ » كُلُّهُمْ يُورُنُهَا لَمْ يُلْبُعُواْ إِلاَّ عَشِيَّةٌ أَوْضُحَنْهَا . (النازعات: ٢٢ ــ ٢٤) .

والآية في مجملها تشير إلى علم الله الواسع الممتد، الذي يحيط علمًا بكلّ شيء ، فهو سبحانه العليم بوقت مجىء القيامة ، وعلمه ممتد شامل لجميع الثمرات داخل أوعيتها ، وعلمه ممتد شامل لكل أنثى يستقر في بطنها حمل ، ولكل والدة تضع ولدها ، إن هذا العلم الشامل المحيط الكبير الممتد الذي يحيط بالدنيا والأخرة ، والمبدأ والميعاد ، والحاضر والغائب ، والخفيّ والظاهر ، والغيب والشهادة ، كل ذلك خاص بالله وحده مشتمل على معرفة ما بأتر :

- ١ وقت مجيء يوم القيامة.
- ٢ معرفة الثمار المختبئة في أوعيتها قبل أن تنشق عنها.
 - ٣ حمل كل أنثى ، ومعرفة كل جنين ومستقبله .
 - ٤ ولادة كل والدة .

فهر المحيط بما خفى من شئون الدنيا والأغرة ، لأنه سيحانه أساط بكل شىء علماً ، وفي يوم القيامة يُنادى المشركين ويسألهم سؤال توبيخ وتقريع : أين الشركاء الذين عبدتموهم من دونى ؟ أين صوالتهم ودولتهم وملكهم فى يوم لا مالك فيه إلا الله ؟

فيقول الكفار: أعلمناك وأخبرناك ، وشهدنا شهادة جهيرة عالية الصوت ، ليس منا من أحد يشهد بأن لك شريكًا ، لقد أيقن الجميع بالحق ، وشهدوا لله بالوحدانية ، وأيقنوا بأن الملك لله وحده ، وليس بينهم من أحد يشهد بأن لله سيحانه شريكًا أو نظيرًا أو مثيلاً .

المفسرون:

لما عاينوا القيامة تبرأوا من الأصنام ، وتبرأت الأصنام منهم ، وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقت لا ينفع فيه إيمان.

٨٤ - وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مُحِيصٍ.

لم يجد المشركين أثرًا ولا نفضًا ولا وجونًا نافضًا للأصنام والأرفان التي عيدوها في دنياهم ، وظنوا أنها تقرّيهم إلى الله ، لقد غاب عنهم نفع الأصنام ، وتيقنوا ألا نفع لها ، كما أيقنوا أنهم داهلون في عثاب جهنم ، وليس لهم مُلجأً ولا مهرب من عثاب الله ونكاله .

9 ٤ - لا يَسْتَمُ ٱلْإِنسَلْنُ مِن دُعَاءِ ٱلْحَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَتُوسٌ قَنُوطٌ .

الكافر يرى أن الدنيا كل همه ، فهو حريص جدًّا على الخير ، بمعنى المال والجاه والسلطة ، وكل ما أجيّ مصل بذلك من ألوان النعيم التي يحرص عليها ، ولا يمل من طلبها ، وإذا أطلمت الدنيا وقلّ المال أو الجاه ، أو أصابه المرض أو الشر أو العسر : أصابه اليأس والقنوط والانكسار ، وظهر ذلك في وجهه لأنه لا يعرف معنى اليقين والأمل في الله ، والصبر على البلاه ، والرضا يأحكام القضاء .

قال المفسرون:

نزات هذه الآية في الوليد بن المغيرة ، وقيل : في عتبة بن ربيعة ، وعموما فالعبرة بعموم اللفظ لا يخصوص السبب .

٥ - وَقِينَ أَفَاقِدَة رَحْمَةٌ مَثّا مِنْ بَعْدِ صَرّاءَ مَسْتُهُ لِتُعُولَنَ هَدْلَا لِى وَمَا أَهُنُّ ٱلبُّهَاعَةَ قَالِمَةٌ وَلِين رُّ مِعْتُ إِلَىٰ رَبِّى إِنْ لِي هِنَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنَتِكَ ٱللَّهِنِ تَقُرُواْ بِمَا عَبْلُواْ وَلَلِيقَتْهُم مِنْ عَلَاسٍ غَلِيقٍ.

إذا جاءت للإنسان النعمة والمال والجاه ، وغير نلك من آفار رحمة الله ، بأن فرُج الله عنه المُمرُّ أو اللفقر أو العرض ، وكماه ثوب الغنى أو العافية : لم يشكر صاحب الرحمة والفضل ، بل نسب النعمة إلى نفسه ، أى أنه خبير بأسباب النُفعة ، جدير بأن تأتى إليه ، كما قال قارون : إنَّمَّ أُوتِهُمُّ طَلِّي عِلْمَ عِبْلِيَ ... (القصم : ١٧٨).

فهذا الإنسان الكافر الجاحد يرى أن النعمة من كدُّه ، ومن عمل يمينه ، ثم ينكر البعث والحشر والجزاء والعقاب في الأخرة ، فيقول :

وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةُ قَائِمَةً ...

لا أعتقد بمجىء القيامة ، وإنما هى أرحام تدفع وقبور تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وليس هناك ؟ حساب ولا جزاء، ولا حياة سوى الحياة الدنيا، ولو سلّمنا جدلا أن القيامة ستقوم - كما يذكر أتهاع محمد -فسأكون في الآخرة أحسن حظًا ، وأفضل حالاً لاستحقاقي للخير في الدنيا وفي الآخرة ، فإذا بُعثت في الآخرة فسيكون مآلي الجنة ونعيمها .

فَلَنْنَتِكُنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ ...

فوالله لنخبرنهم بحقيقة أعمالهم ، ولنخبرنهم بجحودهم وكنودهم وكفرهم ، واستحقاقهم للعذاب والعقاب.

وَ لَتُلِيقَتُّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ.

ولنحرقنهم بنار جهنم في عذاب غليظ لا يمكنهم تركه ولا الفكاك منه ، لإحاطته يهم من كل جانب ، فهو كالوثاق الغليظ الذي لا يمكن للإنسان أن يشرح منه .

١ ٥ - وَإِذَا ٱلْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَلَنَّا بِجَالِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلسُّرُّ فَلُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ .

من طبيعة الإنسان أنه إذا كثرت عليه النعمة والرخاء ، والمال والجاه والسلطان ؛ استمتع بالنعمة ، وأغراه الجاه والسلطان ، واستغنى عن دعاء الله والتضرع إليه ، وأعرض عن الله مسرفًا على نفسه بالمعامىي قال تعالى : كَلاَّ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَيَّ ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْعُغْنَيٍّ . (العلق: ٧،٦).

وإذا تغير الحال وافتقر بعد الغني ، أو مرض بعد الصحة ، أو ذلّ بعد الرفعة ؛ لجتهد في الدعاء ، وأكثر من الرجاء ، فلا يعرف الله في حال النعمة بالشكر والحمد ، بل يقابل النعمة بالإعراض عن الله ، والانحراف عن الجادة ، فإذا أصابة الشرّ والفقر والمرض والذلّ ؛ عرف باب الله في دعاء عريض كثير .

قال الرازى في تفسيره الكبير:

استعين العرض لكثرة الدعاء ، كما استعير الغلظ لشية العذاب .

ملحوظة:

في الآية ٤٩ من سورة فصلت:

لَّا يَشْعَمُ ٱلْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَتُوسٌ قَتُوطٌ .

وفي الآية ١٥ من نفس السورة:

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَلَنَا بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَلُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ.

ولا منافاة بين قوله تعالى : فَيَنُوسٌ قَنُوطٌ .

وبين قوله تعالى : فَلُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ.

مع أن كلا القولين عند مس الشرّ ، لأن الأول في قوم ، والثاني في قوم آخرين ، أو يثوس قنوط بالقلب ، وذو دعاء عريض باللسان ، إن حالة الكافر أو العاصي تتلخص في حب العال ، واليأس والقنوط من ذهاب النعمة، ولذلك فهو يتشبث بالدعاء العريض الكثير لتردّ عليه النعمة، أما المؤمن فعنده يقين بالله، إذا جاءت النعمة شكر الله وأنفق النعمة في وجوه الخير ، وإذا جاءت الشدة صبر واحتسب ثوابه عند الله .

قال رسول الله ﷺ :«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، إن أصابته نعماء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرًاء صبر فكان خيرًا له » أ .

٧ ٥ - قُلْ أَزَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِي بَعِيدٍ .

أى . أخبرونى يا معشر كفار مكة ، إن كان هذا القرآن من عند الله قم كفرتم به مع ظهور الأدلة . والبراهين على صدقه ونقائه وبيانه ، وعجز البشر عن الإتيان بمثله ، واشتماله على أخبار السابقين ، وتشريح المؤمنين ، وججاج الكافرين ، وتقديم الأدلة المتعددة على وحنانية الله وصدق المرسلين ، أى كيف يكون حالكم إذا كفرتم بكتاب الله شقائة ويعدًا ، وكبرًا وعثوًا ؟

مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِفَاقِي بَعِيدٍ .

أى: لا أحد أكثر ضلالا منكم أيها الكافرون بسبب معاداتكم للحق ، وابتعادكم عنه ، ونفوريكم منه نفورًا شديدًا ، ووصف سبحانه وتعالى شقاقهم بالبعد للإشعار بأنهم قد بلغوا فى هذا الضلال مبلغًا كبيرًا، وشوهًا بعيدًا .

قال أبو السعود في تفسيره:

وضع الموصول: مَنْ أَضَلُّ . موضع الضمير (منكم) شرحًا لحالهم ، وتعليلا لمزيد ضلالهم .

٣٥ – سَمُريهِمْ ءَايَنتِنَا فِي ٱلْآقَاقِ وَفِي َ الْفُسِهِمْ حَتَىٰ يَنَبَيْنَ لَهُمْ أَلَهُ آلْحَقُ أَوَلَمْ يَكُف بِرِبُّكَ أَلَهُ, عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ شَهِيدًا .

وعد الله تعالى أن يطلع الناس على عجائب الكون في آماق السماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنبات والأشجار، وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية التى اكتشفها الإنسان، وسيستمرّ العلم في هذا الكشف.

رَفِي أَنفُسِهِمْ ...

ما في بديع صنع الله تعالى ، من خلق الإنسان وتكرينه ، واشتمال هذا المخلوق العجيب على أجهزة "أ. مُتُعَدة ، مثل: الجهاز العصبي ، والجهاز الهضمي ، والجهاز اللمفاوى .

قال القرطبي :

الدراد: ما في أنفسهم من لطيف الصنعة ، ويديع الحكمة ، حتى سبيل الغائط والهول ، فإن الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ، ويتميز ذلك من مكانين ، ومن بديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ، ينظر بهما من الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة عام ، وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة ، من بديع حكمة الله تعالى فهه . ا هـ .

وقيل: المراد بالآية ما أظهره الله على يد رسوله ﷺ وصحابته الكرام ، من النصر والفتح من غزوة بدر الكبرى إلى فتح مكة ، حيث نصر الله دينه وأيَّد رسوله ، ومكنَّ للإسلام من أهل مكة أنفسهم ، وجاء نصر الله والفتح ، وسيستمر تأييد الله لهذا الدين حتى لا يبقى أهل مدر أو وير ، أو أهل مدنية أو أهل بادية ، إلا ويسمعون عن هذا الدين وأن الله يعدَّ به من يشاء ، ويذل به من يشاء ، فيعز المؤمنين ، ويذلَ الكافرينَّ . الككندن .

حَتَّىٰ يَنَيِّنَ لَهُمْ أَلَّهُ ٱلْحُقُّ ...

حتى يعرفوا جليًّا أن هذا الكتاب منزل من عند الله حقًا ومعدقًا ، أنزله على محمد ﷺ ، وتكفل الله بحفظ كتابه ، وحفظ رسوله ، وحفظ دينه ، والله تعالى مطلع وشاهد ، يرى من رسوله تبليغ الدعوة ، ومن الكفار الحجود والكفود .

أَوْلُمْ يَكُفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

أى: أيها الرسول حسبك الله ، وكافيك أنه سبحانه لا تخفى عليه خافية ، فهو لا يغيب عنه شىء فى الأرض ولا في المساء ، وفى الآية توييخ لهؤلاء الكافرين على تأخر إيمانهم ، أى : ألم يغن هؤلاء الجاحدين عن الآيات الموعودة الدالة على صحة هذا الدين ، أن ريك أيها الرسول الكريم شهيد على كل شىء ، وعلى ألك صدادة فيها تبدئ بن عن كل شىء ، وعلى ألك حدادة فيها تبدئ بن عن كل شىء سواه .

قال تعالى : تُلكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَهُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَٱلْمَلْكَيْكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا . (النساء: ١٦٦).

٤٥ - أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لَقَاءِ رَبِّهِمْ أَلاَ إِنَّهُ, بِكُلُّ هَيْءٍ مُّحِيطٌ .

وتختم السورة بهذا الختام القوى ، الجامع لشبهات الكافرين ، وإحاطة علم الله رب العالمين .

ومعنى الآيسة :

إن هرًلاء الكافرين في مثك شديد من لقاء ربهم ، حيث إنَّهم يستبعدون البعث والحشر والحساب والجزاء ، ويرين أن هذه الأجسام تتفتت وتبلى ، ويعيد أن تحيا مرة أخرى .

أَلَا إِنَّهُ, بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا .

فالله مطلع عليهم ، وسيجازيهم على أعمالهم ، والله يحيط علمه بكل ذرات الأجسام ، وهو قادر على إحيائها مرة أخرى كما أوجدها من العدم .

قال تعالى : وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلَقَهُ قَالَ مَن يُعْنِي ٱلْعِظَّامُ وَهِيَ رَمِيمٌ هِ قُلْ يُحْفِيهَا ٱلَّذِينَ أَنشَأَهَا أَوَّلُ مُرَّةٍ عَلَى بَكُلُّ خَلْقَ عَلِيمٌ . (يس ٧٨ - ٧٨).

وقال تعالى : كُمَّا بَدَّأُكُمْ تَعُودُونٌ . (الأعراف: ٢٩).

رأيان لعلماء التوحيد

علماء التوحيد على رأيين:

أحدهما: أن الله يحيى الموتى، ويبعثهم بعد جمع ما تذرّق من أجزائهم الأصلية.

الثاني : أن الله تمالي يعيد الخلائق بخلق جديد ، لأن أجزاءهم دخلت بعد تحللها في تكوين خلائق أهرى ، جهلاً بعد جيل .

. ويقولون: إن النعيم والعذاب للروح ، أما الجسد فهو وجاؤها ، والكسب إنما هو بها لا بوعائها ، ظولا الروح لما استطاع الجسد أن يعمل شيئًا ، وفي منظومة فنية في علم التوجيد يقول هما عب الجوهرة :

وقل: يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم ، وقيل: عن تفريق

- ١ وصف الكتاب الكريم.
- ٢ إعراض المشركين عن تدبره.
- ٣ عقوبة المشركين، ومثوبة المؤمنين.
- خلق الأرض في يومين ، وخلق البحار والأنهار والأشجار في مجموع أربعة أيام ، وخلق السماء في
 يومين ، فالمجموع ستة أيام .
 - ٥ إقامة الأدلة على الوحدانية.
 - ٣ قصة عاد وقمود ، وتهديد المشركين بمثل ما نزل بهم ،
 - ٧ شهادة الجوارح يوم القيامة على الإنسان.
 - ٨ ما يفعله قرناء السوء من التضليل والصدِّ عن سبيل الله .
 - ٩٠ إعراض الكفار عن سماع القرآن ،
 - ١- ألوان العذاب الذي يصيب الكافرين يوم القيامة .
 - ١١- ما يلقاء المؤمنون من الكرامة عند خروج أرواحهم.
 - ١٢ فن الدعوة إلى الله .
 - ١٧- مقابلة الإساءة بالإحسان.
 - ٤ ١- دلائل الإيمان في نزول المطر، وحياة الأرض بعد موتها، وكذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة.
 - ه ١- عربية القرآن ، بسبب عربية المرسل إليهم .
 - ١٦- علم الساعة عند الله .
 - ١٧- من طبع الإنسان التكبر عند الرخاء ، والتضرُّع عند البأساء .
 - 14.4 آيات الله في الأفاق وفي الأنفس الدالة على وحدانيته وقدرته.
 - * الله المشركين في البعث والنشور ، ثم الردّ عليهم .



أهسداف سيورة الشسورى

سورة الشوري مكية ، نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، وآياتها ٥٣ آية ، نزلت بعد سورة فعملت .

و لها اسمان : (عسق) الافتتاحها بها ، وسورة (الشورى) لقوله سبحاته : وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ... (الشورى: ٢٨).

روح السورة

هذه السررة تعالج قضية العقيدة كسائر السورة المكبة ، ولكنها تركز بصفة خاصة على حقيقة الوجى والرسالة ، حتى ليصبح أن يقال إن هذه الحقيقة هى المحور الرئيسى الذى ترتبط به السورة كلها ، وتأتى سائر الموضوعات فيها تبماً لتلك الحقيقة الرئيسية فيها .

هذا مع أن السورة تتوسع في الحديث عن حقيقة الوحدانية ، وتعرضها من جوانب متعددة ، كما أنها تتحدث عن حقيقة القيامة والإيمان بها ، ويأتي ذكر الأخرة ومشاهدها في مواضع متعددة منها ، وكذلكُ تتناول عرض صفات المرسنين وأهلاقهم التي يمتازون بها ، كما تلم بقضية الرزق ، بسطه وقبضه ، وصفة الإنسان في السراء والضراء ، ولكن حقيقة الوحى والرسالة وما يتصل بهما ، تطل – مع ذلك – هي الحقيقة الهارزة في محيط السورة ، والتي تطبعها وتظللها ، وكأن سائر الموضوعات الأخرى مسوقة لتقوية تلك الحقيقة الأولى وتوكيدها .

ويسبر سباق السورة في عرض تاله الحقيقة ، وما يصاحبها من موضوعات أخري بطريقة تدعو إلى مزيد من التدبر والملاحظة ، هفهي تعرض من جوانب متعددة ، يفترق بعضها عن بعض ببضع آيات تتحدث عن وحدانية الطاق المنافقة الرازق ، أن وحدانية المتصرف في القلوب ، أن وحدانية المتصرف في المصدير .. ذلك بينما يتجه الحديث عن حقيقة الوحى والرسالة إلى تقرير وحدانية الموحى – سبحانه – ووحدة الوحى ، ووحدة الفيدة ، ووحدة المنهج والطريق ، وأخيرًا وحدة القيارة البشرية في ظل العقيدة .

ومن ثم يرتسم فى النفس خط الوحدانية يارزًا واضحًا ، بشتى معانيه ، وشتى إيحاءاته من ورقايةً ، موضوعات السورة جميعًا» ⁰⁰ .

موضوع السورة

يمكن أن نقسم سورة الشورى إلى فصلين رئيسيين:

بتنأول القصل الأول وحدة الأهداف الرئيسية للرسالات السماوية ، ويتناول القصل الثاني بعض صفات المؤمنين وبلائل الإيمان.

الفصل الأول: وحدة أهداف الرسالات

يتناول النصف الأول من السورة الآيات من (١ – ٢٤)، ويبدأ عن الوحى ، ثم يعالج قضية الوحى منذ النبوات الأولى ، ليقرر وحدة الدين ووحدة العنهج ، ووحدة الطريق ، وليعان القيادة الجديدة للبشرية ممثلة في رسالة محمد ﷺ ، وفي العصبة الدرمنة بهذه الرسالة .

وتنشير السورة إلى هذه الرحدة في مطلعها : كَلَالِكَ يُوحِيّ إِنَّكَ وَإِلَى ٱللَّهِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيمُ ٱلْحَكِيمُ . (الشوري : ٣)

لتقرر أن الله هو الموحى بجميع الرسالات لجميع الرسل ، وأن الرسالة الأخيرة هي امتداد لأمر مقور تخلرد من قديم .

وتأتى الإشارة الثانية بمد قليل : وَكُذَالِكَ أَوْضَيَّة إِلَيْكَ قُرْعَانًا عَرَبِّيا لَتُسْرَأَ أَمْ ٱلقُرْئ وَمَنْ حَوْلَهَا ... (المدرى: ٧)

نتقرر مركز القيادة الجديدة ، فقد اختار الله بلاد العرب لتكون مقر الرسالة الأخيرة التي جاءت . للبشرية جميمًا ، والتي تتضمع عالميتها منذ أيامها الأولى .

كانت الأرض المعمورة عند مولد الرسالة الأخيرة تكان تثقاسمها إمبراطوريات أربع، هي : الرومانية، والفارسية ، والهندية ، والصينية .

وفى هذا الوقت جاء الإسلام لينقذ البشرية كلها ، مما انتهت إليه من انحلال وفساد واضعاهاد ، وجاهلية عمياء فى كل مكان من المعمورة ، جاء ليهيمن على حياة البشرية ، ويقودها فى الطريق إلى الله ولى هدى ونرد .

ولم يكن هنالك بد من أن يبدأ الإسلام رحلته من أرض حرة ، لا سلطان فيها لإمبراطورية من تلك الإمبراطوريات ، وكانت الجزيرة العربية وأم القرى وما حولها بالذات هى أصلح مكان على وجه الأرض لنشأة الإسلام يومئذ، وأصلح نقطة يبدأ منها رحلته العالمية . لم تكن في بلاد العرب حكومات منظمة ، ولا ديانة ثابتة واضحة المعالم ، وكانت خلطة النظام السياسي للجزيرة ، إلى جانب خلطة النظام الديني ، أفضل ظرف يقوم فيه دين جديد ، ليكون متحررًا من كل سلطان عليه في نشأته .

وهكذا جاء القرآن عربيًّا لهنذر أم القرى ومن حولها ، فلما خرجت الجزيرة من الجاهلية إلى الإسلام، حملت الراية وشرِّقت بها وغرِّيت ، وقدمت الرسالة للبشرية جميعها ، وكان الذين حملوها هم أصلح خلق الله لحملها ، وقد خرجوا بها من أصلح مكان في الأرض لميلادها ، وهكذا تبدو سلسلة طويلة من الموافقات المضارة لهذه الرسالة : آللهُ أَعْلُمُ حَيِّثُ يُجْعَلُ رسالتَهُ ... (الأنماء : ١٧٤).

وفي أية مشهورة من سورة الشوري تطالعنا وحدة الرسالات جميعًا ، ووحدة الرسل ، ووحدة الدين ، ووحدة الهدف للجميع ، وهو توحيد الله ، وتدعيم القيم والأخلاق ، ومحارية الرذائل والانحراف .

قال تعالى : خَرَعَ لَكُمْ مَنَ ٱلنَّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِئَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّبْنَا بِهِ إِنَّ هِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَلِيسُوا ٱللّهَن وَلَا تَشَوَّقُوا فِيهِ تَكِرُ عَلَى ٱلْمُسْوِيَنِ مَا تَذَعُوهُم إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَعْتَى إِلَيْهِ مَن يَلِيبٍ .

(الشورى: ١٣).

10

وتقرر الآيات بعد ذلك أن التفرق قد وقع مضالفًا لهذه الوصية ، ولم يقع عن جهل من أتباع أولئك الرسل الكرام ولكن عن علم ، وقع بغيًا وحسدًا: رُمَّا تَفْرِقُوْزً إِلَّا مِنْ يَعْلِمُ مَا جَآمُهُمُ ٱلسِّلْمُ يَنْهُمْ ... (الشورى: ١٤٤).

وتصف أتباع الأديان وحملة الكتب السماوية بأنهم في حيرة وبثك لاضطراب أحوال الديانات ، وخروجها عن الهدف الذي جاءت له : رَإِنَّ ٱللَّهِنَ أُورُكُواْ ٱلْكِتَابَ مِنْ تَعْبِعِمْ لَهِي شَكَّ مُّنَّهُ مُوسِرٍ . (الشورى: ١٤٤).

وعند هذا الحد يتبين أن البشرية قد آلت إلى فوضى وارتياب ، ولم تعد لها قيادة راشدة تقوم على نهج ثابت قويم ، ومن ثم يعلن القرآن انتداب الرسالة الأخيرة وحاملها ﷺ لهذه القيادة : الْمِلَذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَفِمْ كُمّا أُمِرْتَ وَلَا تَسِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلِ ءَائنتُ مِمَّا أَنزِلَ ٱللَّهُ مِن كِشْدِهِ وَأَمِرْتُ لِأَعْدِلَ يَشْكُمُ ٱللَّهُ رُتُنَا وَرَئْكُمُ لَنَا أَهْمَالُكُمْ وَكُمُ أَهْمَنْكُمْ لَا حُجْةً يَشِيّا وَيُنْكُمُ آلَلَةً يَجْمُعُ يَثِنَا وَإِلَيْهِ آلْمَصِيرُ . (الشودى ١٥)

القصل الثاني ، صفات الجماعة المسلمة

يشتمل النصف الثاني من السورة على الآيات من (٧٥ – ٥٧) ، ويتحدث عن صفات الجماعة المسلمة. التي انتدبها الله لحمل هذه الرسالة ، ويبدأ هذا الفصل باستعراض آيات الله في بسط الرزق وقبضه ، وفي تنزيل الغيث برحمته ، وفي خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وفي الفلك الجواري في البحر كالأعلام ، ويستطرد من هذه الآيات إلى صفة المؤمنين التي تميز جماعتهم ، ومع أن سورة الشرري مكية، نزلت قبل فيام الدولة الإسلامية في المدينة ، إلا أنها تذكر أن الشوري من صفات المؤمنين ، فتقول : وَأَسْرُهُمْ شُرَكَا يُسْتُهُمْ ... (الشوري: ٣٨) .

مما يرحى بأن رضم الشورى أعمق فى حياة المسلمين من مجرد أن يكون نظامًا سياسيًا للدولة ، فهو طابح أساسى للجماعة كلها ، يقوم على أمرها كجماعة ، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة ، بوصفها ممثلة للجماعة .

والتأمل في مسفات المرُمنين يوحى بأن الإسلام دين القيم ، دين يهتم بالجوهر لا بالعرض ، ويتكوين النفس البشرية لا بالقيم الزائلة .

فما هي قيم الجماعة المؤمنة ؟

إنها الإيمان والتوكل ، واجتناب كبائر الإثم والفواحث ، والمغفرة عند الغضب ، والاستجابة لله ، وإقامة المسلاة ، والشورى الشاملة ، والإنفاق مما رزق الله ، والانتصار من البغى ، والعفو ، والإمملاح،

ويهذه القيم تحول العرب من أشتات مختلفين إلى أمة متماسكة متراحمة ، مؤمنة بالله ، مستقيمة على هدى الله وتماليمه ، فومنًا الله لهم أكناف الأرض ، ومماري خير أمة أخرجت للناس .

ويحد تقرير صفة المؤمنين وما ينتظرهم من عين وإنعام ، تعرض الآيات في الصفحة المقابلة صورة الظالمين الضالين ، وما ينتظرهم من ذل وخسران في يوم القيامة : يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدَّ مِّن سَبِيلٍ ه وَتَرَسْهُم يُعْرَضُونَ كَلَيْهَا خَدْهِينَ مِنْ ٱللَّذُنْ يُنظُرُونَ مِن طَرْفَعٍ عَبِيٍّ ... (الشوري ٤٤٠ هـ٤) .

وهَى ظل هذا المشهد ذجد القرآن يدعو الناس إلى إنقاداً تُفسَهم من مثل هذا الموقف قبل فوات الأوان : آسَتُحِيِّراً إِنْ يَكُمُ مِّنَ قَبِلُ أَنْ تَأْتِيُ يُوْمُ لاَ مُرَدُّ ثَمِّ مِنَ آللًهِ ... (الشورى : ٤٧) .

ويمضى سياق السورة حتى ختامها ، يدور حول محور الوحى والرسالة ، وأثرهما في صفات الهوعي والرسالة ، وأثرهما في صفات الهورمنين ، مع بعض الاستطراد إلى وصف الكافرين ، وييان صفات الله الخالق الوهاب ، القابض الباسط، أقال تعالى : للّهِ مُلُكُ آلسَّمَنُوَّ مَ وَالْأَوْضِ يُعَلِّقُ مَا يَضَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنْكُا وَيَهْبُ لِمَن يَشَاءُ اللَّمُورَ مَ أَوْ يُؤَوِّجُهُمْ أَنْمُ وَاللَّهُ عَلِيهُ قَامِينَ ، ١٤ ، ٠٠).

ويعود السياق في نهاية السورة إلى الحديث عن طبيعة الوحى وطريقته ، وهذاك ارتباط ظاهر بين الحديث عن الوحى في القسم الأول من السورة ، وبين الحديث عن صفات المؤمنين ، ودلائل الإيمان في القسم الثانى منها ، فإن الهداية والإيمان من أثار الوحى ويركات الرسالة ، أي أن القسم الثانى وهو السلول مترتب على القسم الأول وهو المقيدة والوحى .

الوحي

بنسي إلله التح ألت

﴿ حَدَ اللهُ عَسَقَ اللهُ كَذَلِكَ يُوحِ عَ إِلَيْكَ وَلِلَ اللَّهِ يَن قَبِلِكَ اللّهُ المَّزِيزُ الْحَكِيمُ اللهُ لَهُ مَالِهُ السّمَوَ فَي عَلَمُ السّمَوَ فَي عَلَمُ السّمَوَ فَي عَلَمُ السّمَوَ فَي عَمْدُ وَيَهِمْ وَلَيْسَتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضُ الآرَضُ الآرَفُ اللّهَ هَوْ الْمَعْفُودُ الرّحِيمُ اللّهَ اللّهُ حَفِيظً عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيدِ إِلَيْكَ اللّهُ حَفِيظً عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيدِ إِلَيْنِ اللّهُ حَفِيظً عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيدِ إِلَيْنِ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوكِيد إِلَيْنِ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ اللّهُ عَلَيْهِمْ بِوكِيد إِلَيْنِ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوكِيد إِلَيْنِ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ اللّهُ عَلَيْهِمْ بِوكِيد إِلَيْنَ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّ

المفردات

حييم فسيبق عروف التنبيه ، أو للتحدي والإعجاز .

يسيسير حرون ، ينزهون الله عما لا يليق .

ويستغفرون ثمن هن الأرض، يسألون الله أن يغفر للمقصِّرين في الأرض من المؤمنين.

تمهيد ،

تتحدث سورة الشورى عن الوحى، والوحى رسالة الله إلى خلقه، وهذه الرسالة المحمدية ضارية في أصدل التاريخ ، نقد أوحى الله إلى محمد وإلى الرسا السابقين ، فالقرآن وحى الله وكلامه حقًا وصدقًا ، وهو سبحانه له ملك ما في السماوات وما في الأرض ، وله التصرف فيهما إيجانًا وإعدامًا وتكوينًا وإبطالاً، والسماوات على غلظها تكاد تشقق فرقًا من هيبته وجلاله ، أو من كثرة الملائكة العابدين الذاكين ، أو من عامل المشركين بأن لله ولذا ، والملائكة يسبحون الله وينزهونه عن صفات النقص ، ويطلبون المغفوة للمؤمنين أو للناش أجمعين ، أما الذين عبدوا الأوثان والأصنام فحسابهم على الله ، فالله مطلع عليهم ، وسبجازيهم على أله ، فالله المساب ، فلا وسبجازيهم على أله المله المساب ، فلا تتبخع نقسك عليهم مسرات ، إن الله عليم بما يصنعون .

لتفسير

٧،١ - حتم ، غستق .

افتتح الله تعالى بعض السور بحروف مقطعة ، قد تكون مكونة من حرف واحد مثل : ق ، ص ، ق .

وقد تكون مكونة من حرفين مثل : حمّ ، طه ، يسّ .

وقد تكون مكونة من ثلاثة أحرف مثل: طسم ، ألم .

وقد تكون مكونة من أربعة أحرف مثل: المَّر، المَّضَّ.

وقد تکون مکونة من خمسة أحرف مثل : حمّ عَسَقٌ ، وهو أکثر ما افتتحت به سورة من حروف ، ومثل: تُهِيقِسَ .

وقد قال العلماء:

هي مما استأثر الله تمالي بعلمه ، وقيل : هي أسماء للسور ، وقيل : هي أدوات للتنبيه كالجرس الذي يقرع فيتنبه التلاميذ لدخول المدرسة ، وقيل : هي حروف للتحدى والإعجاز ، وبيان أنّ القرآن مكرن من حروف عربية تنطقون بها مثل : حمّ ه عَسَفق ، وقد عجزتم عن الإتيان بمثله ، فدلّ ذلك على أنه ليس من صنع بطر ، ولكنه تنزيل من حكيم حميد .

٣ - كَذَا لِكَ يُوحِيّ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْتَوْيِزُ ٱلْعَكِيمُ.

مثلما أوحينا إليك في هذه السورة وغيرها ، أوحينا إلى الذين من قبلك من المرسلين ، مثل نوح وهود وممالح وموسى وعيسى ، فمحمد ليس بدعًا من الرسل ، والوحى إليه أصبل وثابت للرسل السابقين عليه ، فالوحى لغة : الإعلام ، وشرعا : إعلام الله تعالى من يختاره من البشر ، ليبلَّغه بالتشريع والأحكام التي يريد الله أن يبلقها لعباده .

فالموجى هو الله ، والمالاك جبريل أمين الوحى ، والوحى هو الرسالة التى ينقلها جبريل عن الله إلى الرسول محمد ﷺ ، وإخوانه السابقين عليه ، ليبلغوها المرسل إليهم ، والوحى فيه عناية السماء بالأرض ، وتشريف للرسل ، وتشريف لفا نحن المرسل إليهم ، حيث أنزل الله علينا الوحى ، وإختار لذا رسولاً مبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإننه وسراجًا منيوًا ، وجعله الله تعالى خاتم النبيين الذين يوحى إليهم ، فالرسول بهم أمم من النبي ، لأن الرسول يوحى إليه بشرع ويكلف بالتبليغ ، والنبي يوحى إليه بشرع ولا يكلف بالتبليغ، ومن ثم فكل رسول نبي ، وليس كل نبى رسولاً ، فإذا ختم الله النبيين بمحمد ﷺ ، فقد ختم المرسلين أيضًا، فمحمد ﷺ . فقد ختم المرسلين أيضًا،

وقد قرأ حفص (خاتم) بفتح التاء ، وقرأ السنة الباقون من القرَّاء (خاتم) بكسر التاء .

قال تعالى : مَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَّا أَحَدٍ مِّن رُجَالِكُمْ وَلَلَكِن رُسُولَ ٱللَّهِ وَحَامَمَ ٱلنَّبِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلُ شَيْءٍ عَلِيمًا . (الأحزاب: ٤٠)

فالوحي شرف للبشرية ، وهداية من السماء ، وعناية عَليا من الله بعباده ، حيث يختار بعض خلقه ليحملوا هدى السماء وتشريح الله ، وآداب الوحى ، وأخبار الأمم ، ومعالم القيامة ليوصّلوا كل ذلك إلى البشر ، حتى تبلغهم الحجة ، ويصل إليهم الدليل على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبوم الأخير.

وهى سورة النساء الآيات (١٦٣–١٩٦١) يقول تعالى : إِنَّا أَوْخِيّنَا إِلَيْكَ كَمَنَا أَوْخِيّنَا إِلَىٰ نُوحِ وَالْقَبِيْسُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْخِيْنَا إِلَىٰ إِيْرَاهِمَ وَإِسْمَعْنِيلَ وَإِسْحَنَى وَيَقْفُرِبَ وَالْأَشْنَاهِ وَعِيسَىٰ وَأَتُوبَ وَيُونَسُ وَفُورَا وَوُسُلاً أَنْ وَمُلْمَنْ فَعَلَمْ عَلَيْكَ وَكُمْ اللَّهُ مُعْلِينَ وَكُمْ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا و وُسُلاً مُسْتَمْ بِهَا وَمُعْيِهِنَ إِلَّهُ لِكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ مُحِيدًا بَعْدَ الرَّسُل وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا و لُسُكِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ أَن إِلَيْكَ أَنوَلَهُمْ بِعِلْمِهِ وَالْمَنْكِكَةُ يَسْتَهُمُونَ وَكُفَى بِاللَّهِ مُحِيدًا بَعْدَ الرَّسُل وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا و لُسُكِنِ اللَّهُ يَعْلَمُونَ وَكُفَى اللَّهِ عَلَيْكًا اللَّهِ عَلَيْكًا اللَّهِ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلِيلًا وَلِيْكَ أَنوْلَهُمْ

وخلاصة ما تشير إليه الآية الثالثة من سورة الشهري أن الله تعالى ذكر معانى مده السورة فى القرآن الكريم وفى جميع الكتب السماوية ؛ لما فيها من الإرشاد إلى الحق ، وهو آلَّتْزِيزُ ، الغالب فى انتقامه، الْعَكِيمُ فى أقواله وأفعاله .

\$ - لَهُ, مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ.

له وحده ما في السماوات وما في الأرض ، خلقًا وملكًا وتدبيرًا ، وهو المتغرد بطو الشأن ، وعظم الهرهان والسلطان .

قال تعالى : عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَلَاةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِمِ. (الرعد: ٩).

وقال سبحانه : وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ . (سبأ : ٢٣) .

فالملك الحقيقي لله وجده ، أما ما يملكه الناس فهو عارية منتقلة ، والله هو المعزّ الحثلّ ، المعطى المائم ، الرافم الخائض ، الباسط القابض ، ومن ثم يجب أن يتجه الناس إليه وحده بالدعاء وطلب العطاء. - فَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَاتُ يَتَفَعَّرُنَ مِن فَوْقِهِنَ وَٱلْمَلَـٰمِكُةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن في ٱلْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهُ مَوْ ٱلْمُؤرِ ٱلرَّحِيمُ.

هذه السماوات السبع على عظمها ، وعظم خلقها ، وشعوسها وأقمارها وتجومها ، وما فيها من أفلاك وأملاك ، تكاد تتشقق من كثرة الملائكة ، فليس في وأملاك ، تكاد تتشقق من كثرة الملائكة ، فليس في السماء موضع قدم إلا وفيه علك راكع أو ساجد يسبّح الله تعالى ، أو تكاد تتشقق من ادعاء الكفار لله ولذًا . كما وود في الآيات (٨٨ – ٩٣) من سورة مريم وفيها يقول سبحانه : وَقَالُواْ اتَّخَذَ ٱلرَّحْمَانُ وَلَدًا ، فَقَدْ جِئْمُ شَهًا إِذًا ه تَكَادُ ٱلسَّمَاتُواتُ يَقَفَلُونَ مِنْهُ وَتَسْتَقُ الْأَرْضُ وَتَكِرُ ٱلْجَبَالُ عَلَمًا ه أَنْ تَقَوْلُ لِلوَّحْمَانِ وَلَدًا ه وَمَا يَسْبَعي لِلرَّحْمَانُ مَنْهُا . وَمَا يَسْبَعي لِلرَّحْمَانُ مَنْهًا .

وخلاصة معنى الآية :

تكاد السماوات -- مع عظمهن وتماسكهن -- يتطققن من فوقهن ، خشية من الله ، وتأثرا بعظمته وجلاله ، والمسألون الله المغفرة لأهل وجلاله ، والملائكة ينزُهون الله عما لا يليق به ، مثنين عليه بما هو أهله ، ويسألون الله المغفرة لأهل الأرض ، وقد ورد هذا المعنى في الآية ٧ من سورة غافر ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ٱللَّبِينَ يَحْمُلُونَ ٱللَّهِنَ مَاسُورة غافر ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ٱللَّبِينَ يَحْمُلُونَ ٱللَّهِنَ مَاسُورة غافر ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ٱللَّبِينَ يَحْمُلُونَ آبُهُ وَيُسْتَغِفُرُونَ لِللَّبِينَ وَاسْتُولُونَ لِللَّبِينَ وَاسْتُولُ . . .

أَلَا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْفَقُورُ ٱلرَّحِيمُ.

الله سبحانه وحده هو مناهب المغفرة الشاملة ، والرحمة الواسعة .

٣ - وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَلتَ عَلَيْهِم بوَكِيل.

هؤلاء الذين عبدوا الأوثان والأحجار والأصنام ، أو الشموس والأقمار ، أو غيرها من سائر الأولهاء والشركاء ، هؤلاء العابدون لغير الله هم جميمًا في قبضة الله ، هو سبحانه يُحْمَّس أعمالهم ، وهو المتكفل بحسابهم وجزائهم ، أمّا أنت قما أنت إلا نذير ، ليس عليك هداهم ، إن عليك إلا البلاغ .

قال ابن كثير:

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَّاءَ ... يعنى : المطركين .

ٱللَّهُ حَفِيظً عَلَيْهِمْ ...

أي : شهيد على أعمالهم يحسيها ويعدُّها عدًّا ، وسيجزيهم بها أوقر الجزاء .

وَمَّآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ.

أي : إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل .

* *

القرآن عربي

﴿ وَكَذَلِكَ أَتَحِنْنَا إِلَيْكَ قُرْمَانَا عَرَبِنَا لِنَّنِذِ رَأْمَ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَولَمَا وَنُنِذِ دَيْمَ ٱلْمُسْعِ لارَيْبَ فِيدُ فَرِيقٌ فِ ٱلْمُنَّذِّةِ وَفَرِيقٌ فِ السَّعِيرِ ۞ وَلَوَشَاءَ اللَّهُ لَمَعَكُمُمُ أَمُّةٌ وَبَعِدَةً وَلَكِن يُنْحِلُ مَن يَشَالُهِ فِي رَحْمَيْدُ وَالظَّلِلُمُونَ مَا لِكُم مِن وَلِي وَلَا نَعِيدٍ ۞ ﴾

المقردات:

قرآتا صربيا ؛ أنزلناه قرآنًا عربيًّا بلسان قومك .

المتستسير ، الإنذار : التخويف .

المترى ، مكة .

يوم النجمع ، يرم القيامة ، سمى بذلك لاجتماع الخلائق فيه ، كما قال تعالى : يُرْمُ يُحْمُعُكُمْ لِقُومْ الْجَعْم (التعابد: ٩٠)

لاريپ فينه ، لا شك في قدومه .

المنسريسة ، الجماعة .

السنعسيسر ، الذار الموقدة المستعرة .

تمهيد:

أوحى الله قرآنًا عربيًّا إلى نبيًّ عربى لأمة عربية ، أى أن القرآن نزل بلسانكم وأنتم تفهمونه ، وَمَّا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِلسَانِكُم وَلَيْتُ تفهمونه ، وَمَّا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِلسَانَةِ مَا اللهِ عَلَى اللهِ اللهَ عَلَى الكَم ، وعلَّو أَلْسَانكم ، فقد بدأ الوحى في مكة ، وانتشرت الرسالة إلى المدينة ، ثم جاء نصر الله والفتح ، وشرقت راية الإسلام وغرّبت ، وهذه الرسالة بلاغ للناس بتشريع للدنيا ، وتحذير من الحساب والجزاء ، حيث ينقسم الناس إلى جماعتين عين عبد عليه الماس على طريق واحد، في من عبد عبد عبد الله على طريق واحد، فأعطاهم العلل والإرادة والاختيار ، فعن المتار الإيمان أدخله في رحمته وهدايته ، ومن ظلم نفسه والمتال المسلال فسيلتى المقاب والجزاء في الذيا أن الأخرة ، وحينتذ لن يجد نصيرًا ينصره ، ولا معاونًا بأخذ بهده .

التفسيره

- وَكَذَا لِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُوْءَانَا عَرِيًّا كُشَارَ أَمُّ ٱلْقَرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُسَارَ يَوْمَ ٱلْمَحْدِ لَا رَبَبَ فِيهِ فَوِيقٌ فِي ٱلْحَدْدِ
 - وَوَلِيقٌ فِي ٱلسَّيْدِ .

ومثل ذلك الوحى البديع المفهم ، أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا قد بلغ الذروة في الفصاحة والبيان ، لتبلغ رسالة الإسلام إلى مكة أم القرى ، فهي بلد البيت الحرام ، ويلد الحرم الأمن ، ويلد رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

وقد قال فيها الذبي ﷺ: «والله إنك غير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت $^{\circ}$.

وَتُعَلِّرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ...

لتخير الناس بأمر الآخرة ، واجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد للحساب والجزاء ، وهذا أمر يقيني لا شك فيه ، حيث ينقسم الناس إلى قسمين : فريق أطاع وآمن وعمل صالحاً ، وكفّ عن المحرمات والمغيثات ، فهو في رحمة الله وجنته ، وفريق آثر الكفر والظلم والبعد عن الإيمان ، فاستحق النار التي تتسعر به .

٨ - وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَمَلُهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَلْكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلطَّلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيَّ وَلا تَعِيرٍ .

لى أراد الله أن يختار الناسُ جميمًا الإسلام لهداهم إليه ، ولى أراد أن يختاروا جميمًا الكفر لما أرسل الرسل ، ولما أنزل الكتب ، لكنه إله عادل ، ولا يعذب الناس إلا بعد إعذار وإنذار : وَمَا كُنَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ ، رَسُولًا . (الرساء : ١٥).

فلو شاء الله أن يقسر الناس على الهدى لفعل ، ولو شاء أن يتركهم أمة واحدة لفعل ، لكنه سبحانه حكيم عادل ، خلق آدم وميرّه بالمقل والإرادة، وجعله أهلاً لتحمل المسئولية ، واستخلف بنى آدم فى الأرض، وأعطاهم المقول والإرادة والاختيار ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وقصٌ على البشرية أخبار المكذبين ، وأمنع المؤمنين ، عندئذ من أمن استحق رحمة الله عن جدارة ، ومن كفر استحق العذاب والعقابيم: ولن يجد أحدًا ينصره أو يمنعه من عقاب الله تمالى .

في أعقاب التفسير:

المتأمل في حالة الكون قبل الرسالة الإسلامية يجد أن العالم كانت تسيطر عليه إمبراطوريات أربع، هي: الرومانية، والفارسية، والهندية، والصينية.

وكانت بلاد العرب أفضل مكان لقيام دين جديد ، فليس فيها ملك يوحّد البلاد ، وليس فهها دين له أسس ونظام وهيمنة ، والبلاد تخضع لحكم رؤساء القبائل ، وهناك أديان شتى ومذاهب متعددة ، ولكن بدون قناعة أن يقينً .

وقد وقفت مكة موقف المعارضة للدين الإسلامي ، لا عن قناعة بالوثنية أن يعبادة الأصنام ، بل حرمنا على تميُّرها وغناها ، وخوفها من ترك هذا التميُّر.

قال تعالى : فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلطَّلْلِمِينَ بِقَايَدْتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ . (الأنعام : ٣٣) .

ولحكمة أرادها الله ، اختار سبحانه بلاد العرب ، فقد كانت بها بقايا من العرومة وحماية الجار والانتصار القبيلة ، فمكث الإسلام بمكة حينا ، وانتقل للمدينة المنورة ، ثم تتابعت الغزوات من بدر حتى عنت مكة ، وشمل الإسلام بلاد العرب في حياة الرسول في ثم امتد إلى فارس والروم ومصر وشمال أفرية الم وتتمار على مثلًا يُجْعَلُ رَسَاتُكُمُ ... (الأنماء : ١٢٤).

وكانت الجزيرة العربية بها أعداد من الشباب والرجال ، يشتاقون إلى فجر جديد ونور جديد وبعوة جديدة ، فدخلوا في الإسلام ، وحملوا رايته ، ورفعوا شأنه ، وكانوا جنوباً مخلصين مؤهلين لتقبل رسالة الإسلام ، والتحرك بها إلى جهات متعددة ، يقدمون حياتهم وأموالهم فداء لهذا الدين ، ومن طبيعة الإسلام أنه دين عالمي ينهي عن العصبية ، ويحبد الأخوة الإسلامية ، وحين دخل الفرس وغيرهم في الإسلام اتسم صدر الإسلام لهم ، وتعلموا اللغة العربية ، ويرزُوا في العلم الإسلامية ، فكان منهم الفقهاء والأدباء والمحدثون والنحاة والبلغاء والشعراء والكتاب .

قال ﷺ: «ليست العربية لأحدكم بأب ولا أمَّ ، ولكن العربية اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي» (١٠).

زمام الملك بيده سبحاته

﴿ آيِ آغَنَدُوا مِن دُونِهِ قَالِيَّةُ فَاللَّهُ هُوَالُولُ وَهُوَيُّ الْمُوْقَ وَهُوَ عَلَيْكُلْ شَيْءٍ قَدِيرُ ۞ وَمَا اَخْلَفُتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكُمُهُ اللَّ اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّ عَلَيْهِ وَوَكَلَّتُ وَالْيَهِ أَنِيبُ ۞ فَاطِرُ السَّمَونِ وَالْأَرْضُ جَعَلَ لَكُرُ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَجَا وَمِنَ الْأَنْعَلِمِ أَزْوَجًا يَذَرُو كُمْ مِنِدٍ لِيَسَكِمُ الزِّق لِمِن يَشَاءُ وَهُو السَّمِيعُ الْمُصِيرُ ۞ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَونِ ت وَالاَرْضُ يَسُطُ الزِّقَ لِمِن يَشَاءُ وَيَقْدِدُ أَنِلَهُ مِكْلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ * ﴾

المفردات ا

أولي المرية أمينامًا وأوثانًا يلون أمورهم.

يسحمها السمسوائسي ، عقد البعث .

وهو عنى كل شيء قنير ، أي : أن غيره من الأولياء لا يقدر على شيء .

وما اختلفتم فيه من شيء و رما خالفكم الكفار والمشركون في الدين ، أو ما حدث بينكم فيه من خلاف.

والسيسة انسبه، وإليه أرجع في كل ما يعن لي من معضلات الأمور.

فأطر السماوات والأرض ، خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق .

يسترؤكم فسيسه ، يكثركم بسبب هذا التزاوج بين الذكور والإناث .

ئىيس كىمىتىلىية شىء ، لىس له مثيل فى ذاته أو مىفاته أو أفعاله .

مقاليه السماوات والأرض ، مفاتيح خزائنهما ، ومن يملك المفاتيح يملك الخزائن .

التفسيره

٩ – أَمِ ٱلْنَحَذُواْ مِن دُولِهِ أَوْلِيّاءَ فَاللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَلِيرٌ .

تأتى هذه الآية وما بعدها لبيان أن كل شيء بيد الله العلى العظيم .

ومعنى الآيـة :

مع أن الله هو الخالق الرازق ، فإن الكفار قد اتخذوا من دون الله أصنامًا وأوثانًا يعيدونهم ويوالونهم.

فَاللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ...

أي : إن أرادرا أولياء بحق فلله الولاية جميمًا ، هو الخالق الرازق ، وهو الذي يحيى الموتى ، وهو سبحانه على كل شيء قدير ، ولا يملك شيئًا من ذلك أي صنم أو وثن ، فيجب أن تكرن الولاية والعبادة والتوجّه لله وحده فلا معبود بحق سواء ، ولا إله إلا هو .

. ١ - وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكُمُهُۥ إِلَى ٱللَّهِ ذَالِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَّيْهِ أَلِيبٌ .

ما تختلفون فيه من حكم بينكم ويين الكفار أو المشركين، فالمرجع فيه هو كتاب الله وهدى رسوله ﴿ . أو ما اختلفتم فيه من شيء بينكم وبين بعضكم ، فارجعوا إلى أمر الله سبحانه .

ذَا لِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَلِيبٌ .

هذا هو الله عليه اعتمادى وتوكُّلى ، ورجوعى إليه وحده ، هو الخالق البارع الحاكم القادر ، إليه أتجه وأتحاكم ، وله وحده طاعتى واعتمادى ، فمن وجد الله وجد كلُّ شىء ، ومن فقد الله فقد كل شىء .

وهَى معنى هذه الآية قوله تعالى : فَإِنْ تَنَنْزَعُهُمْ فِي شَيْءٍ قُرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِير... (النساء: ٥٩).

هو سبحانه خالق السماوات والأرض ، ومبدعهما على غير مثال سابق ، وهو خالق الكون وخالق الابلنان والحيوان ، وقد خلق من كل شيء زرجين ، فخلق حواء من آدم ، وخلق الزوجين الذكر والأنفى من نطقة إذا تمنى ، إن هذا التزاوج بين الرجل والمرأة مصدر الرحمة والمودة ، والأنس والسكن والنسل ، وهذا التزاوج بين الحيوانات مصدر التكاثر بينها ، وعمارة الكون ، وقد أراد الله لهذا الإنسان التكاثر ، والحيوان التكاثر ، والخواث من عدد ، والملك في يده ، وليس له مثيل أن نظير ، فهو المالك القادر ، والأوثان والأشام لا تملك شيء ، محمير بكل شيء .

وقريب من ذلك المعنى قوله تعالى : وَمِنْ وَايَسْهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزُواْ جَا لَتَسْكُنْواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْسَكُم مُوَّدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ ثَيَّسَتِ لَقَوْمٍ يَهَضَكُرُونَ . (ادره : ٢١) .

وقوله تعالى : وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْسُبِكُمْ أَزْوَ عِا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزُوَّ حِكُم بَيِنَ وَحَلَةٌ وَرَوَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيْسَاتِ...
(النط: ٧٢)

قال ابن كثير:

يَذْرَزُكُمْ فِيهِ ...

يخلقكم فيه ، أى فى ذلك الخلق على هذه الصفة ، لا يزال يذروكم فيه ذكورًا وإنناتًا ، خلقًا من بير خلق ، وجيلاً من بعد جيل ، ونسلاً من بعد نسل ، من الناس والأنماء .

وقال البغوى :

يَذْرَ زُكُمْ فِيهِ ...

أي : في الرحم ، وقيل : في البطن ، وقيل : في هذا الوجه من الخلقة .

قال مجاهد:

- نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام ، وقيل : (في) بمعنى الباء ، أي : يذرؤكم به . ا هـ .

أي : يكثركم بسبب هذا التزاوج بين الذكور والإناث .

إن الحكمة العليا جعلت التزاوج بين الذكر والأنثى وسيلة لإعمار الكون والحياة والسحاب والأمطار

قال تعالى : وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْن لَقَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ . (الذاريات : ٤٩) .

وقمال عن مشأنه عن قصمة نوح عليه السلام : حُقِّىّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ آلتُثُورُ قُلْنَا ٱخْمِلْ فِيهَا مِن كُلُّ زُوْجَيْر آئيْن وَأَهْلِكَ إِلَّا مَن سَيْنَ عَلَيْهِ آلْفَوْلُ وَمَنْ ءَمَنْ وَمَا ءَامَنَ مَعَاهِ إِلَّا قَلِيلٌ . (مو. ٤٠) .

١٢ – لَهُ, مَقَالِيدُ آلسَّمَنُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرُّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ, بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

المقاليد جمع مقلاد ، وهو المفتاح ، أى : بيد الله مفاتيح خزائن السماوات والأرض من الرزق والهداية والمعونة .

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرُّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ . (الداريات: ٥٨) .

وهر يوسع على من يشاء ، ويضيرَق على من بشاء حسب علمه وحكمته ، فيجب أن تتجه إليه وحده لا إلى الأوقان أو غيرها .

قال تعالى : إِنَّ رَبِّكَ يُنْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ, كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَعِيرًا . (الإسراء: ٣٠).

وقال سبحانه : وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرَّوْقَ لِعِبَادِهِ لَيْغُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَنكِن يُنزَلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ وِاللَّهِ بِعِبَادِهِ خَسِرٌّ بعيرٌ . (الشورى: ٢٧) .

وحدة الرسالات

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِينِ مَاوَصَى بِهِهِ فُوحًا وَالَّذِي َ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاوَصَيْنَا بِهِ عِلَيْهِمُ وَمُومِينَ وَعِيسَةُ أَنَ أَقِيمُ الدِينَ وَلاَ نَنَفَرَ قُواْفِيهُ كَبُرَعَى المُسْرِكِينَ مَا لَدُعُوهُمْ إِلَيْدُ اللّهُ وَمُومِينَ وَعِيسَةٌ أَنَ أَقِيمُ الدِينَ وَلاَ نَنَقَرَ قُواْفِيهُ كَبُرَعَى الْمُسْمَى الْفَوْمَ إِلَا مِنْ اللّهِ مِنَا اللّهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْهُمْ وَلَنَا اللّهِ عَلَيْهُ مِنْ وَمَا نَفَرَقُوا إِلَا مُستَى لَقُضَى بَيْتُهُمْ وَلَنَا اللّهِ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَوْلا كِلْمَةً سَبَقَتْ مِن ذَيكِ إِلَى أَجَلِ مُستَى لَقُضَى بَيْتُهُمْ وَلِنَا اللّهِ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُمْ وَلَلّهُ مَن عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَهُمْ عَلَيْهُمْ اللّهُ مِن اللّهِ عَلَيْهُمْ وَلَوْلَ مَا مَن يُعِيلُ وَأُمِنَ لَيْ اللّهُ عَن كَتَبْ وَأُمِن عَلَيْهُمْ وَلُولُ مَا مَن عُن مِن اللّهِ عَلَيْهُمْ وَقُلْ مَا مَن يُعِيلُ اللّهُ عَلَيْهِ مِن اللّهُ عَلَيْهُمْ وَقُلْ مَا مَن يُعِيلُ مِن اللّهُ عَلَيْهُمْ وَقُلْ مَا مَن ثُولِكُمْ أَعْمَالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ اللّهُ عَلَيْهِ مِن المّدِيمُ السَّيْحِيلُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَنَالًا وَيَعْلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَلَاللّهُ مُنْ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَلَاللّهُ مُن اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَمَالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ عَلَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ عَلَالُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَلَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ عَلَالُكُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ

المفردات :

شرع لكم من الدين ، بين لكم من الدين ، وأظهر ، وقضى ، وأوحى لكم يا أمة محمد ﷺ .

ومسيعية أمر أمرًا لازما .

أقسيم موا السفيسة ، حافظوا عليه ، والمراد بالدين: دين الإسلام ، وهو توحيد الله تعالى وطاعته ، والإيمان برسله واليوم الآخر ، وسائر ما يكرن به العبد مؤمدًا ، وقيل : أقيموا الدين ، أي : اجعلوا الدّين قائمًا بالمحافظة عليه وتقويم أركانه .

ولا تبضر قوا هيه ، لا تختلفوا فيه .

ك ي علم وشق عليهم .

ينب تسبين، يصطفى .

القضي بيئهم ، باستئمبال المبطلين حين تفرقوا .

سيبيريب، مقلق ، موغل في الشك .

السية الما أوحى إليك .

أهــــو أم الفاسدة .

سن كستساب، صدَّقت بجميع الكتب المنزلة .

لاحجة بيئنا وبينكم ، لا مجاجة ولا خصومة .

يستعسما جمسون، يخاصمون في دينه.

استسجميه استجاب الناس للإسلام ودخلوا فيه.

داحضي الطلة باطلة .

التفسير،

١٣ – ضَرَعَ لَكُم مِّن آلدَّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ لُوحًا وَٱلَّذِينَ أَوْضَتَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَهِيسَىٰۤ أَنْ ٱلِمِمُوا آلَذِينَ وَلَا تَفَوْلُواْ فِيهِ كُبُرَ عَلَى آلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ آللَهُ يَجِينَ إِلَيْهِ مِن يُشِتَاءُ وَيَهْدِينَ إِلَيْهِ مِن يُبِيبُ .

جاءت الأديان كلها من عند الله تدعو إلى الإيمان ، وتحتُ على مكارم الأخلاق ، وتحبُّد الفضائل ، وتحدّر من الرذائل ، وتغيد هذه الآية ما يأتي :

الله الذي أفزل عليك الوحي يا محمد ، ويبن لك حقيقة الدين ، وكما أوحى إليك أوحى إلى نوح ومن جاء بعده من الرسل ، وهو سبحانه الذي أنزل الوحى على إبراهيم وموسى وعيسى ، أى رؤساء الأديان الإلهية الكبرى .

أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ...

أى: اجعلوا الدين قائمًا بالمحافظة على أركانه ، أو أمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر. وأقيموا أحكام الدين ولا تختلفوا فيه .

قال القرطبي :

أَنْ أَقِيمُواْ ٱللَّينَ وَلَا تَتَفَرُّقُواْ فِيهِ ...

المراد . اجعلوا الدين قائمًا مستمرا محفوظًا ، من غير خلاف فيه ، ولا اضطراب في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة ، وهي : التوحيد ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج وغيرها ، فهذا كله مشروع ديثًا واحدًا ، وملة متحدة .

كُبْرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ...

عظم على المشركين وشق عليهم ، دعوتكم لهم إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى ، وفي معنى ذلك قوله تعالى على لسانهم . أَجْعَلُ الْآلِهُمُ إِنْهُمُ أَرْجُهُا إِنْ هُنْلُ لَكُيْءٌ غُرِجُابٌ . (ص. : ه) .

ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ .

من أطاع الله واختار شريعته ومنهاجه قرَّيه الحق سبحانه إليه ، وهداه إلى بابه ما دام قد أناب ورجم إلى الله .

وهى معنى ذلك قولم تعالى : أَفَهَن شَرَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ. لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّابِهِ فَقَ إِلَّ لَلْقَـٰسِيَةِ فَلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي صَلَـٰلِ شِينٍ . (الزمر: ٢٧) .

ملحق يتفسير الآية

تفيد هذه الآية تلاقى الديانات فى الأصول العامة ، وهى: التوحيد ، والصلاة ، والزكاة ، والصبام ، والحج ، والتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، والوقاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وتحريم الكبر والزُّذَا ، وإيذاء الخلق ، والاعتداء على الحيوانات ، واقتحام الدناءات ، وما ينافي المرومات ، ونحو ذلك من الكمالات ، فهذا كله مشروع ديثا واحدًا ، وملة متحدة ، لم يفتلف على ألسنة الأنبياء في الأصل ولا في الصورة (أأ)

جاء في التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر :

والذي ينبغى اعتباره – ولا مجال للشك فيه – أن رسالات الأنبياء جديمًا متفقة في أصول العقائد ومطلق العبادات ، والأمر بإثبات الغضائل واجتناب الرذائل ، وقد تختلف في الغروح أو في بعضها تبعًا لتفادم الأزمان ، ولمقتضيات الأطوار وتطور أحوال الإنسان ، كما تختلف في أسلوب الأداء في رسالة عن رسالة أخريني \"،

١٤ -- وَمَا تَفَرُّقُواْ إِلَّا مِنْ بَعْدِمَا جَاءَمُمُ ٱلْمِلْمَ بَغْنَ بَيْتَهُمْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَتَمْتَ مِن رَبُكَ إِلَى أَجْلِمُسْمًى لَتُطيى إِلَيْ أَجْلِمُسْمًى لَتُطيى إِلَيْ الْجَلِمُسْمًى لَتُطيعَ أَنْهِمُ وَإِنْ ٱلْلَيْنَ أُولِهِمْ أَنْهِمْ مُولِمِعٍ أَنْهِى شَلَكُ مُنْهُ مُولِمٍهِ .

لم يتفرق المتفرقون في الدين ولم يختلفوا فيه ، إلا من بعد ما جامهم العلم من أنبياتهم ومن كتبهم، بالدعوة إلى البحدة والجماعة ، والتحذير من الفرقة والاختلاف ، ولكن الأنباع خالفوا هذه الترصيات رغبة في المال والرئاسة ومتع الحياة الدنيا ، فأثروا البغي والحسد والتشريم والاختلاف والثغرق ، وقد وعد الله سيمانه بإمهال الناس فترة لطُّهم أن يتوبوا ويراجعوا أنفسهم ، ولولا رحمته وإمهاله لعاقبهم في الدنيا بما وستحقين .

قال تعالى : وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللهُ آلثَاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَوَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن ذَاتَةٍ وَلَلكِن يُؤخّرهُمْ إِلَىٰٓ أَجَل مُسَمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ قِلِنَّ اللهُ كَانَ بِعِبَاوِهِ بَصِيرًا . (فاطر: ٥٠) .

وقد امتد الخلاف من السابقين إلى اللاحقين .

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتَلْبَ مِنْ بَعْلِهِمْ لَفِي شَكًّا مُّنَّهُ مُّرِيهِ .

الذين ورثوا التوراة والإنجيل في عهد محمد ﷺ في شك شديد من كتبهم ؛ لأن فيها تغييرًا وتبديلاً ، أو هم في شك وريّب شديد من القرآن الكريم ، فعراطفهم مع هذا القرآن ، وعقولهم وحرصهم على المراكز ومذارل الدنيا تدعوهم إلى بقاتهم في مراكزهم .

وقريب من ذلك قولِه تعالى : فَإِلَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلطَّلِلِمِينَ بِكَايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ . (الانعام: ٣٣).

وقوله سبحانه : وَجَعَدُوا بِهَا وَآسْتَهُنَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا ... (النمل : ١٤).

يقول الكاتب الأوروبي «ج. ه. دنيسون» في كتابه (العواطف كأساس الحضارة):

وفقى القرنين الخامس والسادس كان العالم المتعدين على شفا جرف هارٍ من القوضى ، لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد أنهارت ، ولم يك ثُمّ ما يعتد به مما يقوم مقامها ، وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى – التى تكلف بناؤها جهود أربعة ألاف سنة – مشرفة على التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية ، إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام ، أمّا النظم التى خلفتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهبار ، بدلاً من الاتحاد والنظام ، وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة أمتد ظلها إلى العالم كله ، واقفة تترنّح وقد تسرّب إليها العطب حتى اللباس . وبين مظامر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه 60. يعنى محمدًا ﷺ

أفيلة لك فادغ والسنته كما أمرت ولا تتميغ أهوا تعلم وقال عاضت بما أنزل الله من كينا م. وأمرت لإغمال يتكد الله يعلم يتنا وارتكم الا أمميل.

قال ابن كثير:

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ، قالوا : ولا نظير لها سوى آية الكرسي ، فإنها أيضًا عشرة فصول كهذه . ا هـ. لقد بينت الآيات السابقة اختلاف أهل الكتاب وتفرقهم وشكهم المريب في بقايا الكتب المنزلة.

وتأتى هذه الآية لتوضّع للنبى الأمى أن الله قد اختاره على فترة من الرسل ليحمل للبشرية دعرته الجديدة مشتملة على أصول الإيمان والإصلاح واليسر والعدل والإحسان.

فَلِلَالِكَ فَآدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ...

من أجل تفرّق أهل الكتاب أن المشركين أمرناك أن تدعو الناس إلى الديانة الجديدة –وهى الإسلام– مستقيمًا على الجادة كما أمرك الله تعالى.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَاۤ أَلزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَلبٍ ...

وهذه الديانة الجديدة تستعلى على أهواء الحاسدين ، إنها تؤمن بالكتب السابقة ويالرسل السابقين، وهذه الديانة الجديدة مهيمنة على الرسالات السابقة ، والقرآن مهيمن على التوراة والإنجيل ، يرضع ما فههما من حق ، ويرشد إلى النّميل عليهما ، ويُلاَحَظ أن السورة مكية ، وهذه الآية تفيد عالمية الدعوة الإسلامية، وهيمنتها وعدالة أحكامها .

وَأُمِرْتُ لِأَهْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَاتُنَا وَرَابُكُمْ ...

إذا احتكمتم إلى فسوف أحكم بالعدل والقسط.

قال تعالى: وَإِنْ حَكَمْتَ فَآخَكُم بَيْنَهُم بَالْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِطِينَ . (المائدة : ٤٧).

آللُّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ...

الأديان كلها من عند الله ، وهى ناموس من نواميس الحياة ، وكما يخضع الكون والليل والنهار والسماء والأرض والشمس والقمر لأمر الله ، كذلك الأديان السماوية كلها من عند الله : الإبراهيمية ، واليهودية ، والمسيحية ، والإسلام :كلها وكتبها ورسلها وأحكامها نازلة من عند الله تعالى ، ولكل ملة شرعة ومنهاج ، وسيجازى كل فريق بما عمل .

لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ...

فنحن لا نستفيد بحسناتكم ، ولا نتضرر بسيئاتكم ، وسيلقى كل عامل جزاء عمله .

لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...

لا محاجة ولا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم ، فقد وضح الصبح لذى عينين ، فليأخذ كل إنسان طريقه وليتحمل تبعة عمله ، وسيأتى الوقت الذى يستبين فيه الحق ، ويتضم فيه سبيل الرشاد .

ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ .

. هناك يوم آخر هو يوم الجمع ، يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، ويصدر الحكم لكل فريق بما يستحقه ، والمرجم والمصير إلى الله تعالى .

قال سبحانه : قُلِ ٱللَّهُمُ قَاطِرُ ٱلسَّمَانُ تِ وَٱلْأَرْضِ عَلِيمَ ٱلْفَيْبِ وَٱلسَّهَندَةِ أَنتَ تَحْكُمُ يَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ لِهِ يَخْتَلُونُ . (الزمر: ٤٤) .

قال في حاشية الجمل:

والغرض أن الحق قد ظهر ، والحجج قد قامت ، فلم يبق إلا العناد ، ويعد العناد لا حجة ولا جدل ، والله يقصل بين الخلائق يوم الميعاد ، ويجازى كلاً بعمله . ! هـ.

١٦ – وَٱلَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ٱستُحِبَ لَهُر حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ هَصَبُ وَلَهُمْ عَذَابُ . منيلاً .

سيب الترول :

قال ابن عباس ومجاهد :

نزلت في طائفة من بني إسرائيل همَّت برد الناس عن الإسلام ، ومحاولة إضلالهم ، فقالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، فديننا أفضل من دينكم ، ونحن أولى بالله تعالى منكم .

ومعنى الآية :

ما زال بعض أهل الكتاب أو المشركين يدافعون عن باطلهم ، ويتهمون الإسلام تهمًا باطلة ، ويخيفهم انتشار الإسلام ، واستجابة الناس لدعوته ، فيتمسكون بحجج واهبة ، فهم حاقدون حاسدون لما يأتي :

(1) جادلوا في دين الله وهو الإسلام بعد أن ظهر نوره ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، واستجابوا لداعهم

(ب) حجتهم داحضة وياطلة لوضوح الإسلام، وعدالة أحكامه، وسلامة قواعده، وصدق رسوله.

(ج) عليهم غضب الله وسخطه ، لعدولهم عن الحق بعد أن عرفوه ، ولهم عذاب شديد في الآخرة .

موقف الناس من القيامة

﴿ اللهُ الذِى آنْزَلَ الْكِنْكِ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَّ وَمَايُدْرِيكَ لَمَلَّ السَّاعَةَ فَرِيَّ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِفُونَ مِنَّا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا

الْحُقُّ آلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي صَلَالِ بَعِيدٍ ۞ اللهُ لَطِيفُ بِعِبَادِهِ يَرُزُقُ مَن يَسَأَةً وَهُوَ الْفَوْتُ الْمَوْرُدُ ۞ مَن كَان يُرِيدُ حَرَّفَ الْآخِرةَ نَزِدُلُهُ فِي مَنْ كَان يُرِيدُ حَرَّفَ الْآخِرةَ نَزِدُلُهُ فِي مَنْ كَان كُرِيدُ حَرَّفَ الْآخِرةَ نَزِدُلُهُ فِي مَنْ عَلَى الْآخِرةَ فِي الْمَوْمِ ۞ ﴾ حَرْقِيدُ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرةَ فِي الْمَوْمِ ۞ ﴾ حَرْقِيدُ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرةَ فِي اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُؤْمِلُولُولَ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْ

المفرداتء

ومايسلريك؛ وأي شيء يجعلك عالما داريا؟

مشفقون منها ؛ خاتفون منها .

يم الرون ، يجادلون ويشككون .

1 ـ ط ـ ي ـ ف ، بليغ البر .

حـــــــرث ، المرث : كسب المال ، والحرث : البذر يوضع فى الأرض لينبت، ويطلق على الزرع الحاصل منه، وعلى ثمرة الأعمال .

التفسير،

١٧ - ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ .

إن الله تعالى هو الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب السابقة : التوراة ، والإنجيل ، وأنزل القرآن الكريم *مشتملا على الدق والعدل والتشريم ، وأخبار الأمم السابقة ، وتفصيل أحوال القيامة .

والمراد بالميزان: العدل والإنصاف.

قال المسرون:

وسمى العدل ميزانا ، لأن الميزان يحصلُّ به العدل والإنصاف ، فهو من تسمية الشيء باسم السبي , أو باسم آلته ؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والقسط بين الناس في محاملاتهم .

قال تعالى: لَقَدْ أَرْسُلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيْتَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابُ وَٱلْجِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ... (الحديد: ٢٥).

وقال سبحانه وتعالى : وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَصَّمَ أَلْمِزَانَ هَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ هَ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْفِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ . (الرحمٰن: ٧ – ٩) .

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ .

وما يعلمك أيها المخاطب لعل وقت الساعة قريب ، فإن الواجب على العاقل أن يحذر منها ، ويستعر لها، فالموت يأتى بفتة ، ومن مات فقد قامت قيامته .

قال الشاعر:

كـل امـرئ مصبح فـي بـيـتــه والوت أدنـي مـن شـراك بـعــلــه

وقال الشاعر:

لا تَخْتَرِرُ بِسُبَابِ نَاعِم خَضَلَ فَكُم تَقَدُم قَبِلَ الشَّبِبِ شَبَانَ

١٨ - يَسْتَعْمِولُ بِهِا ٱللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ ٱبْهَا ٱلْحَقُ ٱلَّا إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي صَّلَالِ بَعِيدٍ .

كان الكفار يسألون عن الساعة سؤال مستهزئ مكابر، يتمنى وقوع القيامة ليعرف من هو المصيب.
الكافرون أم المؤمنون ، وكان كفار مكة يقولون : ليست القيامة تقوم حتى يظهر حال ما نحن عليه ، وما
عليه محمد وأصحابه ، وكان المؤمنون يشفقون من قيام الساعة خوفًا من الحساب واستصغارا لحسناتهم،
وإعظامًا لمواقف القيامة من البعث والحشر والصراط والميزان والحساب ، مع يقينهم بأن القيامة حق لا ريب
فيها ، ومع تمكن اليقين في قلويهم والثقة بفضل الله وعدله .

أَلاَّ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَّالِ بَعِيدٍ .

إن الذين يتكرون وقوع القيامة ، ويستبعدون الحياة بعد الموت في ضلال شديد ، لأن الله هو الذي أوجد الإنسان من العدم ، وهو الذي خلق السماوات والأرض . قال تعالى : كُمَا بَدَأْنَا أَوْلَ خَلْقِ تُعِيدُهُ, ... (الأنبياء: ١٠٤) .

وقال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِي يُبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ; وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... (الروم : ٢٧) .

وقال تعالى : أَيُحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَنْ يُتَرَكُ سُدَى ، أَلَمْ يَكُ نُطُقَةً مَّن مَّيْعٌ يُفَتَىٰ هُ ثُمِّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَرُّعَا ، فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلْوُرْجِيْنِ ٱلذَّكُرُ وَالْأَنْفِيَّ ، أَلَيْسَ ذَالِكَ بَقَـلِيرِ عَلَيْ أَنْ يُعْتِيعٌ ٱلْمُؤْتِىٰ . (القيامة : ٣٦ – ٤) .

٩ ١ - ٱللَّهُ لَطِيفُ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْقُوِيُّ ٱلْعَزِيلُ .

الله تمالى لطيف بعباده ، بار بهم تمام البر ، مترفق فى رعايتهم وإيصال المصالح اليهم ، حكيم فى عطائه ، وكيم فى عطائه ، وكيم الله على من يشاء بما شاء من أنواع الرزق ، فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه حكمته ومشيئته ، وهو القوى الباهر القدرة ، العزيز المنبح الفائل لا يقهر .

قال تعالى: وَمَا مِن ذَابَاةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيُعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كَتِلْبِ شَبِير. (هود: ٦٠).

· ٧- مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ لَوِدْ لَقُر فِي حَرْقِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا فَوْقِهِ مِنْهَا وَمَا لَكُو فِي ٱلْآخِرَةِ مِن تَعْمِيبٍ.

الهدف متعدد في أعمال البش ، فمنهم من يريد بعمله وجه الله ورجاء الثواب في الدار الآخرة ، وهذا يضاعف الله له ثواب عمله ويكثر نماء ، ويجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاه الله.

وهي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «إن الصدقة توضع في يد الله تعالى قبل أن توضع في يد السائل، فينتُيها كما ينمي أحدكم فصيله» ^(١).

أى: إن الله يبارك فى ثواب الصدقة ويزيد ثوابها وهذا أشبه بمستثمر يستثمر صاله فى رعاية الغتم والبقر والإبل ، وحين يغطم الرضيع يسمى فصيلاً لأنه فُصِل عن أمه، وصار معتمدا على رعاية صاحب المال.

فالله يبارك في ثواب الصدقة ويزيدها أضعافا مضاعفة ، كما يزيد ابن الماشية الذي يطعمه صاحب الإمال ويسقيه ، فيتحول في المستقبل من فصيل صغير إلى حيوان قوى مكتمل القوة يسر الناظرين .

وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنَّيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ, فِي ٱلْآخِرَةِ مِن تُصِيبٍ.

ومن كان يعمل للدنيا وحدها وليس له هم في الآخرة : أعطاه الله من الدنيا الرزق الذي كتبه له في الأجل ، وليس له حظ من ثواب الآخرة ، ولك أن تتصور فضل الله ولطفه في عطائه ورزقه ، فالهمة العليا قال تحالى : ثن كَانَ بُويِكُ اللّهَ اللّهَ الحِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ, فِيهَا مَا نَشَاءٌ لِمَن نُويِكُ ثُمَّ جَعَلْنَا لُهُ, جَهَنّمَ يَصَلَلْهَا مَلْمُومًا مُلْحُورًاه وَمَنْ أَوَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْهَا وَهُوْ مُؤْمِنَ فَأَوْلَئِكِكَ كَانَ سَعْبَهُم مُشْكُورًاه وَكُولًا مِنْ الْمَلْوَقِيقِ مِنْ عَطَاءٍ رَبُكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا و ٱلطُّرُ كَيْف أَهْمِنَكُ، بَعْضَهُمْ عَلَى بَغْضٍ وَلَلَّاحِرَةُ أَكْبُرُ فُومِيكَ وَمَعَالَمُ بَعْضَهُمُ عَلَى بَغْضٍ وَلَلَّاحِرَةُ أَكْبُرُ فُومِيكَ (الاسراء: ١٥ - ٢١)

* * *

مناقشة الشركين

﴿ أَمْ لَهُ مُرْكَتُوا شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَاذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَهُ الْفَصْلِ لَقَفِينَ بَيْنَهُمُّ مَ إِنَّ الظَّلْلِمِينَ لَهُمْ عَلَابُ أَلِيدٌ ۞ تَرَى الظَّلْلِمِينَ مُشْفِقِينَ بَيْنَهُمُّ مَا لَظَلْلِمِينَ لَهُمْ عَلَابُ أَلْيَدَنَ امْنُوا وَعَبِلُوا الصَّلَاحَتِ مُشْفِقِينَ مِعَاكُ المَّكِلِحَتِ مِنْ فَالْفَصْلُ الْكَيْرُ ۞ فَي مَنْ اللَّهُ مَا لَكُيْرُ ۞ فَي اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ الْعَالَةُ اللَّهُ ا

المفردات:

شـــركــاء اللهة أو أصنام شرعوا لهم الشرك الذي لم يأذن به الله.

شـــرعـــوا، سوَّلوا وزينوا.

مالمهاذنه الله، ما لم يأمر به الله ، كالشرك ونحوه .

كلمة الفصل احكمنا السابق بتأجيل عذابهم.

تقضى بينهم، بهلاك المشركين.

مشمض قين ؛ خائفين خوفا شديدًا من العذاب.

وهوواقع بهم : والعذاب واقع بهم لا محالة .

روضات الجئات وأطيب بقاعها وأعلى منازلها وأنزهها.

إلا اليوة في الشربي، اكتنى حريص على تبليغ الرسالة لكم لأنكم أهلى وقرابتى ، وآمل في إيمانكم ، وفي أن تودوني لقرابتي فقرابتي فيكم ، فتكفوا عني أذاكم، وتمنعوا عني أذاكم، وتمنعوا عني أذي غيركم .

تمهيد :

تأثير هذه الآيات فى مناقشة المشركين وتبكيتهم على الشرك بأبلغ دليل ، فتبدآ بسراالهم : هل هناك شياطين أن أصنام شرعوا لكم الشرك بالله ؟ إن التشريع بيد الله وحده ، وهو لم ينزل ولم يشرع لكم الشرك ، همن أين أنيتم به ؟ ولولا وعد الله بتأجيل العذاب إلى يوم القيامة لقضى بهنكم بإنصاف المؤمنين وتعذيب المشركين ، وهى يوم القيامة ترى الظالمين مشفقين خائفين من جزاء أعمالهم وظلمهم ، وسينزل العذاب بهم خافها أم صبوريا .

بينما المؤمنون نازلون في أعلى منازل الجنة ، ولهم كل ما يطلبونه من عند الله ، وهذا هو الفضل الكبير ، وهذه هي الفضل الكبير ، وهذه هي البشرى لهؤلاء المؤمنين ، وأنا لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة ، لكنني حريص على هدايتكم ، راغب في تحقيق الإيمان لكم لقرابتي منكم ، فامنعوا عنى أذاكم بسبب هذه القرابة ، أو أكرموني في عترتي وأهل بيتي ، أو تقربوا إلى الله بطاعته وعبادته ، والتقرب إليه بالدخول في دين الإسلام ، ومن فعل حسنة ضاعف الله الثواب فهو غفور شكور.

التفسيره

٧ ٢ – أَمْ لَهُمْ شَرَكَتْوُا هَرَعُواْ لَهُم مِّنَ النَّيْنِ مَا لَمْ يَأْذَذُ بِهِ آللُهُ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ أَلْفَصْل لِقُصِى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلطَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابَ أَلِيمٌ .

الآية تنهى عن الشرك بأبلغ أسلوب وأعلى بيان ، فالأصل أن الله تعالى لا يُعبد إلا بما شرعه ، وقد أنزل الوحى على رسله بإقامة الدين ، لكن هزلاء استعروا على الشرك والكفر والظلم ، شهل لهم أصنام ومتباطين وأوثان شرعوا لهم للشرك والظلم والسلوك المعوج الذى لم يأذن به الله ولم يأمربه ، ولكنهم البعون سيرا وراء أموائهم وشياطينهم ؟

وَ لَوْلَا كَلِمَهُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِي يَنْتَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّلِمِينَ لَهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ.

لؤلا أن الله تعالى قضى بإمهال عذاب هذه الأمة إلى يوم القيامة ، لفصل بين المؤمنين والكافرين ، بإنصاف المؤمنين وإنزال المذاب بالمشركين ، لكنّ هذاك فى الأخرة عذاب أليم ينتظر هؤلاء الظالمين . ٢٧- تَزَى ٱلطَّـٰلِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامُواْ وَعُولُواْ ٱلصَّلْلِحَـٰلتِ فِي رَوْضَاتِ اللهِ عَلَى الطَّـٰلِقِينَ مَشْقَةِ وَلَهِمَ ذَالِكُ هَوَ ٱلْفَصْلُ ٱلْكَبِيرُ.
 آلجَنّاتِ لَهُم مًا يَشَاءُونَ عِندُ رَبِّهِمَ ذَالِكُ هَوَ ٱلْفَصْلُ ٱلْكَبِيرُ.

في يوم القيامة ترى أمرين مختلفين :

- (أ) الظالمون خاتفون مشققون من أعمالهم التى عملوها ، إنها غول يطاردهم يوم القيامة ، فطالما استمتعوا بالمحاصمى وتلذورا بالمويقات ، وهى الآن شىء فظيع يطاردهم وهم خاتفون من عقاب خطاياهم ، وسيقم العذاب بهم خافوا لم صيروا .
- (ب) المؤمنون في أعلى منازل الجنة عروضاتها يتمتعون بالثمار والأشجار، وعزف الأوتار، وضبانة الجبار، ولهم ما يشاءون عند ربهم، حيث يكرمهم ويلبي رغباتهم، وهذا هو الفضل الكبير الذي يكافئ الله به المؤمنين، حيث يحل عليهم رضوان الله فلا يسخط عليهم أبدًا، وحيث يتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم كما ورد في صحيح مسلم.

وروى الشيخان ، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : فإن الله عز وجل يقول الأهل الجنة ، فيقولون: لا أهل الجنة ، فيقولون: على رضيتم ؟ فيقولون: وما الجنة ، فيقولون : هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لننا لا نرضي يا ربنا وقد أعطيتنا ما الم تعط أحدًا من خلقك، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون ألا أصفط عليكم بعده أبدًا، (الأوراق عليه) .

٧٣- ذَ الِكَ ٱلَّذِى يُشِشَّرُ ٱللَّهُ عِبَادَة ٱلَّذِينَ مَاشُواْ وَعَبِلُواْ ٱلصَّلِحَـٰتَ قُل لَا اَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَفْتُرُفُ خَسَنَةً نَّهِ ذَلَهُ, فِيهَا خَسْنًا إِنَّ اللّهَ عَفْورٌ شَكُورٌ.

فى الآية السابقة قارن الله بين عقوبة الظالمين وبين الفضل الكبير للصالحين فى روضات الجناده. وهذا يقول: ذلك الفضل الكبير هو الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، حيث يعجل لهم البشرى والأعبار السارة بمنازلهم فى الجنة .

ثم يلقن الله تعالى رسوله بأن يتودد إلى قومه من قريش ، حيث لم تكن قبيلة من قبائل قريش إلا وبين النبي على النبي الأوبين النبي النبي النبي النبية النبية الرسالة ، لكننى حريص على النبي النبية الرسالة ، لكننى حريص على المائكم بسبب ما بينى وبيتكم من قرابة ، فإذا لم تؤمنوا بى كرسول فكفوا أذاكم عنى وحافظوا على حتى المائكة الله ، بسبب ما بينى وبينكم من قرابة .

وقد أورد ابن كثير طائفة كبيرة من الأحاديث عند تفسيره لهذه الآية ، وذكر عدة آراه ، كذلك ذكر الطبري وأبو السعود وغيرهما.

وخلاصة هذه الآراء ما يأتي :

- (أ) معناها: إلا أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم مثل: على وفاطمة وولديهما.
- (ب) لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرًا إلا التقرب والتودد إلى الله تعالى بالعمل الصالح.

(ج.) الرأى الثالث – وهو الذي رجُّحه الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن – وهو أنه ﴿ لا يطلب منهم أجرًا، إنما تدفعه المودة للقربي ، وقد كانت لرسل الله ﴿ تُوالِهَ بَكُل بطن من بطون قريش ، ليحال هدايتهم بها معه من المهدى ، ويحقق الشير لهم إرضاء لتلك المودة التي يحملها لهم ، وهذا أجره وكفي .

روى البخارى بسنده ، عن ابن عباس أنه سُئل عن قوله تمالى : إِلَّهُ ٱلْمُوَّدُةُ فِي ٱلْقُرُبُيْ .. فقال سعيد بن جبير : قريى آل محمد . فقال ابن عباس : عجلت ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من بطون قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني ويبنكم من القرابة .

وعند التأمل نجد أن القرآن أون في آساليب الدعوة إلى الهدى ، ومن بينها آصرة الأخوة الإنسانية تارة ، والرغبة في مشاركة الناس في الغير الذي يحمله الرسول في دعرته تارة ، فلا يُستبعد هنا أن يطلب للرسول منهم أن يكفوا أذاهم عنه مراعاة للقرابة ، وأن يسمعوا ويلينوا لما يحمله محمد ﷺ من أسباب الهداية ، فيكون هذا هو الأجر الذي يطلبه منهم لا سواه .

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ, فِيهَا حُسْنًا ...

ومن يعمل عملا صنائحا ، ويتزود بطاعة من الطاعات نضاعف له الثواب ، ونزيد الحسنة إلى عشر أمثالها وإلى سيعمائة ضعف ، ومن الحسنات المودة في القربى ، وروى أن الآية نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه لشنة محبته لأمل البيت .

إِنَّ ٱللَّهُ خَفُورٌ ... واسع المغفرة عظيم الستر على عيوب عباده .

شَكُورٌ . عظيم الشكر لمن أطاعه ، حيث يوفيه حقه من الجزاء العظيم ويضاعف ثوابه ، ألا ما أجلُ فضل الله ، إنه صاحب النعم وصاحب التوفيق والهداية ، وصاحب المغفرة والشكر ، فياللفضل الذي يعجز الإنسان عي متابعته ، فضلا على شكره وتوفيته .

قبول التوبة

﴿ آمَيْقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبَّا فَإِن يَشَا اللَّهُ يَغَيْدُ عَلَى قَلْيِكُ وَدَمَّتُ اللَّهُ الْبَطِلَ وَيُحِقُّ المَقَّ الْحَدُّ وَكَلَّمَ الْفَالْبَطِلَ وَيُحِقُّ المَقَّ الْحَدُودِ ﴿ وَهُوَ اللَّذِي يَقْبَلُ اللَّوْفَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيْحَاتِ وَيَعْلَمُ الْفَعَلُودِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيْحَاتِ وَيَعْلَمُ مَانَفُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَدَ وَيَزِيدُهُم السَّيْحَاتِ وَيَعْلَمُ مَانَفُهُ وَنَ فَكُمَّ عَذَاكُ شَدِيدٌ ﴿ وَلَهُ اللَّذِينَ ءَامْنُواْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَدَ وَيَزِيدُهُم السَّيْحِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِحَدَ وَيَزِيدُهُم اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللْ

المفردات:

افسسترى: اختلق.

بغتم على قلبك، يريط عليه بالصبر، وقيل: إن يشأ الله خذلانك يضتم على قلبك، التجترئ بالافتراء عليه، فإنه
لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم ، وهذه الجملة أبعد في نفي
الافتراء عنه، لأن من افترى ختم الله على قلبه ، ومحمد ﷺ يتفضل الله عليه بالوجى صباح
مساء، وقبل: يطمس عليه وينسيه فلا يعي .

پمهنسسوء يزيل ـ

۱۵ العسدور ، حقائقها ودخائلها ، فالله سبحانه مطلع على الخفايا ، لا يخفى عليه شيء ، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه .

: -- الرجوع عن المعاصى بالندم عليها ، والعزم على تركها أبدا .

التفسير،

4 4 – أَمْ يَقُولُونَ آفَتَوَىٰ عَلَى اللَّهِ حَلِيّا فَإِن يَشْدٍ آللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَصْحُ آللُهُ ٱلْنَسْطِلَ وَيُعِقُ ٱلْخَقَّ بِكَلِمَاتِهِ. إِنَّهُ عَلِيمٌ بِلَمَاتِ ٱلصُّدُورِ .

حنا بذاقش الكفار في أقوالهم فقد ادعوا أن محمدًا يفتري على الله الكذب ، حيث ينسب القرآن إلى الله مفتريا ، ومنا بجيبهم القرآن بأنَّ محمدًا لو افترى على الله الكذب لختم على قلبه ، ومنعه من القدرة عليهر التحدث بالوحي صباح مساء .

وبما أن الوحى مستمر وعناية الله به مستمرة ، فذلك أظهر دليل على أن محمدًا صادق غير مفتر

قال ابن كثير

وهذا كقوله جل وعلا : وَلَوْ تَقَوَّلُ عَلَيْنَا بَعْضُ ٱلْأَقَاوِيلِ ۗ لَأَخَذَنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِيزِ ، لُمَّ لَقَطْقنا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ .

(الماقة: ٤٤ - ٢٤)

وقال أبو السعود :

والآية استشهاد على بطلان ما قالوا ، ببيان أنه عليه السلام أو افترى على الله لمنعه من ذلك قطعا بالختم على قلبه ، بحيث لا يخطر بباله معنى من معانيه ، ولم ينطق بحرف من حروية.

وقيل : معنى : فَإِنْ يَشْإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ...

أي: يلهمك الصبر والاحتمال واليقين والهدوء:

وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبُنْطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ ...

ومن سُنة الله أن يزيل الباطل فهو يمهل ولا يهمل، ومن سُنة الله أن يثبت الحق ببراهينه وأياته.

قال تعالى: بَلُ نَقْلِفُ بَالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَنْطِلِ فَيَلْمَقُهُرُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ... (الأنبياء: ١٨).

إِنَّهُ, عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُودِ .

إنه سبحانه مطلع على خفايا القاوب ، فهو يعلم السر وأخفى .

وقال القرطبي : والمراد أنك لوحدَّثت نفسك أن تفتري الكذب، لعلمه الله وطبع على قلبك.

٢ - وَهُوَ ٱلَّذِي يُفْهَلُ ٱلثَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيَّعَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ .

فتح الله تعالى أبوابه للتائبين ، وهو وحده الذي يملك قبول التوية ومنح المغفرة .

قال تعالى: وَمَن يَعْفِرُ ٱللُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ... (ال عمران: ١٣٥).

ومعنى الآية :

إن الله جلّت قدرته يمتن على عباده بواسع ألطافه ، فهو الذي يقبل التوية من عباده ويغفر الذنوب لمن تاب وأناب ، وهو الطيم بكل فعل نفعله ، فأحرى بنا أن نسارع إلى مرضاته والرجوع إليه ، والتوية من الصّحامي والندم عليها ، والالتجاء إلى الله .

٣ ٧- وَيَسْتَحِيبُ ٱللَّذِينَ ءَامْتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَيَزِيلُهُم مَّن فَصْلِهِ وَٱلْكَلْفِرُونَ لَهُمْ عَلَابٌ شَدِيلًا .

ويستجيب الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، إذا دعوا الله استجاب دعامهم ، وزادهم من فضله وكرمه وعطفه وألطافه ، فوق ما سألوا واستحقوا : لأنه الجواد الكريم البر الرحيم . وجعلوا من ذلك قوله ﷺ : «أفضل الدعاء الحمد» [١٠] .

فهو سبحانه قابل التوب ، غافر الذنب ، صاحب الصفح والعفو ، مطلع على القليل والكثير ، محاسب على الفتيل والقطمير ، وهو سبحانه يستجيب دعاء الصالحين ، ويزيدهم فضلا ونعمة ، وهو عادل في معاقبة الكافرين بالعذاب الأليم الموجع في دار الجحيم .

قال تعالى : لَهِيْ عِبَادِيَّ أَنْيَ أَنَا ٱلْفَقُورُ ٱلرَّحِيمُ ۗ وَأَنَّ عَلَالِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ . (المِبْر : ٤٩ . ٥٠) .

من آثار حكمته تعالى ودلائل قدرته

﴿ وَلَقَى لَسَطُ اللّهُ الرِّنْ قَلِيبَادِهِ الْبَعْوَافِي الأَرْضِ وَلَذَكِنْ بُيْزَلُ يَعْدَرِمَا يَشَاأُ مُا تَهُ بِيبَادِهِ الْحَيْثُ مِنْ أَلَّمْ اللّهُ الرَّفْ وَكَذَكُ الْعَيْدُ مَنْ أَلَا الْحَيْدُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَمُوعَلَى الْحَيْدُ وَيَعْفُوا عَن اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَهُوعَلَى المَّمْعِيمُ إِذَا يَشَالُهُ عَلِيدًا فَي اللّهُ مِن وَمَا اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ ا

المفردات،

يسبيط؛ وسم وكثر.

المستقبوا الظلموا وتكبروا وتجاوزوا الحد

المطر النافع الذي يغيث الناس بعد الجنب.

<u>قــ تــ طــ واء بئسوا من نزوله .</u>

رحمستسه : هي منافع الغيث وآثاره ، التي تعمُّ الإنسان والحيوان والنبات والسهل والجبل .

المسولي ، الذي يتولى عباده بالإحسان .

العمسيسد ، المستحق للحمد على نعمه .

مستثر ونش وفرق

والمساد على ما يدب على الأرض من إنسان وغيره .

جسمسهم عشرهم بعد البعث للمماسية .

مسيسية وبلية وشدّق.

بمعجر يسن، بجاعلين الله تعالى عاجرًا بالهرب منه .

الجيواري، السفن الجارية .

و ه اکسید و ثوایت لا تندرای .

الأعسسلام، وأحدها علم، وهو الجبل، قالت المتساء:

كأنه علم في رأسنه تار

وإن صخرًا لتأتم الهداة به

ي ويقت هن علاكهن ، يقال للمجرم : أويقته ذنويه ، أي : أهلكته .

ما فهم من محيمن و من العم من مهرب ولا مخلص من العذاب .

تەھىد :

في هذه الآيات وما بعدها من سورة الشوري نجد عرضا لمظاهر حكمة الله القدير، فهو سبحانه حكيم في إنزال الرزق، ولو كان الناس جميعا أغنياء لفسدت الأرض، ولحملهم الغني على الهفي والطغيان.

ومن حكمته أن يكون بعض الناس أغنياء ، معهم المال وهم في حاجة إلى خدمات الفقراء ، وأن يكون بعض الناس فقراء ، عندهم القدرة على العمل ، وهم في حاجة إلى مال الأغنياء .

وبيد الله العلى القدير إنزال المطر ، وإنبات النبات ، وهو خالق السماوات والأرض ، وقد بث في الكون الأملاك والأفلاك، والإنس والجن، والطير والنمل والحيوانات، وأبدع الخلق، وهو مبدع الكون في الدنيا، وجامع الناس يوم القيامة ، وهو يعاقب المسيئين بعض العقويات في الدنيا لتكفير السيئات أو لرفع الدرجات ، والجميم في قبضة الله تعالى وقدرته .

وهو سبحانه مسخّر الكون ، سخّر الربح والهراء ، والماء والسفن الجارية مع قدرته على إيقاف الهواء فتقف السفن راكدة ، وفي قدرته أن يرسل الرباح العاصفة فتغرق السفن ، إن جميع ما في الكون خاضع المشيئة ، مسخّر بقدرته تعالى .

التفسيره

٧٧ - وَلَوْ بَسَعا ٱللَّهُ ٱلرَّوْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَلْكِن يُنزِّلُ بِقَدَر مَّا يَشَآءُ إِلَّهُ, بِعِبَادِهِ خَبِيلٌ بَصِيلٌ .

إن يد القدرة المكيمة وراء ما نراه في توزيع الأرزاق ، فلو كان الناس جميما أغنياء لاختل التوازن ؛ وانشغل بعضهم بالبغى والطغيان ، ولو كان الناس جميعا فقراء لتمطلت مصالح الناس ، واشتدت حاجتهم، ومن رحمة الله تمالى بعباده أنه وزُرع الأرزاق حسب ما تقتضيه حكمته تعالى ، فأغنى بعضا وأفقر بعضا، وجعل طائفة رسطا .

قال ابن كثير: لر أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لعملهم ذلك على البغى والطفيان ، من بعضهم على بعض أشرًا وبطرًا .

وقال قعادة :

خير العيش ما لا يلهيك ولا يطفيك ، كما جاء في العديث القدسي ، عن أنس مرفوعًا : «إن من عبادي « من لا يصلحه إلا الغني ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغذيته لأفسدت عليه دينه».

وَلَلْكِن يُعَوِّلُ بِفَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِلَّهُ. بِعِبَادِهِ خَبِيمُ بَعِيرٌ .

هو سبحانه صاحب التقدير والعطاء المناسب، فيعطى لكل إنسان ما يراه مناسبًا له ، فهو مطّلع على أحوال عباده ، خيير بما يناسبهم ، وقد قصلُ القرآن الكريم قصمى عدد من المتكبرين المتبطرين من أمثال فرعون وهامان ، ومن أمثال قارون الذي حمله الفنى على الزهو والحجب والبطر والاستعلاء في الأرض بالباطل ؛ فخسف الله به وبداره الأرض ، عقوبة له على بطره وكبره ، وقد يبغى الفقير ولكن ذلك قليل ، والبغى مع الفنى اكثر وقوعا .

٧٨- وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتُهُ, وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ .

يعتحن الله الناس بالشر والغير فتنة واختبارًا ، وقد يطول المُحلُّ ويتأخر المطرحتى بيأس الناس منه ، وإذا بفضل الله تعالى يظهر فيسوق السحاب ، وينزل المطر ، ويأتى الفيث والماء بعد القنوط واليأس ، فتخضر الأرض ، وتنتشر آثار رحمة الله بعباده حيث ينبت النبات ، ويأكل الحيوان والإنسان ، ويعم الخير والفضل والرحمة ، وهو سبحانه يوالى المؤمنين بالنعم ، وهو أهل للحمد والفضل والتناء .

من أسباب التزول ،

أخرج الحاكم وصححه ، عن على قال : نزلت هذه الآية في أصحاب الصُنْفَة : وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ ٱلرَّرْقُ لِعِبَادِهِ لِعَوْ الْجِي ٱلْأَرْضِ ... (الشوري : ٢٧) . وذلك أنهم قالوا : لو أنَّ لذا ، فتعنوا الدنيا والفني .

و قال خياب بن الأرت : فينا نزلت هذه الآية – أي في أهل الصفة – وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريطة وينى النضير وينى قينقاع فتمنيناها .

عود إلى التفسير ،

٩ ٧ - وَمِنْ ءَايَامِهِ حَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِن ذَاتِهِ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهمْ إِذَا يَشَاهُ قَدِيرٌ.

ومن آيات الله تعالى الدالة على كمال قدرته خلق السماوات وما فيها من أفلاك وأملاك ، وكواكب وبشجار وجبال ، وشعرس وأقمار ، ونجوم سيارات وغير ذلك ، وخلق الأرض وما فيها من بحار وأنهار ، وأشجار وجبال ، وما بثّ الله في الأرض من إنسان وحيوان وطيور وزواحف ودواب متعددة ، منها ما يمشى على رجلين كالإنسان ، ومنها ما يرحف على بطنه كالثعبان والحيّات، وهذه الأرض وهذا الفضاء وهذه السماء ، بل هذا الكون كله حافل بأسراب من الطور لا يعلم عددها إلا الله ، وأسراب من الطور لا يعلم عددها إلا الله . وأسراب من النحل والخواتها لا يحصيها إلا الله ، وأسراب من الحيّرات والهوام والجرائهم لا يعلم مواطنها إلا الله ، وأسراب من الأسماك وحيوان البحر لا يطلع عليها إلا الله ، وقطمان من الأنعام والوحش سائمة وشاردة في كل مكان ، وقطعان من البشر مهثوثة في الأرض كلها ، ومعها خلائق أربى عددًا وأخفى كان المساورة عن خلق الله .. يجمعها الله حين يشاء .

فهو سبحانه خالق الكرن وما فيه ، وهن العالم بكل صغيرة وكبيرة ، ويكل ذرة ومثقال حبة فيه ، ويأمره يجمع كل هذه المطلوقات بقدرته ، وهو على كل شيء قدير .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : وَاللَّهُ حَلَقَ كُلُّ مَاتَهُ مِنْ مُنَاعٍ فَينَهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ يَطْي عَلَىٰ رِجَلَيْنِ وَمِنْهُم مِن يَمْشِي عَلَىٰ أَوْيَم يَحْلُقُ اللَّهُ مَا يَصْنَاهُ إِنَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلُ طَيْءٍ قَلِيلٌ . (النور: ١٠٠) .

تنبية :

ذهب بعض الباحثين في آيات القرآن الظكية والعوالم العلوية إلى احتمال معنى آخر ، وهو احتمال أن تكون هناك حياة على سطح المريخ ، أو عالم يشبه عالم الأرض على نحو ما ، ولا يبعد أن يتخابرا ويجتمعا فكرا ، إذا لم يجتمعا جسمًا (١٣٠).

قال تعالى: و من عَالِمته عَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَتُ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهمْ إِذَا يَشَاءُ قَالِيرٌ.

وقال تعالى: يَسْتَلُمُ مَن فِي ٱلسَّمَا وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ . (الرحمن: ٢٩) .

. ٣- وَمَا أَصَلَبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَهِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثيرٍ .

ما أصاب الإنسان في هذه الدنيا من مرض أو حزن أو فقد حبيب ، أو أي نوع من أنواع الألم أو الققر أو الهزيمة ، فذلك بسبب إهماله لقانون الحياة وسنة الله في الكون ، وقد تكون المصبية للابتلاء والاختبار أو لرفع الدرجات ، وكثير من الذنوب يسترها الله تعالى على العبد ويعفو عنها ، فلا يماجل صاحبه بالعقوبة .

قال تعالى : وَلُوْ يُوَاجِدُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَوَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن ذَابَّةٍ ... (داطر: ٤٥).

وفي الحديث المنحيح : «والذي نفسي بيده ، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزز إلا كفّر الله عنه يها من خطاياه متن الشوكة يشاكهاء ك^{يا} .

وقد تصيب المصائب الأنبياء والصنالعين لرفع درجاتهم ، أو لحكم أخرى يعلمها الله ، وفي الحديث وأشدكم بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل» (١٠٠).

وقد أمرنا الدين الإسلامي باحتمال المصائب ، مع الرضا بالقضاء والقدر ، هيره ويشره ، حلوه ومره وذكر الصبر في القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعا ، كما حث الحديث الشريف المؤمن على الصبر والرضا طمعا في ثواب الله ، ورضا يقضائه وقدره .

قال تعالى : وَلَتَهُوْ لَكُمُّهُ مِحْنَّى مِّنَ ٱلْمُوْفِ وَٱلْجُوعِ وَلَقُصِ مِّنَ ٱلْأَمُوْلِ وَٱلْأَمُوْلِ ٱلْدِينَ إِذَا أَصَنْتُهُم شَّعِينَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَحِعُونَ هَ أَوْلَتَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَتَيْكَ هُـ الْمُهَتَّدُونَ ، (البقرة: ١٥٥٠ –١٥٥) .

وفي الأفر: «من علامة الإيمان: الشكر على النعماء، والصبر على البأساء، والرشنا بأسباب القضاء، كما جاء في الأفر أيضًا: «الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر».

٣١-- وَمَا ٓ أَلْتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٌّ وَلَا نَعبِيرٍ .

لا يستطيع أي إنسان أن يهرب من عذاب الله ، أو يفلت من قضائه ، أو يُفلت من عقوبة أرادها الله به وإذا كفر الكافر أو أشرك الممثرك فلن يجد وليًّا يتولاه بالمعونة ، أو نصيرًا ينصره ضد مولاه وخالقه .

قال في فتح القدير للشوكاني:

وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ...

أي: بفائتين عليه هريا في الأرض ، بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم ، نازل بهم .

وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٌّ ... يواليكم فيمنع ما قضاه الله .

وَلَا نُعِيرٍ ، ينصركم من عذاب الله .

٣٧- ومِنْ ءَايَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَىٰمِ.

من دلائل قدرة الله تعالى تسخير هذا الكون لخدمة الإنسان ، فالسماء والأرض والفضاء والماء وغيرها، أُعدُت إعدادًا الهجّا لتيسير حياة الإنسان ، فالبحر تغرق فيه الأجسام اللقيلة ، ثم يلهم الله الإنسان صناعة السُّنن لتحمل الأفقال والمتاح والتجارة من بلد إلى بلد ، فيهم الممران وتنتمش الزراعة والممناعة والتجارة .

قال ابن كثير:

ومن أياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخير البحر لتجرى فيه الظك بأمره ، كَالْأَعْلَـُم ، أي : كالجبال ، أي هذه في البحر كالجبال في البرّ .

٣٣- إِن يَشَأْ يُشْكِن ٱلرِّيحَ فَيَطْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَالِكَ لَآيَسْتٍ لّْكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ .

إذا أراد الله أن يُسكن الربح لأوقفها ، ويذلك تقف السفن عن الحركة ، وتتعطل المصالح ، وربما فسدت المؤن ، إن في ذلك الاختبار والابتلاء لعظة وعبرة لكل صباً ل على البلايا ، شكور على النعم والمطايا ، فالإيمان تصفان : تصف صبر ، وتصف خُكْر .

٤ ٣- أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَفِيرٍ.

وإن شاء الله أهلك هذه السفن بسبب ما ارتكب أهلها من محصية أو شرك أو كفر ، وهو سيحانه يعاقب على القليل ، ويصفح عن الكثير ، ويتجاوز عن كثير من الذنوب ، فينجى أهلها من الهلاك .

وقال بعض المفسرين:

إن يشأ يرسل الربح عاتبة قوية مدمرة، فتضطر السفن أن تحيد عن طريقها ، أبقة عن الطريق المرسم، منصرفة ذات اليعين وذات الشمال ، منحرفة لا تسير على طريق ولا إلى جهة ، فيهلك من فيها إغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب .

قال ابن كغير:

وهذا القول مناسب للأول ، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الربح فوقفت ، أو لقوّاها فشردت وأبقَت وهلكت ، ولكن من لطفه ورحمته أن يرسل الربح بحسب الحاجة ، كما يرسل المطر بقدر الكفاية ، ولو أنزله كثيرا جدًّا لهدم البنيان ، أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار ، حتى إنه يرسل إلى مثل (بلاد مصر) سيحا من أرض أخرى غيرها ، لأنهم لا يحتاجون إلى مطر ، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم (٥٠)

٣٥- وَيَعْلَمُ ٱللَّذِينَ يُجَلِّدُلُونَ فِي عَايَسْتِنَا مَا لَهُم مِّن مُحِيصٍ.

إذا كانرا في يد القدرة التي إن شاءت أمسكت الربح ، وإن شاءت أرسلت الربح عاتية قوية ، تجعل السفينة كالريشة في مهب الرباح ، حتى يعلم الذين يجادلون في آيات الله بالباطل ، فيذكرون الألوهية ، أن يشككون في دين الله وربوبيته أنهم مقهورون مربوبون ، ما لهم من ملجأ ولا مهرب من قدرة الله القدير.

قال القرطبي :

أى: ليعلم الكفار إذا توسطوا في البحر، وغشيتهم الرياح من كل مكان ، أنه لا ملجاً لهم سوى الله ، ولا دائم لهم إن أراد الله إعلاكهم ، فيخلصوا له العبادة .

* * *

الشوري في الإسلام

﴿ فَا الْمِيْتُمْ مِن مَنْ وَفَنَتُمُ الْمَيْوَةِ اللَّذِينَا وَمَاعِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبَقَى لِلَذِينَ مَا مَنُوا وَعَلَى رَبِيمَ يَتَوْكُلُونَ هُوَالَّذِينَ مَيْنَبُونَ كَبَيْمِ الْإِنْمِ وَالْفَوَحِسَ وَإِذَا مَا عَضِمُوا هُمْ يَعْفُونَ اللَّهِ وَاللَّينَ اللَّينَ الْمَاسَمَ اللَّهُ مُنْ وَأَفَامُوا الصَّلَقَ وَأَشُرُهُمْ شُورَى يَيْتُمُ وَمِعَارَدَفَقَهُمْ يُنِقُونَ اللَّهُ وَاللَّينَ إِنَّا أَصَابَهُمُ الشَّعَ الْمَالِينَ وَالْمَالِقَ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّه

المفردات

هما أوتهتم من شيء ، فما أعطيتم من أثاث الدنيا وزينتها .

طمتاح الحياة اللخياء يُتمتّعُ به فيها ثم يزول .

وعنى ربهم يتوكلون، وعلى الله وحده يعتمدون .

ك مناف الاشم ، كبائر الذنوب ، وقرئ : (كبير الإثم) .

المستمراحش، ما عظم قيمه من الذنوب كالزنا .

.....

استجابوا فريهم الجابره إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة -

وأمرهم شورى بيتهم: شأنهم التشاور ومراجعة الآراء في أمورهم .

السيسقسي الظلم والعدوان.

يينيت تصرون بنتقمون بمثل ما عوقبوا به .

سيباه المطيئة والذنب.

سينة مثلها؛ سميت مقابلة السيئة سيئة ؛ لمشابهتها لها في الصورة.

مستقسا ؛ صفح عمن أساء إليه .

فأجره على الله : فتوابه على الله .

لا يحب الطائن ، يكره ويبغض المعتدين.

ولان التسريعة فللبه ، انتسر لنفسه بعدما تألم .

سيبسيسان، معاتبة ولرم ومراخذة.

مسيير؛ سكت وحيس نفسه عن الانتصار لنفسه.

تمهید ،

هذه آيات في صفات المرومتين ، وفي تقضيل الآخرة على الدنيا ، فالدنيا متاح زائل ، والآخرة نعيم مقيم للمؤمنين المتوكلين على الله ، ثم ذكر من صفاتهم ما يأتي :

غن عسرَم الأمسور؛ لمن الأمور المعزومة ، أي : المؤكدة ، والمراد : أنَّها من الأمور المطلوبة شرعًا ،

ا بلهمد عن المفواحش والكهائر ، مثل: القتل ، والزنا ، وشرب الشمر ، والهمين الغموس ، والسحر ، وأكل الرباء ،
 وعقوق الوالدين .

٢ – العقو والصفح عند الغضب.

٣ - الاستجابة لأمر الله ، بطاعته والبعد عن معصيته .

التمسك بالشوري في مهام شئون الدولة ، ومهام الأسر والأفراد .

٥ --- إخراج الزكاة وألصدقة .

٦ - ردُ العدوان والانتصار من المعتدى .

٧ - قررت الآيات (٠٤-٤٣) من سورة الشورى مبدأ عقوبة المعتدى ، سواء أكان عامدًا أم مخطئًا ، وهذاك العامل وهو الصفح والعفو . العدل وهو مقابلة السيئة بالسيئة خصوصًا مع الفسّاق والظلمة ، وهذاك الفضل وهو الصفح والعفو . وكررت الآيات الأمر بالصبر والعفو .

ولا تناقض بين هذه الأوامر ، لأن الأمر في جملته يحتاج إلى الحكمة والبمبيرة ، فالقصاص في مواطنه حكمة ، والصبر في مواطنه حكمة ، ولكل فئة ما يناسبها ، فيناسب المعتدى المخطئ التائب المستجير العفو والصفح ، ويناسب المتغطرس المستهتر القصاص أو المقوية .

التفسيره

٣٦- فَمَا أُولِيتُم مَن شَيْءٍ فَمَثَاءُ ٱلْحَيْوَةِ ٱللَّذِينَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ عَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَتُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكُّلُونَ .

مهما أوتيتم من أموال أن نعيم أو أفاث أو رياش أو أيّ شأن من شئون النثيا : فذلك متاع زائل ، وأما ما قدمه الإنسان للآخرة من صدفة أو زكاة أو صلاة أو جهاد ، أو صلة رحم أو عمل خير : فذلك أبقى وأفضل لمن آمن بالله ، واستمرّ في التوكل عليه ، والتوكل هو الاعتماد على الله بعد الأخذ بالأسهاب .

٣٧- وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَنَّهِمَ ٱلْإِلْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ .

هذه الآية مكملة لصفات الذين آمنوا في الآية السابقة ، أي : ومن صفات الذين آمنوا أنهم يبتعدون عن كبائر الذنوب ، مثل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، والزنا ، والربا ، والقتل، والسحر وتطلق الفواحش على كل ما عظم قبحه وفحش أمره .

قال ابن عباس :

ٱلْقُوَ 'حِشَ. يعنى الزناء أي: هم مبتعدون عن كل ما يغضب الله، خصوصا كبائر الذنوب.

سُئِل بعضهم عن التقزى فقال: (ألَّا يراك الله حيث نهاك ، وألا يفقدك حيث أمرك).

وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمَّ يَغْفِرُونَ .

ومن شأنهم ألا يستبد بهم الغضب فيخرجهم عن حد الاعتدال ، بل إذا غضبوا غفروا لمن أغضبهم تمسكا بأداب الدين . ذكر أبى حامد الفزائى فى كتاب (إحياء علوم الدين) أبواب المهلكات، ومنها: الحقد، والحسد، والضغيئة، والكبر، والغضب، وبين أن الغضب سبع مقترس يجمل الإنسان لعبة فى يد الشيطان، لأن الإنسان إذا سكر وإذا غضب: ضعفت سيطرته على عقله، وأصبح فريسة لهواء، فيقعل ما يندم على فعله.

ومن علاج الغضب تذكّر هوان الدنيا ، وأنها لا تزن جناح بعوضة ، والغضب وسيلة إلى أمراض متعددة مثل تصلب الشرايين ، والشعفط المرتقع ، والسكر ، وعلاج ذلك محاولة الهدوء والاتزان والرضا والإيمان .

وقد ثبت في المنحيح أن رسول الله على ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله. (١١٠)

و في الحديث النبري يقول رسول الله ﷺ : «ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال من صدقة ، وما تواضع أحد لله الا رفعه ، وما زاد الله عبدًا يعفو إلا عزًا فاعفوا يعركم للله (١٠٠).

٣٨ – وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَفَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىا بَيْنَهُمْ وَمِمَّا وَزَفْتَنْهُمْ يُنفِقُونَ ٢

والذين استجابوا لأمر الله تعالى ودخلوا في دين الإسلام.

وَأَقَامُواْ الْشُلُوْةُ ... وحافظوا على إقامة الصلاة في أرقاتها ، وخص الصلاة بالذكر لأنها أعظم أركان - الإسلام ، وهي صلة بين العبد وريه ، وهي عماد للدين ، من أقامها كان حريا أن يقيم أمور الدين ، ومن هدمها كان حريا أن يهدم الدين .

وَأَمْرُهُمْ هُورَكُمْ يُبَيِّهُمْ ... أي: هم ملتزمون بالشورى في الأمور العامة كالحرب وشئون الدولة ، والمشئون الضاصة كنظام الأسرة وما يتصل بشئون الجماعات والأفراد ، وقد حث القرآن على الشورى ومدحها ، وسمي هذه السورة الدكية باسم (الشورى) كما ذكر الشورى في سورة (آل عمران) وهي سورة مدنية.

قال تعالى : فَيِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنِتَ لَهُمْ وَأَوْ كُنتَ فَطَّا عَلِيفَ ٱلقُلْبِ لِٱنْفَطُواْ مِنْ حَزِلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَطُيْرُ لَهُمْ وَهُاوِ (هُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَرْمُتَ فَقَرَكُلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ ٱلْفَتَوَكِينَ . (لا عمران ١٩٠١).

وأخرج عبد بن حميد ، والبخارى في الأنب المفرد ، وابن المنذر ، عن الحسن قال : ما تشاور قوم قطَّ إلا هَمُوا لأرشد أمرهم ، ثم تلا : وَأَمْرُكُمُ شُورُكا يَشْهُمُ ...

ولقد كان ﷺ أكثر الناس مشررة لأصحابه ، فقد استشارهم عند الخروج لغزرة بدر ولغزوة أحد ، وفي غزوة الأحزاب عمل بمشورة الأنصار ، وتراجع عن إعطاء هوازن ثلث ثمار الدينة عندما قالت الأنصار : لا نعطهم إلا السيف ، وكان الخلقاء الراشدون يحرصون على الشورى خصوصا ما لا نص فهه ، مثل كتابة المصحف ، وحروب الردة ، وعدم توزيع أرض السواد بالعراق على الفاتحين ، وتضمين العمال إذا أتلفوا ما بأيديهم لشدة حاجة الناس إليهم ، وكتابة الحديث النبوى الشريف في عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ، وغير ذلك .

رَمِمًا زَرَأْتُناهُمْ يُنفِقُونَ .

أى: ينفقون مما أعطاهم الله من المال أو العلم أو الجاه ، بإخراج الزكاة أو المعدقة أو الإحسان إلى خلق الله.

٣٩ - وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَسَمِيرُونَ .

كانوا ينفرون من الضَّيِّم والذلِّ والاستكانة .

قال النخعي : كانوا يكرهون أن يُزلوا أنفسهم ، فيجترئ عليهم الفساق .

وقد ورد عن عمر رضي الله عنه: من استُغمّب ولم يغمّب فهو حمار،

والمؤمن كريم على نفسه وعلى ربه ، حيث قال تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... (المنافقين : ٨).

قالانسان المثّرن يعرف متى يصفح ، ومتى ينتصر وينتقم ، فهو أمام الذليل الضعيف يعفر عفو القادر ، وأمام الباغي المعتدى ينتصر وينتقم ، كما يشير إلى ذلك قول الشاعر:

إذا أنت أكربت الكريم ملكت في وإن أنت أكربت السلسيم تعردا

وعند تفسير ابن كثير رغيره من المفسرين لهذه الآية قالوا : أى فيهم قوة الانتصار معن ظلمهم واعدت عليهم ، وإن كانوا مع هذا واعتدى عليهم ، بيسوا بالعاجزين ولا الأدلين ، بل يقدرون على الانتقام معن بفى عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عقوا ، والأعثلة الموضحة كثيرة ، منها : عفو يوسف عليه السلام عن إخوته ، وعفو النبى محمد على أهل مكة بعد فتحها ، وعفا على عن أولئك النفر اللمائين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم ، ظما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام منهم ، وعفا عن غررث بن الحارث الذي أراد الفتك به ، حين أهذ سيف الذبي على ومن المم ، فاستيقظ على وهو في يده مصلتا فانتهره ، فوقع السيف من يد غورث بن الحارث ، فأخذ الذبي على السيف من يد ودعا أصحابه ، ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل ، وغير ذلك كثير ، اه .

قال شوقي :

وإذًا عنفوت فنقادر ومقدار لا يستهين بعفوك الضعفاء وإذًا خطبت فللمنابر هزةً تعرو الندى وللقبلوب بكاء

وقعلت ما لا تضعل الأنواء	إذا سخوت بلغت بالجود المدى
هذان في الدنيا هما الرحماء	إذا رحمسمت فمسأنت أم أو أب
وإذا غضبت فإنك النسكباء	إنَّا مشيت إلى العدا فغضنفر
فجميح عهدك ذمة ووفاء	إذا اخذت العهد أو أعطيته

فائدة:

قال الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى : وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَتَمِيرُونَ .

فإن قلت : أهم محمودون على الانتصار؟ قلت : نعم ، لأن من أخذ حقة غير متعد حدُ الله رما أمر به، فلم يسرف فى القتل إن كان ولى دم ، أو ردُّ على سفيه محاماة عن عرضه وردعًا له ، فهو مطيع ، وكل مطبع محمود . ا هـ .

· ٤ - وَجَزَا وَا سَيَّمَةٍ سَيَّمَةً مُعْلَقُهَا فَمَنْ عَلَمَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ, عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ, لاَ يُحِبُ ٱلطَّــٰ المِينَ .

هذا هو الحكم الشرعى ، عقوبة المسىء بما شرعه الله من عقوبة مماثلة لجرمه ، وسمّى الجزاء سيئة لأنها تسوء من تنزل به ، أو مماثلة لما قبلها ، وهذا القصاص عدل .

قال تعالى : وَٱلْعِبُوعَ لِعِمَاصٌ ... (السائدة : ٤٥) . وقال سبحانه : وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيْوَةً ... (البغرة : ١٧٩). وقال سبحانه : فَعَنْ آعَنَدُعَ عَلَيْكُمْ الْعَنْقُواْ عَلَيْهِ بِعِفْل مَا ٱحْتَدَىٰعَ عَلَيْكُمْ ... (البغرة : ١٩٤) .

وقال سبحانه : وَإِنْ عَالَبْتُمْ قَعَالِبُواْ بِعِقْلِمَا عُولِيْتُم بِهِ وَلَين صَمَوْتُمْ لَهُوَ حَيْزٌ للصَّليوِينَ . (النسل : ١٣٦) .

ومن ذلك ترى وسطية القرآن ، وحسن تشريعه ، فقد شرع العقوبة ردعًا للفساق والمتجبرين والمستهترين ، ثم شرع العفو والصفح للنادمين والمخطئين الذين تابوا من خطئهم ، فقال سبحانه : فَمَنْ عُفّا وَأَصْلُحَ فَأَجُرُهُ مَ عَلَيْ آللهِ ... أى : من عفا عمن أساء إليه وأصلح ما بينه وبين المسيء أو المعتدى فقد أحسن في الدنيا ، وثوابه عظيم عند الله يوم القيامة ، وفي الحديث الشريف : وما زاد الله عبدًا يعفو إلا عزّاء (١٠) رواه أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، عن أبي مريرة رضي الله عنه .

و في الأفر: إذا كان يوم القيامة نادى مناو من قبل الله تعالى: من كان أجره على الله فليقم ، قلا يقوم إلا من عمنا ، فذلك قوله تعالى : وَجَرَّزُ أُسْبِيَّةُ شَيِّقًا فَكُنْ عَمَّا وَأَصْلَمَ فَأَخِرُهُ رَعَيْ آللًم ...

وقد وصف الله المنتفين بقوله تعالى: ألَّذِينَ يُفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَالْعَثْرَاءِ وَالْكَنْظِينَ ٱلْفَيْطَ وَالْعَالِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ يُعِبُ الْمُحْسِينَ . (ال عدون : ١٣٤).

إِنَّهُ لِا يُحِبُّ ٱلطَّسْلِمِينَ .

أى: إنه تعالى لا يحب المبتدئين بالظلم ، ولا يحب من يتعدى فى الاقتصاص ، ويجاوز الحدّ فيه ، لأن المجاوزة ظلم ، والمراد أنه تمالى يعاقب المتجاوز حدّه ، وهذا تأكيد لمطلع الآية فى اشتراط المماثلة فيكا ومقدارًا.

٩ ٤ - وَلَمْنِ ٱلتَصَرّ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَـ لَكِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ .

من أخذ حقه ممن ظلمه فلا لوم عليه ولا عتاب ، فقد شرح الله القصاص في الهذايات العمدية ، والمُسَان في جنايات الخملاً والإتلافات ، ويجوز الشتم والسب بالمثل دون اعتداء ولا تجاوز .

٢ ٤ - إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَطْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَهْوُنَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ أُولَـ عَلَى لَهُمْ عَذَابَ ٱلِيمّ .

إنما اللوم والعتاب والإثم على الذين يظلمون الناس بالبغى والعدوان فى الأرض بغير الحق ، ومثل ذلك اللمسوص والزناة والغاصبون ، وأيضًا كفار مكة الذين ظلموا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ، وظاهروا على إخراجهم بالبغى والعدوان .

أُوْلَــُعِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أعده الله للظالمين المعتدين ، أيًّا كانوا سابقين أو لاحقين ، كما أعدَّه لكفار مكة حين ظلموا المسلمين واعتدوا عليهم وفرضوا الشرك على الشمقاء منهم .

وهي الحديث القدسي يقول النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا» (^^)

وجاء في الحديث الصحيح: «المستبَّان ما قالا فعلى البادئ، ما لم يعتد المطلوم» (١٠٠٠).

٣٤ - وَلَمَن صَبَرَ وَخَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأَمُورِ .

أو قوله تعالى : وَأَلْوَّ صُ أَمْرِيّ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيدٌ بِٱلْعِبَادِ . (غافر: ٤٤) .

ويجوز الدعاء على الطالم بمثل هذه الآيات انتصافا للحق ، وتفويضًا للأمر إلى الله ليأخذ للمطلوم من الطالم ، وعند اعتداء الكافرين على المسلمين أو قيام الطلمة الباغين بالطلم ؛ فقد شرع الله الانتصاف للمظلومين ، فلا لوم ولا عتاب على من انتصر بعد طلمه .

وهكذا أحاطت الآيات بصفات الدؤمنين ، متحدثة عن أخلاقهم الكريمة في توكلهم على الله ، ويعدهم عن الكبائر والفواحش ، وعقوهم عند الغضب واستجابتهم لأمر ربهم ، وتمسكهم بالشورى في حياة الفرد وحياة الجماعة ، وإخراجهم للزكاة والصدقة .

ثم هم متوازنون معتدلون ، فبالنسبة للفسّاق والظلمة يقابلون السيلة بالسيلة ، وبالنسبة للمتقين والضعفاء يقابلون السيلة بالعفو والصفح ، والأمر كله في ذلك محتاج إلى الحكمة وحسن التصرف ، واهتيار الأنسب في المعاملة ، فمن الناس من تناسبه المعاتبة ، ومفهم من تناسبه المعاقبة ، ومفهم من يأسره ويطلبه الصفح والعفو ، وفي مثل هؤلاء قال تعالى : وُلا تَسْتُوي الْحَسْنَةُ وَلا ٱلسِّبَةُ أَرْفُعْ بِآلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلْمِي بَيّلُكُ وَيُشِكُمُ عَلَا وَقَا كُولُهُ وَلِي عَمِيمٌ وَمَا يُقَفْعَ إِلاَ ٱللَّذِينَ مَسَرُواً وَمَا يَلْقَلْهَا إِلاَّ ذُو عَلْ عَظِيمٍ . (نصلت : ٢٤ ، ٣٥) .

أحوال الكفار أمام الثار

﴿ وَمَن يُصْلِيلِ اللّهُ فَمَا المُنون وَلِيّ مِن بَعْدِهِ وَثَرَى الظّلِين لَمّا رَأُوا الْمَدَاب يَقُولُون مَلَ اللّهُ مَرَحَةُم يَعْرَضُون عَلَيْهَا خَشِومِين مِنَ الذَّلِينَظُرُون مِن مَلَ إِلَى مَرَدِيم مِن الذَّلِينَ عَامَمُ وَالْهِلِيهِم مِن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مَن مَن مِن اللّهُ مِن اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مَن مَن مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مُن اللّهُ مِن اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِن

المفرداتء

ومن يضبل الله ، ومن يخذله الله لأنه ضلَّ الطريق لسوء اختياره .

من واي من بعده ، من ناصر يتولاه بعد خذلان الله إياه .

هل إلى مسحرة ، هل إلى رجعة إلى الدنيا .

يسرشون صليها: على النار.

خياشمون من الندل ، خاضعين متضائلين بسبب الذل .

ينظرون من طرف خفى ، ينظرون إلى النار مسارقة خوفا منها ، كما ينظر المحكوم عليه لآلة التنفيذ .

الشين غسروا أنفسهم، بالتمرض للعذاب الخاك .

وأهبك يسهسم، وخسروا أهايهم بالتفريق بينهم .

مستسبع و سرمدی داکم .

أوابسي مساء، نصراء أو أولياء أمره.

مسن سبيب باده من طريق إلى الهدى .

استجيبوا تريكم ، سارعوا إلى إجابته بالتوحيد والعبادة .

الأميرة للله من الله ، لا يردَّه الله بعد إذْ أتى به .

السسسسكين إنكار لما الترفتموه من الذنوب ، أو منكر لعذابكم .

حـــقـــيــقـــبا ، رقيبا أن محاسبا ,

إن مسطيك، ما عليك.

إلا ألسبسلاغ، إلا التبليغ.

تقهيده

تصنف الآيات مشهد الظالمين يوم القيامة حين رأوا العذاب وشدته وهُوله، وتمثّواً أن يعودوا إلى الدنيا ليعملوا عملا مسالحا ، وظلوا بلا جواب ولا تحقيق لأمنيتهم ، وتراهم — يا كلَّ من تتأتى منه الرؤية — أذلاء خاصعين بسبب الذل والمهانة وخوف العذاب ، ينظرون إلى الذار مسارقة خوفا منها ومن عذابها ، وعندئذ يقول الذين أمنوا : إن الخاسرين خسرانا حقيقيا هم الذين خسروا أنفسهم حيث أوردوها جهنم ، وخسروا أمليهم حيث تسببوا في دخولهم النار فانشفل كل واحد من أهل الذار بنفسه ، ويالعذاب الذي يتلقاه ، ولم يلق أمل الذار بنفسه ، ويالعذاب الذي يتلقاه ، ولم يلق أمل الذار بنفسه ، ويالعذاب الذي يتلقاه ، ولم يلق الله الذار أولياء ولا تُمراء ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله ، ومن أضله الله فليس له طريق إلى النجاة أو النوزيسكه .

ءُ ٤ - وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُر مِن وَلِيَّ مِّن يُعْدِهِ وَتَوَى ٱلطَّلْلِمِينَ لَمَّا رَأُواْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَّدٌ مِّن سَبِيلٍ

من يُضلله - حسب سنته في الإضَّالال - فلن يجد وليا ولا نصيرا بهديه إلى الرِّشاد ، وترى الظالمين الذين ظلموا عباد الله في الدنيا، وظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والجيروت والتكبر، هؤلاء حين يشاهدون عذاب جهتم يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا عملا صالحًا ينجيهم من عذاب النار.

ه ٤ - وَتَرَسْلُهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَلْشِعِينَ مِنَ ٱللُّلُّ يَسَظُّرُونَ مِن طَرْفِ خَفِيٌّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ ٱلْخَلْسِرِينَ ٱلَّذِينَ حَسِرُ وَا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقَيْمَةِ أَلَّا إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ فِي عَلَابِ مُقِيمٍ.

وترى هؤلاء الظالمين يُعرضون على النار أذلاء مقهورين متضائلين ، خاشعين خاضعين بسبب الذل والمهانة ، لا يسبب التواضع والكرامة ، ينظرون إلى النار بعين غضيضة مُقفلة إلا قليلاً، بسبب الحذر والرهبة، كما ينظر من حكم عليه بالإعدام إلى آلة التنفيذ ، لقد انهار كلُّ أمل ، وظهر الظالمون المتكبرون في الدنيا أذلاء متضعضعين ، لا تقوى عيونهم على استكمال فتحتها ، بل ينظرون بطرف غضيض ، والعرب تعبّر بالطرف الغضيض كثابة عن الذل والمهانة.

قال الشاعد:

قبلا كبعيبا يباسغت ولاكبلاينا

فيبغض السطسرف إنك مسل نمير

لقد انحط أمر الظالمين ، وارتفع شأن المؤمنين ، وأصبحت المنزلة العليا لهم ، عندئذ قال المؤمنون : إن الخاسرين حقًّا هم الذين خلاموا أنفسهم بالكفر والظلم ، فألقى بهم في النار وفقدوا متعتهم وحرموا نعيمهم ، فخسروا بذلك أنفسهم ، وحيل بينهم وبين أزواجهم وأولادهم وأحبابهم بسبب انشفال كل واحد من هؤلاء بنفسه ، ثم يعلن معلن من قبل الحق سبحانه : ألاّ إنَّ ٱلطُّلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ، فهم خالدون في النار خلودًا أبديًّا سرمديًّا ، فما أعظم شقاءهم بالخلود في جهتم .

٣ ٤ - وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِنَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُطْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ، مِن سَبِيل.

ليس لهم من غير الله أعوان وأنصار ينقذونهم مما هم فيه من العذاب ، وليس للأصنام التي عبدوها بقصد الشفاعة لهم عند الله أي مجال في الشفاعة .

مَا لِلطَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمِ وَلَا شَفِيعِ يُطَاعُ . (غانر: ١٨) .

ومن أضله الله وخذله فلا طريق له يصل به إلى الحق في الدنيا ، وإلى الجنة في الآخرة ، لانسداد طريق النجاة عليه نقد غلبته شهواته ، وأعمته ضلالاته عن روية النور والهدى . هال تعالى : أَفَرَهُنِتَ مَن أَتَحَدَ إِلَيْهُمْ هَوَسْهُ وَأَصَّلُهُ آللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَحَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْمِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْدَةً قَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ آللهِ أَفَلَا لَذَكُونَ . (الجائية : ٣٣) .

٧ ٤ - آنستَجِيُوا لِرَبُّكُم مِّن قَبْل أَن يَأْتِي يَوْمٌ لا مَرَد لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مُلْحَإِ يَوْمَئِد وَمَا لَكُم مِّن تُكِير.

استجبيوا لأمر الله تعالى وهدى رسله ، بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، من قبل المرمر ، ولا أن يأتى يوم – وهو يوم القيامة – لا يستطيع أحد أن يدفعه أو يمنع حصوله ، فإنه يأتى كلمح البصر ، ولا تستطيع قوة فى الأرض ولا فى السماء أن تعنع ما أراده الله ، وفى ذلك اليوم لا يستطيع أحد أن يتحصن ، به يختبئ فى مكان ، أو يتنكر ويستتر فيفيب عن بصره تعالى ، فهو سبحانه محيط بالجميع ، والكل تحت سمعه ويصره ، ولا ملجاً منه إلا إليه .

قال أبو السعود:

وَمَا لَكُم مِّن تُكِيرٍ.

أي: ما لكم إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليه جوارحكم . ا هـ .

وقيل: وَمَا لَكُم مِّن تَكِير

أي : وليس لكم منكر ينكر ما ينزل بكم من العذاب .

4 4 – فإنَّ أَغَرَسُوا فَمَا أَرْسَلُنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَكُمْ وَإِنَّا إِذَا ٱلْقَانَا ٱلْإِسْدَنَ مِنَّا رَحْمُةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَلْمُسْتَ أَيْدِيهِمْ قَانِ ٱلْإِنسِدَن تَقُورٌ .

تأتى هذه الآية تسلية ومواساة للنبي ﷺ ، أي : إن أعرض أهل مكة عن دعوتك ولم يؤمنوا برسالتك فقد أدّبت واجبك ، واست حفيظًا عليهم ، ولا مستولا عن إيمانهم ، ما عليك إلا تبليغ الدعوة إليهم ، وتركهم أحرارًا بختارين ما يشاءون .

قال تعالى : فَلَكِّرْ إِنَّمَآ أَلتَ مُلَكِّرٌ و لُّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِنٍ . (الفاشية : ٢٢ ، ٢٢).

وقال سبحانه : نَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَسْهُمْ وَلَلْكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ... (البقرة : ٢٧٢).

ومن طبيعة الإنسان أنّه إذا جاءت إليه النعمة فرح بها ، فهو يسعد بالنعمة كالصحة والغنى والأمن ويستبشر بها ، وإذا نزل به المرض أو الفقر أو أى مصيبة بسبب سلوكه ومعاصيه ، فإن الجزع والهلع ينزل بساحته ، وكذلك الكثر والجحود ، إلا من ألهمه الله الصواب . قال تعالى : إِنَّ ٱلْإِنسَنْنَ خُلِقَ هَلُوعًا ه إِذَا مَسُهُ ٱلنَّتُرُ جُوُّ وعًا ه وَإِذَا مَسُهُ ٱلْغَيْرُ (العدار: ۲۰۱۰-۲۰

إن ذلك بسبب عدم الإيمان ، وعدم صدق الهقين ، ويطُم شأن الدنيا عند الإنسان ، فإذا جامت التعمة فرح بها كثيرًا ، وما علم أن الدنيا كلها عارية وكل ما فيها مردود ، وأنَّ الحياة الحقيقية هي حياة الأخرة ففيها التعبم الدائم ، وإذا نزلت بساحة الإنسان المصائب بسبب سلوكه اشتد به الحزن والهلع والكفر والجعرف، بضلاف المؤمن فإنه صابر على البلاء ، شأكر بقً على التعماء .

قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، "".

بدائع القدرة الإلهية

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ عَنْكُنُ مَا إِشَاءٌ لِمَن يَشَاءُ إِنسَاءُ عَصِيمًا إِنَّهُ مَلِيهُ لِمَن يَشَاءُ الدَّكُورَ فَ أَوْرُوَجُهُمْ ذَكُوانُ وانسَتُ وَيَحَمَّلُ مَن يَشَاءُ عَصِيمًا أَوْدُ مَلِيمُ قَلِيرٌ فَ فَي عَلَيهُ وَلَي عَلَي اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ إِلّا وَحَيّا أَوْين وَزَلِي جَابٍ أَوْرُسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْ نِعِد مَا يَشَاهُ إِنّهُ مَعَلَيْ حَسِيمٌ ﴿ فَ وَكَذَلِكَ أَوْجَنا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِياً فَي مَن اللّهُ اللّهُ وَلَي عَلَيْهُ فُولًا تَبْدِي بِهِ مَن فَشَاءُ مِن عِبَادِناً مَا كُنتَ نَدْرِي مَا اللّهُ مَن فَلَكُ وَلَكِي جَعَلَتُهُ فُولًا تَبْدِي إِلَى اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ وَلَي مِن اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ وَلَي مِن اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ وَلَي اللّهُ مَن اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللللللّهُ اللللللللّ

المفردات،

اريـــزوجــهــم، أو يجعلهم زوجين، ذكرًا وأنثى.

عسقسيسمسا، لا تك ، يقال : عقمت المرأة ، تعقم عقما ، أي : صارت عاقرًا .

وَحْسَيْسًا: إلقاء في القلب.

أو من وراء حجاب، أن يكلمه من وراء حجاب.

أو يسرسل رسولا، أو يبعث الله الملك للأنبياء ليبلغهم ما أمر الله به.

روخ سيسساء قرآنا ، لأن القلوب تحيا به .

مسن أمسرنساء من لدنًا.

جمعماستاه، جعلنا الروح أو الكتاب أو الإيمان.

وإنك استسهسدى: وإنك لترشد وتدلُّ.

إلى صراط مستقيم؛ إلى طريق معتدل موصل إلى المطلوب ، لا يضل من يسلكه .

تصير الأسمور: ألا إلى الله وحده - لا إلى غيره - يرجع شأن الخلق وأمورهم كلها يوم القيامة .

تفهيده

في ختام سورة (الشورى) نجد عددًا من أنعم الله على عباده ، فهر المتفضل بحكمته في العطاء ، فمن الناس من تكون ذريته إناقًا فقط ، مثل لوط وشعيب عليهما السلام ، ومنهم من تكون ذريته ذكورًا فقط ، مثل إبراهيم عليه السلام ، ومنهم من يرزقه ذكورًا وإناقًا ، مثل نبينا محمد ﷺ ، ومنهم من يكون عقيما لا ولد له مثل يحيى وعيسى عليهما السلام ، وهو سبحانه حكيم في ترزيعه ، عليم بما يناسب عباده ، قدير على كل شيء.

ومن أفضاله العظمى التفضل على عباده بالوحى ، بمعنى الإلهام ، كما فى الرؤيا المنامية ، والمعنى يقذفه فى قلب الأنبياء أن الأولياء ، أو يكلم الرسول من وراء حجاب كما حدث لموسى عليه السلام ، وكما حدث للنبى محمد ﷺ ليلة الإسراء ، أو يرسل جبريل بالوحى الجلى كما حدث فى نزول جبريل بوحى القرآن الكريم كلّه من أول القرآن إلى آخره ، ويسمى الوحى الجلى ، والقرآن كلّه نزل بهذا النوع ، والقرآن نور وروح وهداية إلى صراط الله الشائمة المستقيم ، وبيد الله وحده مصائر العباد فى الدنيا والأخرة .

التفسيره

٩ ٤ - تُلُّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَ لَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِلَكًا وَيَهِبُ لَهَن يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ.

المُلْكُ فله وحده ، هو سبحانه له ملك السماوات والأرض ، والخلق والعطاء ، والمال والذرية منه سبحانه ، فهو يهب لبعض الناس إناثًا نقط، ويعطى بعض الناس ذكورًا فقط.

٥ -- أَوْ يُؤَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَا وَإِنَا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنْهُ, عَلِيمٌ قَدِيرٌ .

ويتفضل سبحانه على بعض عباده فيعطيهم من الزوجين ، أي من الذكور والإناث ، فقد كان للنبى محمد ﷺ ذكور وإناث ، كان له : القاسم ، والطيب ويلقب بالطاهر ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وكان له : فاطمة، ورفية ، وزينب ، وأم كاثرم ، وكلهم من أمّ واحدة هي خديجة ، ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداما إليه المقوقس عظيم القبط بمصر ، ولحكمة عليا يجعل الله بعض الرجال عقيماً لا ولد له ، ويعض النساء عقيماً لا ولد لها .

قال ابن كثير:

جعل الله تعالى الذاس أربعة أقسام : منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه النوعين الذكور والإناث ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجطه عقيما لا نسل له ولا ولد ، فسيحان الطيم القدير .

وقال البيضاوي :

والمعنى: يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة، فيهب لبعض إما صنفًا واحدًا من ذكر أو أنشى أو الصنفين جميمًا ، ويعقم أخرين ، والمراد من الآية بيان نفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء .

٩ ٥- وَمَا كَانَ لِيشْرِ أَنْ يُكَلِّمُهُ ٱللَّهُ وِلَا وَحَيَّا أَوْ مِن وَزَايٍ حِجَابٍ أَوْ يُوْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِوفْلِهِ مَا يَشَاءُ إِللَّهُ. عَلَيُّ حَكِيمٌ .

سبب النزول ،

ذكر غير واحد من المفسرين أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا ، كما: كلمه موسى ؟ فنزلت هذه الآبة ، وقال ﷺ: ولم ينظر موسى إلى الله تعالىء .

الوحى نعمة من نعم الله على عباده ، وطريق إلى الهداية ، وفضل إلهى ترسله السماء إلى الأرض بواسطة مَلْك يختاره الله لهوجى إلى رسول مصطفى ومختار من عباد الله ، فما أجلُّها من نعمة ، أن يتفضل الإله العلى الحكيم بإنزال هدايات السماء : ليهدى العباد إلى الصراط المستقيم .

السوحي

ذكر الوحى في كتب علوم القرآن والتفسير على أنه الوسيلة التي يبلغ الله بها عباده التشريع والهداية، بواسطة اختيار ملك كجبريل ينزل على رسول كمحمد ﷺ.

خلادطرق

تفيد الآية الكريمة أن ما يبلغه الله إلى عياده يتم عن طريق واحدة من ثلاث طرق:

الأرلى : إلقاء المعنى في قلب الذبي ﷺ عن طريق رؤيا منامية ، كما حدث لإبراهيم عليه السلام ، حين أمره الله بذبح ولده إسماعيل ، وأحياناً يلقى المعنى في قلب الرسول يقطة ، كما جاء في صحيح ابنً حبان عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : «إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب» "" .

الثالية: سماع الرسول كلام الله من وراء حجاب ، بأن يسمعه الرسول من الله بدون واسطة ، متيقنًا أنّه كلام الله من حيث لا يُرى سبحانه وتعالى ، كما كلم موسى عليه السلام ، وسمى الله ذلك وحيا ، فقال : وَأَلْا آخَتُورُ لُكُ فَاسَّعُومٌ لِمَا يُوحَيِّ . (طه: ١٣٠) ، وقال سبحانه : وَكُلُمُ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكُلِيعًا . (النساء : ١٦٤) . وكان موسى قد طلب الرؤية بعد التكلُّم فحجب عنها .

قال تمالى : وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِ وَكُلْمَهُ, رَبُّهُ, قَالَ رَبُّ أَلِيقَ أَلَطُ إِلَىٰ قَالَ لَن تَرَسْبِي وَلَنكِن آلطُ إِلَى آلْجَل قَاتِ اسْتَقْرُ مَكَالَهُ, فَسَوْفَ وَرَسْبِي فَلَمَّا يَجَلَّى رَبُّهُ, لِلْجَبِّلِ جَعَلُهُ, ذَكُّ وَخَرٌ مُوسَىٰ صَبِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنْكَ تُبُتُ إِلَيْكَ وَأَنَّا أَلْفُوسِينَ . (الأعراف: ١٤٣).

الثالثة: أن يرسل الله تعالى ملكا من الملائكة إما جبريل أو غيره ، فيوجى ذلك الملك إلى الرسول من , البشر بأمر الله وتيسيره ما يشاء الله أن يوجى إليه ، كما كان جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة ينزلون على الأخبياء عليهم السلام ، والقرآن الكريم جميعه نزل عن طريق الوحى الجلى في هذه الصوة الثالثة، بواسطة جبريل عليه السلام يتلقاه عنه النبى محمد مله متهتئا أن ذلك من عند الله ، وهو وحى الله إلى رسوله ليبلغه إلى عباده .

قال تعالى: نَوْلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ءَ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِوِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِيزٍ. (الشعراء: ١٩٣–١٩٥).

وقال تعالى : يَنَاقُهُمُ ٱلرَّسُولُ بَلَغَ مَا أَدْلِلَ إِلَيْكَ مِن رُبُكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّفْتَ رِسَاتُكُهُ, وَٱللَّهُ يَعْصِمُكُ مِنَ آلثامر ... (المائدة: ٢٠) .

وقال تعالى: وَمَا يَعِلِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٓ ، إِنْ هُو إِلَّا وَحَى يُوحَىٰ ﴾ عَلْمُهُ, شَلِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿ وُو مِرْةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿ وَهُو بِٱلْأَفْقِ ٱلْأَعْلَىٰ . (النجه: ٣-٧) .

وقد أفناد النبى ﷺ أن الوحى كان يأتيه مثل صلصلة الجرس ("") ، حيث يغيب النبى ﷺ عمن حوله، ويتغرغ بروحه وكل شئونه لاستقبال ذلك الوحى ، فإذا انتهى الوحى عاد إلى من حوله ، وأحيانا يتمثل الملك رجلًا فيكلم الرسول ﷺ ، ويعى الرسول ﷺ ما يقوله الملك .

قالت عائشة : ولقد رأيت النبي ﷺ ينزل عليه الوحى في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرفًا ، أي: يسيل عرقا .

من تفسير ابن كثير:

هذه مقامات الوحى بالنسبة إلى جناب الرب جل وعلا ، فتارة يقذف فى روح النبى ﷺ وحيا لا يتمارى فيه أنه من الله عزوجل.

وقوله تعالى : أَوْ مِن وَرَاكِي حِجَّابٍ ... أَى : كما كلم موسى عليه السلام ، فإنه سأل الروية بعد التكليم فَحُجِب عنها .

وفى المحيح أن رسول الش ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضى الله عنهما : «ما كُلُم الله أحدًا إلا من وراه حجاب ، وإنه كلَّم أباك كفامًا» (**) ، كذا جاء فى الحديث ، وكان قد قتل يوم أحد ، ولكن هذا فى عالم البرزخ، والآية إنما هى فى الدار الدنيا.

وقوله عز وجل : أَوْ يُرْسِلُ رُسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْتِهِ مَا يَشَاءُ ... كما ينزل جبريل عليه السلام ، وغيره من العلائكة على الأنبياء عليهم العملاة والسلام

إِنَّهُ, عَلِيٌّ حَكِيمٌ. فهو عليٌّ عليم ، عبير حكيم ،

من فتح القدير للشوكاني :

وَمَا كَانَ لِيُشْرِ أَن يُكَلَّمَهُ آللَّهُ إِلَّا وَخَيًّا ...

يوحى إليه فيُلَهِمه ويقذف ذلك في قلبه ، كما أوحى إلى أم موسى ، وإلى إبراهيم في ذبح ولده ، والرحى هو الإشبار بسرعة على رجه التفلية .

أَوْ مِن وَزَاي حِجَابٍ ... كما كلم موسى عليه السلام ، يريد أن كلامه يُسْمع من حيث لا يرى .

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ...

أى: يرسل ملكًا فيوحى ذلك الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله وتيسيره ما يشاء أن يوحى إليه.

إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ .

أي: متعال عن صفات النقص ، حكيم في كل أحكامه .

ثم إن هذه الأنواع من الوحي كلها قد حصلت للنبي ﷺ . ا هـ

(أ) أي أن الله قد قذف في قلبه أن الإنسان لن يموت حتى يستوفى أجله ورزقه .

(ب) وقد كلمه الله من وراء حجاب ليلة الإسراء والمعراج.

(ج) وقد نزل جبريل على النبى إلى بالقرآن الكريم خلال ثلاثة وعشرين عاما من عمره الشريف، حيث بدأ نزول جبريل على النبى الله بناقران الكريم خلال ثلاثة وعمره أربعون عاماً، واستمر الوحى ينزل عليه ثلاثة عشر عاماً في مكة قبل الهجرة، ثم نزل عليه الوحى عشرة أعوام بالمدينة، وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وعمره ثلاثة وستون عاماً.

وما نزل من القرآن بمكة يسمى مكيا ، وما نزل بالمدينة بعد الهجرة يسمى مدنيا ، ونجد فى كتب علوم القرآن بحوقًا مستفيضة عن الوحى المكى والمدنى ، المحكم والمتشابه ، فواتح السر ، كتابة القرآن فى علا المراح، وجمع القرآن فى عهد أبى بكر المديق ، وكتابة القرآن الكريم على لفة قريش فى عهد عثمان ، والممسحف العثماني نقطه وتشكيله ، وتجريد كتابته ، ووضع علامات الربع والحزب والجزء ، وعلامات الوقف والوصل والسجدة ، ووضع إطار حول كل صفحة ، واستمرار تحسين خط المصحف عبر العصود الإسلامية ، فالمصحف القرآنى أصدق وثيقة وأنقى نص عرفه التاريخ (") ، لأن الله تعالى تمهد بحفظه فقال:
إِنْ يَحْنُ ثِرُتُنَ اللَّذِيُّ وَإِنَّ لَمُنْ لِهُ فَظِفُونَ . (الحبر: ٩) .

 ٧ = - وَكَذَالِكَ أَوْ حَيْثًا إِلَيْكَ رُوحًا مَنْ أَشْرِنَا مَا كُستَ تَنْدِى مَا ٱلْكِيمَابُ وَلَا ٱلْإِعَلَىٰ وَلَلْكِن جَعَلْمَنْهُ لُورًا لَهٰ إِن اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ لَمُؤْمِنَا فَعَلَىٰ وَمَا مَنْ أَشْرِيا لَهُ اللهِ عَن لَشَاءً مِنْ عَبَلَوْنَا وَإِلَّكَ لَعَلَيْنَا أُلْ لَوْمَالًا فَاللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَبْلِكُ عَلَيْهِ عَل عَلَيْهِ عَل عَلَيْهِ عَلْ

ومثل ذلك للوحى الذى أوحى الله به إلى الرسل السابقين عليك أوحى الله إليك ، فلست بدعا من الرسل لقد أوحى الله إليك قرآنا مشتملا على روح الدين ، وعلى تشريح وعظات وآداب وقصص وتاريخ ومشاهد للقيامة ، من شأن هذه الآداب أن تبعث الروح الصافية فى أجسام الأمة ، وأن تبثُ فيها اليقطة وعوامل القوة.

مَا كُنتَ قَدُرى مَا ٱلْكِعَلْبُ وَلَا ٱلْإِعَلَنُ ...

ما كنت قبل الأربعين تعلم هذا الوحى القرآنى ، وما يشتمل عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولقد كنت أميًّا قلم تقرأ كتب السابقين ، ولم تكن كاتبا حتى لا يخلن مرتاب أنك نقلت هذا القرآن من الكتب السابقة ، وهذا شبيه بقوله تمالى : وَمَا كُنتَ تَظُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتُسْبِ وَلَا تَخُطُّهُ, بِيَمِيكَ إِذَا لاَّرْتَابَ آلْمُبْطِلُونَ . (العنجوت: ٤٤) .

ومع هذا فقد حفظ الله محمدًا ﷺ من دنس الجاهلية ، فلم يسجد لصنم قط ، ولم يشترك مع أهر الجاهلية في لهوهم أو فجورهم ، وقد بَغَض الله إليه الأصنام ، ورياه فأحسن تربيته ، وصنعه على عينه، وكذلك يحفظ الله أنبياءه ورسله من التلبّس بأى أمر منهى عنه ، وفى القرآن الكريم شواهد متعددة على تزكية الله تعالى تركية الله على المسادة على تزكية الله وسلامه عليه .

وَلَاكِن جَعَلْتَلهُ ثُورًا نُهْدِي بِهِ مَن تَشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ...

أنزلنا عليك الوحى من السماء ، وجعلناه نورًا يضيء للناس طريق الهدلية ، وجعلنا القرآن وسيلة لإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام وشرائحه وآدابه .

قال تعالى : وَلُنُوَّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... (الإسراء: ٨٢).

وقال عز وجل : يَكَأَيُّهَا آثَاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مُرْعِطَدٌ مِّن رَبُّكُمْ وَشِفَاءٌ لَمَا فِي آلشُدُورِ وَهَدَى وَرَحْنَهُ لَلْمُوْسِينَ. (يونس: ٧٠)

فالقرآن مصدر هداية ، والرسول ﷺ مبلغ هذه الهداية ، وهو ممسك بمصباح الإسلام يدعى الناس إلى دين الله تمالي .

وَإِثْلُكَ لَتَهْدِئَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

إنك يا محمد مصدر هداية ، وحامل لواه الوحى ، ومرشد لأمتك إلى هدى الإسلام ، وصراحه المستقيم، وآنابه وأركانه وتشريعاته ، وما اشتمل عليه من قيم وأخلاق كانت مشعل نور للبشرية ، وسبيلا لإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

٣٥ - صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ, مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ .

إنك أيها الرسول الكريم تهدى إلى صراط مستقيم ومنهج واضع ، وتحمل لواء النور والهدى ، هذا الصراط المستقيم الذى ترشد إليه هو طريق الله ومنهجه ، وهو سبحاته المالك الحقيقى لهذا الكون كله ، فهو مالك السماء وما فيها ، والأرض وما عليها ، وكان من دعاء النبى على عند النوم : «اللهم رب السماء وما أظلت ، والأرضين وما أقلت ، والشهاطين وما أضلت ، كن لى جارًا من شرار خلقك عزَّ جارك» (٥٠٠).

أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ .

إن أمور الشلائق جميعا ترجع إليه يوم القيامة ، وقد انتهت الوسائط والعلائق ، وقام الناس لرب المالمين ، وهو المطلع على النوايا والشفايا ، والمجازى والمكافئ ، وفى هذا وعد بحسن الجزاء للمؤمنين ، ووعيد بالعقاب للكافرين .

قال تعالى : يُؤَمِّدُ يُسْشُدُ آثاسُ أَلْمَتَانَا لَيْرَوْا أَعْمَنْلُهُمْ • فَمَن يَعْمَلُ مِقَالَ ذُوَّةٍ عَيْرًا يَوْهُ • وَمَن يَعْمَلُ مِقَالَ ذُرْةٍ هُوَّا يَرَهُ • (الزاياة : ١-٨) .

وصل اللهم على سيدنا مصد وعلى آله وصحبه وسلم.

خلاصة ما تضمئته سورة الشوري

- ١ -- إنزال الوحى على رسول الله ﷺ.
- ٢ -- اختلاف الأديان ضروري للبشر.
- ٣ أصول الشرائع واحدة لدى جميع الرسل.
- ٤ اختلاف المختلفين في الأديان بغي وعدوان ، لأنه اختلاف بعد علم الحقيقة الناصعة .
 - ه إنكار نبوة محمد ﷺ بعد أن قامت الأدلة على صدقه .
 - ٦ استعجال المشركين لمجيء الساعة ، وإشفاق المؤمنين منها .
- ٧ من يعمل للدنيا يرت منها ، وما له حظ في الآخرة ، ومن يعمل ثلاً خرة يرفقه الله للخير ويضاعف له
 الثواب.
 - ٨ ينزل الله الرزق بحسب ما يرى من المصلحة .
 - ٩ من الأدلة على وجود الله تعالى خلق السماوات والأرض ، وجرى السفن في البحار.
- ١٠ ذكر لوحة هادفة وصورة ممتازة للمؤمنين ، فهم يتمتعون بصفات كريمة ، منها ما يأتى :
 التوكّل على الله ، البعد عن الكبائر ، ضبط النفس عند الغضب ، الاستجابة لأمر الله ، إقام الصلاة ،
 الاعتماد على الشورى في أمور الدولة وأمور الأسرة والمؤسسات .
 - ١١ جزاء السيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله .
 - ١٢- ليس على الرسول إلا البلاغ.
 - ١٣- أقسام الوحى إلى البشر.
 - ١٤- القرآن هداية ، والرسول ﷺ حامل مصباح الهداية .



أهيداف سيورة الزخسرف

سورة (الزخرف) مكية ، نزلت بعد سورة (الشورى) ، وقد نزلت فى الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، وقد سميت بسورة الزخرف لقوله تعالى فيها : رَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَالِكَ لَمَّا مَتَنعُ الْمَحَرِّةِ ٱللَّذُيُّ وَٱلْآَعِرُةُ عِندُ رَلِّكَ لِلْمُقْصِنَ . (الزهرف: ٣٠).

أفكار السورة

تعرض هذه السررة جانبًا مما كانت الدعوة الإسلامية تلاقيه من مصاعب وعقبات ، ومن جدال واعتراضات ، وتعرض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها فى النفوس ، وكيف يقرر فى ثنايا علاجها حقائقه وقيمه فى مكان الضرافات والوثنيات والقيم الجاهلة الزائفة ، التى كانت قائمة فى النفوس إذ ذاك ، ولا يزال جانب منها قائمًا فى النفوس فى كل زمان ومكان .

قال الفيروزبادى :

معظم مقصود سورة (الزخرف) هو: بيان إثبات القرآن في اللوح المحفوظ ، وإثبات الحجة والبرهان على يجود الصنائع ، والده على عباد الأصنام الذين قالوا : الملائكة بنات الله ، والمنة على الخليل إبراهيم بإبقاء كلمة التوحيد في عقبه ، وبيان قسمة الأرزاق ، والإخبار عن حسرة الكفار وندامتهم يوم القيامة ، ومناظرة فرعون وموسى ، ومجادلة عبد الله بن الزيعرى للمؤمنين بحديث عيسى ، وادعاؤه أن الملائكة أحق بالعبادة من عيسى ، ثم بيان شرف الموحدين في القيامة ، وعجز الكفار في جهنم ، وإثبات ألوهية المقسسجانه في السماء والأرض ، وأمر الرسول بالإعراض عن مكافأة الكفار (١٠ ، في قوله تعالى : فَأَصَفُح عَنْهُمْ سَبَحانَه في السماء والأرض ، وأمر الرسول بالإعراض عن مكافأة الكفار (١٠ ، في قوله تعالى : فَأَصَفُح عَنْهُمْ

فصول السورة

إذا تأملنا سورة (الزخرف) وجدنا أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١ - شبهات الكافرين

يشمل الفصل الأول الآيات من (١ -- ٢٥). ويبدأ بالتنويه بشأن القرآن والوحى ، ويبان أن من سنة الله إرسال الرسل لهداية الناس وإرشادهم ، ولكن البشرية قابلت الرسل بالاستهزاء والسخرية ، فأهلك الله المكذبين. والعجيب أن كفار مكة كانوا يعترفون بوجود الله ، ثم لا يرتبون على هذا الاعتراف نتائجه الطبيعية ، من توحيد الله وإخلاص التوجه إليه ، فكانوا يجعلون له شركاء يضمونهم ببعض ما خلق من الأنعام .

وفى هذه السورة تصحيح لهذه الانحرافات الاعتقادية ، ورد انفوس إلى الفطرة ، وإلى الحقائق الأولى ، فالأنعام من خلق الله ، وهى طرف من آية الحياة ، مرتبط بخلق السماوات والأرض جميعًا ، وقد خلقها الله وسخرها للبشر ليذكروا نعمة ربهم عليهم ويشكروها ، لا ليجعلوا له شركاء ، ويشرعوا لأنفسهم في الأنعام ما لم يأمر به الله ، بينما هم يعترفون بأن الله هو الخالق المبدع ، ثم هم ينحرفون عن هذه الحقيقة ، ويتبعون خرافات وأساطير : وَلَنِ سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلَقٌ ٱلسَّمَوْتِ وَالْأَرْضَ لَيُقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ السَّمَوْت وَالْعَرف . أو الزهرف : ٩) .

وكانت الوثنية الجاهلية تقول: إن الملائكة بنات الله ، ومع أنهم يكرهون مولد البنات لهم ، فإنهم كانوا بختارون لله البنات ، ويعبدونهم من دونه ، ويقولون : إننا نعيدهم بمشيئة الله ، ولو شاء ما عبدناهم لا وكانت مجرد أسطورة ناشئة عن انحراف العقيدة .

ثم يكشف القرآن عن سندهم الوحيد في اعتقاد هذه الأسطورة ، وهو المحاكاة والتقليد ، وهي مسورة زرية تشبه صورة القطيع بمضى حيث يُساق بدون تفكير .

٢ - مناقشة ومحاجة

تشتمل الآیات من (۲۳ - ۵۰) على اللسم الثانى من السورة ، وهو استمرار لمناقشة قریش فی دعاواها ، فقد كانت قریش تقول إنها من ذریة إبراهیم - وهذا حق - وإنها على ملة إبراهیم - وهذا ادعاء باطل - فقد أعلن إبراهیم كلمة الترحید قویة واضحة ، لا لبس فیها ولا غموض ، ومن أجلها هجر أباه وقومه بعد أن تعرض للقتل والتحریق ، وعلی التوحید قامت شریعة إبراهیم ، ثم أوصى بها ذریته وعقبه ، فلم یكن للشراد فیها أی خیط رفیع .

وفي هذا القسم من السورة يردهم إلى هذه الحقيقة التاريخية ، ليعرضوا عليها دعواهم التي يدعون ، ثم يحكى اعتراضهم على رسالة النبي الله وقولهم : لُولًا تُزِلَ هُنلنا اللهُ وَانْ عُلَى رَجُلُ مِنْ الْفَرَيْسِ عَظِيم . (الزهرف: ٢٠) . ويناقش قولتهم هذه ، وما تنطوى عليه من خطأ في تقدير القيم الأصيلة التي أقام الله عليها الحياة ، والقيم الأضيلة لتي تقديم المقيقة في هذه القضية يطلعهم على عاقبة المحيضين عن ذكر الله ، بعد أن يطلعهم على علة هذا العمي ، وهو من وسوسة الشيطان .

ويلتفت في نهاية هذا الدرس إلى الرسول ﷺ يسليه ويواسيه عن إعراضيم وعماهم ، فما هو بهادي العمى أو مسمع الصم وسيلقون جزاءهم ، سواء شهد انتقام الله منهم ، أو أخره الله عنهم ، ويوجهه إلى الاستمساك بما أرجى إليه فإنه الحق الذي جاء به الرسل أجمعون ، فكلهم جاءوا بكلمة التوحيد .

ثم يعرض من قصة موسى عليه السلام حلقة تمثل هذا الواقع من العرب مع رسولهم ، وكأدما هي نسخة مكررة تحوي ذات الاعتراضات التي يعترضون بها ، وتحكى اعتزاز فرعون وملئه بذات القيم التي يعتز بها المعثركون: المال ، الملك ، الجاه ، السلطان ، مظاهر البذخ ، وقد بين القرآن فيما سبق أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة ، ولو شاء الله لأعملي هذه الأموال للكافر في الدنيا لهوانها على الله من جهة ، ولأن هذا الكافر لا حطّله في نعيم الأجرة من جهة أخرى ، ولكن الله لم يفعل ذلك حتى لا يفتن الناس ، وهو العليم بضعفهم ، ولولا خوف الفتنة لجعل للكافر بيوتًا سقفها من فضة ، وسلالمها من ذهب ، بيوتًا ذات أبواب كليرة ، وقصورًا فيها سرر للاتكاء ، وفيها زخرف للزينة أ.. رمزًا لهوان هذه الفضة وهذا الذهب والزخرف والمتاع ، بحيث تبذل هكذا رخيصة لمن يكفر بالرحمن .

وهذا المتاع الزائل لا يتجاوز حدود الدنيا، ولكن الله يدخر نعيم الآخرة للمتقين.

٣- مِنْ أَسَاطِيرِ الْمِشْ كِينَ

تشمل الآيات من (۷۷ - ۸۹) الدرس الأخير في سورة (الزخرف) ، وفيها يستطرد السياق إلى حكاية سأطير المشركين حول عبادة الملائكة ، ويحكي حادثًا من حوادث الجدل الذي كانوا يزاولونه ، وهم يدافعون عن عقائدهم الواهية ، لا بقصد الوصول إلى الدق ، ولكن مراء ومحالاً .

ظلما قيل : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، وكان القصد هو أصنامهم التي جعلوها تماثيل للملائكة ، ثم عبدوها بذاتها ، وقيل لهم : إن كل عابد وما يعبد من دون الله في النار ، لما قيل لهم هذا ضرب بعضهم المثل بعيسى لبن مويم – وقد عبده المنحرفون من قومه – ألهو في النار ؟ وكان هذا مجرد جدل ، ومجرد مراء .

ثم قالوا: إذا كان أهل الكتاب يعيدون عيسى وهو بشر، فنحن أهدى منهم إذ نعبد الملائكة وهم بنات الله ، وكان هذا باطلاً يقوم على باطل .

وبهذه المناسبة يذكر السياق طرفا من قصة عيسى ابن مريم ، يكشف حقيقته وحقيقة دعوته . واختلاف قومه من قبله ومن بعده .

ثم تلطف القرآن فى تنزيه الله عما يصفون ، فأمر النبى ﷺ أن يذكر لهم أنه لو كان للرحمان ولد لكان النبى أول العابدين له ، ولكن الله منزه عن اتخاذ الولد ، فهو سبحانه له الملكية المطلقة للسماء والأرض والدنيا والأخرة .

ثم يواجههم القرآن بمنطق فطرتهم ، فهم يؤمنون بالله فكيف يصرفون عن الحق الذي تشهد به فطرتهم ، ويحيدون عن مقتضاه : وَأَبِّن سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلَقَهُمْ لَيُقُولُونَ اللّهُ قَالَمْ يُؤْلِكُونَ . (الزحرف: ٨٧) .

وفى ختام السورة يعظم من أمر لتجاه الرسول ﷺ لريه ، يشكر إليه كفرهم وعدم إيمانهم : وَقِيلهِ يَلْرُبُّ إِنَّهُ مُتَوَادِّةً قُوْمٌ لاَ يُؤْمِرُونَ . (الزهرف: ٨٨).

ويجيب عليه في رعاية ، فيدعوه إلى الصفح والإعراض ، فسيلقون جزاءهم المحترم : فَأَصْفُحُ عُنْهُمْ وَقُلْ سَلَنَمُ قَسُوْفَ يُعْلُمُونَ ، (الزهرف: ٨٥) .

القرآن عربي

﴿ حمّ ۞ وَالْكِتَبِ اللَّهِ بِنِ ۞ إِنَّا جَمَلَتُهُ قُرَّهُ الْعَرَبِيَّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون ۞ وَإِنَّا مُعَلِّدُ ۞ أَفَنَصْرِبُ عَنْكُمُ الذِّحْرَصَفْحًا أَنْ الْكَرْيَانِ ۞ وَمَا يَأْفِيهِم أَنْ صَنْعُ الْأَوْيَانِ ۞ وَمَا يَأْفِيهِم فِن نَبِي إِلَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِهُ وَنَ ۞ فَأَهْلَكُنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوْلِينِ ۞ الْأَوْلِينِ ۞ فَأَهْلَكُنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوْلِينِ ۞ الْأَوْلِينِ ۞ فَأَهْلَكُنَا أَشَدَ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوْلِينِ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلِينِ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلِينَ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلِينَ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلِينَ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلِينَ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلِينَ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَمُعَىٰ مَثَلُ اللَّهُ وَلِينَ ۞ إِلَيْ اللَّهُ وَلِينَ ﴾ ويَعْلَمُ مِنْ اللَّهُ وَلِينَ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلِينَ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الْمُؤَلِّينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّ

المقردات:

مييسيم، حروف التنبيه ، أو التحدي والإعجاز.

والكتاب المدين، والقرآن الواضح.

تسعسة السون، تفهمون آياته وتتدبرونها.

أم السكستساب، اللوح المحفوظ، فإنه أصل الكتب السماوية، وهو كناية عن علم الله القديم.

السلامينا ومندنا

السنعساسيُّ ؛ ارفيع المنزلة ، عظيم القس.

---- عديم محكم لا ينسفه غيره ، أو ذو حكمة بالغة .

أفتضري هنكم ، أنهملكم ونبعد عنكم .

البيسانة مسوء القرآن الكريم ، والذكر بمعنى الشرف ، والقرآن شرف للعرب .

صسطيعها ؛ إعراشاً عنكم ، وصفحًا مصدر : صفح عنه يصفح ، أى : ولَّاه صفحة عنقه ، بمعنى أهمله وتركه. يه أن كسلستهم ؛ لأن كنتم .

مسسرة سيسن: مجاوزين الحدّ في الكفر والضلال.

وكسم أرسطها : كم يراد بها هذا التكثير ، أي : أرسلنا رسلاً كثيرين .

قي الأولييس: في الأمم السابقة ، كتوح وهود وصالح .

و منفًا.

مضى مثل الأولين ، سبق في القرآن أحاديث إهلاكهم ، أو سُنَّة الله هلاك الظالمين .

تمهيك

تتحدن الآيات عن عظمة القرآن ، واشتماله على الذروة العليا في الأخلاق والتشريع والأداب والحكمة ، وتهدد بسحب القرآن عنهم لكفرهم وعنادهم ، وتبين سنة الله في رأفته بعباده ، ورحمته بهم ، حيث أرسل رسلاً ككيرين ، مبشرين ومنذرين ، لكن البشرية وقفت في وجههم ، عنادًا وكبرًا وسخرية ، ومن سُنة الله أن يمهل المكذّبين ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، كما فعل مع قوم نوح وعاد وثمود وفرعون ، وقد كان هزلاء أعظم وأفرى من أهل مكة ، وكان هلاكهم سُنة من سنن الله تعالى في إهلاك المكذبين بعد تعتنهم وسلفهم ، فأحرى بأهل مكة أن يعتبروا بذلك .

التفسيره

١ -- حتم .

حروف مقطعة تنطق: حا ميم ، وهى أدوات للتنبيه كالجرس الذي يقرع فيتنبه التلاميذ إلى دخول المدرسة ، أن هي حروف للتحدى والإعجاز وبيان أن القرآن مكرن من حروف عربية تنطقون بها وقد عجزتم عن الإتيان بمثله ، فدلُّ ذلك على أنه ليس من صنع بش ، وإنما هو تنزيل من حكيم حميد ، وفي أول سورة الهقرة تفصيل وافر لمعانى الحروف المقطعة في فواتح الشُور .

٢ - وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ .

والواو هذا للقسم ، أي : وأقسم بالقرآن الواضح البيان .

٣ - إِنَّا جَعَلْمَنَاهُ قُرْءَ الَّا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

أنزلنا القرآن رجعلناه بلغة العرب ، ليفهموا أحكامه ، ويسترشدوا بهديه ، ويستضيئوا بنوره ، حتى يكونوا خير أمة أخرجت للناس ، فيسعدوا بهذا الكتاب ، ويحملوا دين الإسلام إلى من حولهم من الأمم .

\$ - وَإِنَّهُ, فِي أُمُّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ خَكِيمٌ.

وإن القرآن الكريم مثبت عندنا في اللوح المحفوظ ، فهو كلام الله القديم المحفوظ من التغيير والتبديل، وهو كتاب عالى القدر ، مشتمل على التشريم والآماب ، وقصص الأولين ، وهدايات السماء ، وأخبار القيامة، وهو مشتمل على الحكمة في أسلويه ومعناه ، فلا اختلاف فيه ولا تناقض ، أو هو مهيمن على الكتب السابقة ، يؤيد السليم منها ، ويوضَّع الدَّخيل عليها ، وقد تكفّل الله بحفظه .

قال تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَزُّتُنَا ٱلذُّكُرَ وَإِنَّا لَهُرُ لَحَافِظُونَ . (الصهر: ٩) .

وقال تعالى : إِنَّهُ لِقُرْءَانَ تَوِيمٌ ه فِي كِسُبِ مَكْنُونٍ و لا يَمَسُّرُ إِلَّا ٱلْمَطْهُرُونَ ه تَنوِيلٌ مَّن رُبَّ ٱلْصَلْمِينَ . (الواقعة : ٧٧ - ٨٠)

وقـال سبــهانـه وتعالى : كالآ إِنْهَا تَذْكِرَةٌ ه فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ, ه فِي صُخْفُو مُّكُرَّمَةٍ ه مُرْفُوعَةٍ مُعَلَهُرَةٍ ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ه كِرُامَ بَرَرَةٍ . (عبس: ١١ - ١٦) .

أفَصْرِبُ عَنكُمُ آللَّكُرَ صَفْحًا أَن كُتتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ .

كان أمرًا عجبًا أن ينزل قرآن عربى مبين ، عليُّ حكيم ، ثم يقابل بالإعراض والصدود من كفار مكة. لذلك يلزح القرآن هذا بالتهديد بأن يمسك الله عن استمرار نزول القرآن عليهم ، بسبب إسرافهم في الكفر والتكنيب .

لكنه تمالى – تفضلاً منه – واصل إنزال القرآن الكريم على رسوله محمد ﷺ ، ليكون مصدر هماية". للمؤمنين ، وأداة إرشاد للمسترشدين ، ولتقوم الحجة على الأشقياء الكافرين .

قال قتادة : والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردَّته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله ردَّده وكرره عليهم برحمته .

٣ - وَكُمْ أَزْسَلْنَا مِن لَّبِيٌّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ .

أرسلنا رسلاً كثيرين في الأمم السابقة عليكم ، رغبة في هداية البشرية وإرشادها إلى الإيمان بالله ، والاهتداء بهدى السماء .

٧ - وَمَا يَأْتِيهِم مِّن لَّبِيِّ إِلَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ .

لقد وقفت الأمم من رُسُلها موقف التكذيب والاستهزاء بالرسالة ، مع أن فيها الخير والنور والشفاء ، أي : فكذبت كلُّ أمة رسولها واستهزأت به ، فحق عليها العذاب .

٨ - فَأَهْلَكُنْنَا أَشَدُ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأُولِينَ .

فأهلكذا المكذبين للرسل، وقد كانوا أشدُ قوة من أهل مكة ، وتلك سُنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير ، وهي أن يعهل المكنبين وقدًا ما ، علّهم أن يعتبروا أو يتوبوا ، وقد أعذر من أنذر ، فإذا نزل العذاب كان قاصمًا للظهور، قال تمالى: إِنَّ يَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيلًا . (البروج: ١٢) .

وقال تعالى : وَكَأَيْن مِّن قَوْيَةٍ هِي أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّذِيَّ أَخْرَجَتُكَ أَهْلكُنْد أَهُمْ فَلَا فَاصِرَ لَهُمْ . (مصد: ١٣).

وقال سبحانه وتعالى: أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ه إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ه الَّتِي لَمْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِكَادِ ه وَقُودُ الَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّحْرَ بِالْرَادِ ه وَفِرْعُوْنَ ذِى الْأَوْنَادِه الَّذِينَ طَعُواْ فِي ٱلْبِكَادِ ه فَأَكْثُرُواْ فِيهَا الْفَسَادَ ه فَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ شَوْطَ عَذَابِ و إِنَّ رَبُّكَ لَبَالْفِرْصَادِ . (الفجر: ٢ - ١٤) .

من تفسير القاسمي

وَمَعْنَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوْلِينَ .

أى : سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصقهم وحالهم فى تكذيبهم وتعذيبهم ، وما مثلناه بهم، أى : فليترقع هزلاء المستهزئون من العقوية حثل ما حلّ يسلفهم . اهـ .

وجاء في تفسير ابن كثير ما يأتي :

قَالَ مجاهد : وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأُولِينَ . ستتهم .

وقال قتادة : عقويتهم .

وقال غيرهما : عبرتهم ، أى : جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصببهم ما أصابهم ، كقوله تمالى : فَجَعَلُنْهُمُ سُلُمًّا وَشَكُرُ لُلَّاعِرِينَ . (الزهرف: ٩١) .

وكقوله جلت عظمته : سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ... (غافر: ٨٥).

خلق الله

﴿ وَلِين سَأَلْنَهُم مِّنْ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْهَزِيرُ الْقِلِيمُ (أَنَّ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مُ الْأَرْضَ مَهِ دَاوَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا لَعَلَكُمْ تَهَ تَدُوك (أَنَّ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْفَى عَلَيْهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَرِ مَا تَرَكِمُونَ (أَنَّ لِتَسْتَوُا عَلَى فَهُوبِ ثُمَّةً تَذَكُرُ وانِعْمَةً رَيْحُمْ إِذَا اسْتَوَيَّمْ عَلَيْهِ وَتَعُولُواْ سُبْحَنَ الَّذِي سَخَرَلَنَا هَنَا الْمُنْكِ وَالْأَنْعَرِ مَا تَرْكِمُونَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَعُولُواْ سُبْحَنَ الَّذِي سَخَرَلَنَا هَنَا اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَعُولُواْ سُبْحَنَ الَّذِي سَخَرَلَنَا هَنَا اللَّهِ مَا لَكُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَعُولُواْ سُبْحَنَ الَّذِي سَخَرَلْنَا هَنَا اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَلِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُعْتَى اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ الْعَلْمُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمَلْكِ وَالْمُنْ الْمُعْتَى اللَّهُ عَلَيْهُ وَالْمُهُ عَلَيْهُ الْمُنْ الْمُعَالَّةُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَالْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُعْلَى وَالْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُعْتَعِلَى الْمُؤْمُونَ اللَّهُ الْمُعْتَولُولُوا اللَّهُ وَالْمُؤْمِنَ اللَّهُ مَا الْمُعْتَى الْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ الْمُعْلَى وَالْمُعْمَالَالِي الْمَعْلَى الْمُنْفَالِمُونُ اللَّهُ الْعَلَيْمُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنِي اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنِي الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْعَالَى الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمُ الْمُعْلِمُ الْمُؤْمِ

المقردات،

--- ي---المستريسين الذي لا يقهر ، أو الذي لا نظير له .

مسهسها؛ فراشاء وأصله : موضع قراش الصيي.

سننجلا ، واحدها سبيل ، وهي الطريق .

فأنشرنا ، أحيينا .

ميستسا ؛ خالية من النبات فهي كالميت .

تخرجون : تبعثون وتنشرون من قبوركم .

الأزواج ، أصناف المخلوقات.

المصلك؛ السفن.

فتستووا ولتستقروا.

سيخسر، ذلل وطوّع.

مسقسراین ، أي : مطیقین ، قال عمرو بن معدي كرب :

لقد علم القبائل ما عقيل

لمنقلبون ، راجعون .

لنا في النائبات بمُقْرنينا

تمهيده

تذكر الآيات مظاهر القدرة الإلهية ، وتحدد ألوان النعم من الله على عباده ، وقد كان العرب على ملة إبراهيم ، فبإذا سُتِلوا من خلق السماوات والأرض ? قالوا : الله ، لكنهم لطول المدة ، ولعدم وجود نذير أو رسول في مدة طويلة جهلوا صفات الله ، وصارت قضية التوحيد غائمة غير ثابتة ولا أصيلة ، وهذا يذكر القرآن لهم عددًا من صفات الله ، وجانبا من تعمائه :

- (أ) فالله هو العزيز الغالب ، وهو العليم بكل شيء .
- (ب) وهو الذي جعل الأرض فراشا ، وجعل فيها طرقًا لتهتدوا بها في سيركم .
 - (ج) أنزل المطر من السماء ، فأحيا به الأرض الهامدة .
- (د) خلق الأزواج من الإنسان والحيوان والنبات، وسخر السفن والأنعام للركوب ونقل المتاع وغير ذلك.
- (هـ) وعند ركوب الحيوان نذكر الله وننزهه عن الشبيه والنظير، ونقول: سيحان الذي سخر لنا هذا، وما كذًا لركوبه مطيقين ولا قادرين.
 - (و) وإنا راجعون إلى الله تعالى للحساب والجزاء.

التفسيره

٩ - وَلَهِن سَأَلْتُهُم مِّنْ حَلَقَ ٱلسَّمَنُواتِ وَٱلْأَرْضَ لَيْقُولُنَّ حَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ.

كان العرب على ملة إبراهيم في توحيد الله ، فإذا سألهم سائل: من خلق السماوات والأرض ؟ قالوا. بمنطق الفطرة : خلقهن الله .

أَلْعَزِيزُ . الغالب الذي لا نظير له .

آَقَعِلُمٍ ُ. بكل شيء من أمور المخلوقات ، وهذه قضية لا يستطيع العقل السوىَ أن ينكرها ، فلم يدُّع أحد أنه خلق السماوات والأرض ، وليس من المعقول أن تكون خلقت نفسها ، فليس لها خالق إلا الله .

١ - ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لُعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

الذي جعل الأرض ممهدة للسير ، وأرساها بااجيال حتى لا تضطرب من تحتكم ، وجعل الأرض مكانًا مريحًا لحياتكم وراحتكم ، وطعامكم وشرابكم ، فهي لكم كالأم الرءوم ترعى طفلها في مهده .

وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

وجعل لكم فى الأرض طرقًا تسلكونها بين الجبال والأودية لعلكم تهتدون بسبب هذه الطرق فى سيركم من بلد إلى بلد ، ومن قطر إلى قطر ، أو لتتفكروا فى ذلك ، فيهديكم تفكركم إلى توحيد الخالق وتمجيده.

١١ - وَٱلَّذِي نَوْلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرِ فَأَنشَرُنَا بِهِ بَلْدَةً مُّيُّمًا كَلَالِكَ تُحْرَجُونَ.

والله الذي أنزل من السماء ماء بتقدير حكيم ، حتى لا يزيد كالطوفان فيغرق الناس ، أو يتلف البلاد، وكذلك حتى لا ينقص فلا يفى بالمطلوب من إنبات النبات ، وسقى الزرع والإنسان والحيوان ، بل أنزل سجانه مطرًا بتقدير حكيم ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، فالأرض الهامدة الجافة القاحلة عند نزول المطر ووضع البذور ، تخرج البذور إلى سطح الأرض كأنها أطفال صغار ، ثم تنتشر الخضرة وينمو النبات ويترعرع ، وتدب الحياة على وجه الأرض ، فائنى أحيا هذه الأرض بالماء والنبات ، قادر على البعث والحشر ، وإهراج الموتى من قبورهم بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية .

٢ ٧ – وَٱلَّٰلِي حَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلُّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْصُلِمِ مَا تَرْكَبُونَ .

حلق الله الأزواج - أى الذكر والأنثى - فى الحيوان والنبات والإنسان ، بل والسحاب ، حتى الذرة فيها مرجب وسالب ، ويذلك يعمر الكرن بسبب فضل الله العلى القدير ، فالهواه فيه أكسجين وأدروجين ، وفى الأرض جاذبية تجذب الهواء ليستنشق منه الإنسان ، وعلى الأرض أسباب متعددة فى الأرزاق وسائر النعم ، كالماء والآكل والهواء والتنفس ، فضلاً عن السمع والبصر والهداية ، وسائر ما خلق الله فى هذا الكرن لمتمة الإنسان حتى تتم كرامته ، كما قال سبحانه : وَلَقَدْ كُرْمَنا بَيْنَ وَادْمَ وَحَمَلْنَاهُم فِي آثَبٌ وَآلْبَحْوِ وَرَزُقْنَاهُم مِنْ ٱلطَّيْسَاتِ وَهَمَلْنَاهُمْ عَلَىٰ كُيْسِ مِّنْ عَلَقَالُ لَفْضِيلاً . (الإسراء : ٧) .

ومن تلك النعم: تسخير السفن لتحمل التجارة والإنسان ، وتسخير الحيوانات وتذليلها لتحمل الإنسان وتحمل أمتحته ، وللكون وسيلة للمتعة والجمال والراحة .

١٣ – لِتَسْتَقَرأُ عَلَىٰ ظُهُورِهِ فُمْ تَلَكُرُواْ لِشَمّة رُبّكُمْ إِذَا ٱسْتَوْتِتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحُننَ ٱللّذِى سَخْرَ لَكَا هَـٰـلـذَا وَمَا
 كُمّا لَهُ, مُقْوِينَ

أى: إذا ركبتم السفينة تأملتم في نعمة ريكم الذي سخر البحر والسفن لنا حتى نقول : بِسْمِ اللّهِ مُحُرِّسْهَا وَمُوْسَلْهَا إِذَّرِيِّي كَفْشُورْ رُحِيمٌ . (هرد: ٤١). وإذا ركبتم الدابة أو السيارة أو الطائرة أو أشباه ذلك قلتم : سُبْحَنَ ٱللَّذِي سُخُو لَنَا هَلَذَا وَمَا كُنَا لَهُ عُفْرِينَ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لُمُنْفِلِهُمِنَ .

ودوح النص تغيد أن الإنسان عندما يستقر على ظهر السفينة ، أو على ظهر الدابة يذكر الله تعالى ، ويشكر أنعمه التى لا تحصى ويقل : سُبُحُنُوا ٱللّذِي سَخُرُ لَنَا هُنذًا وَمَا كُنَّا لَهُۥ فَقُولِينَ ۗ وَإِنّا إِنْى زَبَّا لَمُنقَلُونَ .

ومثل هذا الدعاء يقوله العرَّمن عند ركوب المصعد إلى الأدوار العليا ، والسيارة والطيارة : لأن هذا التسخير يذكّرنا بأفضال الله علينا .

١٤ - وَإِنَّا إِلَىٰ رَبَّنَا لَمُنقَلِبُونَ .

وإنا راجعون إلى الله ، ومصيرنا إليه .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكنا تنعيم لا محالبة زائل

جاء في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ما يأتي :

وليس المراد من ذكر النعمة تصوّرها وإخطارها في البال ، بل المراد تذكر أنها نعمة حاصلة بتدبير _ القالف القائد العليم الحكيم ، مستدعية لطاعته وشكره ، فإن من تفكّر في أن ما يركبه الإنسان من الظلف والأنعام أكثر قوة وأكبر جثة من راكبه ، ومع ذلك كان مسخرًا لراكبه ، يتمكن من تصريفه إلى أيّ جانب شاء ، وتفكّر أيضًا في خلق البحر والربح وفي كونهما مسخّرين للإنسان مع ما فيهما من المهابة والأهوال، استغرق في معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه ، وكمال قدرته وحكمته ، فيحمله ذلك الاستغراق على أن يقول منحجًا من عظمة الله تعالى وكبريائه ، وكمال قدرته وحكمته ، فيحمله ذلك الاستغراق على أن يقول

من تفسير ابن كثير

ذِكْرُ الأحاديث الواردة عند ركوب الدّابة:

حديث عبد الله بن عمر:

روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن النبى ﷺ كان إذا ركب راحلته كبّر آبلانًا ، ثم قال : سُبُحُثنَ ٱلَّذِي سَحُّرُ قَاهَ عَلْمًا وَمَا كُمَّا لَمُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبَّنَا لَمُعَقِّبُونَ . ثم يقول : «اللهم إنى أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهمّ موّن علينا السفر ، والحو لنا البعد ، اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلناه .

وكان ﷺ إذا رجع إلى أهله قال : «آيبون تائبون إن شاء الله ، عابدون لرينا حامدون» (١٠٠).

من تفسير فخر الدين الرازي

هناك أذكار ثلاثة ما ينبغي لعبد أن يدع قولها ، وليس بواجب ذكرها في اللسان ، وهي : دعاء السفر في البحر: يسم ٱللَّهِ مَجْرِنهَا وَمُرْسَنهَآ إِنَّ رَبِّي نَفَفُورٌ رَّحِيمٌ . (هود: ٤١) .

ودعاء السفر في البرّ. سُبْحَلنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَللَا وَمَا كُنَّا لَهُ, مُقْرِينَ * رَإِنَّا إِلَىٰ رَبَّنَا لَمُنقَلِبُونَ .

ودعاء دخول المنازل: رَّبِّ أَلزلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزلِينَ . (المؤمنون: ٢٩) .

عبادة المشركين للملائكة

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ حُرَّمًا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكُفُورٌ مُّبِينٌ ١٠٠ أَيَّا تَضَدَ مِمَّا يَغْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُم بِٱلْمَنِينَ ١٠ وَإِذَا بُشِّرَأَ عَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَشَكَّا ظَلَ وَجَهُهُ مُمْسُودًا وَهُوَ كَظِيمُ ﴿ إِنَّ أَوْمَن يُنَشَّوُ إِنِّ ٱلْمِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِيصِامِ غَيْرُمُهِ نِ وَجَمَلُوا ٱلْمَلَتِهِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَندُالرَّحْنِن إِنشَّا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمُّ سَتُكْنَبُ شَهَدَ مُهُمَّ وَيُسْتَلُونَ ١١ وَقَالُوا لَوَشَاءَ الرَّحْنُ مَاعَبَدْ نَهُمٌّ مَّا لَهُم بِذَلِك مِنْ عِلْمِ إِنّ هُمْ إِلَّا يَغْرُصُونَ ۞ أَمْ الْيَنَامُ كِتَنَاكِمْ كِتَنَالِنَ فَبْلِهِ عَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۞ بَلَ قَالُوٓ ٱ إِنَّا وَجَدْنَا مَا بَآءَنَا عَلَيْ أُمَّةً وَإِنَّا عَلَيْ ءَاثَرِهِم مُّهُمَّدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَٱ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِ قَرْعَيَةِ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّاقَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٓ أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلَىٓءَ اتْنرهم مُقْتَدُونِ الله فَأَنفَقَمْنَا مِنْهُمٌّ فَأَنظُرُ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ ٱلْمُكَدِّبِينَ ﴿ ﴾

المف دات :

رُوا؛ وإذا ، إذ قالوا : الملائكة بنات الله ، وعبر عن الولد بالجزء لأنه بضعة ممن ولد له ، كما قال شاعرهم:

ح ف و الشديد الكفر .

م ... ب ... الكفر.

اص ماكم ، أكرمكم ، واختار لكم .

ئــــشـــــــر ، أخير .

كيظ يسم ممتلئ غيظًا وغمًا.

في الحسية ، في الزينة .

<u>هـــــــر مـــــــــــــــن</u> ، غير قاس على إظهار حجُّته .

جيم السأواء سأوا.

أشهدوا غيلقهم وأحضروا غلق الملائكة فشاهدوهم إناثًا ؟

ستكتب شهادتهم: ستسجل في ديوان أعمالهم.

يسخسرهسون، يكذبون.

مستمسكون ومعرّلون.

مصلب أسدة على طريقة خاصة .

مستسره وهداء أهل الترف والنعمة الذين أبطرتهم الشهوات.

تمهيد:

اعترف الكفار بأن الله تعالى خالق السماوات والأرض ، ومع هذا الاعتراف كانوا يعتقدون في أسطورة كاذبة ، هي أن الله تعالى تزوج من سراة الجنّ فأنجب الملاتكة ، وأن الملائكة إناث ، وهنا يناقش القرآن هذه الأسطورة ، ويفدّما بثلاثة أجوية :

- (أ) فهم ينفرون من الإناث ، ثم ينسبونهن لله .
 - (ب) ضعف الإناث .
 - (ج) جهلهم بدقيقة الملائكة .

ثم هم يدعون أنهم يعبدون الملائكة بمشيئة الله ، وهذا كذب ؛ لأن الله أعطاهم العقل والإرادة والاختيار ، ورسم لهم الطريق المستقيم ودعاهم إلى سلوكه ، إنهم لا يملكون حجة ولا دليلاً على سلوكهم ، وكل ما يملكونه أو يعتمدون عليه هو تقليد الآباء والأجداد ، وهذا يصبح فيهم : أتقلدون الآباء حتى لو جاءتكم الرسل بالهداية والإيمان والطريق المستقيم ؟ وهذا يجيبون : نحن كافرون بهداية الرسل كما كفر من قبلنا ، وهذا يقول القرآن ما فحواه : لقد انتقمنا معن كفر قبلكم ، فاحذروا وتنهوا .

التفسيره

. ١٥ - وَجَعَلُواْ لَهُر مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَلْنَ لَكَفُورٌ مُّهِينٌ .

فى الآيات السابقة اعترفوا بأن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض ، ومع هذا الاعتراف له بمقام الألوهية ، وهذا يقتضى تنزيه الله عن النظير وعن المثيل ، وأن الخلق جميمًا عباده ، إلا أنهم نسبوا الملائكة إليه ، وقالوا : الملائكة بنات الله ، وهذا كفر وإضم ، فالخلق جميمًا عبيده ، فلا يجعل جزءًا منهم بناته .

قال تعالى: أَلَكُمُ ٱلذُّكُرُ وَلَهُ ٱلْأَنشَىٰ • لِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . (النجم: ٢١ ، ٢٢) .

فهو سبحانه بناقشهم بمنطقهم ، ويقعمهم ، بأنه هن الخالق العبدع ، وعلى فرض أنه أراد أن يتخذ . ولذًا لأصطفى لنفسه الأنضل من الذرية ، وهم الذكور .

قال تعالى ؛ لُوْ أَزَادُ ٱللَّهُ أَن يُقْعِدُ وَلَدًا لاَّ صْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنْنَهُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَارُ . (الذمر: ٤) .

لُخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إن الله مماهر الجنَّ ، فخرجت من بينهم الملائكة ، فنزل فيهم : وَجَعُلُوا ٱلْمُلْلِّكِمُةَ الْلِينَ هُمْ صَِنْدُ ٱلرَّحْمُينَ إِنْنَا ... (الزخرف ١٩٠).

والخلاصة : إن الإله سبحانه وتعالى منزه عن الصاحبة والولد ، وهو واحد متفرد بالملك .

قال تعالى : وَقُلِ ٱلْمَحَمُدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَنْجِذُ وَلَمَا وَكُمْ يَكُن لَّهُ, هَوِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ, وَلِي مَنَ ٱللَّٰلَّ وَكَبُرُهُ تَكُبِيرًا ، (الإساء : ١١١) .

إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ .

إن جنس الكافر يعتقد اعتقادات باطلة ، وهي كفر واضح ، حيث تنسب لله تعالى ما لا يليق .

قال تعالى : قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لُهُ, كُفُوا أَحَدٌ . (الإخلاص ١-٤).

١٩ - أَمُ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخُلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِٱلْبَنِينَ .

أتجملون لله ما تكرهون ، وتدُّعون أن الله جعل لنفسه الجنس الأقل ، وهو البنات ، وموزكم واجتار لكم البنين مع أنكم تكرهون لأنفسكم البنات ، وتفضّلون الذكور الذين يركبون الخيل ، ويدافعون عن القبيلة.

١٧ - وَإِذَا بُشِّرَ أَحَلُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَانِ مَفَلًا ظَالَّ وَجُهُهُ, مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ.

وإذا أخبر أحد مرّلاء بأنه قد ولدت له أتفى ، اكفهر وجهه ، واشتد به الحزن والفيظ، لمعرفته أنه قد ولدت له أنفى ، ومع ذلك ينسب لله الإناث ، أى : كيف تجعلون لله تعالى الصنف الذي تكرمونه لضعفه، وقلة حيلته واحتياجه إلى الحيلة والزينة .

١٨ - أَوْ مَن يُنَشِّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْحِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ.

أتنسبون إلى الله تعالى البنات اللاتي يحتجن إلى الزينة والذهب والثياب الجميلة ، وهن وديعات رقيقات لا يستطعن أن يبرعن في الجدال والخصام ، ولا أن يقدّمن حجة قوية بيّنة .

روى عن عمر أنه قال: اخشوشنوا في الطعام، واخشوشنوا في اللباس، وتمعدوا،

أي: تزيُّوا بزي معد في تقشفهم .

ويقول الشاعر العربي:

وعلى الخانيات جرّ الذيول

كتب القتل والقتال علينا

١٩ - وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَانِ إِنْكَا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكُتُبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْتَلُونَ .

أى: اعتقدوا أن الملائكة إناث مع أنهم عباد مكرمون ، لا يحصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، فهم نُسبوا الملائكة – الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله – للأنوثة .

أَشْهِدُواْ خَلْقُهُمْ ...

أحضروا وقت خلق الله لهم ، حتى عرفوا أنهم إناث ؟ وهذا تجهيل وتهكم بهم .

سَعُكْتُبُ شَهَا نَتُهُمْ وَيُسْتَلُونَ .

سيسجل الكتبة من الملائكة أقوالهم واعترافاتهم التي يلقونها جزافًا ، دون أي سند من اليقين ، وسيسألون عنها يوم القيامة . قَالِ الْمِفْسِرُونَ : حَكَى القرآنَ عَنْ كَفَارِ العَرِبِ ثَلَاثَةً أَقُوالَ شَنِيعَةً :

الأول : أنهم نسبوا إلى الله الوك .

الثاني: أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين.

الثالث: أنهم حكموا على الملائكة المكرمين بالأنوثة بالادليل ولا برهان ، فكذَّبهم القرآن الكريم في تلك الأقدال.

لطبقة

روى أن بعض العرب وضعت امرأته أنثى فهجر البيت الذى ولدت فيه ، وجلس في بيت زوجته الأخرى، فاحتالت زوجته لاستمالة زرجها ، وأخذت تفنى وتقول :

يظل في البيت الذي يلينا وليس لنا من أمرنا ما شيئا ونحبن كالأرض لنزار عبينا ما لأبى حسيرة لا يأتيسا غضبان ألا تبلند البينيسا وإنبيا تبأخية ما أعبط سنيا

تنبت ما قبل غيرسولا فيبنا

• ٧ - وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرُّحْمَانُ مَا عَبَدَنَاهُم مَّا لَهُم بِذَالِكَ مِنْ عِلْم إِنْ هُمْ إِلَّا يَحْرُصُونَ .

ذكرنا أن هؤلاء الكفار أخطأوا خطأ مركبًا:

- (أ) فقد جعلوا لله ولدًا.
- (ب) واختاروا له الصنف الأضعف.
- (ج) وجعلوا الملائكة وهم عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون جعلوهم إناثًا .
 - (د) وادعوا كذبًا أن الله أراد منهم ذلك ، ولو شاء لمنعهم من عبادتهم .

وقد كان العرب يصورون الأصنام ، التي هي على صور الملائكة ، ويدَّعون أنها بنات الله ، ويدَّعون أن الله عالم ذلك ، وهو يقرّهم على هذا العمل وأو شاء لمنعهم .

فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ ، ذلك أن الله أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأرشد البشرية الرسية عبادته وحده سبحانه لا شريك له .

هَال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَلِكَ مِن رَّسُولِ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ, لَا إِلَنَهُ إِلَّا أَنَا فَآعَبُدُونِ . (الانبياء: ٢٥).

وقد أعطى الله كل إنسان العقل والإرادة والاختيار، وجعل سلوكه سببًا في تحمله المسئولية يوم القيامة ، فلا يجوز إلقاء المسئولية على مشيئة الله تعالى .

وقريب من دلك قوله سبحاده وتحالى : وَإِذَا فَعَلُواْ فَلَحِشْدُهُ قَالُواْ وَجَذَنَا عَلَيْهَا مَابَاتَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْهُرُ بِالْفَحَشَاءِ الْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَقُلْ أَمْزَ رَبِّى بِالْفِسطِ وَأَقِيمُواْ وَلِيمُواْ وَلِيمُواْ وَيَعْدُكُمْ عِندَ كُلُّ مَسْجِد وَآدَعُوهُ مُخْلِمِينَ لَهُ اللَّهِينَ كُمَّا بَمُأْكُمْ تَعُودُونَ وَهِيقًا هَدَىٰ رَقُولِقًا حَلَّى عَلَيْهِمُ الطَّلَالَةُ إِلَّهُمْ أَلْمُحَلُواْ الشَّيْنِطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيُخْسَبُونَ أَنْهُمْ مُهْتِعُونَ . (الأعراف : ٢٨ - ٢٠).

وقال تعالى في هذه الآية :

مًّا لَهُم بِلَالِكَ مِنْ عِلْم ...

ليس لهم في قولهم دليل ولا برهان ولا معرفة ، بما ينبغي لجلال الله وقدره ، من عبادته وحده لا شريك له .

إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ .

ما هم إلا كاذبون فيما قالوا ، متمطون تمحلاً باطلاً ، متقولون على الله ما لم يقله .

ال القرطبي في تفسير الآية:

وَقَالُواْ لَوْ شَاءَ ٱلرَّحْمَانُ مَا عَبَدْلُلُهُم ...

وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل ، فكل شىء بإرادة الله ، والمشيئة غير الرضا ، ولا يصمع الاحتجاج بالمشيئة ، فإنهم لو عبدوا الله بدل الأصنام ، لطمنا أن الله أراد منهم ذلك . ا هـ .

وقال الشوكاني في تفسير الآية :

وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَانُ مَا عَبَدْنَاهُم ...

معناه أن الكفار قالوا : لو شاء الرحمان في زعمكم أيها المؤمنون ، ما عبدنا هذه الملائكة ، وهذا كلام حق يراد به باطل ، لأنهم يريدون بذلك أن الله راض عن عبادتهم للأصنام .

مَّا لَهُم بِلَالِكَ مِنْ عِلْمِ ...

وزعموا أنه إذا شاء فقد رضيي.

إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ .

أى: ما هم إلا يكذبون فيما قالوا ، ويتمحلون تمحلاً باطلاً ، فإن الله خلق المؤمن والكافر ، وهو يحب المؤمن ، ويبغض الكافر ، والله يأمر بالحق والإيمان والخير ، ولا يرضى لعباده الكفر

٢١ - أَمْ وَالْيَمَاهُمْ كِمَالِيًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ .

أي: أأعطيناهم كتابًا من قبل هذا القرآن ، ينطق بصحة ما يدّعون ، فهم بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معرّلين .

والخلاصة: إنهم لا كتاب لهم بذلك ، ولا حجة لهم على ذلك من عقل ولا نقل .

كما قال سبحانه وتعالى : أَمْ أَلزَكْ عَلَيْهِمْ سُلْطَكْ لَهُو يَتَكَلُّمُ بِمَا كَالُواْ مِهِ يُشْر كُونَ . (الردم : ٣٥) .

أى : لم يكن لهم ذلك .

٢ ٢ - بَلُ قَالُواْ إِنَّا وَجَدُنَا ءَابَاءَنَا عَلَيْ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَيْ ءَالَـْرِهِم مُّهْعَدُونَ .

أى: إنهم لا يملكون كتابًا ولا حجة ، ولا دليلاً نقليًا ولا عقليًا ، وقد تركز قولهم فى أنهم نشأوا فرجدو أياءهم الأقدمين على طريقة وملة فى الدين ، هى عبادة هذه الأصنام ، فساروا وراء هديهم ، إعظامًا له وإكبارًا لهم .

قال أبو السعود :

والأمة : الدين والطريقة ، سميت أمَّة لأنها تُزُم وتُقصد .

وقال الشوكاني في تفسير الآية :

٢٣ - وَكَذَا لِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن تَلْبِيرٍ إِلَّا قَالَ مُثْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أَمَّةٍ ...

أى: على عادة تعرِّدوها، وطريقة ساروا عليها في عبادتهم لهذه الأصنام.

وَإِنَّا عَلَىٰ ءَالْلَرهِمِ مُّقْتَدُونَ .

فاعترفوا بأنه لا مستند لهم ولا حجة بأبديهم ، ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة .

مُفْتَدُونَ . متبعون .

وفى الآيات تسلية للرسول ﷺ ببيان ما حدث للرسل من قبله ، وبيان أن تكديب الرسل حدث من الرؤساء والمترفين ، إيضارًا للماجلة على الآجلة .

قال تعالى : كَلَالِكَ مَا أَنَى ٱللَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رُسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ و أَتَوَاصُواْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاهُونَ . (الداريات : ٢٠ ، ٥٠) .

قال المفسرون :

وتخصيص المترفين بالذكر للإشعار بأن الترف هو الذي أوجب البطر، وصرفهم عن النظر إلى ا التقليد.

٢٤ – قَالَ أَوَلُو جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَداتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوٓ ۚ إِنَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ كَالِمُرُونَ .

أى : قال كل رسول لقومه : أتتبعون ملة آبائكم ، وتقتدون بالسابقين ، ولو قدمت لكم ديناً أهدى ، و وشرعًا أقوم ، وملة أفضل مما وجدتم عليه آباءكم ؟ فصرحوا له بأنهم كافرون برسالته ، مهما كان فيها قُم ن هدى وأفضلية .

٧٥ - فَالْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ .

فانتقمنا من الأمم المكذبة بأنواع العذاب، فتآمل أيها الرسول كيف كانت عاقبة المكذبين ، وسوف يلاقى قومك مثل جزائهم إن أصرُّوا على الكفر ، فلا تحزن عليهم .

احْتيار الأنبياء ، وبيان حال الدنيا

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِمُ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ النِّي َ رَاءٌ مِّمَا اَعْبُدُونَ ۞ إِلّا الَّذِى فَطَرَفِ فَإِنَّهُ,
سَيَهُ لِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةٌ بَاقِيةٌ فِي عَقِيهِ لَعَلَمُهُمْ بَرْحِعُونَ ۞ بَلْ مَتَّمَتُ هُولُاكَمْ
وَهَ الْمَةَ هُمْ حَقَّى جَاءً هُمُ الْحَقَّ وَرَسُولٌ مُنِينٌ ۞ وَلَمَاجَاءُ هُمُ الْمَقَّ قَالُوا هَذَا سِحْرُ وَإِنَّا لِهِهُ
كَفِيرُونَ۞ وَقَالُوا لَوْلا نُولِكُ نُولَ هَذَا الْقُرْءَ انْ عَلَى رَجُلِ مِنَ الْفَرِينَ فَيْ عَلِيمٍ ۞ الْحَرْقَ فَاللَّوْمَ اللَّهُمْ وَقَالُوا لَوْلا نَوْلا نُولانُولَ هَذَا اللَّهُ مَا الْمُعْوَلِ مِنَ الْمَحْوَةِ اللَّذِينَ وَيَقِعِمُ اللَّهُمْ مِنْ مَعْمَى السَّحْوَقَ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الللَّهُ

المقردات ،

ي المنام عبادة الأصنام . تبرأ إبراهيم من عبادة الأصنام .

فسطسرتسي: خلقني وأبدعني.

كلمة باقية : كلمة التوحيد أو البراءة .

طي عقيه : دريته إلى يوم القيامة .

السمسق، القرآن.

ورسول مبين؛ ورسول ظاهر الرسالة بما له من المعجزات الباهرة.

من القريقين ، من إحدى القريقين : مكة ، والطائف ، والرجل الذي من مكة هو الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان يسمى ريحانة قريش ، والذي من الطائف هو عروة بن مسعود الثقفي .

سُنعُسرها ؛ مسخرًا في العمل ، مستخدمًا فيه .

السُـضُ، فعمتين ، واحدها سقف .

يظهرون ، يصعدون ويرتقون .

رئيرها: الزينة المزوقة ، ومنه قبل للذهب زخرف.

في استاع ؛ إلا متاع ، حكر سيبويه : نشدتك الله لما فعلت كذا ، أي : إلا فعلت كذا .

تمهيد،

تكلمت الآيات السابقة عن ذم تقليد الآباء ، وتقديمهم على الرسل ولو كان الرسل أهدى من آباتهم ، وضرب لهم نموذجًا عمليًّا بإبراهيم عليه السلام ، الذي تبرأ من الأصنام التي يعيدها أبوه وقومه ، وتوجه إلى عبادة الله وهده .

إن الترف والنعمة والغنى في أهل مكة أصابهم بالكبر والانصراف عن اتباع الرسول محمد ﷺ، وقالوا : إنه ساحر وإنا كافرون بدينه ، ثم اقترحوا أن ينزل القرآن على شغص عظيم ، من عظماء مكة مثل الوليد بن المغيرة ريحانة قريش ، أو عظيم من عظماء الطائف مثل عروة بن مسعود الثقفى ، وقد جابههم في قرآن وبين أن اختيار الرسل شأن إلهي بحث ، وأنهم لا يقسمون الأرزاق والنبوّات ، فإذا كانت قسمة الأموال لم يكلها الله إليهم ، فما بالك بالنبوة والرسالة وهما شأن أفضل ؟

إن حكمة الله في توزيع الأرزاق الدنيوية أن يجعل بحض الناس أغنياء ، ويعضهم فقراء ، حتى يضطر الفراد أن يحمل منذ الفقير أن يعمل مسكر ومضطر للاستمانة بالأخر ، ولولا الفقير أن يعمل عند الغني ، ويحتاج الغني إلى عمل الفقير ، فكل منهما مسكر ومضطر للاستمانة بالأخر ، ولولا كرامة أن يكون الناس أمة واحدة ، أن جماعة كلها كفار ، لأعطينا الكفار متع الدنيا ورخارفها ، فتكون سقف بهوتهم من الفضة ، ويها مصاعد يرتقون عليها ، ولبيوتهم أبواب وأسرة وكراسي يتكثون عليها في الجلوس، ويالبيوت قوس وزية ، وبكل ذلك متاع الدنيا الفانية ، والأخرة فيها نعيم خالد للمتقين المؤمنين العاملين.

التفسيره

٢٦ - وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مَّمَّا تَعْبُدُونَ .

واذكر أيها الرسول لقرمك جدُّهم إبراهيم الطلول ، الذي تبرأ من عبادة الأصنام ، وجهر بهذه البراءة هام أبيه وقومه ، وكان الأولى بأهل مكة أن يتبعوه في نبذ الأصنام وإخلاص الترحيد .

٢٧ – إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ, سَيَهُدِينٍ.

لكن الله الذى خلقنى وأرجدنى من العدم ، فإنى سأتُجه إليه بالعبادة والتوحيد ، رجاء أن يرشدنى إلى الدين الحق ، ويهديني إلى طريق السعادة . ٧٨ - وَجَعَلَهَا كَلِمَةٌ بَاقِيَةٌ فِي عَقِيهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

أى: جعل كلمة التوحيد - وهى (لا إله إلا الله) - باقية فى ذريته ، متأصلة فيهم ، حتى يرجع إلى التوحيد والإيمان من أشرك منهم .

قال مجاهد:

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً .

يعنى: (لا إله إلا الله) لا يزال في ذريته من يقولها إلى يوم الدّين .

وقد وصى إبراهيم أبناءه وأحفاده بالتوحيد.

قال تعالى : وَرَصَّىٰ بِهَا ٓ إِبْرَاهِيمُ بَيهِ وَيَعْقُوبُ يَنْبَى ۚ إِنْ ٱللَّهُ ٱصْطَفَىٰ نَكُمُ ٱللَّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَشْمِ مُسْلِمُونَ . (البدية: ۱۲۲) .

وظل ميراث التوحيد في ذرية إبراهيم خلفًا عن سلف ، وكانت في الجاهلية قبيل الإسلام طائفة من . الموحدين ، مثل زيد بن عمرو بن نفيل ، فقد دان بالتوحيد مخالفًا قومه ، وفي ذلك يقول :

أديسن إذا تسقسمت الأمسور كذلك يضعل الرجل الخبير أربيا واحسداً أم السف ربي الركت اللات والهزي جميعًا

ومثل أمية بن أبي الصلت الذي تنسَّك في الجاهلية ، واجتنب الخمر والقواحش ، وسمم أن نبيًّا سيظهر،

فأراد أن يكون هو نفسه ذلك النبى ، ومن شعره: مجدّدوا الله وهو للحسيد أهل

وقال أنضًا :

بالخير صبحنا ريى ومسانا

ريننا في السباء أمسى كبيرًا

ولما ظهر الإسلام امتنع عن الإيمان حقدًا وحسدًا على النبى محمد ﷺ، ولذلك قالوا في أمية : أمن لسانه وكفر قلبه ، ومن شعر أمية بن أبي, الصلت في التوحيد :

إلى المعالمين وكل أرض ووب الراسيات من المجمال بناها وابننى سبعًا شدادًا بلا عُمدُد يسرب ولا رجسال

وسوّاها وزيَّاستها بسور من الشبس البضيئة والهلال وسن شهب تبلألا في دجاها مراسيها أشد من النّصال وسن النّهب البرلال وشق الأرض فانبجست عيونًا وأنهارًا من العدنب البرلال وبال في نواحيها وزكّى بها ما كان من حيرك ومال وكل معيد الله يوبًّا وثبي دنسيا يصير إلى زوال ومين المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والشكال وحَلّ المعقون بدارصدق وعيش ناعم تحت النظلال

٢٩ – بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰـَؤُلَّاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبينٌ .

بل متحث أهل مكة وآبنامهم بسعة العيش ، وتجارة رابحة يذهبون بها إلى الشام صيفًا ، وإلى اليمن شتاء ، وتجارتهم آذنة لا يعتدى عليها أحد ، ثم أرسلت لهم رسالة هى الإسلام ، ورسولاً وأضح الحجة والمعجزة ، ومعه كُتاب هو القرآن .

. ٣ - وَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَلْمَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُلْفِرُونَ .

لما جاءهم الحق والإسلام والقرآن عاندوا وكفروا ، وقالوا : هذا سحر يفرّق بين العوّمن به وبين أهله الكافرين ، ونحن كافرون بهذا السُّحر .

فأنت ترى أن الله أنعم عليهم فلم يشكروا بل كفروا.

قال تعالى : أَوْلُمُ نُمَكُنْ لَهُمْ حَوْمًا عَامِنًا يُبِحَيّ إِلَيْهِ نَمَوْتُ كُلّ هَيْءٍ وَرَقًا مَن لُذُنّا وَلَلْكِنْ أَكُثُومُمْ لَا يَعْلَمُونَ . القال تعالى : أَوْلُمُ نُمَكُنْ لَهُمْ حَوْمًا عَامِنًا يُبِحِيّ إِلَيْهِ نَمَوْتُ ثُكُلًّا هَيْءٍ وَرَقًا مَن

وقال سبحانه وتعالى: لِإِلَمَاهُو قُرَيْشِ وِلِمَلْغُومِ رِحَلَةَ ٱلشَّنَاءِ وَٱلصَّيْفُوهِ فَلَيْتُبُلُواْ رَبُّ هَلْمَا ٱلْبَيْتِ وَٱللِّينَ الْمُعَنِّهُم مَّن جُوعٍ وَوَامَتُهُم مِّن حُوْهُنِي . (وريق: ١ - ٤) .

قال أبو السعود:

سموا القرآن سحرًا وكفروا به ، واستحقروا الرسول ﷺ ، فضمُوا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به .

٣ ٣ - وَقَالُواْ لَوْلَا نُزَّلَ هَلْذَا ٱلْقُوْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْبَعَيْنِ عَظِيمٍ.

تعنّت أهل مكة وقدّموا طاتفة من المطالب ، مثل أن يكرن الرسول مَلكًا ، أو أن يكون مالكًا لأموال كثيرة تغنيه عن العمل والحاجة ، ولما فقّد القرآن آراءهم ، قالوا : لوكان هذا قرآنًا حقًّا من عند الله لما احتار لرسالته يتيمًا فقيرًا مفمورًا ، وإنما يختار عظيمًا ثريًّا وجيها بين الناس ، مثل الوليد بن المغيرة في مكة ، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف ، ظنًّا منهم أن العظيم من يكون له مال كثير وحشم وخدم ، وما علموا أن الرسالة تحتاج إلى نفس عظيمة ذات همة عائية ، ومطالب سامية ، ورحمة بالضعفاء ، وحرص على الهداية ، وتطلع إلى مرضاة الله ، وسمو في العبادة والتهجد والتبتل وترتيل القرآن ، وقد كان محمد ﷺ أهلاً لذلك ، والله أعلم حيث يجعل وسائته .

وقد تعددت الآراء حول الأنشخاص الذين عناهم كفار مكّة ، بعظيم مكة أن عظيم الطائف ، فنقل ابن كثير ثلاثة آراء هـر:

الوايد بن المغيرة بمكة ، وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف .

٢ - عتبة بن ربيعة بمكة ، وابن عبد ياليل بالطائف .

٣ - الوليد بن المغيرة بمكة ، وكنانة بن عمر الثقفي بالطائف.

ثم قال : والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أيّ البلدتين كان .

٣٧ – أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَحَنْ قَسَمْنَا بَيْتَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيْلَةِ ٱلذَّنَيَا وَرَفَعَنَا بَعْضَهُمْ قُوقَ بَعْضِ وَرَجَلتَ لِتَنْجِدَ يَعْشُهُم بَفْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مَمَّا يَجْمَعُونَ .

هذا استفهام إنكاري عليهم .

والمعنى:

هل تقسيم النبوة والرسالة والألطاف الإلهية موكول إليهم حتى يطلبوا أن تكون الرسالة إلى عظيم من عظماء مكة أو الطائف ؟

إذا كنا نحن قد قسمنا بينهم حظوظهم فى الأموال والأرزاق والعقول وشئون الحياة ، وجعلنا بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا ، ويعضهم متوسطًا ، وجعلنا هذا أميرًا وهذا مأمورًا ، وهذا أميرًا وهذا دافع الأجرة "" ففاوتنا بينهم فى المعايش ، ليتمّ تسفير كل إنسان لمصلحة الآخرين ، فيسعد الجميع ويعمر الكون ، ولو كانوا سواء فى جميع الأحوال ، لم يخدم أحدٌ أحدًا ، فيقضى ذلك إلى خراب العالم وفساد نظامه .

قال أبو حيان:

سُخُرِيًّا. بضم السين ، من التسخير بمعنى الاستخدام ، لا من السخرية بمعنى الهزء ، والحكمة هى أن يرتفق بعضهم ببعض ، ويصلُوا إلى منافعهم .

وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مَّمَّا يَجْمَعُونَ .

رحمة الله بخلقه ، وهدايته لهم خير لهم مما بأيديهم من متاع الدنيا .

أو إنمام الله عليك يا محمد بالنبوة والرسالة والهداية ، خير مما يجمع الناس من حطام الدنيا الفاتي .

وفي تفسير البحر المحيط ما يأتي:

وفي قوله تعالى : نَحْنُ قَسَمْنًا ... تزهيد في الإكباب على طلب الدنيا ، وعونٌ على التوكل على الله .

وقال قادة : تلقى ضعيف القرّة ، قليل الحيلة ، عيى اللسان ، وهو موسع عليه فى الرزق ، وتلقى شديد الحيلة ، بسيط اللسان ، وهو مقتر عليه فى الرزق .

قُوقَالِ الشاقعي :

بؤس اللبيب وطيب عيش الأحبق

ومن الدليل على القضاء ويكونه

٣٣ – وَلَوْلَا أَن يَكُونَ آلَاسُ أَمَّةً وَاحِدَةً لَمُعَلَنَا لِمَن يَكُفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيْرِيهِمْ سُفُفًا مِّن فِيقَةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهُرُ ونَ .

لولا أن يرغب الناس عن الإيمان إلى الكفر لأعطينا الكافر فى هذه الدنيا كل ما يتمناه إنسان ، وعجلنا له الطبهات ، وادُخرنا الآخرة للمؤمنين ، فهم وحدهم الذين يستمتعون بنعيم الآخرة ، وهى الحياة المقيقية ، أما الدنيا فعرض زائل يأكل منه البر والفاجر .

قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شرية مام أبداه (٥٠٠). ومعنى الآيسة :

لولا أن الناس يرغبون في الكفر إذا رآوا الكافر في سعة من الرزق ، ويصيرون أمة واحدة في الكفر، لفصمصنا هذه الدنيا بالكفار ، وجعلنا لهم القصور الشاهقة المرخرفة بأنواع الزينة والنقوش ، سقفها من الفضة الخالصة ، ويها مصاعد وسلالم من فضة عليها يرتقون ويصعدون .

٣٤ - وَلِبُيُوبِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَعْكِمُونَ .

وجعلنا لبيرتهم أبوابًا من الفضة ، ويها أسرة ينامون عليها ، أو مقاعد من الفضة يجلسون عليها ويتكثرن ، زيادة في الراحة والرفاهية .

٣٥ - وَزُخْرُها وَإِن كُلُّ ذَالِكَ لَمَّا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنَّيا وَٱلْآخِرَةُ عِندَ ١ بَّكَ لِلْمُتَّقِينَ .

أى: جعلنا في بيوتهم نقوشًا وزينة ، ويطلق الزخرف على الذهب ، وعلى الزينة والنقش المعوه بالذهب ، أي: جعلنا لهيوتهم أبوابًا وسررًا ومصاعد من الفضة والذهب ، أو جعلنا لهم زينة وزخرفًا من ستور ونمارق ونقوش .

والخلاصة :

جعلنا بيوت الكفار ودرجها ومصاعدها وسقفها من الفضة والذهب ، ويها كثير من أنواع الزينة ، وكل ذلك النميم متاح الحياة الدنيا الفانية . أما الآخرة وجنانها ونعيمها ، وأنهارها وحورها ورادانها فهى للمتقين غاصة .

وإذا تسامل إنسان وقال : إذا لم يوسع الله على الكافرين جميعًا خوف الفتنة ، فهلا وسُع على مـ المؤمنين جميعًا في الدنيا؟

والجواب: سيدخل الناس في الإيمان رغبة في الدنيا، وهذا باب واسع للمنافقين، فكانت الحكمة فيما شرع الله واختار، حيث جعل في الكفار فقراء وأغنياء؛ لتكتمل حكمة الله في الاختبار والرغبة، وتحديد السلوك والطريق الذي يختاره، ليكرن ذلك أساس الجزاء العادل من الله.

قال تعالى : إِنَّا جَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُطَفَقِ أَمْشَاجٍ لِبَتِلِهِ فَجَعَلَنَاهُ سَمِيعًا بَعِيرًا ، إِنَّا هَلَيْنَاهُ ٱلسَّبِلُ إِنَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُلُورًا . (الإنسان: ٢٠ ٣).

من تفسير ابن كثير

رَإِنْ كُلُّ ذَا لِكَ لَمًّا مَتَنْعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ...

أى: إنما ذلك من الدنيا الفانية ، الزائلة الحقيرة عند الله تعالى ، فهو سبحانه يعجل لهم حسناتهم التى يعملونها فى الدنيا ، مأكل ومشارب ، ليوافوا الأخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها ثم قال سبحانه وتعالى : وَٱلْآخِرَةُ عندَ رَبُكُ لَلْمُقْتِينَ . أى: هى لهم خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم ، ولهذا لما قال عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ . حين رأه على رمال حصير قد أثر بجنبه ، فايتدرت عيناه بالبكاء ، وقال : يا رسول الله ، هذا كسرى وقيمر فيما هم فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه ؟ وكان رسول الله ﷺ متكنًا فجلس ، وقال : «أهى شك أنت يا ابن الخطاب» ثم قال ﷺ : «أولئك قوم عجّات لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا» وفى رواية : «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» (٣٠٠)

وفى المحتجدين أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشريوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في متحافها، فإنها لهم في الدنيا ولننا في الأخرة». (٣٠) وإنما خرَّاهِم الله تعالى في الدنيا لحقارتها .

غواية المشركين

﴿ وَمَن يَعَشَّ عَن ذِكْرِ الرَّحْلَيْ نُقَيِّضْ لَهُ شَيَطَانًا فَهُو لَهُ فَيِنُ ۞ وَإِنَّهُ لَيَصُدُّ وَنَهُمْ عَن السّيبِلِ وَيَعَسَمُونَ أَنَهُم مُهُ مَدُونَ ۞ حَقَّ إِذَا جَاءً نَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِ وَيَنِنكَ بَعْد السّسَرُونَ أَنَهُم مُهُ مَن وَلَى يَنفَعَ حَمُّمُ الْعَرْمُ إِذْ ظَلَمَتُمْ الْكُرُ فِ الْمَذَابِ الْمَشْرِقَيْنِ فِينْسَ الْقَرِينُ ۞ وَلَن يَنفَعَ حَمُّمُ الْعَرْمُ إِذْ ظَلَمَتُمْ الْكُرُ فِ الْمَذَابِ مُشْرَكُونَ ۞ أَفَالَتُ مُنْسَعِهُ السَّدَ وَلَى يَنفَعَ حَمُّمُ الْعَرْمُ إِذَ ظَلَمَتُمُ الْكُرُ فِ الْمَذَابِ مُسْتِينِ فَي اللّهُ مَن اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّ

المقردات،

م<u>سن رسمش</u>، من يتمام ويعرض ويتغافل ، يقال : عَشِى فلان كَرْضِي ، إذا حَمَّلَت له أَفَة في بصره . * * لـقــيفن قــه : نيسًر له ، أو نسبب له ، أو نُتِح له .

لسه قسريسن، مصاحب لا يفارقه.

المشرقين ، أي : المشرق والمغرب ، ويعد المشرقين ، أي : بعد أحدهما من الأخر .

فإما تشهين يك : فإن قبضناك وأمتناك .

وإنسه استكسره وإن القرآن لشرف عظيم.

تســـائـــون ، أي : عن قيامكم بما أوجبه القرآن عليكم من التكاليف من أمر ونهي .

سيب النزول :

آخرج ابن أبى حاتم أن قريشًا قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه ، فقيضوا لأبى بكر طلمة بن عبيد الله ، فأتاه وهو في القرم ، فقال أبو بكر : إلام تدعوني ؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللات والخُزّى ، قال أبو بكر : وما اللات ؟ قال : رينا ، قال : وما العزّى ؟ قال : بنات الله ، قال أبو بكر : فمن أمّهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه ، فقال طلحة لأصحابه : أجيبوا الرجل ، قسكت القوم ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فأنزل الله هذه الآية : وَمَن يُعْشُ عَن لِأَكْرٍ ٱلرَّحَمُّانِ فَقَيْضً لَمُ شَيِّطُنًا فَهُوْ لَمُر قَرِينً .

تمهيد:

تصور الآيات مشهدًا عمليًّا لهولاه الكفار ، الذين عميت قلويهم عن رؤية نور الإسلام ، وضعفت البصارهم ويصائرهم عن الاهتداء بهدى القرآن ، إن من سنة الله أن من يعرض عن الهدى ييسر الله له قرين . سوء من شياطين الإنس أو الجن ، يغريه بالناطل ، ويزهُده في الحق ، ويوم القيامة يتبرأ الإنسان من شياطين الإنس والجن ، ويتمنى أن يبتعد عنهم بُعد المشرق عن المغرب، ثم تواسى الآيات الرسول الكريم ، حتى لا يشتد حزنه على إعراض كفار قريش عن دعوة الإسلام ، فتقول له : إن آذائهم صمنًاء ، وعيونهم عمياء، وأنت لا تسمع الصنَّم ، ولا تدى العمى ، ولا ترشد من غرق في الضلال الواضح ، إن هذا القرآن شرف لله يا محمد ولا مناترحيد والهداية ، والأخلاق والتشريع ، وسوف تسألون عن هذه النعمة العظمى ، التي ساقها الله كم فأعرض كفار مكة عنها .

التفسيره

٣٦ – وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَانِ لُقَيَّضْ لَهُر شَيْطَكُنَا فَهُوَ لَهُ, قَرِينٌ . .

من يعرض عن ذكر الله ويستهين بالقرآن ، ويأنف من ذكر دين الله ، ويبتعد عن شرع الله ، نيسر له قرين سوء من الجنَّ ، يوسوس له بالشر ، ويحرِّضه على الفسوق والعصيان .

قال تعالى : وَقَيَّصْنَا لَهُمْ قُرَلَاءَ فَزَيَّتُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْقَهُمْ ... (نصلت : ٢٥) .

وجاء فى صحيح مسلم وغيره ، أن مع كل مسلم قرينًا من الجن ، وأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ٢٠٠٠.

قال ابن كثير:

وَمَن يَعْشُ ...

أى : يتعامى ويتغافل ويعرض ، عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَلْنِ .

والعشا في العين ضعف بصرها ، والمراد هذا عشا البصيرة .

لْقُيْضَ لَكُر شَيْطَنْنَا فَهُوَ لَكُر قَرِينٌ . كقوله تعالى : فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغُ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ... (الصف: ٥) . ا هـ .

وفى معنى هذه الآية قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسُلْنَا ٱلشَّيْطِينَ عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ تَؤُوُّهُمْ أَزًّا . (مريم ١٨٠).

ومعنى: فَهُوّ لَّهُ قُرِينٌ . أي فهو له ملازم ومصاحب لا ينفكُ عن الوسوسة له والإغواء .

٣٧ - وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسِّيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ .

وإن الشهاملين ليصدُّون هؤلاء الكفار عن طريق الهدى، ويحسب الكفار أنهم على نور ويصيرة من أمرهم.

وهي هذا المعنى قوله تعالى: قُلُ هَلَ أَنَّبُكُم بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَالُا و ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَةِ ٱلذُّيَّا وَهُمْ يَعْسَبُونَ ٱلْهُمْ يُعْسِئُونَ صُنَّمًا . (الكيف: ١٠٤/ ١٠٠).

٣٨ - حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَللُّتَ يَنْنِي وَيَنْنَكَ يُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَيِنْسَ ٱلْقَرِينُ.

حتى إذا حُشر هذا الكافر مقروبًا بالسلاسل مع قرينه من الشياطين ، تبرم به ، وتعنى أن يكون الشيطان بعيدًا عنه بُعد المشرق من المغرب ، لأنه كان سبب إغوائه وإضلاله .

قال أبو سعيد الخدرى: إذا بُعث الكافر زوّج بقرينه من الشياطين ، فلا يفارقه حتى يصير به إلى الذار. وقال الطبرى وابن كلو وغيرهما:

المراد بالمشرقين ههنا : ما بين المشرق والمغرب ، وإنما استعمل ههنا تغليبًا ، كما يقال :

القمران: للشمس والقمر.

والعمران: لأبي يكر وعمر.

والأبوان: للأب والأمَّ.

٣٩ - وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيُوْمَ إِذ ظُلَمْتُمْ ٱلْكُمْ فِي ٱلْعَدَابِ مُشْتَر كُونَ .

لن يخفف عنكم من العذاب ، ولا من الهوان النفسى فى النار، اشتراككم فى الحذاب مع بعضكم البعض، لأن لكل منكم نصيبه الكامل فى جهنم ، وله من البلاء نصيبه الأوفر ، ولا يجد الكافر السلوى فى جهنم بعدات غيره ، كما كان يحدث فى الدنيا ، حيث إن المصيبة إذا عمت هانت .

جاء في التسهيل لعلوم التنزيل :

المراد أنه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب ، ولا يجدون راحة التأسى التي يجدها المكروب في الدنها ، إذا رأى غيره قد أصابه مثل ما أصابه .

انظر قول النحنساء ترثى أخاها صخرا:

يذكرني طلوع الشبس صخرًا وأذكرة بكمل مغيب شبس ولولا كتفرة الباكيس حولى على إخوانهم لقفلت نفسى ولا يبكون مفل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالقامس

٤ - أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْى وَمَن كَانَ فِي صَلَالٍ مُّينٍ.

كان ﷺ حريصًا على هداية قومه ، راغبًا فى دعوتهم للإسلام ، وإنقائهم من عذاب جهنم ، لكنهم تصامموا عن دعوته ، وأعرضوا عن الإسلام ، وغليتهم رغباتهم فى متعهم ولذائذهم ، وانشغالهم بالخمر والإثم عن تلبية دعوة الإسلام ، فأخبر الله رسوله بأنه لا أمل فى هدايتهم ، فطب نفسًا ، وقرّ عينًا ، فأنت يا محمد لن تستطيع أن تسمع هزلاء الكفار ، الذين هم كالصم والعمى ، ومن كان فى ضلال واضح ، والمراد بالعمى هنا عمى البصيرة ، والمراد بالصمم انغلاق القلب عن سماع الحق ، ورغبته فى اتباع الضلال الواضح ، مثل عبادة الأصنام ، وشرب الخمر ، وارتكاب الفواحش .

٤١ - فَإِمَّا نَلْهَبَنُّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ .

كان أهل مكة يقولون: انتظروا حتى يموت محمد كما مات غيره من الشعراء، فقال القرآن الكريم: إِنْكَ مَّيِّتُ رَإِنَّهُم مَيِّونَ هُ ثُمَ إِلْكُمْ يُومُ ٱلْقِيَّامَةِ عِندَ رُبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . (الزمر: ٢٠،٢٠).

بهنا يقول القرآن الكريم: حتى إذا مد يا محمد، فسوف ننتقم من كفار مكة.

٢٤ - أَوْ نُرِيِّنُكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَلِرُونَ .

وإذا نصرناك عليهم في حياتك ، وتمكّنت من نواصيهم ، فإنا قادرون على ذلك .

قال تعالى : وَمَا ٱلنَّصُرُ إِلَّا مِنْ عِنادِ ٱللَّهِ ... (أل عدران : ١٢٦).

لقد نصر الله رسوله ومن معه من المؤمنين في غزوة بدر وغيرها , حتى فتحت مكة ، ثم دانت شبه الجزيرة العربية للإسلام .

قال ابن كثير :

المعنى: لابد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ، في حياتك أو بعد وفاتك ، ولم يقبض الله تعالى رسوله حتى أقرّ عينه من أعدائه ، وحكّمه في نواصيهم .

٣٤ - فَأَسْتَمْسِكُ بِٱلَّذِيُّ أُرحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

فَتَنْسُك يا محمد بالقرآن الذي أرجى إليك ، ويجب أن تتمسك الأمة المسلمة به اقتداء بنبيها ، نالقرآن هدى السماء إلى أهل الأرض ، وفيه الهداية والتشريع والآداب والقصص ، وأخبار السابقين ، وعرض لمشاهد القيامة ، والحساب والجزاء والجنة والنار .

إِنُّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

إنك على الحق الواضح ، والطريق الموصل إلى النجاح في الدنيا ، والسعادة يوم القيامة .

\$ \$ - وَإِنَّهُ, لَلِكُرُّ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْتَلُونَ .

نزل القرآن بلسان عربى مبين ، وكان شرفا للأمة العربية أن ينزل وحى السماء باللسان العربى ، على رجل عربى منفيم ، وقد ريّاهم القرآن وطهرهم ، وعلمهم ووحدهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، وبالقرآن وطهرهم ، وعلمهم ووحدهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، وبالقرآن توحدت جزيرة العرب ، وفُتحت بلاد الفرس والروم ومصر وشمال أفريقيا ويلاد ما وراء النهر ، وشرّقت الدعوة الإسلامية وغُريت ، واحتضن الإسلام جميع الأمم التي دخلت في الإسلام ، وكان الطماء والأدباء ، والنحاة والفلاسفة وغيرهم من بلاد أعجمية دخلت في الإسلام ، واعتنقت هذا الدين وقامت بخدمته .

قال ﷺ: «ليست العربية لأحدكم بأب ولا أمّ ، ولكن العربية اللسان ، من تكلم العربية فهو عربي» "٣٠. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: قُفَدُ أَنزُلْنَا إِلَكُمْ رَضِنًا لِهِ ذِكْرُكُمْ ٱلْلَازَمُوْلِدُنَ . (الأنبياء: ١٠).

لقد حفظ القرآن اللغة العربية ، والأمة العربية ، والعرب بالإسلام كلُّ شيء ، ويدون الإسلام لا شيء .

قال تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مَّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنَّتِي مِنَ ٱلْمُسْلِعِينَ . (فصلت: ٣٢).

ه ٤ - وَسْتَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَلْنِ وَاللَّهَةُ يُعْبَدُونَ .

إن التوحيد والإقرار لله تعالى بالوحدانية هو رسالة جديم الرسل ، دعا إليه نوح وإبراهيم وهود وصالح وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ، والتوحيد فطرة تنطق بها الأرض والسماء .

كما يقول القائل:

سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، سل السماء من نجم نجومها ، وسخُر شمسها وقمرها ، وأضاء نهارها وأظلم ليلها .

قَالَ أَبُو حَيَانَ : والسوَّال هذا مجاز عن النظر في أديان الأنبياء ، هل جاءت عبادة الأوثان في ملةٍ من مللهم ؟

وفى معنى هذه الآية قوله تعالى : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ آعَبُدُواْ ٱللَّهَ وَآجَتَبُوا ٱلصَّاهُوتَ ...
(النحل: ٣٦)

ويصبح أنْ يَكُونَ السَّوْالِ فِي الآية موجِّها إلى كلُّ واحد من قريش.

وكأنه قيل: وليسأل كل ولحد منكم أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا ، هل شرع لأى أمة عبادة الأوثان ... أو الأصنام أو غيرها من دون الله تعالى .

أى: إنك يا محمد لم تأت قومك حين دعوتهم إلى التوحيد بأمر ابتدعته من عند نفسك ، بل هُر أمر مجمع عليه من سائر المرسلين قبلك ، وهذا يدل على وحدة الدين الحق في أصوله ، ووحدة مهمة الأنبياء عليهم المسلاة والسلام .

ومن المفسرين من قال: سبب هذه الآية أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ: إن ما جنت به مخالف لمن كان قبلك، فأرده الله بسؤال الأنبياء على جهة التوقيف والتقرير والتأكيد، لا لأنه كان في شك منه. و مخدا من الآلة ما بأثر:

دين التوحيد قديم ، ونبذ الشرك قديم ، فلذا سئلت أمم الرسل عليهم الصلاة والسلام :

هل أذن الله بعبادة الأوثان ؟

وهل أمر بعبادة غير الله ؟

والسبب الأقوى في بغض الكفار للنبي ﷺ وعدارتهم له هو إنكاره لأصنامهم ، فبيِّن الله أنه غير مخصوص بهذا الإنكار ، ولكنه دين كل الأنهياء . وإذا استعرضنا سورة (هود) ، فسنجد أنها ذكرت قصة نوح عليه السلام وهو يدعو قومه إلى التوحيد، ثم نجد مثل ذلك في الآية (٥٠) من نفس السورة : وَإِلَىٰ عَادٍ أَعَامُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومُ آغَبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مَنْ إِلَّهٍ غَيْرُهُر ...

وفى الآية (٦١): وَإِلَىٰ لَمُودَ أَخَاهُمْ صَلْلِحًا قَالَ يَنْقُوم ٓ آعُبُدُواْ ٱللَّهُ مَا لَكُم مَّنْ إِلَاءٍ غَيْرُهُ, ...

ثُم نجد في الآية (٨٤) من نفس السورة : وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيًّا قَالَ يَلقُومُ آغَلُواْ ٱللَّهُ مَا تَكُمُ مَنْ إِلَّهِ غَيْرُهُ

أى أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، والتوجّه إليه وحده بالعبادة والطاعة ، والبعد عن ارتكاب المعاصى ، كانت رسالة جميع الرسل والأنبياء .

قال ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢٠٠).

الميرة من قصة موسى مع فرعون

﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَايَنِنَا إِلَى فِرْعَوْ وَمَلِا شِعِهِ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعَكِينَ ﴿ وَمَا نُرِيهِ مِنَ اللّهِ عَلَيْهِ مِنْهَا يَعْصَكُونَ ﴿ وَمَا نُرِيهِ مِنْ اَيَةٍ إِلّا هِى أَحْبَرُ مِنْ أَخْتِها وَلَخَذْتُهُم بِالْعَدَابِ لَعَلَهُم بِرَجِعُونَ ﴿ وَقَالُوا يَتَأَيُّهُ السَّاحِرُادَعُ لَنَا رَيَك بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لُمُهْتَدُونَ ﴿ فَلَمَا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَنكُتُونَ ﴿ فَ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي فَوْمِهِ وَ قَالَ يَفْوَرُ إِلَيْسَ لِي مُلكُ مِعْمَ وَهَنَا وَ الْأَنْهُرُ مَّعْرِي مِن وَنَادَىٰ فِيرَعُونُ فِي فَوْمِهِ وَقَالَ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَى مُعْمَلُ وَلَا لَكُونُ وَلَا اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهُ وَمَهُ مُنْ اللّهِ عَلَى مُلْكُ مِعْمَ وَهُمَا لِنَا مَنْ اللّهِ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ

المطردات :

بالسائساء الآيات هي المعجزات.

ومسلسلسة ؛ أنثراف قومه .

الحسائت اهم الخذ قهر بالعذاب، فأرسلنا عليهم الجراد والقمل والضفادع.

السساحيين العالم الماهن،

بما عهد عندت ، بما أخبرتنا من عهده إليك ، أنَّا إذا آمنًا كشف عنا العذاب الذي نزل بنا .

يست كسفون، ينقضون العهد.

مىن السعساسى ؛ من تحت قصرى ، ويين يدى في جناتي .

مسهسيسن، ضعيف حقير .

يسميمسيسة ، يقصح عن كالأمه ، وكانت بموسى لثغة في لسانه ، كما قال ابن عباس .

أسسيمسورة؛ والعدها سوار ، كأخمرة وخمار .

مقترنيش، مقرونين به ، يعينونه على من خالفه .

فاستخفقومه ؛ استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلال ، فأستجابوا له .

آسمه ولما الفضيونا وأسخطونا .

سطسطاء قدوة لمن بعدهم من الكفار.

مسمسات معلاه حديثًا عجيب الشأن ، يسير سير المثل ، فيقول الناس : مثلكم مثل قوم فرعون .

تمهيد :

قصة موسى من أكثر القصص دورانا في القرآن الكريم، والعبرة هنا عُثُو فرعون واستكباره، وإرسال الله عليه وعلى ملئه أصنافًا من العناب، كالجراد والقمل والضفادع، ثم يطلبون من موسى أن يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب، وعندئذ يؤمنون ويهتدون، ظلما كشف الله عنهم العذاب، نقضوا عهودهم، وعادوا إلى ضلالهم.

وتعرض الآيات هنا غرور فرعون بالغنى والجاه والسلطان ، وجرى الأنهار من تحت قصره ، ثم هو يمك الذهب والتاج والأساور ، وموسى فقير لا يمك أساور الذهب ولا تاج الملك ، ولا يؤيده جمع من الملائكة برافقونه ، واستخف فرعون بمقول قومه ، فساروا خلفه لفسوقهم عن أمر الله ، ثم أغرقهم الله جزاء كغرهم وعنادهم .

التفسس

٣٤ - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِتَايَلْتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَالِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبّ ٱلْعَلْمِينُ.

تكررت قصة موسى فى القرآن الكريم تسلية للرسول ﷺ وتهديدًا لأهل مكة ، حتى يتعظرا ويعتبروا، فقد أغرق الله فرعون وجيشه فى الماء ، وقد كانوا أكثر مالاً وعظمة من أهل مكة ، وينبغى أن يتعظ الإنسان بما أصاب الآخرين ، فالسعيد من اتعظ بغيره ، والشقيُّ من جرم الاتعاظ بنفسه .

ومعنى الآية :

ولقد أرسلنا موسى عليه السلام مؤيدا بمعجزاتنا - كاليد والعصا - إلى فرعون وقومه من القبط بمصد ، وقال موسى لهم : إنى رسول رب المالمين إليكم ، أى خالق الكون وللإنس والجن والطير ، وعالم السماء ، وعالم الأرض ، وعالم الملائكة ، وجميم العالمين .

٧٤ - قَلَمًا جَآءَهُم بِتَايَلْتِنَا إِذَا هُم مَّنْهَا يَضْحَكُونَ .

فلما أراهم موسى المعجزات المبهرة استخفوا بها واستهزأوا ، ولم يؤمنوا بموسى عليه السلام .

٨٤ - وَمَا لُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذَنْهُم بِٱلْقَدَابِ تَقَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

ما نُرى فرعون وملأه من معجزة إلا هي أكبر من سابقتها في الحجية عليهم ، والدلالة على صحة دعوته إلى القرحيد ، مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها ، فإن بعض الناس يتأثر ببعض الآيات أكثر من الأخرى ، ويعض الناس تأسره معجزات أخرى ، والإنسان نفسه يختلف رأيه في بعض الأوقات ، فتارة يفضل هذا ، وتارة يفضل ذاك ، مثل قولهم : رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض ، ومنه بيت الحماسة :

من تلق منهم ثقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وَأَخَذُنَاهُم بِٱلْعَلَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

أخذناهم بالعذاب المتدرج المتكرر الذي تشتمل عليه تلك الآيات، لطهم يرجعون عن كغرهم، ويغوبون إلى رسدهم ، والمدراد بالعذاب هذا العذاب الدنيوي ، الذي أشار إليه قوله سبحانه ؛ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الشُولَانَ وَالْمَرَادُ وَالْقُمُولُ وَالْقُمُ الرَّعْرُ اللَّهِ عَلَيْتِ مُفْصَلُت فَاسْتَكُمُرُوا وَكَانُوا قَوْمًا شَعْرِمِينَ وَلَمَّا وَفَعَ عَلَيْهِمُ الرَّعْرُ لَلُولُونَ اللهِ وَاللهِ عَلَيْهِمُ الرَّعْرُ لَلُولُونَ اللهِ وَاللهِ عَلَيْهِمُ اللهِ وَلَمُ عَلَيْهُمُ الرَّعْرُ لَلْوَلُونَ اللهِ وَلَمُ اللهِ عَلَيْهُمُ اللهِ وَلَمُ عَلَيْهُمُ اللهِ وَلَمْ اللهِ عَلَيْهِمُ اللهُ وَلَمْ عَلَيْهُمُ اللهِ وَلَمْ عَلَيْهُمُ اللهِ وَلَمْ عَلَيْهِمُ اللهِ وَلَمْ اللهِ وَلَمْ اللهِ وَلَمْ اللهِ وَلَمْ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِلمُ ٩ ٤ - وَقَالُواْ يَنَآ أَيُهُ ٱلسَّاحِرُ آدْعُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ .

وقال قوم فرعون لموسى : يا أيها العالم ادح لنا ربك بالعهد الذي عهده إليك ، وهو أننا إذا آمنا يكشف عنا العذاب ، ادعُه لينذُّد لنا عهزه هائيًّا ، فإننا لمهتدون مستقبلاً بعد زوال العذاب .

وذهب ابن كلير إلى أن الساحر لقب تبجيل يطلق على العالم العظيم ، وقد كانوا يعطّمون السحر والسحرة في ذلك الوقت ، وقد كانوا في حاجة إلى توقير موسى واحترامه ، حتى يطلب من ربّه دفع العذاب عنهم .

. ٥ -- قَلَمًا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَلَابَ إِذَا هُمْ يَنكُنُونَ .

ظما رفع الله المذاب عنهم رجاء هدايتهم ، إذا يهم ينقضون عهدهم مع موسى ، ويعودون إلى سألف عهدهم فى الكفر والإعراض عن رسالة موسى .

٥١ - وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنقَوْم أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَلهِ ٱلْأَنْهَلُو تَجْرِي مِن تَحْييَ أَفَلَا تَجْمِيرُونَ .

وجمع فرعون رؤساء قومه وأشرافهم ورفع صوته قائلاً : أليس لى ملك مصر من أوُلها إلى آخرها ، وهذه الأنهار المتفرعة من النيل تجري من تحت قصري ، أفلا تبصرون ما أذا فيه من النعمة والملك ؟ قال القرطي :

کان للنیل أربعة أفرع تتفرع من تحت قصره ، هي نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمیاط ، ونهر تینس، ونهر طولون : هو نهر قدیم کان قد اندرس فجدده أحمد بن طولون .

قَالَ قَعَادَة : قد كانت لقرعون جِنَات وأنهار ماء . ا هـ.

فافتخر بها على موسى ، واستدل بها على عظمته ومهانة موسى ، وكان موسى قد خلع الله عليه نمهابة والمحبة ، فأراد فرعون أن يغالط أمَّته ، وأن ينتزع محبة موسى من قلويهم .

٣ ٥ - أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَـٰـٰلَمَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ .

أى: بل أنا خير وأفضل من موسى الذي هو فقير وضيع ، من طائفة بني إسرائيل الذين نستعيدهم ونستذلهم .

وَلَا يَكَادُ يُبِينُ .

وكان مرسى قد أمسك جمرة في صغره فوضعها في فمه ، فتركت أثرها في لسانه ، فلما بشره الله برسالته سأل الله أن يحرًا عقدة لسانه ، فاستجاب الله له . قال تعالى على لسانه ؛ قَالَ رَبُّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِى ، وَيُسَّرِ لِيَّ أَمْرِى ، وَٱخْلُلُ عُفْدَةً مِّن لَسَانِي ، يَفْقُهُواْ قَالِي. (4. ٢٠ - ٢٧)

ثم قال تعالى بعد ذلك : قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤُلَكَ يَلْمُوسَىٰ . (١٠ : ٣٦) .

فموسى كان معه البيان والتوراة ، والمعجزات والصبر والبلاغ ، لكن فرعون كان ينظر إلى موسى بعين كافرة شقية ، رغبت في ترويج الكنب والافتراء على الرعبة .

٣٥ - فَلَوْلاَ أَلْقِي عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّن ذَهَبِ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِينَ.

هلا ألقى الله عليه أسورة من ذهب كرامة له ودلالة على نبوته ال

قال مجاهد:

الجزء الخامس والعشرون

كانوا إذا أرادوا أن يجعلوا رجلا رئيسًا عليهم ، سوَّروه بسوارين ، وطوَقوه بطوق من ذهب ، علامة لسيادته .

أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَكِكُةُ مُقْتَرِيْنَ .

هلا جاءت الملائكة مصاحبة له ، تعاونه وتصدّقه ، وتحت الناس على الإيمان به ، كملامة على إكرام الله له ، أي : إن كان موسى صادقًا في ادعاء أن الله أرسله رسولاً ، فهلا ملكه ربّه وسوّره بأسورة من ذهب ، و حمل الملائكة أنصاره وحاشيته ؟

ع ٥ - فَآسْمَخَفُ قَوْمَهُ, فَأَطَاعُوهُ إِلَّهُمْ كَالُواْ قَوْمًا فَسْقِينَ .

استخف بعقول قومه وأحلامهم واستجهلهم ، فأطاعوه فيما دعاهم إليه من الضلالة ، وإنما أجابوه لفسقهم وخروجهم على طاعة الله ، وعدم تمسكهم بالحق ، فلم يطيعوه عن قناعة ، بل عن رغبة في مشايعة الهوى ، وإيثارًا للعاجلة على الأجلة .

قال تعالى : وَجَحَدُواْ بِهَا وَآمَنَيْقَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا الْآنطُو كَيْفَ كَانَ عَلْقِبُهُ ٱلْمُفْسِدِينَ . (النمل: ١٤).

٥٥ - فَلَمَّا عَاسَفُونَا آنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَ قُنْكُمْمُ أَجْمَعِينَ .

أغضبوا الله فانتقم منهم ، وأغرقهم أجمعين ، أي : أسخطوا الله يسلوكهم وفسوقهم ، ويعدهم عن الحق، واتهاعهم للهوي .

قال المفسرون:

اغترُّ فرعون بالعظمة والسلطان ، والأنهار التي تجرى من تحته ، فأهلكه الله بجنس ما تكبُّر به هو وقومه ، وذلك بالغرق بماء البحر ، وفيه إشارة إلى أن من تعزز بشيء أهلكه الله به .

روى ابن أبى حاتم (٥٠٠ ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطى العبد ما يشاء ، وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك استدراج منه له» ، ثم تلا ﷺ : فَلَمَّ عَاسَتُهُ ثَا اَشْهُمُ ثَامُهُمُ فَأَعُرُ قَدْلُهُمْ أَجْمَعُينَ . (١٠٠)

وقال عمر بن عبد العزيز : وجدت النقمة مع الغفلة .

يعنى قوله تعالى : فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرُقْتَاهُمْ أَجْمَعِينَ .

٥٦ – فَجَعَلْنَنْهُمْ سَلَفًا وَمَفَلاً لَّلْاَتْحِرِينَ .

أى: جعلنا فرعون وقومه قدوة لمن بعدهم من الكفار فى استحقاق العذاب والدمار، ومثلا يعتبرون به نتلا يصيبهم مثل ذلك .

ونقل القرطبي عن مجاهد :

سَلَّهُا . لكفار قريش يتقدمونهم إلى النار ، وعظة وعبرة لمن يأتى بعدهم .

جانب من قصة عيسى عليه السلام

﴿ وَلَمَّا صَّرِيهُ أَنْ مُرْبِكُ مَنْكُ إِذَا قُوْمُكُ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿ وَقَالُواْ مَا لِلْهَشَنَا خَبَرُ أَمْ هُوَّ مَاصَرَبُوهُ لَكَ إِلَا جَدَلُا بَلْ هُوْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَا عَبَدُ اَفَعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلَنَهُ مُقَلَا لِمَنِي إِسِّنَ وَيِ لِلَ ﴿ وَلَوَنَشَا مُ لَحَمَلُنا مِن كُمُ مَلَيْكُمُ فِي الْأَصْفَةِ مُنْ الْمَوْفِقِ فَي وَإِنْهُ وَلِمِلْمُ إِلَيْسَاعَةِ فَلَا تَمْمُرُكَ بِهَا وَالْمَا عِمُونُ هَنْلَ صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴿ وَالْمَعْمُونَ فَي الْمَرْفَقِيمُ اللَّهُ مُورَيِّ وَرَبُّكُمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مُورَيِّ وَرَبُّكُمُ وَالْمَا مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ هُورَيْ وَرَبُّكُمُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَا عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْمُ اللَّهُ الْمُولُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْمِلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنَ اللْمُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُلِمُ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِلُولُ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنُ اللَّالِمُ الْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْ

المف دات ،

يصيب دون، يصيحون ويرتقع لهم ضجيج وفرح،

محسم مسوق ، شداد الخصومة بالباطل ، مجبولون على اللجاج

ميئيكيم، من بعضكم، أو لولُّدنا منكم.

يخ المون ، يخلفونكم في الأرض .

صلم الساصة؛ علامة لها يعلم قربها بنزوله من السماء عليه السلام.

البييسلات، المعجزات ، كالإنجيل وشفاء المرضى .

الحك م الشرائع المحكمة التي لا يستطاع نقضها ولا إبطالها ، أو بكل ما يؤدي إلى الإحسان .

تختلفون هيه : من الأمور الدينية .

صراط مستقيم : طريق موصل إلى جنات النعيم .

اختلف الأحرّاب، تفرقوا فرقا متحزبة .

يسفستسة ، فجأة على غرّة .

وهم لا يشعرون ، وهم غافلون عنها .

سبب النزول :

أخرج أحمد بسند صحيح ، والطبراني ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال لقريش : «إنه ليس أحد يُعبد من دون الله وفيه خير» ، فقالوا : أنست تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبدًا مسالحًا ، وقد عُبد من دون الله؟ فأنزل الله تعالى : وَلَمَّا ضُرِبَ آبُنُ مُرْيَمَ عَلَا إِذَا قُوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ .

وروى محمد بن إسحاق في السيرة ، أن رسول الله ﷺ جلس يوما في المسجد مع الوليد بن المفيرة ، فجاء النضر بن الحارث وجلس معهم ، وفي المسجد غير واحد من رجالات قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النفس فكلم دسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليهم : إِنكُمْ وَمَا تَعْبُلُونَ مِن دُونِ اللهِ حَسْبَ جَهْتُمُ الْفَا فَلَ وَرَدُونَ . (الأنبياء : ١٨) ، ثم قام رسول الله ﷺ ، واقبل عبد الله بن الزّيعرى التميمي ، وجلس فقال : أما والله لك وجدت محمدًا لمصمحتًا ، سلوا محمدًا : أكلُّ ما يُعيد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تحيد عزيرا ، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم ، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزيعرى ، ورأوا أنَّه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : هنال أحب أن يُعبَد من دون الله فهو مع من عبده ، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته على وأنزل الله عز وجل : إنَّ اللّبِينَ سَيَّهَتَ يُهُم مِنَّ الْمُسْتَحَ أُولَيْكُنْ عَنْهَا مُجَدُونَ (الأنبياء ، ١٠) .

أى: عيسى وعزير ومن عَبد معهما ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلال أريابًا من دون الله ، ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه السلام ، وأنه يُعيد من دون الله : وَلَمَّا صُّرِبَ آبُنُ مُرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِيدُونَ. المُتَصَعَب :

٧٥- وَ لَمُّ اصرب آبُنُ مَرْيَهَ مَثَلًا إِذَا قَرْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ .

ضرب عبد الله بن الزبعرى المثل بعيسى ، حيث إنه يعبد من دون الله ، وعزير تعبده اليهود ، ومن العرب من عَبَد الملائكة ، وقال : إنهم بنات الله . قال ابن الزيعرى : إن كانت الملائكة وعزير وعيسى ابن مريم فى النار ؛ فقد رضينا أن نكرن نحن وآلهتنا معهم ، فسكت ﷺ لتنظارًا للوهى ، فطنّهًا أنه أُثرم المجة ، فضحك المشركون وضجوا وارتفعت أمساتهم.

وأنزل الله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مَّنَّا ٱلْحُسِّنَيِّ أَرْ لَكِيكَ عَنْهَا مُبْعَلُونَ . (الأنبياء: ١٠١).

أى: عزير والملائكة وعيسى فى الجنة مبعدون عن النار ،ونلاحظ أن القرآن عندما أشار إلى أن من عبد صنما أو وثنا من دون الله أدخل العابد والمعبود إلى جهنم ، قال: إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُلُونَ مِن دُونِ ٱللهِ حَمَسَبُ جَهَمُّمُ أَنْصُمْ لَهَا وَرُدُونَ ﴿ (الأنبياء: ١٩٨).

فالقرآن هنا يتحدث عن الأصنام ، لأن هناك قاعدة في اللغة العربية تقول : إن (مَنْ) اسم إشارة للعاقل ، و(ما) اسم إشارة لما لا يعقل ، فالقرآن قال : إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ... أَي أَن القرآن لم يُرد المسيح ولا عزيرا ولا الملائكة ، وإن كانوا معهودين .

ثم إن الملائكة عباد مكرمون ، لا يحصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يزموون وعيسى عبد الله ورسوله، أنعم الله عليه بالرسالة والمعجزات ، وعزير رجل صالح من بنى إسرائيل، ركب حماره وسار وسط قرية قديمة متهالكة ، قهورها دارسة ، قد أدركها البلى والقدّم والقاّكل ، فاستبعد عليها البعث والحياة مرة أخرى ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، وأطلعه على بعث حماره ، وحفظ طعامه طوال مائة عام : (٣٠ نقال : أَعْلَمُ أَنْ "لَلْهُ مَلْيَ كُلِّ شَيْرٍ قُلِيسٌ . (البقرة : ٢٥٩) .

وخلاصة المعنى:

عندما حاول عبد الله بن الزبعرى أن يضرب مثلا بعيسى ابن مريم ، قائلا : إذا كان عيسى ابن مريم في جهنم لأنه غيد من دون الله ، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ، عندئذ فرح كفار مكة بذلك ، واشتد. صدودهم وإعراضهم .

قال ابن عباس:

إِذَا قُوْمُكَ مِنْهُ يَعِبُدُونَ . أي : يضمكون ، أعجبوا بذلك .

وقال قادة : پجزعون ويضحكون ، أى : صنعوا ضجة وفرحًا وضحكًا لزعمهم أنهم انتصروا على محمد فى الجدال .

وقال النخعي :

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . أي : يُعرضون .

ولعل من إعجاز القرآن اشتمال الآية على المعنيين : فهم سخروا وضحوا وضحكوا من جهة ، وأعرضوا عن الإسلام من جهة أخرى .

٨٥ - وَقَالُوٓا عَالَمِهُتنا خَيْرٌ أَمْ هُو مَا ضَرَابُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ .

قالوا للذبي ﷺ : أألهتنا خيرٌ أم عيسى ؟ والذبي ﷺ متيقن من أن عيسى خير من آلهتهم ، أي إذا كان عيسى خير من آلهتهم ، أي إذا كان عيسى في الذار ، لأنه لم عيسى في الذار ، لأنه لم عيسى في الذار ، لأنه لم يطلب من أجبر أن يعبده ، ولم يرض بعبادة الناس له ، ولأن كل عابد وما عبده من دون الله في الذار ، إذا رضى من يُحبد بهذه العبادة ، فهم لم يضريها المثل بعيسى والعزير والملائكة إلا على وجه الجدال والمخاصمة فهم ألداه في الفصومة ، راغبون في الغلبة بالدق أر بالباطل ، وعيسى عليه السلام قد تبرأ ممن عبده أو اتخذه إليًا .

قال تعالى : وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَسْمِسَى أَبْنَ مَرْيَمَ عَالَتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ آتَخِفُونِي وَأَمَّى إِلْنَهِيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَنْنَكُ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَفُولُ مَا لَيْسَ لِي بِحَقُ ۚ إِن تُحِتَ قُلْتُهُ، لَقَلَةُ عَلِيْمَةُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَهْسِكَ إِلَّكُ أَنتَ عَلَيْمُ ٱلْغُورِ وَ مَا قُلْتُ كُهُمْ إِلَّا مَا آمَزَتِي بِهِ أَنِ آعَبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ... (المائدة: ١٧٧ ، ١٧٥) .

قال في التسهيل لعلوم التنزيل:

مَّا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ...

أى: ما ضريوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل ، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو يجامل ، لقد أراد ابن الزيجري المغالطة : فروسفهم الله بأنهم قوم خصمون .

٥٩- إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْلًا أَنْعُمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَنْهُ مَثَلًا لَّبْنِينَ إِسْرَآوِيلَ .

عيسى ابن مريم عبد كسائر العباد من عباد الرحمن ، فهو بشر أنعم الله عليه ، حيث خلقه من غير أب، وأكرمه بالرسالة والنبوة ، وأعطاه طائفة من المعجزات : فهو يشفى المرضى بإذن الله ، ويُبرئ الأكمه (''' والأبرص بإذن الله ، وهو يحيى الموتى بإذن الله ، لقد أراد الله أن يجعل منه نموذجا وعبرة لبنى إسرائيل يستدلون بها على قدرة الله تعالى .

قال الرازى:

أى: صيِّرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر، حيث خلقناه من غير أب كما خلقنا أدم.

قال تعالى : إِنْ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندُ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادُمَ خَلَقَهُ, مِن تُرَابٍ ثُمُّ قَالَ لَهُ, كُن فَيكُونُ . (آل عمران : ٥٩) . فعيسى إذن ليس بإله، وليس ابنا لإله كما زعم الزاعمون .

قال تحالى : وَقَالُواْ آتَحَدُ آلرَّحَدُنُ وَلَدًا ۚ فَقَدْ حِثْتُمْ شَيْئًا إِذًا ۚ فَكَادُ ٱلسَّمَنُوْتُ يَتَفَطُونَ مِنْهُ وَصَدَّقُ آلَاَوْصُ وَيَعِرُّ آلْحِبَالُ هَذَا ۚ أَن دَعُواْ الرَّحْمَدُنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَنْتَبِي لِلرَّحْمَدُنِ أَن يُتَّجِدُ وَلَدًا ۚ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَنُوْتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا قِلِي آلرِّحْمُن عَبْدًا . (مريم ٨٥-١٣).

• ٦- وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مُلَائِكَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ .

إن قدرة الله لا حدود لها فهو على كل شيء قدير، وكما أوجد عيسى من أمّه بدون أب، فهو قادر على أن يوجد على الرّخن، أن يوجد في الأرض ملائكة تتناسل ويخلُف الأبناء منهم الآباء، أو تخلف الملائكة البشر في هذه الأرض، كما يحتمل أن يكون المعنى: لو نشاء لخلقنا من ذرياتكم ملائكة عابدة تخلفكم، أو لأوجدنا من ذرياتكم عبادًا مطهمين لله كأنهم ملائكة يخلفونكم أيها العصاة، كما حدث أن كان من ذرية عتاة الكفر أبناء خدموا الإسلام وجاهدوا في سبيله، والآية تشير إلى عجائب القدرة الإلهية، وقريب منها قوله تعالى: وَإِنْ تَعَوِّلُوا مُنْكُمُ لُمُ لاَ يُكُونُوا أَمْنَلْكُمُ . (محدد: ١٨).

قال ابن كثير:

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم ... أي: بدلكم .

مُلَتِّكُةٌ فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُقُونَ . قال السدّى: يخلقونكم فيها ، وقال ابن عباس وقتادة : يخلف بعضهم بعضا ، كما يخلف بعضكم بعضاء ، وهذا القول يستلزم الأوّل ، وقال مجاهد : يعمرون الأرض بدلكم .

٩١- وَإِنَّهُ, لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبَعُونِ هَلْذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

وإن عيسى عليه السلام من علامات الساعة ، فلا تشكراً في مجىء القيامة ، واتبعوا محمدًا ﷺ في مد هديه وشرعه ودينه فإنه على الصراط المستقيم ، والطريق الموصّل إلى الله تعالى ومرضاته .

وقد أفادت كتب التفسير مثل القرطبى وابن كثير والقاسمى وغيرهم ، تواتر الأحاديث المحجحة عن رسول الله ﷺ بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً وحكما مقسطا ، كما ورد في علم التوحيد نزول العسيخ الدجال رمزا للشرّ والفتنة ، حيث يعطيه الله إمكانات واسعة وانتمازًا ، وهزئة ، مينزل المسيخ الدجال حتى يقتله ، ويؤيد المسيح عليه السلام شريعة محمد 義.

أخرج الإمام مالك ، والشيخان ، وأبو داود ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بهده لهوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها» (١٠٠).

وأخرج الإسام مسلم ، عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ولا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم : تمال صلُّ لنا ، فيقول: لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله تمالى لهذه الأسة» ("" .

والمسيح غيب من الغيب الذي حدثنا عنه الممادق الأمين ، وأشار إليه القرآن الكريم ، ولا قول لبشر فيه إلا ما جاء من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة .

وفي قراءة أخرى : وإنه لَعَلُمٌ للساعة فلا غَترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم .

وعَلَمٌ – بفتحتین – أى : أمارة ودلال على مجىء القيامة ، لأن الله ينزله إلى الأرض قبل قيام القهامة. فلا تشكن في وقرع القيامة .

وقال السُّدى: لا تكذبوا بها ولا تجادلوا فيها ، فإنها كاتنة لا محالة .

جاء في ظلال القرآن ما يأتي:

حيث كان كفار مكة يشكون في البعث، والقرآن هنا يدعوهم إلى اليقين ، وكانوا يترددون عن الهدى والقرآن يدعوهم على لسان رسول الله ﷺ إلى اتباعه ، فإنه يسير بهم في الطريق المستقيم القاصد الواصل الذي لا يضل سالكره . 1 هـ.

٢٢ - وَلَا يَصُدُّنُّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِنَّهُ, لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ.

لا يصرفنكم الشيطان عن اتباع الحقّ واعتناق الإسلام ، والاهتداء بهدى محمد ﷺ ، فإن الشيطان عدو ظاهر العداوة ، والمعركة بين الشيطان والإنسان معركة قديمة ومستمرة ، والإنسان مطالب بالاستعادة بالله من الشيطان الرجيم ، والتحرز من إضلاله وإغوائه ، والاستعادة بالله من كيده .

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱلَّقُواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَنَّيْفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطُانِ تِلَكُّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ . (الأعراف: ٢٠١) .

وفي آخر سورة من سور القرآن الكريم ، نجد دعوة إلى التحصُّن بقوة الله ورحمته وهدايته من شر الشيطان وكيده، سواء أكان الشيطان من الجن أم من الإنس. قال تعالى: قُل أَعُوذُ بِرَبِّ آشَاسِ هَ مَلِكِ آشَاسِ هِ إِلْهِ آشَاسِ هِ مِن شَرَّ ٱلْوَسُوَاسِ آلَخَنَاسِ ه ٱلَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ آشَاسِ هِ مِنَ ٱلْحِيَّةِ وَٱلْثَاسِ . (الناس : ١-١) .

٩٣- وَلَمُّا جَاءَ عِيسَىٰ بِٱلْشِيَاتِ قَالَ قَدْ رَئِكُمْ بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأَبَيْنَ لَكُمْ بَمَضَ ٱلَّذِي تَخْتِلُفُونَ فِيهِ فَٱتَقُواْ ٱللَّهُ وَأَطِمُونِ .

ولما جاء عيسى رسولاً إلى قومه ومعه الإنجيل والمعجزات الواضحات ، مثل : شفاء المرضى ، وإحياء الموتى ، وإخبار قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وغير ذلك ، قال لقومه : قد جتنكم بالحكمة ، أى بالتشريع المناسب لكم ، وما تقتضيه الحكمة الإلهية من الأوامر والنواهى .

وَ لِأُبِيَّنَ لَكُمُ بِنَهُمُنَ اللَّذِي تَطَعُلُونَ فِهِ .. . أي: من أمور الدين لا من أمور الدنيا ، قإن الرسل أرسلهم الله تعالى ليبينوا للناس شئون دينهم لا شئون دنياهم .

قال الطبرى: يعنى من الأمور الدينية لا الدنيوية. ا هـ.

كما قال ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم ، وأنا أعلم بأمور دينكم» (١١١).

فقد رأى ﷺ قومًا يزيرون النفل ، أى يلقحون طلع النفلة الأنثى ..للع النخلة الذكر، فقال: «لو تركره لصلح» ، فتركوه فشامس ، أى: جف ولم ينجب تمرًا ، فذكروا ذلك للنبى ﷺ ، فقال : «إذا أمرتكم بشى» من أمر الدين فاتبعوه ، وإذا أمرتكم بشىء من أمر الدنيا فأنتم أعلم بشئون دنياكم» "" .

فالأنبياء لم يبعثوا لبيان طرق الفلاحة والتجارة وغيرها من شئون الدنيا ، وإنما بُعثوا لبيان شرائح الله وأحكامه ، ويبان الحلال والحرام ، والأداب والعبادات والمعاملات .

لذلك قال عيسى: وَلِأُبُيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَحْتَلِفُونَ فِيهِ ...

وقيل: المراد أنه يبين لهم بعض الذي اختلفوا فيه كطوائف مختلفة ، ولا يبين الكل حفاظا على حياته، وعلى تحصيل قسط من القبول عندهم ، اتباعا للحكمة ، ورغبة في بيان جزء مقبول عندهم لا بيان كلٌ مرفوض ، ومن حكم الدُعاة قولهم : (ليس كل ما يُعلم يُقال ، ولا كل ما يُقال جاء وقته ، ولا كل ما جاء وقته ، ولا كل ما جاء

وقريب من هذا المعنى ما ورد في المسجيح عن أحد الصحابة قوله : كان ﷺ يتخوننا (١٠٠) بالموعظة مخانة السامة علينا والملاء (١٠٠) .

ونمى آخر الآية : لَهَاتَتُقُواْ ٱللَّهُ وَأُطِيعُونِ .

أى: راقبوا ربكم وأخلصوا له ، وأطبعوني كرسول مبلغ عن الله الهدى والتعاليم والشرائع والتكاليف.

٤ ٢- إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَآعْبُدُوهُ هَلْذَا صِرَاطْ مُّسْتَقِيمٌ .

إن الله العلى الكبير هو ربّى وهو ربكم ، فاتجهوا إليه وحده بالعبادة ولا تعبدوا سواه ، فهذا هو الطريق المستقيم الواضح المعتمد على التوحيد لله ، وفي هذا ردُّ صريح على من قال : إنه ابن الله ، أو قال : إنه هو الله ، أو قال : هو ثالث ثلاثة ، وكلها أقوال باطلة ، والصواب ما قاله المسيح هنا : إِنَّ ٱللَّهُ هُوَ رُبِّي وَرُبُكُمُ ، فَأَشَبُدُوهُ مُذَلًا صِرُاطً فُسْتَعِيمٌ .

قال ابن كثير : أي أنا وأنتم عبيد له ، فقراء إليه ، مشتركون في عبادته وحده .

ه ٣- لَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمَ أَلِيم.

قال ابن كثير:

أي : اختلفت الفرق وصاروا شيعا فيه ، منهم من يقرّ بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يد يدُعي أنه ولد الله ، ومنهم من يدعى أنه الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، ا هـ .

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَلَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ.

أى: إن عيسى عبد الله ورسوله ، فمن زعم أنه إله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة هم الأب والابن وروح القدس ، فإنه ظالم معتد ، وهلاك له في عذاب يوم القيامة .

٣٦- هَلْ يَعظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَعْثَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

هل ينظر هؤلاء المشركون المكنبون للرسل إلا مجىء القيامة بفتة وفجأة ، حيث لم يُعدُّرا لها إيمانا ولا عملا صالحا، ثم تأتيهم القيامة فجأة وهم لا يشعرون بقدومها ، أى وهم غافلون عنها ، ثم يندمون أشد الندم على أنهم لم يعملوا لها عملا نافعاً أو مفيدا .

ألوان نعيم التقين في الجنة

﴿ ٱلْأَخِلَاءُ يُوْمَيِنِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ عَدُوًّ إِلَّا ٱلْمُتَقِينَ ۞ يَعِبَادِ لَا خَوْفُ عَلَيْكُورُ الْمُتَقِينَ ۞ يَعِبَادِ لَا خَوْفُ عَلَيْكُورُ الْمِتَقِينَ آلَ الْمُتَقِينَ ۞ يَعْلَمُ اللّهِ مَا اللّهِ مَا اللّهِ مَا اللّهِ مَا اللّهِ مَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ ال

المطردات:

الأخسلاء؛ واحدهم خليل، وهو الصديق الحميم الذي تخللت المحبة قلبه، أو الأحباء في غير ذات الله.

- مسلمين ، مخلصين منقادين لربهم .

تحسيرون، تسرون سرورًا ظاهر الأثر.

مسجماه، واحدها صحفة ، وهي إناء كالقصعة ، قال الكسائي : أكبر أواني الأكل الجَفَّنَة ، ثم القَصْعة ، ثم الصحفة ، ثم المثكلة .

اكسسواپ، جمع كوپ، وهو كوب لا أذن له.

أور فتموها ، جعلناها لكم ميراثًا .

تمهيده

فى الآيات بعض مشاهد القيامة ، فالأخلاء والأصدقاء الذين تحابرًا وتأزروا على الكفر والعداء للإسلام ، سيصيرون أعداءً يوم القيامة ، وكل أخرّة لغير الله ستصير عداوة ، إلا المتقين الذين تحابوا على طاعة الله ، ثم تصف الآيات فضل المتقين ونعيمهم فى الجنة ، فهم فى رضوان الله لا يصيبهم خوف ولا حزن ، وهم فى الجنة مع أزواجهم فى فرح وسرور ويشر ، يعم باطنهم وظاهرهم ، وهم فى نعيم مقيم ، طعامهم يأتيهم فى قصاع من ذهب ، وأكواب من ذهب ، ولهم فى الجنة كل ما تشتهيه أنفسهم وتتلذذ به أعينهم ، والجنة ميراث ثابت لهم ، يأكلون من فاكهتها الكثيرة ، ويتمتعون بنعيمها العظيم .

التفسير

٧ ٧- ٱلْأَخِالَاءُ يَوْمَعِلْ بَعْضُهُمْ لِيعْض عَدُرٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ .

حكى النقَاشُ أن هذه الآية نزات في أمية بن خلف الجمحى ، وعقبة بن أبي معيط ، حيث كانا خليلين وكان عقبلين وكان عقبة يجالس النبي ﷺ : وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدًا ولم تتقل في وجهه ، فقعل عقبة ذلك ، فنذر النبي ﷺ قتله ، فقتله يوم بدر ، وتُقل أمية في المعركة ، وفيهما نزلت هذه الآية .

ومعنى الآية :

الأصدقاء الذين تحابوا على الكفر، أو معصية الله ، أو الضم ، أو الذناء أو القمار ، أو الرياء أو الرسوة، أو سائر المعامى ، هؤلاء بينهم مودة ومحبة فى الدنيا ، بسبب اللذائذ الحسية أو المكاسب المادية ، وفى يهم القيامة يكفر بعضهم بعضا ، ويتبرأ التابعون من المتبوعين ، وتتحول كل مودة على معصية أو كفر إلى عداوة ، لكن أخوة المتقين ومحبتهم فى الله رب العالمين، تكون سببا فى مرضاة ربهم، وفى تعتهم بظل عرش الله تعالى يوم لا ظلّ إلا ظله .

روى الحائظ ابن عساكر، عن أبى مريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لو أن رجلين تحابًا فى الله، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة، يقول: هذا الذى أحببته في ""!

٣٨- يَنْعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَا أَلْتُمْ تَعْزَلُونَ .

هذا نداء تكريم وتفضل ريشارة وحنان من الله العلى الكبير للمؤمنين المتقين المتحابين في الله ، حيث يبشرهم الله بأنهم عباده ، لا يصبيهم خوف ولا جزع ولا حزن في ذلك اليوم ، بل هم في رعاية الله ويشارته وفضله ، فهم لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس .

٩ ٩- ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ بِثَايَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ .

لقد أمنوا بكتب الله ورسله واليوم الآخر، والملائكة والنبيين، وكانوا منقادين لأمر الله عن تبصر وبصيرة، فإذا سمعوا نلك من الله يئس ألهل الأديان الباطلة، ونكسوا رؤوسهم، واستبشر المؤمنون.

٧ - آدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَ اجْكُمْ تُحْبَرُونَ .

ادخلوا البخنة أنتم وأزولجكم المؤمنات ، وتمتعوا بالنعيم والفرح والسرور الذى يظهر أثره على وجوهكم نضرة وحسنا. ٧١- يُطَافُ عَلَيْهم بصِحَاف من ذَهب وَأَكُواب وفِيها مَا تَشْتهيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَدُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُم فِيهَا خَلْلِدُونَ .

يتمتع أهل الجنة بنعيم مقيم ، ويطاف عليهم بالطعام في أوانٍ من ذهب ، ويطاف عليهم بالشراب في أكراب من ذهب ، ويطاف عليهم بالشراب في أكراب من ذهب ، وفي الجنة نعيم لا نهاية له ولا حدود ، وخيرات الجنة تشهيهها النفوس ، وتسعد بها العيون، وينال المؤمن في الجنة كل ما يطلب ، وكل ما يشتهى ، وأهلها خالدون باقون في هذا النعيم الدائم الذي لا ينقطع ولا يزول .

ويتعلق بهذه الآية أن الأكل في أواني الذهب والفضة محرم في الدنيا ، وهو من نعيم الجنة للمؤمنين، روى البخارى ، ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «لا تلبسوا الحرير ولا الديهاج ، ولا تشريوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الأهرة، (١٠١).

باقين دائمون لا تضرجون منها أبدا ، وهذا من إتمام النعمة ، وإكسال السرور ، فإن كل نعيم زائل برجع لفوف الروال . ا هـ .

والآية جمعت من النعيم ما يأتي :

(أ) المطاعم والمشارب.

(ب) ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

(جـ) الخلود في دار النعيم.

نما أعظم هذا الغضل والنعيم في مرضاة الله رب المالمين.

وذكر بعض المفسرين في معنى: وَتَلَدُّ الْأَغْينُ ... قال: النظر إلى وجه الله الكريم.

هَال تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبُّهَا نَاظِرَةٌ . (القيامة : ٢٣،٢٢) .

وهي أعلى درجة في الجنة، أن يتمتع المتّقون بلذة النظر إلى وجه الله الكريم، وفي الحديث المسحيح: - أإنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تشكون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تظبوا على مسلاة قبل - طاوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ١٩٠٩ ٧٧- وَ يِلْكَ ٱلْحَنَّةُ ٱلَّتِيَّ أُورِنُّتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

وهذه الجنة الموصوفة بالصفات المذكورة الجليلة ، أعطيتموها بسبب أعمالكم المنائحة التي عملتموها في الدنيا ، والناس تدخل الجنة برحمة الله وفضله ، وتتقاسم منازل الجنة بحسب أعمالها .

روى البشارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «لن يُنْجَل أحدكم الجنة عمله» ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: «ولا أنا ، إلا أن يتفعدنى الله برحمته ، فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسنا فلمله أن يزداد خيرا ، وإما مسيئًا فلمله أن يُستعتب (الله) (الله) ... (الله)

قال ابن كلير:

أى: أعمالكم الصالحة كانت سببا في شمول رحمة الله إياكم ، فإنه لا يدخل أحد الجنة بعمله ، ولكن برحمة الله وفضله ، وإنما الدرجات يُنالُ تقاوتها بحسب الأعمال الصنالحات .

وفى الحديث: «ما من أحد إلا وله منزل فى الجنة ، ومنزل فى النار ، الكافر ُ يرث المرَّمن منزله فى النار ، الكافر ُ يرث المرَّمن منزله فى البناء ، وذلك قوله تعالى : وَلِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلنَّيِّ أُورِثُمُوهَا بِمَا كُتَعُمْ تَعْمَلُونَا». (٣٠ وقيل : معنى : أورثُقُمُوهَا بِمَا كُتَعُمْ تَعْمَلُونَا». (٣٠ وقيل : معنى : أورثُقُمُوهَا ، ثبتت ملكيتكم لها ثبوتا قاطعا كثبون العيراث لوارثه .

٧٧- لَكُمْ فِيهَا فَلْكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ .

لكم في الجنة أنواع القواكه التي تأكلونها تلذذًا وتنعما ، لا عن حاجة أجسامكم إليها .

قال تعالى: فِيهِمًا مِن كُلُّ فَلْكِهَةٍ زُوْجَانٍ . (الرحمان: ٥٢) .

وقال سبحانه : فِيهِمَا فَلْكِهَةٌ وَنَحُلٌ وَرُمَّانٌ . (الرحمان : ٦٨) .

وقال تعالى : وَقَلْكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ . (الواقعة : ٣٣،٣٢).

والفاكهة في الجنة متنوعة كثيرة لا تنتهي أبدا ، والأشجار حاملة للثمار مزينة بها ، ولا ينزع رجل من أهل الجنة تمرة من ثمار الجنة إلا نيت مكانها مثلاها (**) .

عذاب الجرمين في جهنم

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْوِيِنَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَلِاثُونَ ۞ لَايُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُثْلِسُونَ ۞ وَمَاظَلَنَنَهُمْ وَلَٰكِنَ كَانُواْ هُمُ ٱلظَّلِلِمِينَ ۞ وَنَادَوَّا يَسَكِكُ لِيقَضِ مَلَيَّنَارَثُكُّ قَالَ إِنَّكُمْ مَنِكَثُونَ ۞ لَفَدْ حِثْنَكُمْ بِالْمَيِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَلِهُونَ ۞ أَمْ أَثْرُكُمْ الْمَرً فَإِنَّا مُثَرِيُونَ ۞ أَمْ يَسْتُونَ أَنَّا لَاسْتَمُ سِرَّهُمْ وَيَجَوْنَهُمْ مَلِيَ وَرُسُلُنَا لَدُيْمٍ مَ

المضردات:

المحسرمسين؛ الكافرين، لذكرهم في مقابلة المؤمنين.

لايفتر منهم ، لا يفلف علهم ، من : فَتَرتُ عنه المنَّى ، أي : سكنت قليلا .

مبياسون ، آيسون من تخفيف العذاب ، من الإبلاس وهو العزن من شدة اليأس .

اليقض عليشا ، ليهلكنا ويفتُّتنا .

إشكم ماكشون، مقيمون لابثون.

أم أبس منوا أصرًا ، أحكموه وقرروه واعتزموه ، من الإبرام وهو الإحكام والإنقان ، يقال : أبرم الصبل ، أي : أنقن فتله. .

سِــــرُهـــــم، الحديث الذي حدّثوا به أنفسهم .

نجواهـــــم، تناجيهم وتحادثهم ، وناجاه: حادثة.

ورسطستساء المراد بالرسل هذا : الملائكة الحفظة .

تهيد،

تصف الآيات المجرمين رهم يُعدُّبون في جهنم بعذاب دائم مستمر لا يخفف عنهم ، وقد صاروا يائسين ساكتين ، وما ظلمهم الله ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم ، ونادى أصحاب النار قائلين : يا مالك ادع لله معنا أن يغضى علينا بالفناء حتى نستريح من هذا العذاب الدائم ، فأجابهم : إنكم باقون هنا في جهنم لقد أتيناحم بالحق فأرسلنا لكم الرسل ، وأذرائنا عليكم الكتب ، ولكن أكثركم كره ذلك ورفضه ، أم أحكموا أمرًا في تكذيب الحق وردّه ، فإنا مبرمون أمرًا في مجازاتهم ، أم يحسبون أنا لا نسمع حديث أنفسهم ومناجاتهم وكلامهم بعضهم لبعض ، بلى نسمعها ، والحفظة من ملاتكتنا يسجًلون أقوالهم ويكتبونها .

التفسيره

\$ ٧- إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَلِلُونَ .

إن المجرمين الذين تمادوا في الإجرام ، فكفروا بالله ورسوله واليوم الآخر ، وعجزوا عن كبح جماح شهواتهم ، والانضواء تحت لواء الإسلام ، هم في الغالب يعرفون الحق ودلائل الرسالة ، ولكنهم عاجزون عن التفريط في نعيم الدنيا ، وعاجزون عن الاعتراف بصدق الإسلام ، لتفضيلهم طاعة الشيطان والهوى على طاعة العقل والهدى ، فهم خالدون في عذاب جهنم خلودًا أبديًا سرعديًا .

٥٧- لَا يُفَتِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ .

لا يخفف عنهم العذاب لحظة ، وهم آيسون من كل أمل أو رجاء في رفع العذاب عنهم أو تخفيفه ، وهذه أسوأ الحالات أن يفقد الإنسان الأمل والرجاء ، فيصبح مبلسا يائسا حزينا قد دهمه الإحباط والخوف .

٧٧ - وَمَا ظُلَمْنَاهُمْ وَلَلْكِن كَانُواْ هُمُ ٱلطَّالِمِينَ .

لقد اختاروا طريق الشهوات والهوى والكفر، وأثروا العاجلة على الأجلة، وباعوا الحق والهدى، فلم يظلمهم الله حين أنزل بهم أشدً العذاب، ولكفهم الذين ظلموا أنفسهم بإيثارهم الضلالة على الهدى.

٧٧ - وَنَادَوْا يُلْمَثْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مُلْكِفُونَ .

أعظم من الدوت تعنى الدوت ، فهم فى حالة من الجرع والعطش والذُّل والهوان ، توسلوا إلى مالك خازن النار ، داعين راجين أن ينتقلوا إلى درجة الموت والفناء والهباء ، فيتفتتوا ويهلكوا ويفقدوا الإحساس. وكان الجواب : إنكم ماكلون فى جهنم لتنالوا جزاءكم من العداب .

قال تعالى : كُلُّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدُّلْنَلُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَلُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ... (النساء : ٢٥).

وقـــال سبـــــانـه : وَٱللَّذِينَ كَفُرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَلْمَ لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُونُواْ وَلاَ يَخَفُّفُ عَنْهُم مَنْ عَدَابِهَا كَدَالِكَ لَجْرَى كُلُّ كُفُورِ . (داهر : ۲۷) .

٧٨- لَقَدْ جِنْنَاكُم بِٱلْحَقِّ وَلَناكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ .

أرسلنا إليكم الرسل ، وأنزلنا إليكم الكتب ، وكنتم تعلمون صدق محمد ﷺ ، وهو المشهور بينكم بالصادق الأمين ، لقد كان إعراضكم عن الإيمان بسبب كراهة الحق لا بسبب جابل الحق ، عدلتم عن الإنصاف والإيمان والعدل ، وأثرتم الكفر والضلال والاسترسال فى الشهوات والذروات والغمر والزنا ، فكرهتم آلحق والعدل والإنصاف .

قال ابن كثير:

لَقَدْ جِئْنَكُم بِٱلْحَقِّ وَلَلْكِنَّ أَكْثَوْكُمْ لِلْحَقِّ كُلُوهُونَ.

أى: بينا لكم الحق ووضمتناه وفسرناه ، ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تُقبل عليه ، وإنما تنقاد للباطل وتحظمه ، وتصد عن الحق وتأباء ، فعودوا على أنفسكم بالملامة ، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة .

٧٩ – أَمْ أَبْرَمُوٓاً أَشْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ .

أم، للإضراب الانتقالى ، حيث كان الحديث عن عذاب المجرمين في جهذم، فانتقل إلى مجابهة أهل مكة، أن : بل دبروا وأحكس المكن والكيد لرسول الله ﷺ في دار الندوة ، حيث فكروا في حبسه أو نفيه أو قتله ، وأخيراً استقر رأيهم على أن يختاروا من كل قبيلة فتى جلاً وسطا متينا ، ويعطى كل شاب سيفا صارعاً بثاراً، ثم يضربوا النبي ﷺ ضربة واحدة ، ويذلك يتفرق دمه في القبائل ، فلا يستطيع بنر عبد مناف محارية كل هذه القبائل ، فكن الله أبرم ردبر وأحكم حفظ رسوله ، وأمره بالهجرة ، قضرج من بهنهم بصفظ الله وعنايته .

قال مقاتل بن سليمان:

نزلت في تدبير المشركين المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة، حين استقرَّ أمرهم على ما أشار به أبو جهل، وهو أن يبرز من كل قبيلة رجل، ليطتركوا في قتله ﷺ فتضعف المطالبة بدمه.

وقال غيره من المفسرين :

الأية عامة ، والمعنى : كلما أحكموا أمرًا في المكر بمحمد ﷺ فإننا نحكم أمرًا في مجازاتهم ، وإننا محكمون لهم كهنًا ، أي نُبيّتِ لهم جزاء وعقابا عديدا .

قال تعالى : وَمَكَرُواْ مَكُرًا وَمَكَرُنَا مَكُرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . (النمل: ٥٠).

وقال سبحانه : أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا قَالَلِينَ كَفُرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ . (الطور: ٤٧).

قال ابن كغير:

وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في ردّ الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه ، فكادهم الله تعالي وردّ وبال ذلك عليهم . ، ٨- أَمْ يَحْسَبُونَ أَتَا لَا تَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَلَجُوْمِهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكُبُونَ .

يخطئ الكفار حين يظنون أن الله لا يراهم ولا يشاهد عملهم ، بل الواقع أن الله تعالى مطلع على سِرُهُمُ وهو حديث النفس الذي يحدثون به أنفسهم ، ومطلع على نَجَوَّ سُهُم ، وهو التشاور والتحاور لإحكام المخطة والمكن والكيد للإسلام ولرسوله محمد ﷺ.

وإن الملائكة والحفظة تسجل عليهم صغيرها وكبيرها ، ثم يحاسبون عليها يوم القيامة .

قال تعالى : إِذْ يَعَلَقُى الْمُعَلَّمُهَانِ عَنِ الْمِعِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ هِ مَا يَلْفِطُ مِن قَوْلٍ وَلا لَذَيْهِ رَقِبَ عَتِيدٌ , (ق: ١٨ . ١٨). وقال يعنى بن معاذ :

من ستر من الناس ذنويه وأبداها للذي لا يشفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض ، فقد جعل ربّه أهرن الناظرين إليه .

* * *

تنزيه الله سبحانه عن الولد والشريك

﴿ فَأَمْ إِن كَانَ لِلرَّحْنَ وَلَدُّفَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمَنْدِينَ ۞ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ الْمَعَ مَالْمَيْدِينَ وَهُ الْمَاكِيدِينَ ۞ مُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ الْمَعَ مُلْكُولُونَ هُمُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ وَفِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَنَهُمَا وَعِندَهُ، عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ ثُرِّجَعُونَ وَالْمَرْضِ وَمَا يَتَنَهُمَا وَعِندَهُ، عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ ثُرِّجَعُونَ ۞ وَلَيْهِ ثُرِّجَعُونَ ۞ وَلَا يَشْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللللللللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ

المطردات

هاننا أول السابدين ، المنقادين ، وهو جمع عابد .

سبحان رب السماوات، تنزيهًا له عن كل نقص .

عمايصغون ، عما يقولون كذبًا بأن له ولدًا.

و خود و الله الكان في باطلهم مسلك الذائضين في الماء .

ويصل عسي واء في دنياهم .

يـــومــهـــم ، يوم القيامة .

إلــــــه، معبود بحق لا شريك له .

الحبكيم، في تدبيره.

العليم عباده .

ت_____ارث، تعالى وتعاظم.

وما بيئهما؛ كالهواء وجميع المخلوقات.

السطعك، القيامة .

إلا من شهد بالحق ، بالترحيد عن علم ويصيرة .

فأتى يــؤه كـون افكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادته تعالى .

وق ريس اسه ، معطوف على الشَّافَة ، أي : وعنده علم الساعة ، وعلم قيله : أي قول محمد ﷺ ، والقيل والمارة والقيل والمقالة والقال بمعنى واحد ، وفي الخبر : «نهي عن قيل وقال» .

شاصيفيج عشهم؛ أعرض عنهم ، أو اعف عنهم عقو المقرِض ، ولا تقف عن التبليخ .

وقسسان سسسالام؛ سالام متاركة وهجران ، لا سالام تحية .

تمهيد:

تبدأ الآيات بأمر الرسول ﷺ أن يقول للمشركين : إن مخالفته لهم لم تكن بغضًا ، بل لاستحالة نسب ما نسبوه إليه سبحانه ، ولو سلمنا جدلاً وكان للرحمان ولد فأنا أول من يعبده ، لكن الرحمان منزه عن ذلك فلذا لا أتجه بعبادتي إلا إلى الله وحده ، سبحانه تنزه عن الصاحبة والوك .

ثم يهددهم بالساعة وبالحساب والجزاء ، ويفهمهم أن الله له ملك السماوات والأرض ، فهو منزه عر المخلوقين في حاجتهم إلى الولد .

والأصنام والملائكة وعزير وعيشى وسائر المعبودات ، لا تملك أي نفع كالشفاعة في الآخرة ، وأ، المشركين متناقضون حين يقرّون لله وحده بالخلق، ثم يعبدون معه غيره ، وأن حسابهم آت يوم القيامة

التقسيره

٨١ – قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَلَا أَوْلُ ٱلْعَالِمِينَ .

لست أخالفكم عن عناد أو كراهية لكم ، ولكن ليقيني بوحدانية الله ، ولو فرضنا جدلاً أن له ولدًا لكنت أول العابدين له ، المحطَّمين لهذا الولد ، كما يتقرب الإنسان إلى الملك العظيم بتعظيم ولده ، ولكنه جلَّ وعلا منزه عن الزيجة والولد .

قال القرطبي :

وهذا كما تقول لمن تناظره : إن ثبت ما قلت بالدليل فأذا أول من يعتقده ، وهذا مبالغة في الاستبعاد، وترقيق في الكلام .

وقال العابري : هن ملاطقة في الخطاب.

وقال البيضاوى: ولا يلزم من هذا الكلام صحة وجود الولد وعبادته له ، بل المراد نفيهما على أبلخ الوجوه ، وإنكاره للولد ليس للعناد والمراء ، بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به ، فإن النبيّ يكون أعلم بالله ، ويما يصبح له وما لا يصبح .

٨٧ - شُبْحَانَ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبُّ ٱلْعَرْشِ حَمًّا يَعِيفُونَ .

أي: تنزه وتقدس الخالق العظيم المبدع ، رب السماوات والأرض ، ورب العرش العظيم ، عما يصفه به الكافرون من نسبة الولد إليه .

قال ابن كثير:

أى: تعالى وتقلُّس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد ، فإنه فرد صعد ، لا نظير له ، ولا كفء له ، فلا ولد له .

٨٣ - فَلَرْهُمْ يَحُو طُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ .

اترك هؤلاء المشركين يدخلون في باطلهم وضالالهم ، ويلعبون في دنياهم وغيّهم ، حتى يجبههم يوم القيامة ، وسوف يجدون فيه من الأهوال ما يعجز عنه الاحتمال .

وقال عكرمة وجماعة : إنه يوم بدر ، وقد وُعِدُوا الهلاك فيه .

٨٤ - وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَنَّهُ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَنَّهُ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ .

هو سبحانه منزه عن الولد، وأيضًا منزه عن المكان، والكيف والكمِّ والطول والعرض.

قال تعالى : لَيْسَ كَمِعْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَهِيرُ . (الشورى: ١١) .

جاء في التفسير المنير ما يأتي:

ظيس له مكان يستقر فيه ، بل له الألوهية والريوبية في الكون كلّه ، وهي كل مكان ، ويستحيل عليه المكان ، لأنه يكون محدودًا محصورًا في جهة معينة له حجم ونهاية ، وتلك صفات الحوادث ، والله منزه عنها ، فلا يحدّه زمان أو مكان ، والحكمة البالغة والعلم الراسم يتنافيان تُم إثبات الولد لله ⁽¹⁰⁾ .

وقال ابن كثير:

وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَيْةً وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَيْةً ...

أى: هو إله من في السماء ، وإله من في الأرض ، يعبده أهلهما ، وكلهم خاضعون له ، أذلاء بين يديه رُحُو آلُحَكِمُ آلَفِيهُ .

وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى : وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَازَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَقْلُمُ سِرَّكُمْ وَجَهُرُكُمْ وَيَقْلُمُ مَا تَكْسِبُونَ . (الأنماء:٣) .

أي : هو المدعو الله في السماوات والأرض ، أ هـ.

٨٥ - وَتَبَارُكُ ٱلَّذِي لَهُمْ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَصِدَهُ، عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

كثرت بركات الله صاحب السلطان المطلق ، والملك التام للسماوات والأرض وما بينهما ، من الهواء . والفضاء ، وأنواع الحيوان والإنسان ، وهو شالق كلَّ شيء ، وهو المختص وحده بالساعة ، لا يجلَّيها لوقتها إلا هو ، وإليه سبحانه مرجع العباد كلَّهم للحساب والجزاء ، فيجازى كل إنسان بعمله : إن خيرًا فخير ، وإن شرا فشر .

٨٦ - وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

لا تملك الآلهة المنهاة هفاعة ولا نفعًا ولا ضرًّا فعبادتها ضائعة ، وشفاعتها مردورة ، وهي ليست . آلهة إلا بدعواهم المرفوضة ، فالأصنام والأوثان ، والعزير وعيسى والملائكة ، وكلَّ ما عُبد من دون الله ، لا يملك شفاعة ولا يقدر عليها ، لكن من شهد بالحق وآمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله واليوم الأخر عن يقين وبصيرة وعلم ، فإنه حرى بأن تقبل شفاعته عند الله تعالى . ٨٧ - وَ لِمِن سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلَّقَهُمْ لَيُقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ .

هناك دلائل الفطرة التي توحي بأن هذا الكون البديع المنظّم لابدُ له من إله مبدع ، فإذا سألت هؤلام. الكفار : مَنْ خَلقهم من عدم ، وأوجدهم في هذا الكون ؟ ليقولن : الله هو الذي خلقنا ، فكيف يصرفون عن عبادته تعالى وحده ؟ وكيف ينصرفون إلى عبادة غيره سبحانه ؟

وقيل: المعنى: ولئن سألت الملائكة وعيسى: مَّنْ خَلَقَهُمْ؟ لقالوا: الله سبحانه وتعالى خلقنا

فَأَنَّىٰ يُؤْفُكُونَ . نكيف يؤنك هؤلاء المشركون ويُصرفون ، وينقلبون عن الحق في ادعائهم إياهم آلهة.

٨٨ - وَقِيلِهِ يَارَبُ إِنَّ هَـ أَوْلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ .

وعند الله تحالى علم الساعة ، وعنده سبحانه علم دعاء نبيه ﷺ ، وشكواه إلى ربه ، وقوله : يارب إن هؤلاء – كفار مكة – قرم لا يرمنون يك ولا برسولك .

قال ابن كثير:

وقوله جل وعلا: وَقِيلِهِ يَنْرُبُّ إِنَّ هَنْوُلاَءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ .

أى: وقال محمد ﷺ لِله . أى: شكا إلى ربه شكوله من قومه الذين كذَّبوهِ ، فقال : يُنْرَبَّ إِنْ مُثَوَّلَاً فِثَوْ لا يُؤْشِرُنَ . قال : يؤثر الله عز رجل قول محمد ﷺ .

وقال قتادة : هو قول نبيكم ﷺ يشكو قومه إلى ربَّه عز وجل . ا هـ .

٨٩ - فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ .

تُختم السررة بهذه الآية الكريمة ترجيهًا للنبى الأمين ﷺ ، أى : انتركهم وسأنهم ، ولا تقابل إساءتهم في استقبال دعوتك بإساءة طلها ، بل هون على نفسك ، واصفح عنهم فعلاً وقولاً ، واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وقل لهم : سلام عليكم ، سلام متاركة وإمهال ، لا سلام محبة وإقبال .

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ .

عاقبة كفرهم وعنادهم ، بالهزيمة في القتال أمام النبي ﷺ ، من بدر إلى فتح مكة ، ثم عنابهم في جهنم ويش المصيو . *

خلاصة ما تضمئته سورة الزخرف

- ١ وصف القرآن الكريم بأنه عربي، متمين في اللوح المحفوظ.
- ٧ الأمر بإنذار قومه ﷺ ، مع غفلتهم وإسرافهم في لذات الدنيا .
- ٣ شأن هؤلاء الكفار في تكنيب الرسول ﷺ شأن من سبقهم من المكدّبين .
 - ٤ اعترافهم بأن الله تعالى خالق السمارات والأرض.
- ذكر جانب آخر من نعم الله تعالى في بسط الأرض ، وتيسير الطرق بحثًا عن الرزق ، وإنزال المطر
 لإحياء الأرض ، وخلق الأزواج في الإنسان والحيوان والنبات ليتم التناسل وإعمار الكون .
 - ٦ -- ذكر الله عند ركوب الدابة وركوب السفينة.
 - ٧ اعتقاد كفار مكة بأن الملائكة بنات الله.
 - ٨ تمسكهم بتقليد الآباء والأجداد، ولو جاءت إليهم ألوان الهداية والرسالة.
 - ٩ جانب من قصة إبراهيم الخليل.
 - ١٠ رغبة كفار مكة في أن ينزل القرآن على رجل غنى عظيم من أهل مكة أو الطائف.
- ٩ ١ حكمة الله العليا في ترزيع الأرزاق، واختياره واصطفاؤه للرسالة من يعلم أنه أصلح لها وأولى بها.
 - ١٢ -- جانب من قصة موسى مع فرعون .
 - ١٣ جانب من قصة عيسى عليه السلام .
 - ١٤ -- وصف نعيم الجنة .
 - ٥١ الأهوال التي يلقاها أهل النار، حتى يتمنوا الموت ليستريحوا مما هم فيه، ولا مجيب لهم،
 - ١٦ متاركة أمل البامل والصفح عنهم حتى يأتي أمر الله.
 - * * *

تم تفسير سورة الزخرف ، بمدينة المقطم بالقاهرة ، مساء الثلاثاء ٢٧ من صفر ١٤٣١ هـ ، الموافق ٢٠٠/٥/٣٠ م ، والحمد لله حمدًا كثيرًا طبيبًا طاهرًا مباركًا فيه ، كما يرضى رينا ويحبّ ، وصل اللهم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحيه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



أهسداف سسورة الدخسان

سورة الدخان مكية ، نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة ، بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، وأباتها ٩٩ أيّة ، نزلت بعد سورة الزخرف ، وقد سميت سورة الدخان لقوله تعالى فيها : فَآرَتَهُّبُ يُوْمَ تَأْتِي السَّمَّاةُ بِلُخَانَ شِينَ . (الدخان : ١٠) .

أفكار السورة

قال الفيروز بادى :

معظم مقصود سورة الدخان هو: نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفار، ومدين موسى ويني إسرائيل وفرعون ، والرد على منكرى البحث ، وذل الكفار في العقوية ، وعز المؤمنين في الجنة ، والمنة على الرسول بتيسير القرآن على لسانه في قوله تعالى : فَإِنَّنَا يُسُونُنُهُ بِلِسَائِكَ تَعَلَّهُمْ يَشَائِكُ لَعَلَّهُمْ يَشَائِكُ لَعَلَّهُمْ وَلَا المنان ، ٥٥).

هضل السورة

سورة الدخان سورة يكثر المسلمون قراءتها ، خصوصًا لهلة النصف من شعبان ، ولهلة القدر في رمضان ، ولهلة الجمعة ، وهي تبدأ ببيان أن القرآن أنزل من السماء في لهلة مباركة ، يحمل الرحمة والهدى من رب المالمين ، ثم تنذر المشركين بالعذاب ، وتذكر طرفًا من قصة موسى مع فرعون ، ثم تذكر مشاهد القيامة ، وقيها نعيم المتقين ، وعقاب المشركين .

ومن السنة قراءة سورة الدخان ليلة الجمعة لتثبيت الإيمان وتقوية البقين بقدرة الله رب العالمين ، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم التى يذكر فيها الدخان فى نيلة الجمعة أصبح منفورًا له» (١٠٠).

سياق السورة

سورة الدخان سريعة الإيقاع ، قصيرة الفواصل ، لها سمات السور المكية ، إذ تشتمل على صور عنيفة متقاربة ، ونذر متكررة ، تشبه المطارق التي تقع على أوتار القلب البشرى . «ويكاد سياق السورة أن يكون كله رجدة متماسكة ذات محور واحد ، تشد إليه خيوطها جميعًا ، سواء في ذلك القصة ، ومشهد القيامة ، ومسارع القيامة ، ومصارع الفابدين ، والمشهد الكوني ، والحديث المباشر عن قضية التوجيد والبعث والرسالة ، فكلها وسائل ومؤثرات لايقاظ القلب البشرى ، واستجاشته لاستقبال حقيقة الإيمان حية نابضة ، كما يبثها هذا القرآن في القلوب» (٢٠٠) .

تبدأ السورة بهذه الآيات القصيرة المتلاحقة ، المتعلقة بالكتاب والإنذار والرسالة والهداية : حمّ ه وَآلْكِتُلْبِ آلْمُهِينِ هِ إِنّا ٱلزَّلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُتَسْرَكَةٍ إِنّا كُنّا صُلْوِينَ هِ فِيهَا يَقْرَقُوا كُلُّ ٱلْهُرِ حَكِيْمٍ هِ ٱلمُرَا مَنْ عِندِنَا إِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ . (الدخان: ١ - ٥) .

ثم تعريف للناس بزيهم ، رب السماوات والأرض وما بينهما ، وإثبات الوحدانية لله المحيى المميت، رب الأولين والآخرين .

ثم يُضْرِب السياق عن هذا الحديث ليتناول شأن القوم : بَلْ هُمْ فِي شَكَّ يُلْتُبُونَ . (الدعان : ٩) .

و يعاجلهم بالتهديد المرعب جزاء الشك واللعب : فَأَرْقَهِبَ يُوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَّاءُ بِلَّحَاوَ مُّينِ مِ يَعْشَى ٱلنَّاسُ هَلَمَا عَمَابُ ٱليمَّ ، (الدهان : ١٠ ، ١٧) .

ثم ذكر ما يكون من دعائهم لله أن يكشف عنهم العذاب، وإعلانهم الاستعداد للإيمان في وقت لا يكبل هـنهم قيه إيمان.

وتذكيرهم بأن هذا العذاب لم يأت بعد ، وهو الآن عنهم مكشوف ، فلينتهزوا الفرصة قبل أن بعودوا إلى ربهم فيكون ذلك العذاب المخيف : يُؤمَّ بُطِشُّ ٱلْبُطْشَةَ ٱلْكُرِّرَى إِلَّا سُجِّعُونُ . (الدعان: ١٦) .

ومن هذا الإيقاع العنيف بمشهد المذاب، ومشهد البطشة الكبرى والانتقام، ينتقل بهم إلى مصرع فرعرن وملبه، يوم جاءهم رسول كريم يدعوهم إلى الإيمان بالله، فأبوا أن يستجيبوا لدعوته، وهموا بالانتقام من موسى فأغرقهم الله، وتركوا وراءهم الجنات والزروع، والفاكهة والمقام الكريم، يستمتع بها سواهم، ويذوقون هم عذاب السعير.

وفي غمرة هذا المشهد الموحى يعود إلى الحديث عن تكذيبهم بالآخرة وإنكارهم البعث وقوزاهم : إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْلَتَا آلُوْ أَوْلِي َمَا لَحِنْ بِمُنْسَرِينَ وَقُلُواْ بِنَائِاتِيَّا إِنْ كُتُمْ صَلْفِيقِينَ . (الدخان ٢٦،٢٠) .

ليذكرهم بأنهم ليسوا أقرى من قوم تبُّع الذين هلكوا لإجرامهم ، ويربط السياق بين البعث وحكمة الله في خلق السماوات والأرض ، فلم يخلقهما عبثًا وإنما لحكمة سامية ، هي أن تكون الدنيا للعمل والابتلاء ، والأهرة للبعث والجزاء . ثم يحدثهم عن يوم الفصل: مِهَّنْهُمُ أَجَمَعِينَ (الدعان: ٤٠). وهنا يعرض مشهدًا عنهفًا لعذاب المكذبين، إنهم يأكلون من شجرة مرائمة ، طعامها مثل الزيت المغلى – وهو المهل -- يغلى فى البطون كغلى الحميم ، ويشد المجرم شدًا فى جذوة وإهانة ، ويصب فوق رأسه من الحميم الذى يكرى ويشوى .

ومع الشد والجذب ، والدفع والعتل والكى ، التأذيب والإهانة ، جزاء الشك والتكذيب بالبعث والجزاء : ذُقَ إِنْكَ أَنتَ ٱلْقَرِيرُ ٱلكَّكِيمُ ، (الدهان : ٤٩) .

وهى الجانب الآخر من ساحة القيامة نجد المتقين في مقام أمين ، يلبسون الحرير الرقيق وهو السندس ، والحرير السميك وهو الإستبرق ، ويجلسون متقابلين يسمرون ويتمتعون بالحور العين ، وبالشلود في دار النميم : فَضَلاً مِّن رِّبُكَ ذَالِكَ مُو ٱلْفَوْرُ ٱلصَّقِيمُ (الدمان : ٧٥).

ثم يأتى الختام يذكرهم بنعمة الله فى تيسير هذا القرآن على لسان الرسول العربى ، الذى يفهمون كلامه ويدركون معانيه ، ويخوفهم العاقبة والمصير ، فى تعبير ملفوف ولكنه مخيف . فَأَزْتُهُبُ إِنْهُم مُرْتَهُونُ ، (الدخان: ٥٩) .

إنزال القرآن في ليلة مباركة

﴿ حَمْ ۞ وَالْكِتَبِ اللَّهِينِ ۞ إِنَا اَنزَلْنَهُ فِي لَيَالَةِ مُّبَرَكَةً إِنَّا كُمَّا مُندِرِينَ ۞ وَمَمَةً مِن زَيِكً إِنَّا مُؤْكِمَ مُونِ فِيهَا يُقْرَفُكُمُ اُمْرِ مِنْ وَمُمَةً مِن زَيِكً إِنَّهُ هُو السَّعِيمُ الْعَلِيمُ ۞ رَبِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنَهُمُّ أَنْ اللَّهُ مُونِينَ مُوفِينِينَ وَيُعِينَ وَيُكُرُ وَرَبُ ءَابَا بِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ بَلْ هُمْ فِي شَقِي لِلَّهَ إِلَّا هُو يُعْنِينَ وَيُعِينَ وَيُعِينَ وَيُكُرُ وَرَبُ ءَابَا بِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ بَلْ هُمْ فِي شَقِي لِلَّهَ اللَّهُ وَلِينَ ۞ كُلْ هُمْ فِي شَقِي لِلَّهَ وَلِينَ ۞ ﴾

المقردات :

والتكتاب المبين: والقرآن الواضع.

السلمة مساركة ، كثيرة البركة ، وهي ليلة القدر على الأصبع .

ي فصل ويبين .

كس أسر حكيهم؛ كل أمر ذي حكمة ، وهو ما قضاه الله من أحوال العباد وحاجاتهم ، ومن أعظم ذلك ذرول القرآن .

مسوقت شيسن ، تطلبون اليقين وتريدونه ، كما يقال : فلان منْجد ، أي : يريد نجدًا .

هى شك يستمهون ، فى تردد ولعب يعبثون ، استهزاء بالنبى ﷺ ، فدعا عليهم قائلا : «اللهم أعنَى عليهم نسبح كسبح يوسف» .

التفسير،

١ - حمّ .

حروف مفصّلة افتتح الله بها عددًا من السور ، لتكون بمثابة الجرس الذي يقرح ، فيتنبه التلاميذ سخول المدرسة . ولأن الكفار كانوا يتواصون بعدم الاستماع للقرآن ، فلما قرع أسماعهم ما لم يألفوه أنمستوا ، وقيل: هى حروف للتحدّى والإعجاز ، ذلك أن الله تعالى طلب من المشركين أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، فطلب الإتيان بعشر سور منه فعجزوا ، فطلب الإتيان بسورة منه فعجزوا ، ولزمهم العجز الأبدى ، وتحدُّاهم القرآن مفتتحًا بعض السور بهذه الأحرف المقطعة ، مرشدا إلى أن القرآن مكرّن من حروف عربية تنطقون بها ، وقد عجرم عن الإتبار، بمثله ، فدل ذلك على أنه من عند الله ، وهو وحى إلهى وليس من صنع بشر.

٧ ، ٧ - وَٱلْكِتَلْبِ ٱلْمُبِينِ ، إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُمَّا مُعلِدِينَ .

أقسم الله تحالى بالكتاب الواضع لمن تدبّره ، على أنه أنزل القرآن الكريم فى ليلة مباركة ، حتى ينذر عباده ويخوّفهم من الإعراض عن الوحى ، ويحترهم من الكقر والإلماد .

اللبلة المباركة

والليلة المباركة على الأرجح هي ليلة القدر ، وهي إحدى ليالي شهر رمضان ، وهي المبحيح أنها إحدى ليالي المشر الأواخر من رمضان ، وقد ابتدأ نزول القرآن الكريم هي ليلة القدر ، فسمى الشيء باسم أوّله تيمنا به ، حيث خاطبت السماء الأرض في هذه الليلة .

فلاخة تتزلات

ذكر السيوطي في (الإتقان) ، والزركشي في (البرهان) أن القرآن الكريم له ثلاثة تنز لات :

- ٩ الشرل الأول : من رب العزة جل جلاله إلى اللوح المحفوظ فى السماء السابعة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: بَلْ هُوَ قُرُوانٌ مُحِيدٌ ه فِي لُوحٍ مُحْفُوظٍ . (البروج: ٢٢، ٢٢) .
- ٢ العزل الثاني : من اللوح المحفوظ بالسماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، وإليه الإشارة يقوله تمالي : إِنَّا أَمْزَلْتُهُ فِي لَبُلَةِ ٱلْقَلْمِ . (القدر: ١).

ويقوله تعالى : شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِينَ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدَّى لَّلنَّاسِ وَيَتَسَنَّتِ مِّنَ ٱلْهُدَّىٰ وَٱلْفُرْقَانِ... (البقرة: ١٨٥)

٣ - التعزل الثالث: من بيت العرّة في السماء الدنيا إلى النبي ﷺ، منجمًا حسب الوقائع والحوادث، غلال ثلاث عشرة سنة في مكة ، وعشر سنوات في المدينة المنورة ، والحكمة في تعدد نزول القرآن الكريم هو التشريف والتكريم لهذا الكتاب الكريم ، حيث أنزله الله ثلاثة تنزلات، وأيضنًا لإلهاب شوق النبي ﷺ، حيث يشعر أن القرآن قريب منه بالسماء الدنيا ، على حدّ قول الشاعر:

وأعظم ما يكون الشوق بومًا إذا دنت الخيام من الخيام

- فالقرآن الكريم نزل جملة واحدة من عند الله العلى القدير إلى اللوح المحفوظ بالسماء السابعة.
- ثم نزل جملة واحدة في لهلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ، قال تعالى : إِنَّا أَنزَ لَتُنهُ فِي لَبُلَةِ الْقَبْرِ . (التبر: ٢).
 - ثم نزل مفرقًا ومنجمًا في شهور السنة كلُّها ، خلال ثلاث وعشرين سنة من عمره الشريف ﷺ .

ويهذا نجمع بين الآفار الواردة التي تفيد أنه نزل في ليلة القدر ، وبين الواقع المشاهد الذي يغيد أنه نزل خلال ثلاث وعشرين سنة .

قال تعالى : وَقُرْءَانًا فَوَقْتُنَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى آلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْتِ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا . (الإسراء: ١٠٦) .

عمره الشريف ﷺ

نزل الوجى على الذبي ﷺ وعمره أربعون سنة ، واستمر نزول الوجى عليه ثلاث عشرة سنة في مكة. وهاجر إلى المدينة وعمره الشريف ثلاث وخمسون سنة ، ومكث تسع سنوات ويضعة أشهر في المدينة ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى وعمره اثنان وستون سنة ويضعة أشهر ﷺ ، ويمكن أن نقابل ذلك بالتاريخ المهلادي فنقول:

- ميلاد الرسول ﷺ سنة ٧٠٥ ميلادية.
- بدء نزول الوحى عليه سنة ٦٩٠ ميلادية.
- هجرته ﷺ إلى المدينة سنة ٦٢٣ ميلادية.
- لحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى سنة ٦٣٣ ميلادية : وهو التاريخ الموافق لسنة ١٠ هجرية.

عود إلى التفسير:

قال ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل :

إِنَّا أَنزَ لَنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُعلوِينَ .

وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئًا بعد شيء .

وقيل : المعنى: ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر.

وقال القرطبي: ووصف الليلة بالبركة لما يُنزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب.

وقال ابن كثير:

إِنَّا كُنَّا مُعلِرِينَ .

أي: معلمين الناس ما ينفعهم وما يضرهم شرعًا ، لتقوم حجة الله على عباده .

2 - فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.

فيها يغرق كل أمر ذي حكمة ، من أرزاق العباد وآجالهم وما يتعلق بهم ، من ليلة القدر إلى مثلها من العام القادم ، حتى إن الرجل ليتزوج ويولد له وقد كتب اسمه في ديوان الموتى .

وقيل : إن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان ، حيث فيها آجال العباد وأرزاقهم وما يمديبهم ، ورفض ذلك المحققون .

وقيل: تبدأ كتابة الآجال والأعمار والأرزاق وشتون الخلق من ليلة النصف من شعبان إلى ليلة القدر من رمضان، وهذا قول يحتاج إلى دليل، وجمهور المفسرين على أن الليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

اللُّ أبن عباس: يحكم الله أمر الدنيا إلى السنة القادمة، ما كان من حياة أو موت أو رزق.

٥ - أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ .

جميع ما نقدّره في تلك اللهلة ، وما نوحي به إلى الملائكة من شثون العباد ، هو آمر حاصل من جهتنا ، بعامنا وتدبيرنا ، فسيحان من أحاط بكل شيء علماً ، ومن بيده الخلق والأمر ، وهو على كل شيء قدير .

إِنَّا كُتَّا مُرْسِلِينَ . نُرسل الرسل والأنبياء لهداية البشر وتبليغهم الشرائع ، ونظام العبادات والمعاملات.

٣ - رَحْمَةً مِّن رُبِّكَ إِنَّهُ, هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ.

إن التشريع والتقدير ، وإنزال الوحى ، وإرسال الرسل ، وإرشاد العباد ، وكل ما يتم فى هذا الكون ، مشتمل على الرحمة والرأفة والفضل من الله تعالى لعباده ، فهو السميع لأقوالهم ، العليم بأفعالهم ، وما أعظم رحمته وفضله على عباده ، فهو الرحمان الرحيم .

٧ - رَبُّ ٱلسَّمَلُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِينَ .

أى: الله تعالى أنزل القرآن الكريم في ليلة القدر بأمره سيحانه ، رحمة بعباده ، وأرسا الرسل وأنزل الكُتب ، وهو سبحانه رب السماوات والأرض ، وخالقهما ومالكهما وما فيهما ، وما بينهما من الهواء والفضاء والمخلوقات . إِنْ كُتُمُ مُّوقِينَ . أَيْ: متحققين في اعتراقكم بأن خالق الكون هو الله سبحانه وتعالى ، أو إن كنتم من ﴿ -أهل الإيمان واليقين ، فاعلموا أن الذي أنزل القرآن هو رب السماوات والأرض وما بينهما .

٨ - لَا إِلَنْهَ إِلَّا هُوَ يُعْمِي وَيُعِيتُ زَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَّالِكُمُ ٱلْأَوْلِينَ .

هو الإله الواحد الأحد، لا رب غيره ، ولا معبود سواه ، لأنه المتصف بصفات الجلال والكمال ، يحيى الأموات ، ويميت الأحياء ، هو خالق الخلق أجمعين من الأمم الماضية ، نعم هو واهب الحياة ، وهو الذي يحيى ويميت ، وهو الرب سبحانه المتصف بكل كمال ، المنزّه عن كل نقص ، ليس معه إله آخر ، هو الهاتمي بعد هذاه الجميع ، والمُلك له وحده يوم القيامة ، سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، ومن يتصف بهذا الجلال والكمال ، إذا أنزل كتابًا كان مشتملاً على غاية السمّ والرفعة .

٩ - بَلْ هُمْ فِي شَكَّ يَلْعَبُونَ .

إن كفنار مكة قابلوا الرسالة والوحى والإسلام ورسالة محمد 義 بالشك فيها والارتهاب، وأهذوا هذا الأمر المظهم والرسالة العظمى والقرآن الكريم مأخذ اللعب لا مأخذ الجدّ، فظلوا في غيهم ولهوهم ولعبهم،

وفيي هذا المعنى قوله سيحانه : أَقَهِنْ هَلَدًا ٱلْحَنْيِثِ تَعْجُرُونَ و وَتَطْحَكُونَ وَلاَ يَكُونَ و وَأَنْتُمُ سَلْمِدُونَ وَ فَآسَجُدُوا لَلْهِ وَآغَبُدُوا . (النجر: ٩٥ – ١٢) .

. . .

تهديد المشركين بالعذاب

﴿ فَارْبَقِبْ يَوْمَ تَأْنِى السَّمَآءُ بِلُّ خَانِ ثَمِينِ ۞ يَخْشَى النَّاسُّ هَنَدَا عَدَابُ أَلِيكُرْ ۞ رَّنَا ٱكْفِفْ عَنَا ٱلْعَدَابَ إِنَامُؤْمِنُونَ۞ أَنَّ لَكُمُ الذِّكْرُى وَقَدْجَآءُ ثُمْ رَسُولُ ثَمِينُ۞ ثُمِّ مَوَلَوَاعَنَهُ وَقَالُوا مُعَلِّمَ عَنُونُ ۞ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَنَابِ قِلِلاَّ إِنْكُرْ عَآبِدُونَ۞ يَوْمَ بَطِشُ الْبَطْسَةَ ٱلْكُثْرَ عَمَّا إِنَّا مُنْفَعُونَ ۞ ۞ ﴾

لمقردات:

بدخان مبين ، واضح بين ، ويراد به الغبار المتصاعد بسبب الجدب .

يقشى الثابس ، يشملهم ويحيط بهم .

اكشف مشاء أرقع عنا.

أنسسي، كيف يكون ، ومن أين .

مسحسلسم؛ يعلمه غلام رومي لبعض ثقيف.

محسلسون؛ لا يعي ما يقول.

نسبسطش: نعاقب بشدة ، والبطش هو الأخذ الشديد في كل شيء ، والبأس.

تمهيد:

أرسل الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ بمكة ، قاشتد تعنَّت المشركين ، وكلُّبوه وحاربوه ، وآذره وعذبوا أصحابه ، فدعا رسول الله ﷺ عليهم .

روى البخارى أن الذبي 義 قال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسفى، ٩٠٠،

فأصاب أهل مكة الجدب والجوح حتى أكلوا العفن أنها والجلود والعظام ، وكانوا ينظرون إلى السماء فيجدون ما يشبه الدُّخان، من شدة الجدب وقلة المطر وشدة الجوح ، فاستغاثوا بالنبى قلام وناشدوه الرُّحم، فدعا الله لهم ، فأنزل عليهم المطر رجاء أن يومنوا ويدخلوا في الإسلام ، ثم توعدهم بالعذاب يوم بدر ، أو . . بوم القيامة ، حيث ينتقم الله منهم انتقامًا شديدًا .

التفسير،

١٠ - فَآرْتَفِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلْسَمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ.

انتظر يا محمد وترقب نزول العذاب بأمل مكة ، جزاء كفرهم وهنادهم ، حتى يشاهدوا في السماء . كهيئة الدُّهان ، من شدة الجدب والجوع والجفاف وقلة المطر.

آخرج البخارى ، ومسلم ، وغيرهما ، عن ابن مسعود قال : إن قريمًا لما استعصوا غَلَى النبي ﷺ ، دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجمل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه ويينها كهيئة الدُّهان من الجَهُد ، فأنزل الله : فَأَرْتُهِمْ يُومَ تَأْتِي ٱلسَّمَاءُ بِدُحَارُ مُعِينَ

فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله ، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت ، فاستسقى ، فسقوا ، فنزلت . ومن المفسرين من رأى أن الآية تشير إلى دخان سيأتى قبيل القيامة ، وهو من علامات الساعة ، يصيب الكافرين والمنافقين بمشقة شديدة ، حتى يخرج الدخان من فتحات أقرامهم وأنوفهم ، ولا يصبب المؤمن منه إلا كهيئة الزكام .

وعند التأمل نجد أنه يمكن الجمع بين الآثار والأحاديث الصحيحة الواردة في الموضوع ، بأن نقول إن الآية العاشرة من سورة الدخان ، وهي : قُلْرَقُبُ يُوْمَ لَأَيِّي ٱلسَّمَاءُ بِلُحُاثٍ مُّسِرٍ . تشير إلى وعيد من الله لمشركي مكة ، بعذاب قادم فهه قحط وجوع رجب ، حتى يشاهدوا في السماء كهيئة الدخان من شدة الجوع.

أما الآية السادسة عشرة من سورة الدخان ، وهي قوله تعالى : يُزُمُ نَطِشُ ٱلْمُشَدَّةُ ٱلْكُبْرَيِّ إِنَّا مُتَعِّمُوثَ . فهي تشير إلى عذاب المشركين في غزرة بدر الكبري ، أر إلى عذابهم بالذار يوم القيامة .

١١ - يَفْلَى ٱلنَّاسَ هَلْنَا عَلَابٌ أَلِيمٌ.

يشمل العذاب جميع الكافرين ، فيجهدهم الجرح والقحط وهيئة الدخان ، فيقُولُون : هذا عذاب مؤلم أشد الألم .

قَالَ الْمَفْسُرُونَ : وكُلَمَا الشَّقَد الجِدبَ الشَّدَ النَّحَانَ تَكَالثُنَّاء فكانَ الرَجِل يحدُث الرجِل فيسمعه ولا يراه ، وذلك قوله سبحانه : يُعْشَى آثَاسُ ... أي : يضمُّهم ويحيط يهم .

هَلْذًا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

يُحتمل أنه قول الله لهم تهويلاً وتقريعًا ، أي : دوقوا هذا العداب الأليم .

ونظير ذلك قوله سبحانه للكافر يوم القيامة : ذُقْ إِنَّكَ أَلتَ ٱلْخَرِيزُ ٱلْكَرِيمُ . (الدهان : ٩٩) .

ويحتمل أن الناس هم القائلون: هَنْهُا عَلَابٌ أَلِيمٌ . حينما يرون الدخان وشدته وأثره في إيلامهم .

١٧ - زُلُنا إِكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ .

عندما اشتد القحط بأهل مكة مثى أبو سفيان ومعه نفر إلى رسول الله ﷺ ، يناشدونه الله تعالى والرُّحم ، وواعدوه إن دعا لهم ، وزال عنهم ما بوم أن يرُمنوا ، أي : إذا كشفت عنا يا ربنا هذا العناب ، فإنا سنؤمن بك ويرسولك ، وقد عدلوا عن قولهم : (سنؤمن) . إلى قولهم : إِنَّا مُؤْمُونًا ، إظهارًا لمزيد الرغبة في الإيمان . ١٤،١٣ - أَلَىٰ لَهُمُ ٱللَّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ ثَبِينٌ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعلّمٌ مّجنُونٌ .

كيف يتذكر هؤلاء ربهم ، ويصدقون في إيمانهم وجبلُتهم وطبيعتهم الإمعان في الكفر والعناد ، فقد جاءهم رسول كريم ، مؤيد بالوحي والقرآن الذي يزلزل الجبال ، ويؤثر في الصمّ الشداد ، وتخشع له الحجارة الصماء ، ومم كل ذلك أعرضوا عن القرآن والإيمان والرسول الفويد بالمعجزات .

رقالوا: مُعَلِّمٌ . يعلُّمه فتى أعجمى عند أحد بنى ثانيف .

مُجُّنُونٌ . تأتيه نوية من الجنون ، فيهرتق بما لا يعرف ، لأنهم رأوا القرآن فوق طاقتهم وفوق طاقة البشر ، فنسبوه إلى الشعر وإلى الجنون ، ولو أنصفوا لقالوا : إنه وحى السماء ، وكلام الله العلى القدير .

قال الإمام فخر الدين الرازى في التفسير الكبير :

إن كفار مكة كان لهم في ظهور القرآن على يد مصد ﷺ قولان :

منهم من كان يقول: إن محمدًا يتعلم هذا الكلام من بعض الناس ، ومنهم من كان يقول: إنه مجنون، والجنّ تلقى عليه هذا الكلام حال تخيِّمُه . ا هـ .

ه ١٦،١ - إِنَّا كَاهِفُواْ ٱلْعَدَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآفِدُونَ * يَوْمَ نَيْفِلشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ .

عندما استفاث كفار مكة بالنبى ﷺ ، رجاء أن يدعو الله لهم بنزول المطر ، استجاب النبى ﷺ ودعا ربّه فأنزل عليهم المطر ، وجاء الخصب وذهب القحط ، لكنهم لا وفاء لهم ، وما إن رأوا الخصب والنماء حتى عادوا إلى كفرهم وتكذيبهم للنبى ﷺ ، فتوعدهم الله تعالى بانتقام شديد وذلك يوم بدر ، حيث قُتلت صناديدهم ، وذُلُ كبرياؤهم ، وقُتل منهم سبعون ، وأسر منهم سبعون وفرّ الهاقون .

ورجح الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره، وابن كثير فى تفسير، أن البطشة الكبرى هى يوم القيامة. جاء فى (صفوة التفاسير) للأستاذ محمد على الصابوني ما يأتى :

قال ابن مسعود : ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ . يوم بدر .

وقال ابن عباس: هي يوم القيامة.

وقال ابن كثير : والظاهر أن ذلك يوم القيامة ، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضًا .

وقال الرازي في التفسير الكبير:

القول بأن البطشة الكبرى هى يوم القيامة أصحّ ، لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذى يوصف به هذا الوصف المظيم ، ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة ، ولما وصفت البطشة يكونها : ٱلْكُبُرَىّ ، وجِب أن تكون أعظم أنواع البطش على الإطلاق ، وذلك إنما يكون يوم القيامة . ا هـ .

* * *

الانتقام من هرعون وقومه

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَا قَبَلَهُمْ فَوَمَ فِرْعَوْتَ وَجَهَةَ هُمْ رَسُولُ كَرِيمُ ۞ أَنَ أَذُوّا إِلَى عِبَادَاللّهِ إِنِّ الكَّمُرْسُولُ أَلِينَ ۞ وَانَ لَا تَقْلُوا عَلَى اللّهِ إِنِي اللّهِ فَاللّهِ ﴿ اللّهِ عَلَى عُدْتُ بِرَفِ وَرَيْبِكُواْنَ تَرَجُمُونِ ۞ وَإِنَ أَرْفُومُوا لِي فَاعَنْوُونِ ۞ فَذَعَارَيْهُ وَأَنَّ هِمُ وَأَنْ ۞ فَأَسْرِ يعِبَادِى لَلْلّا إِنَّكُمُ مُتَّبَعُونَ ۞ وَاتْرُكُوا الْبَحْرِيَعِنَّ إِنَّهُ جُندُّ مُعَزَوْنَ ۞ كَذَ تَرَكُواْ مِن جَنَّتِ وَعُمُونٍ ۞ وَرُدُعِ وَمَقَامِ كَرِيمِ ۞ وَمُنَا إِنَّكُمْ أَسْتَمَاتُهُ وَالْأَرْضُ وَمَاكَانُواْ كَذَلِكُ وَأَوْرَفْنَهَا فَوْمًا ءَاخَرِينَ ۞ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهُمُ السَّمَاتُهُ وَالْأَرْضُ وَمَاكَانُواْ

المفرداتء

أن أدوا إلى عباد الله ، أن أسلموا لي بني إسرائيل ، أو أجيبوا دعوتي وصدقوا رسالتي .

وأن لا تعلوا على الله : وأن لا تتكبروا على الله ، بالاستهائة بوحيه ورسوله .

· يسلطان ميين : بحجة واضحة .

وإنى عمدت بسريس: استجرت به ، والتجأت إليه ، وتوكلت عليه .

أن تسرجه والمون ، الرجم هو الضرب بالأحجار.

المستسر السون ، فخلوني واتركوني .

هــــاساسسور: سِربهم ليلاً ، والإسراء: السير بالليل ، وأما السُّري فهو السير بالنهار.

م نات بسات بساتین .

وعمير عين الماء .

ونـــه مـــه ، وتنعم ، والنَّعمة بالفتح : التنعيم ، والنَّعمة بالكسر : ما أنعم الله به عليك .

ف اك هـ يــن ، متنعمين ، يقال : فكه يفكه فكها : كان طيب النفس مزَّاحًا .

ك دايد الإخراج أخرجناهم .

مُ تُوعَ المعلين .

تمهيده

هذه سررة مكية ، جابهت كفار مكة بما يستحقون ، ثم تكرقهم بمن سبقهم من العكلبين ، حيث اختير الله اللهظ في مصر وملكهم فرعون ، بأن أرسل إليهم موسى رسولاً ، يحمل معجزات متعددة ومعها الثوراة ، فنعاهم إلى ترحيد الله والإيمان به ، وحذرهم من الكبر ومن عدم طاعة الله تمالى ، ومن عدم طاعة رسوله ، لكنهم لم يؤمنوا ، فاشتكى موسى إلى ربّه جرمهم ، فأمره الله أن يسير لهلاً بمن معه ، وعند الطّدة عليه أن يضرب البحر بعصاه ، فهوق البحر بطريق يابس أمن ، فيسير موسى ومن معه إلى الشاطىء الأخر ، وعليه أن يترك البحر على حالته مفتوحاً حتى يغرق فيه فرعون ، الذي أهلكه الله في ماء البحر ، وقد ترك الجنات والعرون والزون والزان النعيم ، فما حزنت عليه السماء والأرش ، وما أمهله الله بل أهلكه مع جنوبه الباغين.

المتقسيس : ١٧ – وَلَقَدْ فَتَنَا كَيْنَهُمْ فَوْمَ فِرْعَوْنُ وَجَآعَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ .

فى الآيات السابقة اختيار لأهل مكة ، حيث رفع الله عنهم المذاب قليلاً ، فعادوا إلى تكنيبهم ، فتوعُدهم الله بالبطشة الكبرى يوم بدر أن يوم القيامة أن هما معًا ، وهذه الآيات تحكى قصة فرعون وملئه، حيث المتبرهم الله بالنعمة ، ويإرسال رسول كريم ، ومعه عدد من المعجزات والآيات ، فقابلوا ذلك بالكنود والعصيان ، فعاقبهم الله بالغرق فى الماء ، والهلاك والعذاب فى الدنيا والآخرة .

> والمراد: أنَّ ما فعله أهل مكة من تكذيب الرسول أمر معروف مألوف في تاريخ البشرية . ومعنى الآية :

ولقد اختبرنا وامتحنًا قبل مشركي مكة قوم فرعون من قبط مصر ، حيث أرسلنا إليهم رسولاً كريمًا في نفسه وفي حسبه ، فالرسل تبعث في أحساب قومها . وفي الحديث الشريف: «يرحم الله أخى موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصير» (٩٠٠).

وأصل الفتنة : وضع الذهب في النار ، امتحانًا وبيانًا لأصله وقيمته ، ثم أطلقت على الاختبار والابتلاء ، مثل اختبار الإنسان بالنعمة والأولاد أو الجاه والسلمان .

قَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا أَمُوالُكُمْ وَأَوْلَكُكُمْ فِيَّةٌ ... (التفاين : ١٥).

أى: إنذا عاملنا قبط مصر وفرعون معاملة المختبر، فأغفقنا عليهم النعم والبساتين والعيون وألوان الخيرات، وأرسلنا إليهم رسولاً كريمًا من أولى العزم من الرَّسل، هو موسى عليه السلام .

١٨ - أَنْ أَذُوٓ ا إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ .

قال ابن عباس :

أن أدّوا إلى الطاعة والإيمان يا عباد الله . أه. .

والمعنى: ادهلوا في ديني وآمنوا بالله رباء ويموسى رسولاً ، إنى لكم رسول من عندالله ، أمين على . هدى السماء .

وقال مجاهد :

أن الدفعوا إلى عباد الله من بني إسرائيل ، حتى أعلَمبهم مَن العذاب والذَّلة ، وأغرج يهم من مصر ، الأنفى لكم رسول أمين .

وأرى أنه يمكن أن تكون الآية محتملة للوجهين معًا ، والله أعلم .

١٩ - وَأَن لا تَعْلُواْ حَلَى ٱللَّهِ إِنَّى ءَالِيكُم بِسُلْطَكْنِ مُّين .

لا تتجبُّروا. ولا تتكبروا على الدخول في دين الله ، والإيمان برسله ، فإني أقدم لكم طائفة من المعجزات والآيات ، والرحى والتشريع ، والجدال بالتي هي أحسن ، فتواضعوا لله وأمنوا به .

• ٢ -- وَإِنِّي عُدْتُ بِرَتِّي وَرَبُّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ .

التجأت إلى الله وتحصُّنت به واستجرت به من أن تقتلوني .

قال القرطبي :

كأنهم ترعدوه بالقتل شاستجار بالله ، ويطلق الرجم على السب والشتم ، والإيذاء المعنوى كما قال ابن عباس ، كما يطلق على الرمي بالحجارة والقتل كما قال قتادة . وأرى أنه يمكن أن يطلق على الإيذاء المعنوى ، والإيذاء الحسى ، أى : أستعيذ بالله أن تشيعوا عنى الإشاعات المُغرضة، أو تقذفوني بالحجارة .

٢١ - وَإِن لُمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَآعْتَزِلُونِ .

إذا لم تدخلوا فى دينى ولم تؤمنوا برسالتى ، وظللتم على الكفر ، فإنى أدعوكم إلى المسالمة والمهأّدنة ، وليمض كل منّا فى طريقه إلى أن يقضى الله بيننا ، وفى هذا المعنى قوله تعالى : لَكُمُّ فِيتُكُمُّ وَلَيْ فِيْنِ . (الكافرين: ١٠) :

أى: نختلف فى العبادة والاتجاه والدّين ، ولكن توجد بيننا مسالمة وحياد مع عدم الإيذاء ، وهى أرقى خطة يدعو العباد م الإيذاء ، وهى خطة يدعو العالم المتحضر إليها ، ويزعم أنها من ابتكاره ، خطّة حماية الأقلّيات ، واحترام حقوق الإنسان ، وعدم العدوان على الضعفاء والمسالمين والمدنيين ، وهى خطة رسالات السماء التي دعا إليها الإسلام فقال القرآن: لاّ إكْرَاة في الذّين قَلد يُّينَ الرُّشَةُ مِنْ أَلْفَى الْسِرَةِينَ : ٢٥٦) .

وقد نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كانت عنده جاريتان ، فقال : يا رسول الله ، عرضت عليهما الإسلام فأبتا ، أفلا أكرههما على الإسلام : فأنزل الله تعالى : لاّ إِكْرَاهَ فِي ٱلنَّيْنِ ... فامتنع الأنصاري عن إكراههما على الإسلام .

٢٢ - فَدَعَا رَبُّهُ أَنَّ هَـٰ أَوُّلَاهِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ .

ُ طال مكث موسى بينهم ، وقدَّم إليهم حجج الله تعالى عليهم ، وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا ، فدعا الله أن ينتقم منهم ، فاستجاب الله دعامه فيهم

كما قال تبارك وتعالى : وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّناۚ إِنْكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَاَهُرَ رِيَقَةُ وَأَمْوَالاً فِي ٱلْحَيْرِةِ ٱللّٰذِي رَبِّنَا لِيُعِيلُواْ عَن سَبِيلِك رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَ الْهِمْ وَٱشْلَدُ عَلَىٰ لَلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَوْوَا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ وَقَالَ قَدْ أُجِينَت دَعْوَتُكُمَّا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَعْبَدَانَ سَبِلِ ٱللَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . (يونس : ٨٥ . ٨٥).

وهكذا كان دعاؤه هذا ، ومعناه : إن هؤلاء قوم مجرمون ، يستحقون تمجيل العذاب .

٢٤٠٢٣ - فَأَسْر بِعِبَادِي لَيْلاً إِنْكُم مُتَّبَعُونَ ، وَآتُرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُقْرَلُونَ .

تلك معجزة إلهية كبرى ، فقد اشتكى موسى إلى ربه من إجرام فرعون وقومه ، فأمره الله أن يسير بعن آمن من بنى إسرائيل ليلاً ، فالليل ستر وظلام للهارب ، وفيه يسرّ للمسافر ، حيث يحفظه من شدة الحرّ ، ويبسر على الدواب الحركة ، بعيدًا عن وهج الشمس ومشقة الهجير .

إِنَّكُم مُتَبَّعُونُ :

إن هرعين وقومه سيتبعونكم رغبة في الانتقام منكم ، وقد سار موسى وقومه ليلاً ، وأحسُّ فرعين ﴿ يهريه ، فجمع جيشه وخرج وراءه ليدركهم، ويعاقبهم ، عندئذ قال أصنماب موسى : إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مُعِيَّ رَبِّي سَهَاْيِينَ . (الشعراء ، ١٢ ، ١٢) .

فأمره الله أن يضرب البحر بعصاه ، فضرب موسى البحر فانفلق ، فصار كل فرق كالعلود العظيم ، أي صارت كل تاحية من الماء كالجبل للعظيم المرتفع ، وأمره الله أن يسير في طريق يابس مريح آمن ، ولما انتقل موسى ومن معه إلى الشاطىء الآخر ، أمره الله أن يترك البحر على حالته ، لأن فرعون وجنوبه سيسيرون خلفكم ، فنفرقهم عقابًا لهم .

رُهُوًا . ساكنًا منقرجًا على هيئته بعد أن تجاوزه موسى ومن معه .

إِلَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ .

أي : إن قرعون وقومه سيفرقون فيه .

كما قال تعالى : وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا وَلَىٰ مُوسَىّ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَأَصْرِبْ نَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَيْسًا لَا تَخَلَفُ ذَرَكًا وَلاَ تَخْشَىٰ . (مه : ٧٧) .

قال ابن كثير وابن جزى وغيرهما :

وَٱثْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ .

وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وينو إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ، ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون قلا يصل إليهم ، فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكذًا ، ويشره بأنهم جند مغرقون فيه ، وأنه لا يضاف دركًا ولا يضفى .

قال ابن عباس:

وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَقْوًا ... كهيئته وامض.

وقال مجاهد:

رُهُوًا . طريقًا يابسًا كهيئته ، يقول : لا تأمره يرجع ، اتركه حتى يدخل فيه آخرهم .

٥٧،٧٦٠ - كَمْ تَرَكُواْ مِن جَمَّلتِ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَلَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَلكِهِينَ .

ما أكثر النعم التى كانوا يتمتعون بها ، لقد تركوا كثيرًا من البساتين والحدائق الغنّاء ، والأنهار والعيون الجارية ، والمزارع العديدة فيها أنواع المزروعات ، ومجالس ومنازل حسنة ، ومحافل خاصة ، ونوار خاصة ، ومجالس شريفة ، وغير ذلك من صنوف النعم التى كانوا يتمتعون بها ، مع الحسن والنضارة والرفاهية ، وكمال السرور .

قال الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير:

بيّن الله تعالى أنهم بعد غرقهم تركرا هذه الأشياء الخمسة ، وهي : الجنات ، والعيون ، والزروع ، والمقام الكريم — وهو المجالس والمنازل الحسنة — ويُعمة العيش — بفتح النون — وهي حسنه ونضارته . ! هـ :

٧٨ - كَذَا لِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا عَاحَرِينَ.

أى: كذلك فعلنا بهم حيث أهلكناهم ، وأورثنا منازلهم وملكهم وديارهم قوماً لكرين ، فما مضى عليهم إلا وقت يسير، بين أن كانوا فى نعمة وملك وزروع ، وجنات ومقام كريم ، إلى أن صاروا غرقى وقتلى وهلكى ، يتعرضون لخزى الدنيا وغذاب الآخرة ، ثم صار الملك والتعيم لأخرين ، فسيحان المعرّ المذلّ.

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَثِلِكَ ٱلْمُلْكِ وَثِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَعَزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ وَعُورٌ مَن تَشَاءُ وَعُذِلٌ مَن تَشَاءُ وَعُدِلَ ٱلْمَيْرُ، إِلَّكَ عَلَىٰ كُلِّ هَٰذِيهُ لَكِيرٌ . (لا عمران : ٢٧) .

آراء العلماء فيمن ورث فرعون

(1) ذهب بعض المفسرين إلى أن القوم الآخرين الذين ورثوا ملك فرعون وقومه ، هم بنو إسرائيل .

قال ابن كثير:

والعمواد بهم بدو إسرائهل ، فقد استوادل - بعد غرق فرعون وقومه - على العمالك القبطية ، والبلاد العصوية، كما قال تعالى : وَأَوْرَكُنَا ٱلْقُوْمُ ٱللَّهِنَ كَاتُوا أَيْسَتَطْمُونَ مَشْارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَصْرِيَهَا الْقِي بَنْرِكُنَا فِيهَا وَبَعْنَ كَلَيْتُ رَبُّكَ آلْحُسَنُعْ عَلَىٰ بَيْنِ إِسْرَائِيلُ بِمَا صَبْرُوا وَتَحُونًا مَهَ كَانَ يَعْشَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُمُ وَمَا كَافُوا يُشْرِطُونَ ، (الأعراف: ١٣٧).

وكما قال سبحانه: كَلَا لِكَ وَأَوْرُثْنَاهَا بَنِي إِسْرَ آمِيلَ. (الشعراء: ٥٥).

(ب) وقال آخرون :

المقصود من الآية أنهم ورثوا ملك فرعون فى أرض الشام التى هاجروا إليها ، وكانت تابعة لمصر فى عهد فرعون(٢٠٠ ، ولم يثبت تاريخيًّا أنهم عادوا إلى مصر بعد أن هاجروا إلى الشام .

(ج) وذكر الأصناذ سيد قطب في ظلال القرآن ما يأتي :

كُمْ تَرَكُواْ مِن جَنْدَت وَغُيُون ، وَزُرُوعٍ وَمَقَام كَرِيم ، وَنَعْمَة كَانُواْ فِيهَا فَلكِهِينَ ، كَذَالِك وَأُورْثَنَهَا قَوْمًا وَاحْرِينَ .

ويبدأ المشهد بصور النميم الذي كانوا فيه يرفلون : جنات ، وعيون ، وزروع ، ومكان مرموق ينالون فيه الاحترام والتكريم ، ويُمعة يلتنرينها ويطعمونها ، ويعيشون فيها مسرورين محبورين ، ثمّ يُنْزع هذا كلّه مشهر ، أو ينزعون صفه ، ويرفه قوم آخرون .

وفى موضع آخر قال: كَلَالِكَ وَأُوْرَثُنَهُا بَيْنَ إِسْرَاعِيلَ . (الشعراء: ٥٩).

وينو إسرائيل لم يرثوا ملك فرعون بالذّات ، ولكنّهم ورثوا ملكًا مثله في الأرض الأخرى ، فالمقصود هو نوع الملك والنعمة الذي زال عن فرعون وملته ، وورثه بنو إسرائيل ، ثم ماذا ؟ ثم نعب هزّلاء الطفاة الذين كانوا مله الأعين والنفوس في هذه الأرض ، ذهبوا قلم يأسّ على نهابهم أحد ، ولم تشعر بهم سماء و لا أضر الا !

٢٩ - فَمَا يَكَتُ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ .

لم تحزن عليهم السماء ولا الأرض ، لظلمهم وعدوانهم وتجبرهم ، حيث كانوا نفمة نشأزًا في هذا الكون ، الذي يخضع لأمر الله ويطيع أمره ، أما الظالم المتحيّر فهو يسير عكس الاتجاه ، حيث قال سبحانه للسماء والأرض عندما أراد خلقهما : آلْنَيّا فُوْعًا أَوْ كُرُهًا قَالَتًا أَنْشًا طَالِعِينَ . (هملت: ١١) .

فالمرَّمن الصالح متوافق مع هذا الكون ، تدعو له الملائكة ، ويسلَّم عليه الصالحون في كلُّ تشهد للصلاة ، ومن دعاء التشهد : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

وفي الحديث النبوى الشريف: وأن العبد الصالح إذا مات بكاه من الأرض موضع سجوده، ومن السماء مصعد عمله، ثم تلا رسول الله ﷺ: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَالُواْ مُنظَرِينَ.

من تفسير القاسمي

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ...

قَالَ الْرَمْخَشْرِي : إذا مَات رجلٌ خطير ، قالت العرب في تعظيم مهلكه : بكت عليه السماء والأرض ، ويكته الريح ، وأظلمت له الشمس .

قال جرير في رثاء عمر بن عبد العزيز :

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا ياخير من حج بيت الله واعتمروا حُبّت أمرًا عظيمًا فاصطبرت له وقبت فيه يأمر الله يا عبرُ

فالشمس كاسفة ليست بطالعة تبكى عليك نجوم الليل والقمر

وقالت ليلي بنت طريف الشيباني الخارجية ، ترثى أخاها الوليد بن طريف وقد مات قتيلا:

أبا شجر الخابور مالك مورقا كأنك ثم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل ، مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه .

وعن النجسن: فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون ، بل كانوا بهلاكهم مسرورين ، يعنى فما بكى أ عليهم أهل السمأه وأهل الأرض .

وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ .

أى: مؤخرين بالعقوبة ، بل عوجلوا بها زيادة سقط عليهم (١٦٠).

وقال الإمام ابن كثير:

فَمَا بَكُتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ .

أى: لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد إلى أبواب السماء فتبكى على فقدهم ، ولا لهم بقاع في الأرض عبدرا الله فيها ففقدتهم ، فلهذا استحقرا ألا يُنظريا ولا يُرُخروا . ا هـ .

نقم وابتلاء

﴿ وَلَقَدْ نَجَيْنَا بَنِيَ إِسْرَةِ بِلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْشُهِينِ ۞ مِن فِرْعَوْثُ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ وَلَقَدِ الْخَنَّرَنَّهُمْ عَلَىٰ عِـلَمِ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ ۞ وَءَالْيَنَتُهُم مِّنَ ٱلْاَينتِ مَافِيهِ بَلَمْثُوالْمُبِيثُ ۞﴾

المقردات :

المستاب الهون والشديد الإهانة والإذلال.

ماليا : جيازًا متكبرًا .

من المسرهين، في الشر والفساد.

اخترنساهسم ، اصطفیناهم .

عملسي عملهم ، عالمين باستحقاقهم ذلك أو على معرفة بحالهم .

الأيسسسات؛ المعجزات، كفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوي.

بسلاء مسيين ، اختبار ظاهر .

تەپىد :

فى أعقاب غرق فرعون ، يتحدث القرآن عن أنعم الله على بنى إسرائيل ، فقد نجاهم الله من الخذاب المخذاب المخذاب المخذي ، حيث كان فرعون يقتل أطفالهم الذكور خوفا منهم ، ويترك الإناث أحياء الخدمة ، وفى ذلك بلاء أي بلاء - حيث لا تجد الإناث رجالا يتقدمون للزواج منهن ، ويترتب على ذلك فساد وحرمان وإذلال ، بسبب تجبر فرعون وإسرافه فى الشر والعدوان ، وقد لفترنا بنى إسرائيل لدور فيه كرامة ، على معرفة بعنادهم وصلفهم ، وأظهرنا لهم معجزات باهرة ، مثل: فلق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى

لتفسير

٠ ٣٠ ، ٣ - وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيَ إِشْرَاعِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مَّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ .

أخبر الله فيما سبق أنه أهلك فرعون وجنوده ، وكان في هلاكهم نعمة كبيرة على بنى إسرائيل ، فقد كان فرعون يستذلهم ويذبح أبذاءهم ويستحيى نساءهم ويتفنن في إيذائهم ، كما قال تعالى : إِنَّ فِرْعُونَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَطْلُهَا شِيئًا يُسْتَعْفِهُمُ طَآلِفَةً مُنْهُمُ يُلِنَّحُ أَبْنَاءُهُمْ وَيُسْتَعَمِّحِهِ لِسَآءَهُمْ إِلَّهُ كَانَ مِنْ آلْمُصْبِعِينَ . (اقعمس - ٤). وقال سبحانه : فَأَسْتَكُبُرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ . (المؤمنون : ٤٦) .

ومعنى الأيتين (٣٠-٣) من سورة النّخان : ولقد أنعمنا على بنى إسرائيل ، حيث نجيناهم من العذاب الأليم المزرى بهم ، من قتل الذكور واستحياء الإناث للخدمة والاستعباد ، لقد كانت هذه النجاة من العذاب الأليم المزرى بهم ، من قتل الذكور واستحياء الإناض الخدمة والاستعبار المسرف فى الكفر بالله وادعاء الألوهية ، حيث قال : أَنَّا زُبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ .

(الناعات: ٢٤)

٣٧- وَلَقَدِ ٱخْتَرْ نَلْهُمْ عَلَىٰ عِلْمِ عَلَى ٱلْعَلْلَمِينَ .

أى: اخترناهم وامنطفيناهم لميراث الأرض، حيث قادهم يوشع بن نون من بعد موسى ، ففتح بهم أريحا وأطاح بالشرك في هذا الإقليم ، أى: اخترناهم عالمين باستحقاقهم لهذا الميراث على عالمي زمانهم.

وقيل : المعنى : اعترناهم مغ علمنا بأنهم ستكون لهم عيوب ورذائل فى المستقبل مثل تحريف التوراة، وتحريف الكلم عن مواضعه ، لكن كانت لهم قيادة صالحة تَقُوّمُ ما هم عليه من تلكن ومن انحراف والتواه «مما يشير إلى أن اختيار الله ونصره لهم قد يكون لأنهم أفضل أهل زمانهم ، ولو لم يكونوا قد بالمؤا مستوى الإيمان العالى ، إذا كانت فيهم قيادة تتجه بهم إلى الله على هذى وعلى بصيرة واستقامة، ٣٠٠.

٣٣- وَعَالَيْنَاهُم مِّنَ ٱلْآيَلَتِ مَا فِيهِ بَلَكُوَّا مُّبِينٌ .

أعطيناهم من المعجزات والكرامات ما فيه اختبار ظاهر ، حيث أنزل الله عليهم المن والسلوى ، واستخلفهم في جانب من أرض الشام ، حتى إذا تم امتحانهم وانقضت فترة استخلافهم ، أخذهم الله بانحرافهم ، وسلط عليهم من ينتقم منهم ويشردهم في الأرض ، وكتب عليهم الذلة والمسكنة وتوعدهم أن يعودوا إلى النكال والتشريد كلما بغوا في الأرض إلى يوم الدين .

في أعقاب التفسير فساد بني إسرائيل في الأرض

وفي صدر سورة الإسراء أفاد القرآن الكريم ما يأتي :

- (أ) لبنى إسرائيل إنساد في الأرض متكرر ، وهناك مرتان هما أعلى هذا الإنساد .
 - (ب) يسلط الله عليهم في الإفساد الأول من ينتقم منهم ويخرب ديارهم.
 - (ج) يستردون عافيتهم ، ويمدهم الله بالمال والرجال .
- (د) كلما عادوا إلى الإساءة سلط الله عليهم من ينتقم منهم ، ومن يخرب هيكلهم ومن يهدم ممتلكاتهم .

ويفيد المؤرخون أن أفضل أيام بنى إسرائيل كانت أيام ملك داود وسلهمان عليهما السلام، فم كان الإفساد الأول حيث سلط الله عليهم بختنصر البابلي سنة ٢٠٦ قبل الميلاد ، ثم ساعدهم قدرش الفارسي الذي تزوج من يهودية ، فحسّنت له مساعدة اليهود حتى استردوا ملكهم وأعادوا بناء هيكلهم سنة ٢٧٦ قبل الميلاد، ثم ما لهثوا أن عادوا إلى الإفساد والظلم ، ثم سلط الله عليهم في الإفساد الثاني الرومان بقيادة تيطس سنة ٧٠ م ، وقد كان إذلالهم في المرة الثانية أشد وأنكي ، وقد تفرق اليهود في البلاد بعد هزيمتهم الثانية وأصبح تاريخهم ملحقا بتاريخ العمالك التي نزلوا فيها، ولم يرجع اليهود إلى فلسطين إلا في العصر الحديث.

الآيات التي تحدثت عن فساد بني إسرائيل

قال ندمانى : وَقَطَيْنَا ۚ إِلَىٰ اَتَى إِسْرَاعِيلَ فِي الْكِتْسَبِ لَلْفَسِدُنَّ فِي الْأَوْضِ مُوَنَّيْنِ وَلَعَلَنُّ عَلُوا كَبِيرًا وَ لِإِذَا مِلَّا اللّهَ وَكَانَ وَعَلَمُ الْمُلُوَّ وَلَمَّ الْمُوَّا عَلَمُ الْمُوَّا عَلَمُ الْمُوَّا عَلَمُ الْمُوَّا عَلَمُ اللّهُ اللّهَ الْمُوَّا عَلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ ال

مناقشة الشركان

﴿ إِنَّ هَنُوُلَا التَّهُولُونَ ﴿ إِنْ هِنَ إِلَا مَوْنَتُنَا ٱلْأُولَى وَمَا تَحَنُّ بِمُنشَرِينَ ﴿ فَأَقُوا إِنَا بَآيِا آ إِن كُنتُمْ صَدِيفِينَ ۞ أَهُمْ حَيْرًا أَمْ قَوْمُ تَبَعِ وَٱلَّذِينَ مِن قَلِهِمْ أَهَلَكُنَا أُمَّ إِنَّهُمَ كَانُوا بُحْرِمِينَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا هُمَا اللَّهُ إِلَيْفَ فَي وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهُمَا لَعِيدِ ﴾ ۞ مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا إِلَيْفِي وَلَكِنَ أَحْتُمُ مُم لَا يَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَنَا تُهُمُ أَجْمَعِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُعْنِي وَلَا مَن مَوْلَ مَنْ مَوْلَ مَنْ مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَلْ مَا مُعْمَالِهُ مَا مُولَى مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلِ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَن مَوْلَ مَن مَوْلَ مَا مَوْلَ مَا مَوْلَ مَا مُولَى مَن مَوْلَ مَا مُولَ مَا مُولِي مَن مَوْلِ مَا مَوْلَ مَا مُولِي مَن مَوْلِ مَا مُعْمَامِ مَا مَوْلِهُ مَا مُولِقُولُونَ مَا مُولِقُولِ مَا مُولِي مَا مَا مُولِمَامِ مَا مُولِمُ مَا مُولِقُولُ مَا مُولِمُ مَا مُولِمُ مَا مُولِمُ مَا مُعَمِولُونَ مَالْمُولِمُ مَالْمُولِمُ مَا مُولِمُ مُولِمُ مُنْ مُولِمُ مُولِمُ مُولِمُ مَا م

المقردات :

فراه و مشركي مكة .

موت ترا الأولى؛ الموتة التي نموتها في الدنيا، ثم لا نحيا ولا نبعث بعدها.

بمنش ري مسين ، بمبعوثين بعد الموت ، يقال : نشر الله الميت وأنشره ، أي : أحياه بعد الموت .

قسسوم تُسَيِّسع، تَيِّعُ المميري الأكبر ملك اليمن ، الذي جيشُّ الجيوش وفقح المدن ، وكان مؤمنا وقومه كافرين ، ويُبَّر لقب لملك سبأ ، كلقب كسري لملك الفرس ، ولقب قيمس لملك الروم .

لاصبين ، لاهين عايثين .

يسوم السخمسل: يوم القيامة ، سمى بذلك لأن الله يفصل فيه بين الحق والباطل .

مسيحة السهم، وقت حسابهم وجزائهم ، مشتق من الوقت .

الإيفان موان عن موان شبئا؛ لا يغنى الذين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا شيئا عن أنفسهم في الآخرة .

تتهد

بدأت السورة بحديث عن مشركي مكة ، ثم انتقلت للحديث عن فرعون وقومه من قوله تعالى : وَلَقَدْ فَتُنَا لَيْلُهُمْ فُومَ فِرْعُونَ رُجَّا تَحُمُّ وَسُولٌ كُرِجٌ . (الدهان : ١٧) .

ويعد انتهاء قصة فرعون وغرقه ونجاة بنى إسرائيل عاد الحديث عن هولاء المشركين ومناقشتهم في أقوالهم ، فهم ينكرون البعث والحشر والحساب والجزاء ، ويطلبون إحياء من مات من آباتهم ليسألوهم : هل محمد صادق في ادعائه أن الله أرسله ؟ ثم يبصرهم القرآن بأن الله تعالى أهلك قوم تبع والذين من قبلهم، كماد وثمود ، وقد كانوا أكثر من أهل مكة عددًا وعدة ومع ذلك أهلكهم الله ، فليعتبروا بذلك حتى لا يصيبهم ما أصاب من سبقهم ، ثم يقدم القرآن الأدلة العقلية على وجوب البعث والحشر والجزاء والحساب ، حتى نكافا المحسن ويُعاقب المسيره .

التفسيره

٤ ٣ ، ٣٥- إِنَّ هَلَوُلَاءِ لَيْقُولُونَ ، إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا لَمُنْ بِمُنشرينَ .

إن مشركي مكة لهنكرون البعث والحشر والجزاء ، ومن ثم يقولون : سنموت مرة واحدة في الدنيا ، ويعد الموت لا حشر ولا ننشر ولا بعث ولا حساب ، وهذا كقوله تعالى : وَقَالُوٓا ۚ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَّاتُنَا ٱللَّيْا وَمَا لَعَنْ مِبْعُوْلِينَ. (الأنداء: ٢٩)

٣٦- فَأَثُواْ بِثَابَآئِا إِن كُتُمْ صَالِقِينَ .

قال كفار مكة للنبي ﷺ: إن كنت صادقا فيما تقول ، فادع الله أن يحيى لنا رجلين من آبائنا ، منهم . قصى ً بن كلاب فإنه كان حكيما صادقا ، لنشاوره في صدق رسالتك ، وفي صمة البعث والنشر والحساب والجزاء .

وتلك حجة وإهية ، فقد جمل الله الدنيا للاختبار والابتلاء ، وجمل الحشر والنشر والجزاء إنما هو يوم القيامة حيث يعيد الله العالمين خلقا جديدا ، والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد ، ولا يغير الناموس الإلهى من أنجل رغبة المشركين ، لذلك أهمل القرآن الإجابة على طليهم ، وقال سبحانه :

٣٧- أَهُمْ غَيْرٌ أَمْ قَرْمُ تُبِّع وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكُنْكُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُحْرِمِينَ .

تأتى هذه الآية لتفتح عيونهم على واقع مشاهد ، هو أن الله أهلك قوم تَبُّع فى بلاد اليمن المجاورة لهم، وكانوا أكثر حضارة وقوة ومنعة ، كما أهلك كثيرا من المكذبين ، مثل عاد وثمود وفرعون ، أهلكهم الله . لإجرامهم وعتوهم .

وهى هذا المعنى يقول سبحانه : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ لَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ه إِرْمَ ذَاتِ ٱلْهِمَادِ ه ٱلَّتِى لَمْ يُخلَقُ مِثْلُهَا فِي ٱلْهِلَنْيهِ وَنَمُودَ ٱللَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّحْرَ بِالنَّوادِه وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْنَادِهِ ٱللَّذِينَ طَفَوًا فِي ٱلْبِلَدِهِ فَلَكَثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ، فَصَبُّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطُ عَلَنامِهِ وَإِنَّ رَبِّكَ لَبَالْهُومُ سَادٍ . (الفجر: ٦-١٤)

أى : فكما أهلك الله هؤلاء المكذبين ، فهو قادر على إهلاكهم ومعاقبتهم إذا استمروا في كثرهم وعنادهم . ٣٩،٣٨– وَمَا خَلَفْنَا ٱلسَّمَانُوَاتُ وَٱلْأَوْضَ وَمَا يَبْتَهُمَا لَلعِينَ ه مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقَ وَلَلكِنُّ أَكْتُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

هذا الكون البديع المنظم الذي أحكم الله خلقه بنسب معينة ، وتقدير حكيم ، فسبحان الذي أتقن كل شيء ملقه ، وهذا الإتقان ظاهر في كل ما خلق وأبدع ونظم بنسب معينة ، ونظام دقيق ، يسير هذا الكون وفق نظامه ، ثم خلق الله الإنسان وميزه بالعقل ، ومنحه الإرادة والاختيار ، والقدرة على الطاعة والمعصبية ، ولما كانت الدنيا ليست دار جزاء ، بل هي عرضٌ زائل يأكل منها البر والفاجر ، لذلك كان لابد من دار جزاء يتم فيها البعث والحشر والحساس والحزاء ، ومكافأة المحسنين ومعاقبة المجرمين .

ومعنى الآيتين:

لم نخلق هذا الكون عبثًا وباطلاً ، بل خلقنا السماوات والأرض بالحق والعدل ، ومن أجل حكمة عليا هى أن يستدل الناس بهما على قدرة الخالق ، وأن يتأملوا فيهما ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لقلة نظرهم ، فصاروا لا يرجون ثوابا ولا يخشون عقابا .

وفى معنى حاتين الآيتين وددت آيات كليرة فى كتاب الله ، منها حا ود فى آواخد سورة (آل عمران). وفيها يقول الله تعالى : إِنَّ فِى حَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْوَلَغَعِ ٱلْبَيْلِ وَٱلنَّهَادِ لَآيَاتُ لِلَّوْلِي ٱلْأَبْشِيهِ هَ ٱلْلِينَ يَلْكُونَ ٱللَّهَ قِبْنَهُ وَقُلُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَعَكَّرُونَ فِى حَلْقِ ٱلسَّمَانِ" تِوَٱلْأَرْضِ وَآيَا مَا خَلَقَتَ عَدَادًا إِلَيْكُ سُبْحَثَنْكُ فَهَا عَلَيْهِ آلِكُور (ال عمدان : ١٩٠٠).

وأيضًا قوله تعالى: أَلْمَصِيْتُمْ أَلْمًا خَلَقُسُكُمْ عَبَثَا وَأَلَكُمْ إِلَيْنَا لَا تُوجَعُونَ ، فَتَصَلَى اللّهُ الْمَلِكُ الْمَحَقُ لَا إِلَكَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْمُوشِ الْكَرِيمِ ، (الدومانون : ١٩١٩،١٥).

وكدوله عزّ وجل: وَمَا خَلَقَنَا ٱلسَّمَاءَ وَآقَارُ مَنَ وَمَا يَسْتَهُمَا بَسُطِلًا ذَلِكَ عَلَى ٱللّذِينَ كَفُرُوا فَوَيْلُ ٱللّذِينَ كَفُرُوا فَوَيْلُ ٱللّذِينَ كَفُرُوا فَوَيْلُ ٱللّذِينَ وَمَوْلُوا ٱلصَّلْمِتُ عَلَى اللّذِينَ وَاللّهُ اللّذِينَ وَامْدُوا وَعُولُوا ٱلصَّلْمِتُ عَالَمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْتُلُ ٱلْمُنْقِينَ كَالْفُعْدِ . (ص ٢٨٠٧٠). وقد ل الناظم :

ونسي كسل شسيء لسه آيسة

• ٤٠٤٤ - إِنْ يُزِمُ ٱلقَصْلِ مِنْشَهُمُ أَجْمَعِينَ ه يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى عَن مُوْلَى شَيْعًا وَلَا هُمْ يُعصَرُونَ ه إِلَّا مَن رَحْمَ اللهُ إللهُ هُوْ أَنْفَعِلُ عِيضًا وَلَا عُمْ يُعصَرُونَ * إِلَّا مَن رَحْمَ اللهُ إللهُ إللهُ إللهُ اللهِ اللهُ إللهُ هُوْ العَرِيزُ الرَّحِيمُ.

إن يوم القيامة في يوم الغصل ، حيث يقصل الله ويحكم بين الظالمين والمظلومين ، ويفصل بين المالمين والمخلومين ، ويفصل بين المؤمني والكوزاء ، المؤمنين والكوزاء ، والكوزاء ، ومكافئة المسالمين ومعاقبة الكافرين .

قال تعالى : إِنَّ يُوْمُ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَنَّا . (النبأ : ١٧) .

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَن مَّوْلَى شَيْمًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .

فى ذلك اليوم لا يغنى ولى ولا حبيب ولا قريب ولا مديق عن وليه أو حبيبه أو قريبه أو مديقه شيئًا، أي شيء .

إن الحكمة الإلهية اقتضت أن يمود الناس إلى ربهم فرادى كما خلقهم أول مرة ، وقد انقطع التناصر بيشهم ، ذلك الذى كان يربط بينهم فى الدنيا ، حيث موازين الآخرة مختلفة ، وكل امرئ بما كسب رهين ، فلا تناصر بين أب وابن ، ولا بين زوجة وزوجها ، ولا بين أمَّ روادها .

قال تعالى : يَوْمُ يَقِوُ ٱلْمَوْءُ مِنْ أَحِيدٍه وَأُسُّرِ وَأَبِيدِه وَمَسْجِيَةٍ وَبَنِيدِه لِكُلُّ آمْرِي مُنْهُمْ يَوْعَلِدٍ خَانَّ يُعْيِدٍ . (عيس: ٣٤-٢٧)

كان أمل الباطل في الدنيا يتأزرون ويتناصرون ، لكن في الآخرة يكون الجزاء على قدر العمل ، ويتبرأ المتبرعون من التابعين ، ولا ينفم الولي وليه ولا ينصره .

إلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ...

أي: لكن الطائعين المؤمنين الملتزمين يشملهم الله برحمته ، ويظلهم في ظل عرشه .

إنه هو آلَّغَزِيزُ . الغالب القاهر ، مالك الملك ، مَلِك يوم الدين . آلَّرَّجِمُ . الذي يشمل برحمته من يشاء ممن هي أهل لتلك الرحمة ، مستحق لذلك الفضل .

عذاب الجحيم ، ونعيم الجنة

﴿إِنَّ شَجَرَتَ النَّقُورِ ﴿ طَعَامُ الْأَثْنِي ﴾ كَالْمُهْ لِيَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿ كَغَلَى الْمُحْوِنِ ﴿ كَغَلَى الْمُحْوِنِ ﴾ كَغَلَى الْمُحْوِدِ ﴿ مَنْ عَذَابِ الْمَحْوِدِ ﴿ مَنْ عَذَابِ الْمُحْوِدِ ﴿ مَنْ عَذَابِ الْمُحْوِدِ ﴿ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَقَالَ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَمَنْ فِي مَنْ اللَّهُ وَمَنْ فِي مَنْ اللَّهُ وَمُونِ ﴾ يَلْبُسُونَ مِن سُندُ سِ وَاللَّهُ وَمُحْونِ ﴾ يَلْبُسُونَ مِن سُندُ سِ وَاللَّهُ وَوَقَعَ اللَّهُ وَمُونِ ﴾ يَلْبُسُونَ مِن سُندُ سِ وَالسَّمَرَ فَي هُمَ اللَّهُ وَمَنْ فَي اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَالْمُؤْلُ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَمُنْ اللَّهُ وَالْمُؤْلُ الْمُؤْلِدُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلِلِكُونَ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلِقُولُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلِلُولُ اللْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلِلْمُ اللْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلِقُ اللْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلِقُ اللْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ وَلَالْمُؤُلُولُ اللْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَلِلْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ وَلَالْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤُ

المفردات

شجرة الزقوم ، شجرة مرَّة ، شكلها بشع مخيف

الأشيب يسمم ، كثير الآثام والذنوب وهو الكافر.

اللهــــل ؛ دردى الزيت .

الحمسيسم ، الماء الذي تناهى درُ هي

شاهستسلوه؛ جرُّوه بعنف ومهانة ، أو ادفعوه دفعا عنيفًا .

سواء الجحيم، وسط النار.

دمسسترون، تشكون

شي مقام أمين ؛ في مجلس أمنوا فيه من كل هم وحزن .

واسمستبرق ، هو الديباج الغليظ شديد البريق.

حسسب وراء جمع حوراء ، من الحور وهو شدة سواد العين مع شدة بياضها .

عبسسسين ، جمع عيناء ، وهي واسعة العينين .

ووقساهسم ، وحفظهم .

فضيلا ، تفضلا .

ارتــــــةب؛ انتظر.

تقهيدا

من شأن القرآن الكريم أن يقابل بين عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة ، فالكافر يأكل من شجرة الزخوم ، طعمها مر بشع ، تنبت في وسط الجحيم فيأكل من شعرها الذي يغلى في بطنه كفلي الماء الحار، ويؤخذ بعنف ومهانة ويرمى به في وسط النار، ثم يُصب فوق رأسه ماء حار يغلي غلى المرجل، تتأثر به أمعارته ، ويناله الهوان والمذلة وألوان العذاب ، ويقال له : أيّها المتكبر المتغطرس الذي كان يقول في البنيا: أن عزيز كريم من أعز أهل هذا الوادي ، وإن يصل إلى العذاب ، يقال له تهكما به وعقابا له : فُقَ إِلْكُ أَنتَ الْمُزِيرُةُ الْكَرِيمُ ، (الدخان ؛ ٤٤) . أي : أصبحت ذليلا مهينا معذبًا بأقسى ألوان العذاب الجسدي والنفسي .

وفى المقابل نعيم أمل الجنة ، فهم يتمتعون بالجنات والعيون ، ويلبسون أنواع الحرير ، ويزرُّجِينَ · العور العين ، كل ذلك الفضل منة من الله ، وهو فوز عظيم .

التفسير،

٣ ٤٤٤٤، ١٤٥٤ ع إنْ شَجَرَتَ ٱلزُّقُومِ وَطَعَامُ ٱلْأَلِيمِ وَكَالْمُهُلِ يَقْلِي فِي ٱلْبُطُونِ وَكَفَلْي ٱلْحَمِيمِ .

يذوق الكافر ألوان العذاب الجسدى والنفسى ، فطعامه من شجرة الزقرم ، تلك الشجرة التى تنبت فى أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فطعامها مرّ وشكله مخيف كالشبرق ، وهو حار يغلى فى بطن الكافر كما يغلى الماء الحار ، أو كالزيت المغلى الذى بلغ أعلى درجات الحرارة ، فيقطع أمعاء الكافر .

٤٨٠٤٧ - خُلُوهُ فَآغِيلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَعِيمِ هُ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَلَمَاب ٱلْحَمِيم.

يقال لزيانية جهدم : جرُّره في عنف ومهانة فاقنفوا به في وسط النار ، ثم صبوا فوق رأسه ما يحرق جلده ، فيجتمع عليه عذاب الظاهر وعِدَاب الباطن .

قال ابن كثير :

وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزيانية : خُلُوهُ . ابتدره سبعون ألفا منهم .

وقوله : فَأَغْتِلُوهُ . أي : سوقوه سحيا ودهمًا في ظهره .

إِلَىٰ سُوّاءِ ٱلْجَحِيمِ . أي : وسطها .

لُمْ صُبُواْ قَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ.

كتوله عز وجل: يُصَبُّ مِن قُوْقِرُ رُمُوسِهِمُ ٱلْحَيْمِمُ ، يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي يُطُونِهِمْ وَٱلْخُلُودُ ، وَلَهُم مَقَّدُعِجُ مِنْ خَلِيهِدٍ. (السيم: ١١-٣١)

٩ ٤ - ذُق إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ .

أي: تدوق هذا العذاب ، فقد كنت تزعم أنك أعرّ أهل مكة وأكرمها ، ولن يستطيع أي عذاب أن يصل إليك، فيقال للكافر على سبيل التقريع والقهكم : تدوق شدة العذاب أيها المهين الذليل .

ذكر الأموى في مغازيه :

لقى رسول الله ﷺ أبا جهل ، فقال ﷺ : «إن الله أمرنى أن أقول لك : أَوْلَىٰ لَكُ فَأَوْلَىٰ وَ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكُ فَأُوْلَىٰٓ. (النباحة : ٣٠،٢٥) . قال : فنزَع أبو جهل ثويه من يد النبي ﷺ ، وقال : ما تستطيع لى أنت ولا مساحيك من شيء ، ولقد علمت أنى أمنع أمل البخماء ، وأنا العزيز الكريم ، قال : فقتله الله تعالى يوم بدر ، وأذلُه وعيّره بكلمته ٢٠١ وأنزل : ذُقْعُ إِلْكُ أَنت ٱلْقَرِيرُ ٱلْكُرِيمُ .

أى: يقول له الملك : ذُقَا إِلَّكَ أَلتَ ٱلْقَرِيقِ ٱلْكَرِيمُ ، بزعمك ، وقيل : على معنى الاستخفاف والاستهزاء والإمانة والتنقيص ، أي قال له : إنك أنت الذليل المهان .

٥- إِنَّ هَالُمَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ .

إن هذا هو العذاب الذي كنتم تجادلون وترتكبون المراء والجدال في الدنيا بشأنه ، فعنكم من كان ينكره ، ومنكم من كان يشكك في صحته ، فها هو ذا قد أصبح حقيقة واقعة فزق رؤوسكم .

٥٧،٥٢،٥١ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أميزه فِي جَنْدتِ وَعُيُونٍ ، يَلْبَسُونَ مِن سُندُس وَإِسْتَرْوَ مُتَطَّلِينَ .

نجد هذا مقابلة بين الحديث عن أهل النار وعذابهم ومهانتهم ، والحديث عن أهل الجنة وما يلقون من صنوف التكريم في المكانة والمكان ، والمليس والمجلس ، والقرناء أو الزوجات ، وأنواع المآكل والغواكه ، والأمن النفسي والحسى ، فضلا من الله ونعمة عليهم بهذا الفوز العظيم .

ومعنى الآيات :

إن المتقين الذين راقبرا الله وأخلصوا له في أعمالهم لهم مساكن آمنة من جميع المخاوف ، طيبة المكان والنزهة ، فهم في بساتين غنًاء ، وينابيع متدفقة بالماء ، ويلبسون ملابس متنوعة متفاوتة ، يعضها من ، سُندُس ، وهو الحرير الرقيق ، وبعضها من ، إِسَّبَرَوَّ ، وهو الحرير الغليظ الأخاذ البراق ، كما يتمتعون بـالجلوس على الأراتك متقابلين ينظر بعضهم إلى وجوه بعض ، ولا يعرض عنه زيادة في التكريم والنعيم .

ة ه، ٥ ٥ - كَذَا لِكَ وَزَوْجَنْنَهُم بِمُورِ عِيْرِه يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلْكِهَةٍ عَامِينَ .

أى: هذا العطاء مع تزييجهم أو قرنهم بالزوجات الحسان الحور البيض، الواسعات الأمين مع شدة بياض العين وشدة بياض العين وشدة بياض العين وشدة السواد فيها ، يطلبون ما شاءوا من أنواع النواكه والثمار ، ويجدون في الجنة ما يشتهون، حال كونهم آمنين من الأوجاع والأسقام ، ومن العوت والتعب والشيطان ، وقد تكرر وصف الجنة في القرآن الكريم ، وبذك أنوان المتعدد ، مثل قوله تعالى : إنَّ الْأَبْرَارَ لَقِي نَعِيمٍ عَلَى اللَّهُ يَعْلُونُ وَ تَعْرِفُ عَلَى وَجُوهِمٍ اللَّهِ لَعَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وقوله سبحانه : فِيهِنَّ قَلْمِيزَاتَ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْعِثُهُنَّ إِنسَّ قَلْلُهُمْ وَلَا جَنَانٌ هَ فَإِنَّى ءَالْآمِرُأَكُمُنَا تُكَلَّبُانِ هِ كَالَّهُنُ الْمَافُوتُ وَالْمُرْجَانُ . (الرحمان: ٥٠١-٥٠) .

٧٠٥٦ - لَا يَلُونُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَدْهُمْ عَلَىابَ ٱلْجَعِيمِ ، فضّلا مِّن رُبُكَ ذَالِكَ هُوَ ٱلْفَرْرُ الْمَعْلِيمُ .

أهل الجنة في شباب دائم ، وصحة دائمة ، لا يدركهم النوم ولا الموت ، بل هم خالدون في الجنة بغضل الله ونعمائه ، لقد ماتوا في الدنيا عن شهواتهم وملذاتهم ، وصاموا عن المحرمات ، والتزموا مرضات الله، وسَمَّتُ أرواحهم لأن تكون من أهل الجنة ، وقد أدركهم الموت في الدنيا مرة واحدة ، فإذا دخلوا الجنة فهم في نحم دائم ، وخلود بلا موت لا يفرجون من الجنة ولا يموتون ، وقد حفظهم الله من عذاب الجحيم ، فضلا من الله ونعمة ، إن هذا الذي يحصل عليه أهل الجنة هو الفوز العظيم ، وأي فوز أعظم من نعيم الجنة والوقاية من

أخرج الإمام مسلم أن رسول للله ﷺ قال: «يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحّرًا فلا تسقعوا أبدا، وإن : لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنصوا فلا تباسوا أبدا، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا» (٠٠٠).

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح ، فهوقف بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ("").

إن هذا النعيم فضل من الله ونعمة ، وثواب ومنحة ، وهو فوز عظيم لأهل الجنة ، وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «لن يُسخل أحدكم الجنة عملُهُ» ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته ٢٠٠١ ٥٩،٥٨ - فَإِنَّمَا يَسَّرْنَنْهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَقَلَكُرُونَ • فَآرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ .

لقد يسرنا القرآن للذكر ، وأنزلناه بلسانك يا محمد باللغة العربية .

قال تعالى : وَمَا آرْسَلْنَا مِن رَّسُولِ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُسِّنَ لَهُمْ ... (إبراهيم : ٤) .

ومن أسباب التقارب أن يكون الرسول بشرا مثل البشر، وأن يتكلم بلغة قومه ولسانهم ، ليكون خييرًا بلغتهم وألكارهم : فيحاورهم ويناقشهم ، ويأخذوا عنه ويستفهموا منه ، والقلوب النظيفة هي التي تستجيب للهدي ، ودواعي الإيمان .

ومعنى الآية :

إِنَّمَا أَنزَلْنَا القَرَآنَ عربِيا مبِينَا على نبى عربى ، صاحب لسان عربى ، ولأمة عربِية علَّها أن تتفهم المراد، وتمى دورها ومسئوليتها في فهم الذكر والتخلق بأخلاق القرآن وهديه .

قال تعالى : وَأَلزَلْنَا إِلَيْكَ آللَّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُوِّلَ إِلَيْهِمْ ... (النحل : ٤٤).

هالرسول ﷺ مهبط الوحى ، واختيار السماء ، وخاتم الرسل ، ويه خاطبت السماء الأرض ، ومن خلاله نزل وحى الله وكتابه الكريم ليكون خاتم الكتب ، ينزل على خاتم الرسل ، لعل قومه يتذكرون معانى الألوهية والتوحيد ، وشرف الإيمان بالوحى والاهتداء به وحمله إلى الناس .

قال تعالى . وَإِنَّهُ لِلْإِكْرُ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْتَلُونَ . (الزحرف: ٤٤) .

فَآزْتَهِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِيُّونَ .

أى: توقع ما ينزل بالمشركين من الهزيمة والنكال في الدنيا والعذاب في الأهرة ، إنهم يرتقهون موتك، ويقولون: انتظروا حتى ينزل بمحمد ما نزل بالشعراء من قبله من الموت.

قال تعالى : إِنَّكَ مَيِّتَ وَإِلَهُم مَّيُّونَ ه لُمَّ إِنْكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَسْمَةِ عِندَ زَيَّكُمْ تَخْتصِمُونَ . (الزمر: ٣١,٣٠).

وقال تعالى : وَمَا جَعَلْنَا لِبُشَرِ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مَّتَّ فَهُمُ ٱلْخَلِدُونَ . (الأنبياء : ٣٤) .

أى: كل منكم يتربص ماذا سينزل بخصمه ، بيد أن الله وعدك النصر في الدنيا والمثوبة في الآخرة . قال تعالى: كَتَبُ ٱللَّهُ لِأَغْلِنَ أَنَا زَرُسُلِيّ إِنَّ ٱللَّهُ قَرِيًّ عَزِيزٌ . (المجادلة : ٢١) .

وقال عزّ من قائل: إِنّا تَسَعُرُ رُسُلُنَا وَٱلَّذِينَ ءَاسُواْ فِي ٱلْحَيَّوَةِ ٱلدُّنِّا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَاـُدُ ءَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلطَّـالِمِينَ مَعْلِدَتُهُمْ وَلَهُمْ ٱللِّعْنَةُ وَلَهُمْ مُوءَ ٱلثَّارِ . (غافر . ١٥ / ٥٠) .

خلاصة ما تضمنته سورة الدخان

- ١ بيان بدء نزول القرآن .
- ٢ ~ وعيد الكافرين بحلول الجدب والقحط.
 - ٣ عدم إيمانهم مع توالي النكبات بهم.
- ٤ عظة الكافرين بقصص فرعون وقومه مع موسى عليه السلام، وقد نجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين.
 - ه إنكار المشركين للبعث .
 - ٦ سوق الأدلة على أن الله تعالى خالق الكون بالحق.
 - ٧ وصف أهوال القيامة.
 - ٨ وصف ما يلاقيه المجرمون من النكال والعذاب.
 - ٩ -- وصف نعيم المتقين .
 - ١٠ النبي ﷺ مبلغ عن الله ، يحمل الوحى إلى الناس لعلهم يتذكرون .
 - ١١ -- الغد فيصل ، حيث يخزى الله الكافرين وينصر المؤمنين .
 - * * *
- تم يحمد الله تفسير سورة الدِّخان، صباح الجمعة ٦ من ربيع الأول ١٤٢١ هـ، الموافق ١٩٢٩ م.



أهداف سنورة الجاثيلة

سورة الجائية مكية ، نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة ، بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، وآباتها ٣٧ آية ، نزلت بعد سورة الدخان ، والسورة لها اسمان : سورة الجائية ، لقوله تعالى : وَتَرَىٰ كُلُّ أُمُّهُ جَائِهُ ... (الجانية : ٢٨) .

وسورة الشريعة لقوله تعالى : ثُمَّ جَمَّلُنْتُكُ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَشْرِ فَالَّبِعْقِا وَلَا تَقْبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّلِينَ لاَ يَشْلُمُونَ . وسورة الشريعة لقوله تعالى : ثُمَّ جَمَّلُنْتُكُ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَشْرِ فَالْبِعِنْهِا وَلَا تَقْبِع

الفرض من السورة

تحمل سورة الجائية الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ، والرد على الدهرية الذين لا يؤمنون به ، وينكرون البعث بعد الموت ، وقد دعت السورة إلى هذا تارة بالدليل ، وتارة بالترهيب والترغيب ، شأنها في ذلك شأن السورة السابقة ، وشأن السورة التى ذكرت قبلها ووافقتها في هذا الغرض ، كما وافقتها في؛ الحروف لتي ابتدات بها ، ولهذا ذكرت هذه السورة معها ، وسعيت مجموعة هذه السور بالمواميم ، نسبة إلي يدايتها بقوله تعالى : خمّ .

وقال الفيروزبادى :

معظم مقصود سورة الجاثية هو: بيان حجة التوحيد، والشكاية من الكفار والمنكرين، ويبان النفع والمضر والإساءة والإحسان (م) ويبان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أهل الإيمان، ويثم متابعي الهوى، وذل الناس في المحشر، ونسخ كتب الأعمال من اللوح المحفوظ، وتأبيد الكفار في النار، وتحميد الرب المتعال بأرجز لفظ وأقصح مقال (أ) في قوله: وَلِلْهُ ٱلْحَمْدُ رَبُ ٱلسَّمَاوُ في وَرَبَ ٱلْأَرْضِ وَرَبُ الْأَرْضِ رَبِّ السَّمَاوُ في البارجز لفظ وأقصح مقال (أ) في قوله: وَلِلْهُ ٱلْحَمْدُ رَبُ ٱلسَّمَاوُ في وَرَبُ آلُورْضِ وَرَبُ اللَّامِ وَرَبُ اللَّامِ وَرَبُ اللَّامِ وَرَبُ اللَّامِ وَرَبُ اللَّامِ وَلَا اللَّامِ وَاللَّامِ وَرَبُ اللَّامِ وَلَا اللَّامِ وَلَا اللَّامِ اللَّا

سمات السورة

لاحظنا أن سورة الدخان تتميز بقصر الآيات ، وعنف الإيقاع كأنه مطارق تقوع القلوب ، وسورةم الجائية بجوارها تسير في يسر وهوادة ، وإيضاح هادئ ، وييان دقيق عميق .

والله سبحانه خالق القلوب ، ومنزل هذا القرآن ، يأخذ القلوب تارة بالقرع والطرق ، وتارة باللمس الناعم الرفيق ، وتارة بالبيان الهادئ الرقيق ، حسب تنوعها هي وإختلافها . قمن الناس من ينفع معه الزجر والوعيد ، ومنهم من يأسره التوجيه الهادئ الرشيد ، والقلب الواحد يتقلب على حالات متعددة ، والله يختار له ما يناسبه ، وهو سبحانه اللطيف الخبير ، السميع البصير ، وقد كان من دعاء النبى ﷺ : «اللهم يا مقلب القلوب والأيصنار ثبت قلبى على دينك» ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، أراك تكثر من هذا الدعاء ، فقال النبى : «يا عائشة ، إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمان * . ويقلبها كيف يشاء» (س) .

مثهج السورة

سورة الجائية تصور جانبًا من استقبال المشركين للدعوة الإسلامية ، وطريقتهم في مواجهة حججها وآياتها ، وتعنتهم في مواجهة حججها وآياتها ، وتعنتهم في مواجهة حقبة في من حق وأياتها ، وتعنتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها ، واتباعهم للهوى اتباعًا كاملاً في غير ما تحرج من حق واضح أو برهان ظاهر ، كذلك تصور كيف كان القرآن يعالج قلويهم الجامحة الشاردة مع الهوى ، المغلقة دون الهدى ، وهو يواجهها بأيات الله القاطعة ، العميقة التأثير والدلالة ، ويذكرهم بعذابه ، ويصور لهم ثوابه ، ويقرر لهم سننه ، ويعرفهم بنواميسه الماضية في هذا الوجود .

درسان في السورة

سورة الجاثية وحدة في علاج موضوعها ، وهذه الوحدة تنفتمل على درسين:

الدرس الأول : يتناول أدلة الشرك بالتفنيد ، وأدلة الإيمان بالتوضيح والتأييد .

والدرس الثاني: يعرض عناد الكافرين في الدنيا، ثم يذكر أحوالهم في مشاهد القيامة.

١ - شبهات الكفر ، وأدلة الإيمان

تبدأ سورة الجاثية بهذين الحرفين: حمّ، والماله عنا أن هذه الأحرف بتبعها عادة الحديث عن القرآن، مما يشير إلى أنها نزلت لتنوه بهذا القرآن، وتستلفت الأنظار إلى خصائصه المتميزة، وتبرهن بذلك على أنه ليس من صنع بشر، وإنما هو من عند الله: تنزيلُ آلكِتُنبِ مِنْ اللّهِ ٱلْفَرْيِزِ ٱلْحُكِيمِ، (المِائية: ٢).

وتعرض أدلة الإيصان والتوحيد ، وتستلفت الأنظار إلى جلال الله ، ودلائل قدرته في السماء الأرض، والخفل المنطق والخفل المنطق والخفل المنطق المنطق المنطق المنطق والخفل المنطق المنطقة المنطقة

ومن خلال الآيات التنالية نرى فريدًا من الناس مصرًا على الضلالة ، مكابرًا في الحق ، شديد العناد ، سيئ الأدب في حق الله وحق كلامه : وَيَلْ لَكُلُّ أَقَالُو أَلِيهِ ، يَسْمَعُ ءَايَسْتِ ٱللَّهِ ثُطَّيْ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكُبِرًا كَأَنْ لَمْ يُسْمَعُهَا فَيَشُوهُ بَعَلَامٍ أَلِهِم . (الجائية : ١٨) .

وتري جماعة من الناس ، ريما كانوا من أهل الكتاب ، سينى التصوير والتقدير ، لا يقيمون ورنا احقيقة الإيمان الضائصة ، ولا يحسون بالفارق الأصيل بينهم وهم يعملون السيئات ، وبين المؤمنين الذين يعملون السيئات ، وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، والقرآن يشعرهم بان هناك فارقاً أصيلاً في ميزان الله بين الفريقين : أَمْ حَسِبَ ٱللَّهِينَ آجَرْحُواْ السّالحات ، والقرآن يشعرهم بان هناك فارقاً أصيلاً في ميزان الله بين الفريقين : أَمْ حَسِبَ ٱللَّهِينَ آجَرُحُواْ . (الجادية : ٢٧) . `

ودرى فريقا من الناس لا يعرف حكما يرجع إليه إلا هواه ، فهو إليه الذى يعبده ، ويطبع كل ما يراه، نرى هذا الفريق مصورًا تصويرًا فذًا فى هذه الآية التى تعجب من أمره ، وتُشهّن بغفلته وُعماه : أَفُوفَيْتَ مَنْ اتَّخَذُ إِلَيْهُمْ هُوَسُهُ وَأَنْدُهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمُ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَعِهِ وَقَلْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْدُوّةٌ فَمَن يُهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلاً تَفَكُرُونَهُ . (البالية : ٣٤).

أرأيت كيف تناولت هذه السورة الهادثة أصناف المشركين وفرقهم المناولة للدعوة ، ويجوز أن يكرن مُرّلاء جميعًا فَرَيقًا واحدًا من الناس يصدر منه هذا وذاك ، ويُصفه القرآن فى السورة هنا وهناك ، كما يجوز أن يكونوا فرقًا متعددة .

وعلى أية حال فقد واجه القرآن مؤلاء الناس بصفاتهم تلك وتصرفاتهم ، وتحدث عنهم في هذه السورة ذلك الحديث ، كذلك والبحر ، حيث يقول أ السورة ذلك الحديث ، كذلك واجههم الله بآياته في الأفاق وفي أنفسهم ، وفي البر والبحر ، حيث يقول أ سبحانه : آللهُ الَّذِي سَحَّرُ لَكُمُ آلِبَحْرُ لِتَحْرِيَ الْفَلْكُ فِيهِ إِمْرِهِ وَلِيْتَكُواْ مِنْ فَصْلِهِ وَلَمْلَكُمْ تَسْكُرُونَ ، وَسَحَّرَ لَكُم مًا فِي السَّمَرُ لَكُم مًا فِي اللَّمَانِ اللهِ عَرِيقًا عَمْدُ إِنْ فَي ذَلِكَ لَيْسَاتِ لَقَوْعٍ يَتَكُورُونَ . (اجائية : ١٧ ، ١٧) .

نيستغرق الدرس الأول من السورة الآيات من (١ -- ٢٣).

٢ - عناد الكافرين وعقابهم يوم الدين

يشمل الدرس الثانى من السورة الآيات من (٧٤ - ٣٧) ، ويبدأ بعرض أقوال المسركين عن الآخرة وعن البعث والحساب ، ودعواهم بأن الأيام تعضى ، والدهر ينطوى ، فإذا هم أمرات ، والدهر في خلنهم هر الذي ينهي آجالهم ، ويلحق بأجسامهم الموت قيموتون ، وقد فند القرآن هذه الدعوى ، وبين أنها لا تستند . إلى حقيقة أو يقين ، وإذا قرعتهم الآيات الدالة على ثبوت البعث لم يجدوا لهم حجة إلا أن يقولوا : أنُّوا بِكَابَاكِناً إِنْ كُمُّمُ صَلْدِلِقِنَ . (البائهة: ٢٥) . والله سبحانه له حكمة في خلق الناس ، فقد خلقهم للاختبار والابتلاء في الدنيا ، ثم يجازيهم في الآخرة ، ولا يرجعهم إلى الدنيا قبل الموعد الذي قدره وفق حكمته العلها .

والله هو الذي يحيى وهو الذي يعيت ، فلا عجب إذن من أن يحيى الناس ويجمعهم إلى يوم القيامة ، وهو سيحانه مثلك السماوات والأرض ، وهو القائد على الإنشاء والإعادة .

مشاهد القيامة

تعرض الآيات الأخيرة من سورة الجائية مشاهد الآخرة ، ظاهرة ملموسة للعين ، ومن خلال الآيات نرى المشركين وقد جثوا على الركب ، متميزين أمة أمة في ارتقاب الحساب المرهوب .

هم يأخذون كتابهم وقد سجل كل شيء فيه ، ونسحت فيه كل أعمالهم : وَتَرَىٰ كُلُ أُمُّوْ جَائِيَةٌ كُلُّ أَمَّوْ لَكُمَ إِلَىٰ كِفَارِهِا آلَوْمُ لَمُجَرُّونَ مَا كُشُمِّ لَعَمْلُونَ ، هَذَا كِتَبُّنَا يَسُطِئُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِ إِلَىٰ كِفَارِهِا آلَوْمُ لَمَجْرُونَ مَا كُشُمِّ لِعَمْلُونَ ، هَذَا كِتَبُنَا يَسْطِئُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِلَّاكُمْ إِلَّا كُلَّ الشَّسِخُ مَا كُشُمْ تَعْمَلُونَ .

(الجاثية: ۲۸،۲۸)

ثم تنقسم الحشود الحاشرة والأمم المختلفة على مدى الأجيال إلى فريقين اثنين : الذين آمنوا ، وهؤلاء يدخلهم ربهم في رحمته ، والذين كفروا ، وهؤلاء يلقون التشهير والتوبيخ جزاء عنادهم ، وعندلذ تظهر آمامهم سيئات ما عملوا ، ويحيق بهم المهانة والعذاب ، ويسدل الستار عليهم ، وقد أوصدت عليهم أبواب الذار : ذَالِكُم بِأَلْكُمُ ٱتَخَلَّتُم وَآيُنتِ ٱللهِ هُرُوا وَهُرُكُمُ ٱلْحَيَّرَةُ ٱلدُّيَا فَالْذِيَ اللَّهِيَّ وَلَا يَهُمُ يُسْتَعَشِّونَ. (الجائية: ٢٥)

وهنا ينطلق صوت التصديد يعلن وحدة الربويية في هذا الكون: سمائه وأرضه ، إنسه وجنه ، طيره ووحشه ، والمرة ، طيره و ووحشه ، وسائر ما فيه ومن فيه ، فكلهم في رعاية رب واحد ، له الكبرياء المطلق في هذا الوجود ، وله العزة القادرة والتحديد المديرة : قَلِلُم ٱلْحَمْلُ رَبُّ ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبَّ ٱلْأَرْضِ رَبُّ ٱلْعَلْوَمِينَ هَ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبَّ ٱلْأَرْضِ رَبُّ ٱلْعَلْوَمِينَ هَ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبَّ ٱلْأَرْضِ وَمُو ٱلْعَبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبَّ آلْوَرْضِ وَمُو ٱلْعَبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبَّ آلْوُرْضِ وَمُو آلْعَبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبَّ آلْوَرْضِ وَمُو آلْعَبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبَّ آلْوُرْضِ وَمُو آلْعَبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَنُوّتِ وَرَبِّ آلْوَرْضِ وَمُو آلْعَبْرِيَاءً فِي السَّمَانِ تَنْ

أدلة الألوهية

﴿ حَمّ ۞ مَزِيلُ الْكِتَنبِ مِنَ اللّهِ الْعَزِيزِ لِلْفَكِيدِ ۞ إِنَّافِى السَّغَوَّتِ وَالْأَرْضِ لَآيَنتِ لِلْمُتَّوِمِينَ ۞ وَفِ خَلْفِكُرُ وَمَايَبُتُّ مِن مَا بَيْنَ الْفَوْمِرُوفِتُونَ ۞ وَاخْتِلْفِ النِّبِلُ وَالنَّهَ لِوَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَالَ مِن رَدْفِقِ فَلْضَا بِهِ الْأَرْضَ بَعَدَمَّوْجَهَا وَتَصْرِيفِ الزِيِّعِ ءَالِئتُ لِقَوْمِ بِعَقْلُونَ ۞ ﴾

المفردات:

حــــــم، عرفان من حروف المعجم ، أو أداة للتنبيه ، أو للتحدّى والإعجاز .

المسكستساب، القرآن.

المسعمس ويسسور ، القوى الغالب .

السعسكسيسم؛ العالم المتقن للأمور؛ الذي يضع الشيء في موضعه.

والسيسيسية ، كل ما دبُّ على الأرض ومنها الإنسان ، جمعها دواب ،

واختلاف الليل والثهار، تعاقبهما وتفاوت أحوالهما.

دقاق مطرُّ يتسبب عنه الرزق ."

أحسيسا بسه الأرض: أحياها بالزرع.

مسوتسمهاء جفافها ويبسها

تصريب الرياح ، اختلاف أخوالها .

التطسير:

١ - حق

حرفان من حروف المعجم التي افتتح الله تعالى بها بعض السور للتنبيه ، فهي مشابة الجرس الذي يقرح فيتنبُّه الثلاميْد لدخول المدرسة ، أو للتحدى والإعجاز ، أو للإشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته ، أو هي لجميع هذه المعانى ، وغيرها مما سبق ذكره في أول سورة البقرة .

٢ - تَنزيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ.

هذا القرآن تنزيل من الله ، وحي أوحي به إلى رسوله محمد ﷺ ، فهو هية السماء للأرض ، وهو منزُل من عند الله ، ٱلْقَرِيْزِ ، القوىُ في ملكه ، ٱلْمُحَرِّمِ ، في صُنْعه ، الذي لا يصدر عنه إلا كلّ ما فيه حكمة ومصلحة للماد .

٣ - إِنَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَـٰتٍ لَّلْمُؤْمِنِينَ .

إن في خلق المعاوات وما فيها من أبراج وأفلاك وملائكة، وشموس وأقمار ونجوم وغير ذلك، وفي علق الأرض وما فيها من جبال ويحار وأنهار ونبات، وإنسان وحيوان وطيور وطرق، ومعالم متعددة وغير ذلك — لعلامات ودلائل وآيات ترشد الناس إلى الإيمان بأن هذه الصنعة الدقيقة لابد لها من خالق قادر حكيم متصف بالكمال، هو الله سبحانه وتعالى.

2 - وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَنْتُ مِن ذَاتِهْ عَالَيْتُ لَقُوْمٍ يُوفِئُونَ .

وفى خلق الإنسان وتقلبه من نطفة إلى علقة إلى مضعة إلى عظام ، ثم إلى مخلوق كامل ، ثم إلى ، ولا المسرات وليد ، ثم تدرّجه إلى الشباب والكهولة والشيهوخة والموت ، وما فرق الله فى الأرض من أجناس الحشرات والميور والسباع والوحوش ، وما فى البحر من الأصناف المتنوعة ، إن فى هذا كله لدلائل تزيد الإيمان يقينًا وتأكيدًا وصدقًا ، بأن خالق هذا الكون قدير حكيم ، فعال لما يريد .

٥- وَآخِينَاهُمِ ٱلنَّالِ وَٱللَّهَارِ وَمَا أَنْزِلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن رُدْقٍ فَأَحْيًا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَمَعْرِيفُ ٱلرَّيْلُـعِ مَا يُؤْمِنُ مَعْدَ مَوْيَهَا وَمَعْرِيفُ ٱلرَّيْلِحِ مَا أَنْوَلُ اللَّهِ مِن السَّمَاءِ مِن رُدْقٍ فَأَحْيًا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَمَعْرِيفُ ٱلرَّيْلِحِ مَا أَنْوَلُ اللَّهِ مَن السَّمَاءِ مِن رُدْقِ فَأَحْيًا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَمَعْرِيفُ ٱلرَّيْلِحِ مَا أَنْوَلُ ٱللَّهُ مِن ٱلسَّمَاءِ مِن رُدْقٍ فَأَحْيًا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَمَعْرِيفُ ٱلرَّيْلِحِ اللَّهِ مَن أَنْوَلُ اللَّهُ مِن ٱلسَّمَاءِ مِن رُدْقِيا فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَمَعْرِيفُو ٱلرَّيْلِحِ مَا أَنْوَلُ اللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن رُدْقِيا فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيَهَا وَمَعْرِيفُو ٱللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن رُدْقِيا فَأَنْهُ إِنَّ اللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن رُدُقِيا فَاحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيِهَا وَمَعْرِيفُو ٱللَّهُ إِنْ اللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن رُدْقِيا فَاحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْيِهَا وَمَعْرِيفُوا أَنْوَلِ اللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن رُدْقِيا فَأَنْهِ إِلَّا لَمُولَى اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن اللّهُ مِن السَّمَاءِ مِن اللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَنْ إِنْهُ إِلَيْهُ مِنْ أَنْهُ إِلَيْهُمْ أَنْهُ إِلَّا مِن أَنْهُ إِلَّا لَهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ أَنْهُ أَنْهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّامِ اللَّهُ مِن اللّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ م

وفي اختلاف الليل والنهار ، من التعاقب والطول والقصر ، والحرّ والذر والنول والظامة ، وما يتبع ذلك من تغاير القصول ، واغتلاف المنافع ، وفيما ينزل الله من السحاب من مطر تحيا به الأرض بعد جفاقها ، ويكون رزقًا للإنسان والحيوان والطيور ، وفي تصريف الرياح ، فتهب مرة جنوبًا وأخرى شمالاً ، وحيثًا صبا بالرحمة وماء السحاب ، وحيثًا دبورًا تبعث العذاب ، وفيما ترديه من تلفيح النّبات ، وتيسير سبر السفن في الأنهار والمحيطات ، إن في ذلك كله لعلامات واضحة لقوم يستخدمون عقولهم ، ليعلموا أن لهذه الأشياء صائحًا حكيمًا ، وخالقًا قادرًا عظيمًا .

وقد أفاد فخر الدين الرازى في تفسيره أن هذه العلامات المتعددة بآيات الله ، إذا نظر إليها الإنسان متأمَّلاً : قاده ذلك إلى الإيمان ، لذلك قبال سبحانه في الآية الثالثة : إِنَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَّاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَـــَتِ لَلُمُؤْمِينَ . وإذا تأمل في خلقه وتدرّجه في بطن أمّه ، وفي حياته طفلاً ويافعًا وشابًا وشيحًا ، ازداد يقينًا بهذا الإيمان ، لذلك نجد الآية الرابعة : وَلِي مُخلِّقِكُمْ وَمَا يَبُثُ مِن ذَاهِمْ ءَايَنتُ لَّقَوْمُ يُوفُّونَ .

وإذا تأمل في حركة الكرة الأرضية وحركة الشمس ، وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والذهار ، ونزول المطر ، وتصريف الرياح بأنواعها المتعددة ، كان ذلك وسيلة إلى يقين العقل والمفكر بقدرة الخالق سبحانه ، لذلك جاء في الآية الخامسة : رَآخِبُلُغُمِ أَلْبُلُورَ ٱلنَّهَارِ وَمَا أَنْوَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن رُزْقِ فَأَحَمًا مِم ٱلْأَرْضُ يُعَدَّ مُرِّهَا وَكُمْرِهِمْ ٱلْرَيْحَ عَرَيْثَ أَلْفُومٍ يَغْفِلُونَ .

وقريب من هذا الكلام ما ذكره الجمل فى حاشيته على الجلالين ، حيث أفاد أن التعقيب كان على دلائل القدرة كالأتى : لَآيِــُتِ لِّلْمُؤْمِّينِيَ . ثم : قُفُوم يُوفِّيُونَ . ثم : لَقُوْمٍ يَقْفُلُونَ ، لأن الإنسان إذا نظر فى هذا المفلق أمن ، وإذا نظر فى خلق نفسه ونموها ازداد إيمانًا فايقن ، وإذا نظر فى سائر الحوادث عقل واستحكم علمه، فاحتلاف الفواصل الثلاث لاحتلاف الآيات فى الدقة والظهور .

عناد المشركين

﴿ قَاكَ - آلِنَتُ الْقُونَتُلُوهَا عَلَيْكَ بِالْمَقِّ فَإِلَى عَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَمَالِندِهِ وَقُومُونَ ﴿ وَلَلَكُولَ اَفَالُوا ﴿ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ ا

المفردات ،

ويسسله، عذاب وهلاك.

يسمسر ا يستمسك ويدوم ويثبت ، من الإصرار.

التخلفياء الضمير لآباتنان

فيشره: البشارة للخبر السار، واستعمالها في الشرّ تهكم.

من ورائهم ، الوراء : اسم الجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدًّام .

أولسيساء : تصراء .

السرجسر، أشد العذاب، ويملق أيضًا على القدر كالرجس.

تمهيده

هذه الآيات نزلت في النضر بن الحارث ، الذي كان يشتري أحاديث الأعاجم ، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن ، والآيات عامة في كل نموذج يُصرُ على الباطل ، ويقاوم الحق ، ويستغل الكذب في تشويه الحق ، وهو مستهزئ بآيات الله وكتابه .

التفسيره

٣ - تِلْكَ ءَايَلْتُ ٱللَّهِ نَظُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَى خَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَكِهِ يُؤْمِنُونَ .

هذه آيات الله وقرآنه المشتمل على قصص الأولين ، وعلى الوحى والتشريع والآداب ، وهدى السماء للأرض ، متحليًا بمخاطبة العقل والفكر ، فإذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب الحكيم المعجز ، فبأي كتاب أو قصة أو دعوة للأيمان يؤمنون ؟ لقد جاءهم أعظم هذى فأنكروه وهو واضح هار ، ومن جحده وأنكره لن يجد مثله في الدعوة الحكيمة إلى الإيمان .

٧ ، ٨ - وَيُلُ لَّكُلُّ أَفَّاكُم أَقِيمٍ و يَسْمَعُ ءَايَلتِ ٱللَّهِ تُعْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُعِيرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لُم يَسْمَعْهَا فَبَشَّرُهُ بِعَدَابٍ أَلِيمٍ .

الهلاك في جهنم لكل كذاب مرتكب للإثم بمقارمة الإسلام ، والصدّ عن القرآن ، وإذا سمع آيات القرآن تتلى وتقرأ عليه لم يتفتح قلبه لاستقبالها والإيمان بها ، بل يعرض عنها كأنه لم يسمعها ، ولم تطرق مسامعه ، فاحمل له البشارة بالعذاب الشديد في جهنم .

والبشارة تكون بالخبر السارّ ، لكن الله تعالى سمى ذلك بشارة تهكما بهذا الكافر ، أي : كما استهنت بأعظم كتاب فأبشر بأعظم عذاب .

٩ - ١ - وَإِذَا عَلِمَ مِنْ عَالِمُتِنا هَئِكَ الْتَحْلُهَا هُزُوا أُولَقِيكَ لَهُمْ عَلَماتٍ شُهِينَ هُ مَن وَرَاقِهِمْ جَهَتُمُ وَلاَ يُعْنِي عَنْهُم
 ما تحسنوا شبيثًا وَلا مَا أَنْحُدُوا مِن دُونِ اللّهِ أَوْلِهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

كان أبو جهل أو النضر بن الحارث أو غيرهما يستهزئ بآيات القرآن ، والمعنى : وإذا سمع من القرآن شيئًا استهزأ به واستهان ، وقارم الإيمان به ، فسيلتى عذابًا مذلاً مهيئاً في جهنم ، من خلفه ومن أمامه جهنم يوم القيامة ، وكلمة : وراء ، اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو من قدّام ، فهي مسترك لفظي، تطلق على الشيء وضدّه ، أي ستلحقه الذار من أمامه ومن خلفه ، وإن يجد نصيرًا ينصره ، وإن ينفعه الحرام الذي اكتسبه ، واللهو الذي آثره على القرآن ، كما أن الأصنام والأوثان التي عبدها لن تنقذه ، وإن تقدم له أي منفعة ، وقد أعد له عذاب عظيم مخيف مؤلم .

١١ - هَلْذَا هُدَّى وَٱللَّذِينَ كَفُرُواْ بِعَايَلْتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَلَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٌ.

أى: القرآن الكريم مصدر هداية أن هو نفس الهداية ، والدعوة إلى الرشاد والإيمان ، أما الذين كقروا بالقرآن وكذبوا بآيات الله ، فلهم عذاب مؤلم مذل مهين .

قَالَ الْزَمِحُشْرِي : الرِّجِزِ أَشْدُ العدَّابِ .

وجاء في ظلال القرآن ما يأتي :

هَلْذًا هُدِّي وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَلْتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَلَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٌ .

إن حقيقة هذا القرآن أنه هدى ، هدى خالص مصفى ، هدى ممحض لا يشويه ضلال ، فالذي يكنر بعد ذلك بالآبات – وهذه حقيقتها – يستحق ألم العذاب ، الذي يمثله توكيد معنى الشدّة والإيلام ، فالرجز هو العذاب الشديد ، والعذاب الذي يهددون به هو عذاب من رجز أليم ، تكرار بعد تكرار ، وتركيد بعد توكيد يليق بعن يكنر بالهدى الممحض الصريح ٣٠٠

* * *

صنوف الثمم

﴿ اللّهَ الّذِى سَخَرَكُمُ الْبَحَوَلِيَجْرِى الفَلْكُ فِيهِ فِأَمْرِهِ وَلِنَبَنَعُولُون فَصْلِهِ وَلَمَا كُوتَ مَكُوف ۖ اللّهَ اللّهَ وَلَمَا كُوتَ اللّهَ كَلَابَتِ لِقَوْمِ يَنْفَكُرُون ۗ اللّهِ وَلَمَا لَيْكُ كَلَابَتِ لِقَوْمِ يَنْفَكُرُون ۗ اللّهَ فَلَ لِللّهِ اللّهَ لَكُون اللّهُ اللّهِ لِيجَزِي قَوْمًا لِمَا كَافُول يَحْسِبُونَ اللّهُ فَلَ لِلّهَ مِنْ عَمِلَ صَلْحًا فَلِنَا فَلَمْ اللّهُ لَا ثُمَا لَا فَلَا مَنْ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّ

المفردات:

ســـخـــر، ذلل.

الصفينة.

يعقب قصورواه يعقوا ويصقحوا

لا يرجون أيام الله ، لا يتوقعون وقائعه بأعداثه ونقمته عليهم .

اليجرى قدوما ، ليكافئ المؤمنين الغافرين .

ومن أساء شعليها : أي : ومن أساء قعلى نفسه أساء .

تمهيد،

التفسيره

في هذه الآيات زكّر لألوان النعم التي أنعم الله بها على عباده ، وفيها دعوة إلى الصفح والعفو.

١٧ - ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱللَّلْكُ فِيهِ بَأَمْرِهِ وَلِتَبْتَفُواْ مِن فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

ما آجلُّ نعم الله تعالى على الإنسان ، فهذا المخلوق البسيط يسر الله له طائفة من الدَّعم ، ومنها هذا البحر الهائج المائح المنافق من الدَّعم ، ومنها هذا البحر الهائج المائح المائح الأمواج ، الممتد الكبير ، يسخره الله للإنسان ، ويجعل سطح الماء سائلاً أملس ، قابلاً لأن تجرى عليه السفينة المكونة من ألواح الخشب ، تحركها الرّباح أن الفحم أو الكهرباء ، وفي ذلك نجد عددًا من الموافقات تتم في الكون مثل شدة الحرارة ، وحركة الشمس ، وتسخير الهواء والماء، وصناعة السفن ، وإلهام الإنسان الاستفادة من هذه المُعم ، ولينقل البضائع والتجارة من بلد لأخر حتى يستفيد الجميع ، ولعلهم يشكرون خالقهم وصناحب الأنم المتعددة عليهم .

١٣ – وَسَخْرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّنْهُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآتِسَتِ لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

أى: سخر لكم أيضًا ما فى السماء من أبراج وأفلاك ، وشموس وأقمار ونجرم ، وليل ونهار ، وما فى الأرض من بحار وأنجار وأشجار ، وجبال وزروع ونبات وحيوان ، هذا وغيره مما نشاهده صباح مساء ، قد سخره الله بغضله وأنعمه وتيسيره ، مما يستدعى النظر والتأمل والتفكر فى أدلة القدرة العالية .

أوفسى كمل شمىء لمنة آيسة لمندل عملي أنه الواحمد

١٤ - قُل لَلَّذِينَ ءَامَتُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ .

هذه السورة مكية ، وكان عدد المسلمين في مكة مائتي رجل وأمرأة ، فأمرهم الله بالصبر والاحتمال في فترة الضعف ، ثم لما استمرّ عناد المشركين ، وقوى عود المسلمين ، أمرهم الله بالجهاد والجلاد في المدينة .

قال الزركشي في البرهان:

وليس هذا من النَّسع ولكنه من باب التدرج في التشريع ، فكلما كان المسلمون ضعافاً أمروا بالصبر والاحتمال ، وكلما كانوا أقوياء أمروا بالجهاد ، وقد تعددت أقوال العلماء في سبب نزول هذه الآية ، فقيل : إنها نزلت في عمر بن الخطاب ، شتمه مشرك من غفار بمكة قبل الهجرة ، فهم أن يبطش به ، فنزلت هذه الآية .

وروى الواحدي والقشيري عن ابن عباس:

أن الآية نزات في عمر بن الخطاب مع عبد الله بن أبيّ ، في غزوة بني المصطلق ، فإنهم نزاوا على بتر يقال لها: المُريسيع ، فأرسل عبد الله غلامه ليسقى فأبطأ عليه ، فقال : ما حبسك ؟ قال : غلام عمر قعد على فم البئر ، فما ترك أحدًا يسقى حتى ملاً قرب الذبي رهي الله : على فم البئر ، وملاً لمولاه ، فقال عبد الله : ما مثلنا ومثل مؤلاء ، إلا كما قبل : (سمن كليك يأكلك) فيلغ عمر قوله ، فاشتمل على سيفه يريد التوجه إليه ليتئله ، فأنزل الله مذه الآية ، وقيل غير ذلك في سبب نزولها ، لكن العبرة في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فهي دعوة عامة للمؤمنين أن يصفحوا ويففروا ، ويسامحوا هؤلاء المشركين الذين لا يتوقعون وقائع الله تعالى ، ولا يخافون نقمته عليهم لكفرهم ، كما انتقم الله منهم في بدر وأمثالها ، وكما ينتقم منهم يوم القيامة ، فيجزيهم على قبيح أفعالهم عند الحساب والجزاء ، فالجزاء عادل يوم القيامة .

١٥ - مَنْ عَمِلَ صَلْلِحًا لَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبَّكُمْ تُرْجَعُونَ .

من عمل من عباد الله عَملاً صالحاً فى الدنيا فسيعود ثواب ذلك على نفسه ، ومن ارتكب سوءاً أو شرًا نضريه عائد عليها ، ولا يكاد يسرى جزاء عمل إلى غير عامله ، ثم تعودون إلى الله يوم القيامة ، فيجازى كل إنسان بما عمل ، المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، قال تعالى : فَمَن يَعَمَلُ مِقْعَالَ ذُرْةٍ مُورًا يَرَهُر ، وَمَن يُعْمَلُ مِقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ . (الزلالة: ٧ / ٨).

نعم الدين وإنزال الشرائع

﴿ وَلَقَدْهَ النَّيْنَا بَوَيَ إِسْرَةِ مِلَ الْكِنْبَ وَالْمُكُمُّ وَالنُّبُوةُ وَرَدَقَتُهُم مِنَ الطَّيِنَتِ وَفَضَّلْنَامُمُّ عَلَى
الْمُلَمِينَ ۞ وَءَانَيْنَهُم بَيْنَتِ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا الْخَلَقُوّ الْإِلَى مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْمِلْمُ
بَعْنَا يَنْتَهُمُ إِلَّا اللّهِ مِنْ مَنْفَعُم بَقِينَةُم بَوْمَ الْقِينَمة فِيماً كَاثُولِيهِ يَغْلِفُوك ۞ أَمَّهُ جَمَلَئكَ عَلَى شَرِيعَة قِنَ الْأَمْرِ فَاتَيْعَهُ اوَلا نَشَيعٌ آهُواءَ الذِّينَ لايعَلَمُونَ۞ إِنَّهُمْ أَن يُعْفَى اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَيْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ وَلَيْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

المفردات ،

السكستساب؛ المراد به التوراة ، أو الكتب التي نزات على أنبيائهم ، مثل التوراة والزبور والإنجيل .

الـــحـــكـــم؛ القضاء بين الناس ، أو الفقه في الدِّين .

وهضط تناهم و قضائناهم على عالمي زمانهم الوثنيين.

مِينات من الأمر ؛ أدلة في أمر الدين ، ويندرج فيها المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام .

وعدادًا.

شسريسمسة، منهاج وطريقة في أمر الدين ، وأصل الشريعة : مورد الماء في الأنهار ونحوها ، وشريعة الدّين يرد منها الناس إلى رحمة الله والقرب منه .

الأهــــواء ، ما لا حجة عليه من آراء الجهال التابعة للشهوات .

هـــــدا، القرآن .

بمسائس للشاس؛ معالم للدين بمنزلة البصائر في القلوب.

تمهيد:

ذكر تعالى بعض نعمه على بنى إسرائيل ، ثم نعمته على البشرية عامة برسالة محمد ﷺ ، المشتملة على الهداية والرحمة ، وإنارة البصائر ، وهداية القلوب .

التفسيره

- ١٦ وَلِقَهُ ءَانِيَّا نَبِيَّ إِسْرَاءِيلُ ٱلْكِتَابُ وَٱلْحُكُمُ وَٱلنَّبُوآ وَرَزَقْتُهُم مِّنَ ٱلطَّلَيْتَاتِ وَفَصَّلْمَنَهُم عَلَى ٱلْحَلَّمِينَ.
 - أنعم الله على بني إسرائيل بالعديد من النُّعم ، ومن هذه النعم ما يأتي :
- (1) التوراة وسائر الكتب السماوية السابقة واللاحقة ، كالزبور والإنجيل والمسحف ، التي أنزلها الله على رسله ، كما أعطاهم الفهم للدين ولعلوم الشريعة ، وجعل فيهم عددًا كبيرًا من الأنبياء ، ومنهم من أوتى الملك والنبوة مثل داود وسليمان .
 - (ب) رزقهم الله رزقًا طيبًا كالمنّ والسلوى والسمك ، وغير ذلك من أرزاق البر والبحر.
- (ج) فضلهم الله على عائمى زمانهم من المشركين ، فلما أنزل الله الرسالة الضاتمة ، وأرسل النبى الضاتم ،
 انتقلت الأفضلية إلى أمة محمد ﷺ .
- قال تعالى : وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَمًّا لَّتَكُولُواْ هُهَذَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ هَهِيدًا ... (اللهذة: ١٤٣)

والبهود يهتمون بذكر تفضيلهم على العالمين ، وعند استعراض آيات القرآن الكريم نجد أن هذا و التفضيل كان بسبب اتباعهم لموسى ، وعملهم بتعاليم القوراة وطاعتهم لله ، فلما حرُّفوا التوراة وخالفوا أمر الله ، غضب الله عليهم ولعنهم ، كما سنجد في الآيات اللاحقة أن الله أعطاهم البينات والمعجزات الواضحة ، مثل فلق البحر ، والآيات التسع التي أعطيت لموسى ، لكنهم اختلفوا طممًا في مناصب الدنيا .

١٧ – وَعَاتَشَلَهُم بَيِّنَدَتِ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا آخَتَلُفُوٓا إِلَّا مِنْ بَعْدِمَا جَاءَهُمُ ٱلْمِلْمُ بَفْتًا بَيْتَهُمْ إِنَّ رَبُكَ يَفْعِنِي بَيْتُهُمْ يُوْمَ آلفِينَـهُ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَحْتِلُمُونَ .

أعطينا بنى إسرائيل شريعة واضحة بينة ، فيها الأوامر والنواهى ، والحلال والحرام ، هذا الوضوح والبيان ، والعلم بما أحل الله ويما حرمه ، كان يقتضى منهم السير صفًا ولحدًا على الطريق الواضح ، والمبيان ، والعلم بما أحل الله ويما حرمة ، كان يقتضى منهم السير ملمًا ولسبب الاختلاف هو والمسراط المستقيم ، بيد أنهم اختلاف المو المسد والبغى طمعًا في مناصب الدنيا وشهواتها ، فانظر كيف كان العلم بأحكام الله ، وتبيئن شريعته سببًا في تغرقهم ، وكان الأصل أن يكون سبب وحدتهم ، لأن العلم إذا وجد قلبًا نقيًا ، كان العلم كالماء يفيد، الأرض الطيبة فينمًى بذرتها ، أما العلم إذا وجد قلبًا غافلاً غارفًا في الشهوات ، فإن هذا العلم يكون وبالاً على صاحبه ، كالماء إذا وجد المحتمة مريضة ، فإنها لا تمسك للماء ولا تنبت الكلاً .

لقد اختلفوا بعد أن جاءهم العلم واليقين بصدق نبوة محمد ﷺ، وعلموا من الترراة وغيرها صفة محمدﷺ، وأنه يولد في مكة ، ويهاجر إلى يثرب ، وأنه خاتم الرسل وآخرهم ، وأنه لا يقابل السيئة بالسيئة لكن يعغو ويصفح ، وقد استوضحوا صفاته بعد هجرته إلى العدينة ، لكنهم كفروا به ظلمًا ويغيًا وعدوانًا .

قال تعالى : فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفُرُواْ بِهِ ... (البقرة : ٨٩).

وقال عز شأنه : وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ ٱلْيَتَةُ . (البينة: ٤) .

وفي الأخرة نبد القضاء الحائل من الإله العليم الحكيم ، المطلع على الخفايا والأسرال ، فيتم الحكم بالعدل ، وإنصاف المظلوم وعقوية الظالم .

إِنَّ رَبُّكَ يَقْضِي يَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَسْمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

إن عدالة الله ستقضى بينهم فيما اختلفوا فيه.

وهَى سورة الزمر يقول الله تعالى : قُلْ ِٱللَّهُمَّ فَاطِرُ ٱلسَّمَانُواتِ وَٱلْأَرْضِ عَلِيمَ ٱلْفَيْبِ وَٱلشَّهَانَةِ أَلتَ تَخْكُمُ يُرَّرُ عِبَادِكَ فِي مَا كَالُواْ فِيهِ يَخْطُلُونَ . (قدم: ٤٦) .

وفي هذا تحذير للأمة الإسلامية من أن تسلك مسلكهم، وأن تسير على نهجهم.

قال تعالى : وَلا تَسَلَّوْعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَلْهَبَ رِيحُكُمْ وَآصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصُّبْرِينَ . (الأنشال : ٤٦) .

١٨ - فُمَّ جَعَلْتُلكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتِّيعَهَا وَلَا تَتَّبِعُ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

ثم أرسل الله محمدًا ﷺ برسالة عامة للنَّاس أجمعين ، وهي شريعة واضحة سهلة سمحة من أمر الدين ، فاتبع هذه الشريعة والثبت على أمر الله ، واصبر على تبليغ الدعوة ، ولا تتبع أهواء كفار مكة الذين عالمية الذين المحتود الذين يكتمون الحق ، أو لا تتبع أهواء أي صاحب هري من المشركين أو النهود أو غيرهم .

قال المفسرون : والشريعة في كلام العرب : الموضع الذي يرد منه الناس في الأنهار ونحوها ، فشريعة الله حيث يرد الناس منها أمر الدين ، ورحمته تعالى والتقرب إليه .

٩ ٩ – إِنَّهُمْ لَن يُفَنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ ٱلطَّالِمِينَ يَعْضُهُمْ أَوْلِيَّاءُ يَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِينَّ ٱلْمُتَّقِينَ .

الآية تعليل لقوله سبحانه : وَلَا تُتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّلِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

أي: فهرلاء أصحاب الهوى والشهوات، إن اتبعتهم لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئًا، ولو كان لهم نقم لدفعوا أنفسهم.

وَإِنَّ ٱلظَّلْلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَّاءُ بَعْضٍ ...

أي : إن المتجاوزين حدود الله ، والخارجين على أوامره ، بعضهم أعوان لبعض على الباطل ، فلا توالهم باتباع أهوائهم فهم فى خسران ، ودم على طاعتك لله وتبليغ شريعته ، فإنه سبحانه ولى المتقين ، يرعاهم ويؤيدهم بنصره ، وأنت إمام للمتقين .

ه ٢ - هَلْذَا بَصَلْكِوُ لِلنَّاسِ وَهُدَّى وَرَحْمَةٌ لَّقُوْم يُوقِيُونَ .

هذه رسالة الإسلام ، وآيات القرآن ، علامة هداية ، ونور يضىء طريق الإيمان ، ويبصّر القلوب بطاعة الرحمان ، فقد اختلف أهل الكتاب من بعد ما جامهم العلم ، ثم أنزل الله عليك القرآن هداية ورحمة ، وتبصرة بمعالم الدين ، وأحكام الحلال والحرام ، وتشريعًا لأحكام الله ، وتبصيرًا للناس بدين الله ، وفي القرآن هداية ورحمة ، لاشتماله على ألوان الهداية ، من التشويع والقصيص ، وصفات الله وكمالاته ، وبيان ألوان الهداية التي يتفضل الله بها على عباده ، برحمته وفضله ، وصناته ومغفرته ، وتوفيقه وألطافه ، وسائر معونته لعباده الذين يوقنون بالله بها على عبالاه ربيًا ، ويعدد ﷺ نبيًا ورسولاً .

* * *

الفارق بين المحسنين والمسيئين في المحيا والممات

﴿ أَمْحَسِبَ النِّينَ اجْتَرَحُواْ السّيّمَاتِ أَن بَعْمَلُهُمْ كَالَّذِينَ ءَامنُواْ وَعَيلُوا الصَّلَاحَتِ
سَوَاءَ عَياهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَلَةَ مَا يَعَكُمُونَ شَنْ وَجَلَقَ اللّهُ السّمَنُوتِ وَالْأَرْضَ بِالْمُوَّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبْتُ وَهُمْ الْاَيْظُلْمُونَ شَنْ أَفْرَمَ يَتَمَنِ أَغَذَ إِلْهَهُ هُورَهُ
وَاصَّلَا اللّهُ عَلَى عَلِر وَخَمَ عَلَى مَعْهِ وَقَلْمِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشْوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّهُ الْفَلْا لَمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

المقردات:

اجترحوا السيئات؛ اكتسبوا الكفر والمعاصى.

ساء مايحكمون، قبح ما يقضون به.

من السخة إلهه همواه: من انتخذ بمواه معبودًا له ، فخضم له وأطاعه .

وأضله الله على علم: أضلُّه الله وسلب عنه الهدى بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه.

قال أبن كثير: ويحتمل معنى آخر هو: أضله الله تعلمه أنه يستحق ذلك.

وختم على سمعه وقلبه ، أغلق منافذ الهداية عنده ، فهو لا يقبل ما ينفعه مما يسمعه ، ولا يقبل حقًا لإصراره على كفره .

وجعل على بصره غشاوة، غطاء أو ظلمة فلا يبصر دواعي الهدي.

هُمْ يَهِدِيهُ مِنْ بِعِدِ اللَّهِ ، قَمَنْ يَهِدِيهُ مِنْ بَعِد أِعْرَاضَ اللَّهُ عِنْهُ ؟ أَي : لا أُحِد يهديه .

أهال تتعظون . أتتركون النظر فلا تتعظون .

سېب الترول ،

روى الكلبى فى تفسيره أن عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، قالوا لعلى وحمزة وجمع من المؤمنين : والله ما أنتم على عشىء ، ولى كان ما تقولونه حقًا ، لكان حالنا أفضل من حالكم فى الآخرة ، كما هو أنضل فى الدنيا ، فنزل قوله تعالى : أَمْ حَسِبَ ٱللَّهِنَ ٱجَرَّحُوا ٱلسَّيَّعَاتِ أَنْ لَجْفَلُهُمْ كَالْلِينَ أَعْدُوا زَعْمِلُوا ٱلصَّلِحَاتِ...

التفسير،

٢١ – أَمْ حَسِبَ ٱللَّذِينَ آجَمْرَحُوا ٱلسَّيْمَاتِ أَن تَجْتَلُهُمْ كَٱلَّذِينَ وَانثُواْ وَعَيْلُواْ ٱلصَّلِلِحَنْتِ سَوَاءً مُحْيَاهُمْ
 وَمَعَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَخْكُمُونَ .

زعم الكافرون أن القيامة إذا قامت فإن لهم منزلة سامية عند الله ، كما كانوا في الدنيا ، فسيكرنون كذلك في الآخرة ، وقد رد الله عليهم بأن الذين آمنوا وعملوا الممالحات قد أطاعوا الله وأطاعوا وسوله ، فاستحقوا رضوان الله في الدنيا ، وجنته في الآخرة ، أمّا الكافرون فقد خالفوا أمر الله وكذبوا رسوله ، فاستحقوا غضب الله في البنيا ، وعذاب النار في الآخرة .

قال الزمخشرى :

المعنى: إنكار أن يسترى المحسنون والمسيئون محيا ، وأن يستووا مماتا ، لافتراق أحوالهم في ذلك، والآية متضمنة للرد على الكفار، كما يعرف بأدنى تدبر، لأن الله إذا أنكر عليهم المساواة ، فكيف بالأفضلية؟

المؤمنون عملوا أعمالاً صالحة ، فحافظوا على الإيمان والطاعة ، وابتعدوا عن معصية الله ، والكافرون اقترفوا المعاصى والفسوق فى الدنيا ، وإذا لم يستويا فى الدنيا عملاً ، فلن يستويا فى الأخرة فى الجزاء. وقد جاء هذا المعنى في سورة السجدة ، قال تعالى : أَلَهَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَ يَستَوَرنَ و أَمَّا ٱلَّذِينَ وَامْتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلْلِحَدْتِ فَلَهُمْ جَنَّتُ ٱلْمَأْوَى الرُّهُ بِمَا كَالُواْ يَهْمَلُونَ ، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسقُواْ فَمَازَ سَهُمُ ٱلنَّالُ ...
(السحدة : ١٨ - ٢٠)

وقال تعالى : لا يَسْتَوى أَصْحَلْبُ آلنَّار وَأَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ . (الحشر: ٢٠) .

ومعنى الآية :

سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ .

أي : ساء ما ظنوا ، ويُعُدُ أن نساوى بين الأبرار والفجار في الآخرة ، وفي هذه الدار .

قال مجاهد :

المؤمن يموت مؤمنًا ويبعث مؤمنًا ، والكافر يموت كافرًا ويبعث كافرًا ، نقله القرطبي في تفسيره .

وقد كان الصحابة والتابعون يرددون هذه الآية هضمًا لأنفسهم ، وترغيبًا لأنفسهم فى الحسنات ، وتزهيدًا فى السيئات ، فقد أخرج الطبرانى ، عن أبى الضحى ، عن مسروق أن تمهما الدارى قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية : أمْ حَسِبَ ٱللِّينَ آجَرُحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَن يُجتَّلُهُمْ كَالْلِينَ وَاشُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّلَاحُنَتِ ...

وكان القضيل بن عياض يقول لنفسه إذا قرأها : ليت شعرى ، من أيُّ القريقين أنت ؟

٢ ٧ ~ وَحَلَقُ ٱللَّهُ ٱلسَّمَلُوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُعِثَّرَعَا كُلُّ لَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

بالعدل قامت السماوات والأرض ، والكون كله خاضع لأمر الله خضوع القهر والغلبة ، وهذا الكون يسبّع بحمد الله ، وهو نفمة متناسقة خاشعة خاضعة ، مسبحة بحمد الله ، مستجيبة لأمره ، فالإنسان العابد للطائع متناسق مع الكون ، خاضع لأمر الله ، والكافر العاصمى ، والفاجر الفاسق الخارج على أوامر الله ، هؤلاء نضعة نشاز في هذا الكون ، من أجل ذلك كان لابد من دار جزاء ، يثاب فيها الطائع ، ويعاقب العاصى ؛ لأن خلق الكون بالعدل والحق يؤدى إلى أن تجزى كل نفس بما كسبت ، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ، تلك قوانين العدالة والإنصاف ، ولا يظلم ربك أحدًا .

قال تعالى : وَلَمَتَعُ ٱلْمَزْزِينَ ٱلْفِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْفَيَامَةِ فَلَا تُطْلَمُ نَفْسٌ شَيْعًا وَإِن كَانَ مِفْقَالَ حَبَّهِ مِّنْ عَرُدَل ٱلْبَنَا بِهَا بِهِ وَتَفَعَى بِنَا حَسْسِيسَ . (الاندياء: ٤٧) . ٧٣ - أَفَرَيَتُ مَنِ ٱلْحَدُ إِلَيْهِهُ. هَوَ مِنْهُ وَأَصَلَهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَحَتَمَ عَلَىٰ سَدْمِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَارَةً فَمَن يَقِدِيهِ مِنْ بَعْدِ ٱللَّهِ ٱللَّهِ ٱلْفَرَكُمُّ وَن .

مع أن الكون كله قد خلق بالحق والعدل ، وهو يسبّع بحمد الله تسبيح طائع لله ، ملتزم بأوامره . وقوانينه ، فإنك تعجب حين تجد الكافر الذي يشذُ عن عبادة الله ، فيعبد الهوى والصنم والشهوة ، فهو أسير هواه وشهواته ، وقد سلب الله عنه الهدى والتوفيق ، فاختار الضلالة مع علمه بأنها ضلالة ، كما قال سبحانه ، وَجَعَدُواْ بِهَا وَآسَتُهَنّهَا أَفْسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُواْ فَانَظُوْ كُيْنَ كَانَ عُلْهَمْ أَلْمُ

أو أضله الله عالمًا بحاله ، وأنه يؤثر الهوى على الحق ، لذلك سلب عنه الهدى والتوفيق ، وتركه ضالاً متحيرًا ، فلا يسمع ما يفيده ، ولا يتأمل بقلبه في أسباب الهدى ، ولا يتأمل ببصره في ملكوت السماوات والأرض .

فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكُّرُونَ .

إن الهدى مدى الله ، وإذا كان الله تعالى قد سلب عنه الهدى والتوفيق ، فمن يملك له أسباب الهداية بعد أن سليها الله عنه 1 إن هذا لأمر يسكّمق التفكّى والتذكر.

قال الآلوسي : والكلام على التمثيل . ا هـ .

أى أن الله شبّه إعراض الكافر عن الحق ، وتعاميه عن الهدى ، وتصاممه عن سماح القرآن ، بعن فقد هذه الحواس .

وقديب من ذلك قولمه تعالى : وَلَقَدْ قَوْلُنَا لِمُجَهَّمُ كَيْواً مَنْ الْحِقِّ وَالْإِسرِ لَهُمْ فُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْشُ لا يُشهِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ عَاذَانٌ لاَ يَسْمُعُونَ بِهَا أَوْلَئِيكَ كَالْأَنْصُرِيكَا هُمَّ أَصْلُ أُولَئِيكَ هُمُ آلَمُنظُونَ . (الاعماف ١٧٠) .

وجاء في حاشية الجمل على الجلالين ما يألي :

وصف الله تعالى الكفار بأربعة أوصاف:

الأول : عبادة الهوى .

الثاني: ضلالهم على علم.

العالث: الطيم على أسماعهم وقلويهم.

الرابع: جعل الغشاوة على أبسارهم.

وكل وصف من هذه الأوصاف مقتض للضلالة ، فلا يمكن إيصال الهدى إليهم بوجه من الوجوه .

من تفسير القرطبي

دكر القرطبي في تفسير قوله تعالى : وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ...

قَالُ مَقَاتُلَ : نزلت في أَبِي جَهِل ، ذلك أَنّه طاف بالبيت ذات ليلة ، ومعه الوليد بن المغيرة ، فتحدثا في شأن النبي ﷺ فقال أبو جهل : والله إلى لأعلم أنه صادق ، فقال له : منّه ، وما دلّك على ذلك ؟ قال : يا أبا عبد شمس كنا نسمّيه في صباه الصادق الأمين ، فلما تمّ عقله وكمل رشده نسمّيه الكذاب الخائن ، والله إنّى لأعلم أنّه صادق ، فقال : فعا يمنعك أن تصدقه وتؤمن به ؟ قال : تتحدث عنى بنات قريش أنّى اتبعت يتيم أبى طالب من أجل كسرة ، واللات والعزّى لا أنبعه أبدا ، فنزلت : وَشَتُمَ عَلَىٰ سَمْهِو وَلَلْهِ ... (٣٠)

وقد أورد القرطبي هي تفسيره لهذه الآية عشرة أبيات في ذمّ الهوى ، والدعوة إلى مخالفة هوى النفس، واتباع العلم والدّبين، ومن ذلك قول عبد الله بن المجارك :

الاً يُسرى لك عسن هسواك نسزوعُ والمحسرٌ يشبع تارة ويسجسوعُ ومن البلايا للبلاء علامة العبد عبد النفس في شهواتها

* * *

الردُّ على الدُّهرية ، وذكر أهوال القيامة

﴿ وَقَالُواْ عَاهِمَ إِلَاحَيَانُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَغَيَا وَمَايُهُكُمَّا إِلَّا الدَّهَزُّ مَالْمُم بِلَاكِ مِنْ عِلْمِ إِنْهُمْ إِلَّا يَظُنُونَ ۞ وَلِنَانُتُكُ عَلَيْهِمْ ءَلِئَنَا بَيْنَتِ مَاكَانَ حُبَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا الثَّوُلِ عَابَهِمَا إِن كُنتُرُ صندِ فِينَ۞ قُلِ التَّهُ يُعْمِيكُمُ مُّ يُعْيِنُكُمْ مُرْيَّهِمَ مُكُمَّ إِلَى يَقِ الْقِينَدَةِ لَارْيَبَ فِيهِ وَلَيْكُنَّ أَكُمْ النَّاسِ لايقَلَمُونَ۞ وَلَقِهُمَاكُ السَّمَوَتِ وَالأَرْضُ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَ بِذِيضَىمُ الْمُجْعِلُون وَمَرَى كُلَّ أَمْتُوبَائِيةٌ كُلُّ أَمْتُومُنَاعَ السَّمَونِ وَالأَرْضُ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَ بِذِيضَارُالمُبَعِلُونَ۞ وَمَرَى كُلَّ أَمْتُوبَائِيةٌ كُلُّ أَمْتُومُنَا فَي الْمَعْمِلُونَ۞ ﴾

المطردات:

ما هي إلا حياتنا اللغيا: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحياها.

تم وت ونسح يا ، يموت بعض ويولد آخرون ، ولا ميعاد ولا قيامة .

ومايهلكتا إلا اللهر، وما يهلكنا إلا مرور الزمان.

إن هم إلا يعظ نون : ما هم إلا قوم يتوهمون .

ماكان حجتهم؛ ما كان قولهم الذي ساقوه مساق الحجة ، وليس بحجة .

المستبوا يسالبناه أحضروا آباءنا أحياء في هذه الدنيا بعد أن ماتوا .

قل الله يحيكم ، يدرجكم إلى الرجود بعد أن كنتم نطفا .

شم يجمعكم إلى يوم القيامة ، ثم يجمعكم أحياء في يوم القيامة .

لا ربي في الخلق قادر على الإعادة . لا شك فيه ، فإنَّ من قدر على الابتداء في الخلق قادر على الإعادة .

الله على الكفار.

- السيكة: باركة على الرُّكب مستوفزة .

كستسابسها ، محيفة أعمالها .

ي ت ط ق ايشهد .

نست شسخ، نستكتب الملائكة أعمالكم، ونثبت ونعفظ.

تقهيد :

ذكر تعالى شبه الكافرين وما يرون أنه حجة في ظنّهم، واعتقادهم أن هذه العياة الدنيا هي كلُّ شيء، وما يميتهم إلا تتابع الليل والنهار ، فيموت أقوام ويولد آخرون ، ولا بعث ولا حشر ولا حساب ولا جزاء ، وحجتهم تتلخص في طلب إحياء آبائهم بعد أن ماتوا ، والله تعالى جعل الدنيا للعمل دون الحساب ، والأخرة للحساب دون العمل .

وقدم القرآن أدلة على وجوب البعث ، منها أن الله قد بدأ الخلق ، والإعادة أمون من البدء ، ثم إن الله له ملك السماوات والأرض ، وهذا المالك سيبعث الأموات أحياء يوم القيامة ، وعندئذ نجد كلَّ جماعة من الناس جائية على ركبها ، مستوفزة من الهول ، ويتم الحساب والجزاء ، وقد سجل الملائكة والحفظة أعمال كل إنسان في كتاب ينطق عليه بما عمل .

التفسيره

٤ ٧- وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱللَّيْنَا نَمُوتُ وَنَحْيًا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِلَلِكَ مِنْ عِلْم إِنْ هُمْ إِلَّا يَطْتُونَ.

قال المشركون : لا بعث ولا حشر ولا حساب ولا جزاء ، وليست هناك حياة آخرة ، وإنما الموجود هو الحياة الدنيا فقط، تعيش فيها مرة ثم نموت ثم نصيا في أبنائنا والأجيال التي تأتي من بعدنا ، وما بهلكنا إلا كرً الآيام وتتابع الليالي ، وهي فكرة خاطئة لا تعتمد على شرع نزل بذلك ، ولا على يقين مؤكد مثل : ١ + ١ = ٢.
إنما هو ظن ظنّه أهل الجاهلية ، والدهر أو الأيام والليالي ليست هي التي تميت ، ولى كان ذلك كذلك لمات الناس جميعا في سن معينة ، لكن المورد يأتي على الصغير كما يأتي على الكبير ، ويأتي على القوى كما يأتي على الضعيف ، ويأتي على المثيخ كما يأتي على الشاب ، ويأتي على السليم كما يأتي على المريض ، فالأجل عند الله في كتاب في اللوح المحفوظ .

٥٧- وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَكُمَّا بَيَّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ ٱثْنُواْ بِنَابَاتِمَا إِن كُنتُمْ صَداوِينَ .

إذا قرئت عليهم آيات القرآن واضحات بينات ، وفيها دلائل التوحيد وأخبار السابقين ، وتشريع المؤمنين وبهان العقائد والعبادات والمعاملات؛ لجأوا إلى الجدال بالباطل ، فقد اقترحوا على النبي ﷺ عددا من الاقتراحات من بينها ما يأتى :

(أ) إبعاد الجبال عن مكة ، وتسخير أرضها بالينابيع والخضرة مثل أرض الشام .

(ب) إحياء رجلين معن مات من آجاتهم ، منهما قصيّ بن كلاب ، حتى يسألوه عن البعث بعد الموت وهل هو حق، ويسألوه : هل محمد صادق في دعواه الرسالة ؟

وهنا حكى القرآن قولهم وهو شبهة ، وسماها القرآن حجة بناء على زعمهم أو تهكمًا بهم . و المُقصود مرر الآية :

إذا دعوتُهُم إلى الإيمان وقرأت عليهم آيات القرآن : لم تكن لديهم وسيلة إلى الرفض إلا الجدال بالباطل، وطلبهم أن تبحث لهم من مات من آبائهم إن كنت صادقًا في أن البحث حقّ.

والله تعالى قد حدد للبعث وقتا ، وجعل ذلك ناموسًا من نواميس الحياة ، حتى لا يكون الخاق عبثا وباطلا ، فلابد من داريكون فيها الحساب والجزاء ، أما أن يكون البعث وسيلة للتسلية ، أو اقتراحا يقترحه أهل مكة ، فالله لا يعجل لعجلة العباد ، ولا يغيرُ النواميس من أجل اقتراح الأشضاص .

٣٠ – قُلِ ٱللَّهُ يُحْمِكُمْ أُمَّ يُعِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِينَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَلْكِنَّ أَكُثُو ٱلنَّاسِ لا يَعْلَمُونَ .

إن الله تمالى هر الذى أحياكم حين كنتم نطقة فى ظهور آباءكم ، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم ، فالحياة والموت بيد الله وحده ، لا بيد الآيام والليالى أو الدهر كما زعمتم ، ثم يبعثكم ويجمعكم يوم القيامة . لا شك فى حصوله ، حتى يجازى كل إنسان بما عمل ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكر فى الدلائل . وهَى معنى هذه الآية قوله تعالى : ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمُؤْتَ وَٱلْحَيْؤَةَ لِيَنْلُوكُمْ أَيَّكُمْ أَخْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ / الْمُقُونُ (السك: ٢).

وقوله سهمانه : كُمَّا بَدَأْتَا أَوُّلُ خَلْقِ تُعِيدُهُ . . (الأنبياء : ١٠٤) .

وقوله عز رجل : وَهُوَ ٱلَّذِي يَنْدُواْ ٱلْحَلْقَ ثُمُّ يُعِدُهُ، وَهُوَ أَهُونَ عُلَيْهِ وَلُهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَـُواتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَزِيمُ ٱلْحَكِيمُ . (الدوء ٧٧) .

٧٧ - وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَلُوٰ تِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَعِلِهِ يَحْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ .

الكون كله فى قبضته رطوح إرادته ، وهو سبحانه له ملك السماوات وما فيها ، وملك الأرض وما عليها، وله الملك وحده يوم القيامة ، وفى هذا اليوم يخسر المكذبون الكافرون المتعلقون بالأباطيل ، ويظهر فى ذلك اليرم خسرانهم لأنهم يصديرون إلى الشار .

تعليق

يذكر المفسرون في هذه الآية والآية السابقة عليها الردّ على الدهرية ، وهم قوم من العرب كانوا يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ودورة الزمان ، وينسبون الحياة والموت إلى الدهر ، وإذا أمابهم مكروه سبُّوا الدهر ، ووجد من غيرهم من الطوائف من يوافقهم على ذلك ، منهم جمهور الفلاسفة الدُهريين والملاحدة في كل زمان ، حيث ينسبون الحياة وتنوع أشكالها إلى التطور الذي استمر ملايين السني ، وفي اعتقادهم أن ليس وراء ذلك قوةً مدبرة مبدعة خلاقة ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون صدفة ، ومنهم من ينتسب إلى الإسلام لكنه في كتاباته العلمية يجارى هؤاء ويشجل أن يذكر نسبة الخلق إلى خالق مبدع ، وربما قال: الطبيعة هي التي أبدعت وصنعت، ولو شتل عن الطبيعة : أنها فكر؟ لما كان لديه جواب ، وهم كما قال تعالى: وَمَا لَهُم بِلُمِكِ فَنْ مِنْ عِلْم إِنْ غُمْ إِلاَ يَطْلُونَ. (الجائية: ٤٤) .

وإلا فأين الأسلوب العلمى فى نسبة حدوث هذه المخلوقات العجيبة ، بما فيها من الأجهزة العلمية الدقيقة ألتى تتكامل لتزدى وظائف معينة على أكمل ما يكرن ، كيف تُنسب إلى الصدفة أو الطبيعة غير العاقلة؟ سبحان الله : كيف يعمى الهوى الأبصار والبصائر "".

من دلائل الإيمان

الإيمان فطرة في الإنسان ، ويذيل اليقين والهدوه النفسي ، ويه جامت الرسل والكتب ، وأثبتت الإحصاءات الرسمية وغير الرسمية أن المؤمنين أقدر على المبير والتماسك في الشدائد ، وأقدر على الشكر والتعارن والتصادق ومساعدة الأخدين في السراء والضراء ، والإيمان سند وعون في الملمات ، ووسيلة لاتباع مكارم الأخلاق ، والبعد عن المعاصبي والقبائح ، ولو لم يكن ما أرسل به الرسل دينًا لكان في دنيا الناس شيئًا عظيمًا ، إن دلائل الإيمان شواهد في خلق السماء والأرض والنجوم والجبال والنّبات والأشجار والإنسان والميوان والشمس والقمر والهواء والماء ، وكل ما تراه العين يدل على إبداع الخالق سبحانه بديع السماوات والأرض.

قال تعالى : ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي حَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلَّأَدُّ مِنَ وَجَحَلَ ٱلطُّلُمَسْتِ وَٱلْتُوزَ ... (الأنعام : ١) .

عودٌ إلى التفسير ،

٨ ٧- وَتَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰۤ إِلَىٰ كِتَسْبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُتُمَمَّ تَعْمَلُونَ .

تصف الآية مشهدًا من مشاهد القيامة ، يشتد فيه الهول ، وتزفر جهنم زفرة لا يبقى أحدُّ إلا جِثَا على ركبتيه مستوفزا، لا يلمس الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله .

قال الحسن : ترى كل أمة باركة على الركب ، كل مجموعة أو ملة واحدة تدعى إلى كتابها ، أى : صحيفة عملها. وقيل : كلُّ ملة تدعى إلى الكتاب المذزل عليها .

ولسان الحال أو لسان المقال يقول : آلْيُوْمَ تُحْزُوْنَ مَا كُنعُمْ تَعْمَلُونَ .

هذا يوم الجزاء على أعمالكم: فَمَن يَعْمَلْ مِفْقَالْ فَرَّةٍ خَيْرًا يَرَةُر هِ وَمَن يَعْمَلْ مِفْقَالْ مَرَّةٍ شَرًّا يَوَهُر . (الزازلة: ١٨).

٧٩- هَلَا كِتَلَيْنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَسِعْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

هذا كتاب أعمالكم يشهد عليكم بالعدل والصدق ، فقد كان الحفظة يكتبون أعمالكم ويسجّلون حسناتكم وسيئاتكم ، وكلمة نستنسخ بمعنى نكتب ، وحقيقة النّسخ : هو النقل من أصل إلى آخر.

قال ابن عباس: تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابل الملائكة الموكّلون. بديوان الأعمال ما كتبه الحفظة معاقد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر، مما كتبه الله في القدم على العباد قبل أن ينطقهم، فلا يزيد حرفا ولا ينقص خرفا، فذلك هو الاستنساح، وكان ابن عباس يقول: ألستم عربًا، وهل يكون الاستنساح إلا من أصل (٣٠).

وقمي فتح القدير :

إِنَّا كُنَّا نَسْتَسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

أى: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم ، أي بكتابتها وتثبيتها ، وقيل : إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الشهادة أم

وفى معنى هذه الآية قوله تعالى: وَوُطِيعَ ٱلْكِتْلَبُ وَجِأْتَهُ بِٱلْتُوبِينَ وَٱلشَّهَدَاءِ وَقُفِيَ يَنْهُم بِٱلْحَقُ وَهُمْ لَا يُطْلُمُونَهُ . (الدَيدِ: ١٩) .

وقول، عن مثانه : وَوُضِعَ ٱلكِتَابُ قَتَرَى ٱلْمُعْرِمِينَ مُطْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَلْوَيْلَنَنَا مَالِرَهَـلَمَا ٱلْكِتَابِ لَا يُفادِرُ صَعِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصُلُهَا وَوَجَدُواْ مَا عَبِلُواْ حَاهِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَثِّكَ أَحَدًا . (الكيف: ١٩٩) .

وقال على رضى الله عنه : إن لله ملائكة ينزلون كل يوم بشىء يكتبون فيه أعمال بني آدم .

وهذا يدل على أن الكتابة هنا رمز لطرق الإثبات والاستيثاق والحفظ وتسجيل الأعمال ، حتى لهفاجاً العبد بأن كل ما عمله مسجل محفوظ ، كما قال سيحانه : أَحْصَلُهُ ٱللَّهُ وَلَسُوهٌ . . . (المجانلة : ٢) .

من مشاهد القيامة

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اَمَنُوا وَعَيِلُوا الصَّلُوحَنِ فَيَدْ خِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحَّمَتِهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْمُرِينُ ﴿ وَمَا اللّذِينَ كَذَرُوا اَ فَامَرَتُكُنَّ النِي تَتْلَ مَلَيْكُوفَا سَتَكَبَرَتُمْ وَكُمْ فَوَمَا لَجُومِينَ ۞ وَإِذَا فِيلَ إِنَّ وَعَدَا لِلّهِ حَتَّى وَالسَّاحَةُ إِن فَطُنُ إِلَا ظَنَا وَمَا ضَنُ مِيمَ السَّاحَةُ إِن فَطُنُ إِلَا ظَنَا وَمَا ضَنُ مِيمَ السَّاحَةُ إِن قَطْنُ إِلَا ظَنَا وَمَا ضَنُ مِيمَ اللّهَ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللللللللللللللللللللللللللللل

المفردات :

هـ وحـ مـ تـــه ، في جنته .

أفلم تكن آياتي تتلي ، يقال لهم ذلك .

لارب السياد لا شك فيها.

ميا السياعية ، أي شيء الساعة ؟ ما حقيقتها ؟

وحساق بسهسم ، وأحاط بهم ونزل .

نيتسيداكيم : نترككم في العذاب ترك المنسى .

كسمسا تسسيسته ، كما تركتم الاستعداد للقاء ربكم في هذا اليوم .

وم____أواكــــم، ومحل إقامتكم.

آيــــات الله ، القرآن .

وضبرتبكسم وخدعتكم فاطمأننتم إليها .

ولا هم يستحتبون الى: ولا يطلب منهم أن يُعتبوا ربهم ، أى أن يرضوه ، يقال : عتب عليه فأعتبه ، أى : لاسه فأرضاه بإزالة ما لامه من أجله ، والعتبي هي الرضا .

السسكيريسسماء، العظمة ، وهي من الله مدوحة لأنه العظيم الذي لا يدرك الخيال لعظمته حدًّا ، وليس العراد بها أنه متصف بصفة المتكبرين من احتقار الناس وامتهانهم .

تەييد :

تصف الآيات جزاء المتقين في الجنة ، وعقوبة الكافرين في النار، وتعرض أهوال القهامة وما يحيقي بالمجرمين ، حيث يتركون في النار يذوقون الهوان ، ويعاملون معاملة المنسيين المهملين جزاء سخريتهم بالقرآن وغرورهم بالدنيا ، فلهم في الآخرة خلود أبدى في جهنم ، ولا يقبل منهم اعتذار ، ولا يسمح لهم بالعودة إلى الدنيا مرة أخرى للترية من المعاصى ، وطلب العتبي والرضا من الله .

وتختم السورة بالحمد لله رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ، أي عالم الإنس ، وعالم البن ، وعالم البن ، وعالم البن ، وعالم المثلث والبقاء ، وعالم المثلث والبقاء ، وهو سيحانه المتفرد بالكبرياء ، المتوحد بالعظمة والبقاء ، وليس كبرياء التعالى على الضعفاء ، بل هو تعظيم الخالق الرازق المتصف إجمالا بكل كمال ، والمنزه إجمالا عن كل نقص .

التفسير :

• ٣- فَأَمُّ ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ فَيُدْحِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَالِكَ هُو ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ .

ينقسم الناس في الآخرة إلى قسمين: المؤمنون ، والمجرمون .

أما المؤمنون الذين آمنوا بالله وأطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه ، وقدموا الأعمال الممالحة ، فيدهلهم الله في جنته ورضوانه ، وذلك الغوز أعظم فوز لأنه النجاح الذي لا يعدله نجاح ، النجاح في الأخرة حيث المياة الحقيقية ، وفي الحديث المسحيح : أن الله تعالى قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ٢٠٠ ٣١- وَأَمَّا ٱلَّهِ بِن كَفَرُوٓا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُعْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبُرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ .

وأما الذين كفروا فينالون التربيخ والتقريع واللّم، حيث يقال لهم: ألم أرسل لكم الرسل تقرأ عليكم آياتي فأعرضتم عن سماعها ، واستكبرتم عن الإيمان وكنتم قرما فاسقين ، خارجين عن حد الاعتدال ، لم تستخدموا عقولكم ولا تفكيركم في هذه الهداية التي ساقها الله لكم .

٣٧– وَإِذَا قِيلَ إِنْ وَعَدْ ٱللَّهِ حَقَّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَبِّ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نُظُنُّ إِلَّا ظَنَا وَمَا نَحْنُ بَمُسْتَقِينِينَ .

إذا قال لكم الرسول ﷺ والمؤمنون معه: آمنوا بالله ، فإن ما وعد به من البعث والمسر، والعساب والجزاء والجنة والنار ، حق لا بنك فيه ، والساعة وهي القيامة قادمة لا بنك في قدومها ، كان جوابكم : لا نعلم ما هي الساعة ، ولا نتيفن بمجيئها ، إنما نسمع عنها سماعًا ، ونعلم عنها من كلام المؤمنين ، فنظن قيام القيامة طنًا غير متحققين من قدومها ولا متثبتين ، فهو بنك أو احتمال أو طن أن تقوم القيامة ، ولكنًا غير متيقنين ولا متأكدين ولا جازمين بذلك .

٣٣ - وَبَدَا لَهُمْ سَيَّعَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ .

وظهر أمامهم واضما جليا عقوبة السيئات التى ارتكبوها فى الدنيا ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، وأحاط بهم العذاب والنكال والغزى من كل جانب ، جزاء سخريتهم بالمرّمنين ، وتكذيبهم بالبعث والصشر والثواب والعقاب .

٣٤ - وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَسَبْكُمْ كَمَا لَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَلْذَا وَمَأْوَلْكُمُ ٱلثَّارُ وَمَا لَكُم مِّن لَلصِرِينَ .

لقد شاهدوا العذاب واضحاً أصامهم ، ثم يقال لهم على سبيل التبكيت والعتاب : لقد أنعمنا عليكم بالنعم، وأرسلنا لكم الرسل فاستهزأتم بالدرسلين ، وأعرضتم عن الإيمان ، وتناسيتم القيامة والبعث والمشر والجزاء ، فاليوم نهملكم ونعاملكم معاملة من نُسى وأهمل أمره ، وترك في النار خالدا ، فمألكم النار هي دار إقامتكم ، ولا تجدرن وليا ولا نصيرا .

قال ابن كثير في تفسيره:

وقد ثبت فى المنحيح أن الله تعالى يقول لِمِحْن الحبيد يوم القيامة : «أَلم أَرْبِجِك ؟ أَلَم أَكْرِمك ؟ أَلم أُسخر لك الحيل والإبل ؟ وأنرك ترأس وتربع ؟ ، فيقول : بلى يـا رب ، فيقول : أظننت أنك سلاقىً ؟ فيقول : لا، فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيتنى» (١٠٠٠). ٣٥- ذَا لِكُم بِأَنْكُمُ ٱلنَّحَلُتُمْ عَايِئتِ ٱللَّهِ هُزُوا وَغَرَّنُكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَغَيَّبُونَ

ذلكم العذاب بأنكم سخرتم من القرآن وآيات الله ومعجزاته البينات ، واستهزأتم بالرسول والمؤمنين والدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، وشغلتكم الدنيا بما فيها ، وظننتم ألا بعث ولا جزاء ، فاليوم يوم الجزاء ، لا تخرجون من النار أبدًا ، ولا تقبل منكم توية ، ولا ترجعون إلى الدنيا أملا في العتبي ، أى مرضاة إلله والعمل بما يرضيه ، فقد مضى أوإن التوية والرضا ، لأن الدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل .

قال صاحب الظلال:

ثم يسدل الستار عليهم بإعلان مصيرهم الأخير ، وهم متروكون في جهنم لا يخرجون ، ولا يطلب إليهم اعتذار ولا عتاب.

فَٱلْيَوْمَ لَا يُشْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَغْتُبُونَ .

وكأننا نسم مع إيقاع هذه الكلمات صرير الأبواب وهي توصد إيصادها الأخير ، وقد انتهى المشهد. فلم يعد قيه بعد ذلك تغيير ولا تحوير .

٣٧،٣٦- لَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَاتِ رَرَبٌ ٱلْأَرْضِ رَبُّ ٱلْمُعْلَمِينَ ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَرِيمُ ٱلْحَكِيمُ .

بينت السررة آلاء الله رأفضاله ، واشتملت على البراهين الساطعة ، والنصوص القاطعة في المبدأ والمهعاد ، وانتهاء الأخيار إلى الجنة ، والفجار إلى النار ، وعند مذه النهاية تعلن السورة أن الحمد كله والثناء كله والمجد كله والعظمة كلها لله خالق الكون ، رب السماوات وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب المالمين ، وهو الإله المق لكل ما عدا الله .

وَلَهُ ٱلْكِبْرِيمَاءُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيرُ ٱلْحَكِيمُ.

العظمة والجلال والسلطان والكمال لله وحده الذي خضع له الكرن وذلّد لعظمته الجباه ، وسبح بحمده كل كائن ، وله كمال الذات وكمال الوجود ، فلا تخضع الجباه إلا له ، ولا ينبغى التسبيح إلا له ، فله المحد وله الملك وله الكبرياء فى السماوات والأرض ، لا عن تجبر وترفع عن الفقراء ، بل هو أهل لأن يحمد، وهو أمل لأن يطاع ويرقّر ، ويعظم فلا يُعصى ولا يجحد ، وهو العزيز الذي لا يقهر ، والحكيم فى كل ما قضى وقدر ، وهو بحكمته يضع الشيء في موضعه ، وجميع أعماله صادرة عن حكمة إلهية علها .

وقد ورد في الحديث الصحيح : «العظمة إزاري ، والكهرياء ردائي ، فمن نازعني ولحدًا منهما أسكنته ناري» (۱۲۰)

قال مجاهد:

وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْض ...

يعنى: السلطان، أي هو العظيم المجد، الذي كل شيء خاضع له، فقير إليه.

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ... الذي لا يُغالب ولا يُماتع.

أَلْحُكِيمُ . في أقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، تعالى وتقدّس لا إله إلا هو .

وذلا حظ أن قراءة حقص : رَبِّ ٱلسَّمَاوَاتِ . يخفض ربِّ ، على أنه صفة للفظ الجلالة أو بدل منه .

وجاء في تفسير القرطبي ما يأتي :

قرأ مجاهد وحميد وابن محيصن : رُبُّ السمارات وَرَبُّ الأَرض رَبُّ العالمين ، بالرقع فيها كلها على معنى: هو ربُّ .

وِّلَّهُ ٱلْكِبْرِيَّاءُ . أي : العظمة والجلال والبقاء والسلطان والقدرة والكمال .

خلاصة ما تضمئته سورة الجاثية

- ١ إقامة الأدلة على وجود الخالق سبحانه.
- ٢ -- وعيد من كذب بآياته واستكبر عن سماعها .
- ٣ -- طلب العقو من المؤمنين عن زلَّات الكافرين .
- \$ الامتنان على بنى إسرائيل بما آتاهم الله من النعم الروحية والمادية .
 - ٥ أمر الله رسوله ألا يطيع المشركين ولا يتيع أهواءهم.
- ٢ لا يستوى مرتكب السيئات العاصى للرحمان ، وفاعل الحسنات المطبع الله ، فقد اختلفا سلوكا في الدنيا،
 وكذلك الجزاء يرم القيامة من جنس العمل .
 - ٧ التَعبُّب من حال المشركين الذين أضلهم الله على علم.
 - ٨ إنكار المشركين للبعث.
 - ٩ إذا زفرت جهدم جثت كلُّ أمة على ركهها ، مستوفرة خاشعة خائفة من هول الموقف .
 - ١- الأتقياء في الجنة ، والأشقياء في النار.
 - ١١ أهوال القيامة ، ومشاهد الكافرين يقرُّعون باللوم على استهزائهم بالقرآن ، وتكذيبهم بآيات الله .
 - ١٢- ثناء المولى على نفسه ، وإثبات الكبرياء والعظمة له سيحانه وتعالى .

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة الحَّالِة ، بظهر السبت ٢١ من ربيع الأول ١٤٢١ هـ ، الموافق ٢٤ من يونيو ٢٠٠٠ ، بمدينة المقطم بالقاهرة ، والحمد لله الذي بنعمته تتم المسالحات .



(١) عجبًا لأمر المؤمن:

. أشرجه مسلم (۲۹۹۹) وللفظ له , وأحمد (۱۸۵۰ ، ۱۸۶۰ ، ۲۳۵۲ ، ۲۳۴۱) ، والدارمي (۲۷۷۷) ، من حديث صمهيب بن سنان قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ».

- (٢) في طلال القرآن بقلم سيد قطب ٢٤ / ٧.
- (٣) رواه الإمام أحمد ، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .
 - (٤) ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم :

نكره البهندي في كنز العمال (٧٩١٣) عن مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : جاه قيس بن مطاطية إلى ماقة فيها سلمان الفارسي وصعيب الرومي وبلال الحبشي فقال : مؤلاء الأوس والفرزج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء ؟ فقام الميه معاذ بن جبل فأعذ بتلابييه حتى أتى به النبي ﷺ فأعيره بمقالت ، فقام رسول الله ﷺ مفضيًا يجرز بداءه حتى دخل المسجد ، قم نودي : المساقة جامعة ! فحمد الله وأثنى عليه قم قال : «يا أبها الناس ، إن اللب بن واحد ، وإن الأب أب واحد ، وإن الدين دين واحد ، الا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم إنصا عنى لسان ، فمن تكلم بالمدينة فهو عربي» ، فقال معاد وهو أخذ بتلابيهه : يا رسول الله ، ما تقول في هذا المخافق ؟ فقال : «دعه إلى الذان على المنافق ؟ فقال : «دعه إلى النان » قال المنافق ؟ فقال : «دعه إلى النان » قال : الكان فيون أراد فقتل في قرية .

- (ه) انظر تفسير الألوسي.
- (٦) التفسير الوسيط: المجلد الغالث ،النعزب القاسع والأربعون ، ص ٧٣٨ .
 - (٧) تقلاً عن : في ظلال القرآن ، المجلد ٥ ص ٢٩٤٩ .
 - (٨) إن الصدقة توضع في يد الله :

رواه المخارى فى الزكاة (۱۹۱۰) وفى القرحيد (۷۶۲۷) وبسلم فى الزكاة (۱۰۱۰) والترمذى فى الزكاة (۱۲۰) وأحمد فى مسنده (۱۸۱۸) والندرمنى فى الزكاة (۱۸۷۰) وأحمد فى مسنده (۱۸۸۸) والدارمى فى الزكاة (۱۸۷۰) وأحمد فى مسنده (۱۸۸۸، ۱۸۸۸، ۱۸۹۸، ۱۹۸۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۸۹۸، ۱۹۹۸

(٩) إنَّ الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة هل رضيتم :

رواه البخاري في الرقاق باب: صفة الجنة والنار (١٩٨٣) وفي القوحيد باب: كلام الرب مع أهل الجنة (٣٠٠٠) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأملها ، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ، فلا يسخط عليهم أيدًا (٢٨٢٩) والترمذي في صفة الجنة (٢٨٨٠) من حديث أبى سعيد الخدري ، وتمام لفظه : وإن الله عز رجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : كبيك رينا وسعديك والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضي يا رينا وقد أعطيتنا ما لم تعد أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعدة أبداك . وقال الترمذي : فذا حديث حسن صحيح .

(• ١) أفضل الدعاء الحمد لله :

رواه النرمذي في الدعوات (٣٣٨٣) وابن ماجة في الأدب (٣٨٠٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، بقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : وأفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» . وقال القرمذي : هذا حديث حسن غريب لا نمرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ، روقد روى على بن المدينى وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث.

(٩ ٩) خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله .

رواه الترمذى فى الدعوات (٣٩٥٧) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن النبي ﷺ قال: «هير الدعاء دعاء يوم عرفة، وهير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الممد وهو على كل شرء قديره . قال أبو عيسى : هذا حديث غرب من هذا الرجه ، وحماد بن أبى حميد هو محمد بن أبى حميد رهـد أبر إبراهمم الانصارى العديني وإيس هو بالقرى عند أهل الحديث .

(٢ ٢) من شغله القرآن وذكري عن مسألعي :

رواء القرمذي في فضائل القرآن (٢٩٣٦) من حديث أبى سعيد ثال : قال رسول الله ﷺ: ديقول الرب عز رجل: من شاطه القرآن رذكري عن مسائلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كلفمل الله على خلقه». قال أن عيسس : فلا حديث حديث غريب .

(١٣) انظر تفسير القاسمي ، مجلد ٦ ص ١٧٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبقان .

(١٤) ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب :

رياه البخاري في المرضى باب : ما جاء في كفارة المرضى (٦٤٧) ومسلم في البر والصلة والأداب ، باب : فواب المؤمن فهما يصديه من مرضى أن حزن (٢٥٧٣) عن مائشة قالت : قال رسول الله ﷺ: وما من مصدية تصديا السطم الإمان أن مرافقة المؤمن فهما عنه ، حتى الشوكة يُشاكها ، ورواه البخاري فيما نقدم (١٧٥٨) عن أبي معيد الخدري ، وبن أبي مردية عن النبي ﷺ قال ان : هما يصميب المسلم من نصب ولا وصبي ، ولا عم رلا متري لأنهى ولا أنهى ولا تقدم لا متى الشوكة يُشاكها ، ولا يقدم لا يقدم المؤمن أن المؤمن المؤمن أن ال

(ه ١) أشد الناس بلاء الأنبياء:

بوب به البخارى في كتاب للمرضى ، ورواه الترمذى في الزهد (۲۳۹۸) ، وابن ماجة في الفتن (۲۰۲۷) ، وأحمد (۱۶۸۵م ۱۹۵۷ ، ۱۵ را ۱۹۱۰ ، ۱۲۱۱ ، وللدارس في الرفاق (۲۷۸۳) ، من حديث سعد بن أبي وقاص ، وقال الترمذي : حسن محميح

(١٦) مختصر تفسير ابن كلير للأستاذ محد على الصابوتي ، المجلد الثالث ص ٢٧٩ .

(١٧) ما انظم رسول الله 越 لنفسه :

رواه البخارى فى المناقب (٣٥٠٠) وفى الأدب (٣١٢٦) وفى الحدود (٣٨٢٦، ٦٨٥٢) ومسلم فى الفضائل (٣٣٢٧) من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أبسرهما ، ما لم يكن إثما ، فإن كان إلما كان أبعد الذاس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها .

(١٨) ما نقصت صنقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو:

رواه مسلم في الير والمسلة (٢٥٨٨) ، والترمذي في البر والمسلة (٢٠٢٩) ، وأحمد (٥٧١٥ ، ٧٨٢٨) ، والدارمي في الزكاة (٢٧٧٦) من حديث أبي غريرة ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٩٩) ما نقمت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا يعفو :

انظر ما قبله .

(۲۰) يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي .

رواه مسلم في البر والمسلة والآداب (٢٥٧٧)، والترمذي في صفة للقوامة (٢٥٥٩) وابن ماجة (٤٢٧٥) وأحمد (٥/ ١٥٤، ١٩٠٠،

(٢١) المستهان ما قالا :

رواء مسلم غى النبر (٢٥٨٧) وأبو داو. فى الأدب (٤٨٩٤) والمترمذى فى الهر (١٩٨١) وأحمد فى مسنده (٤٢١٣) من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «المستبان ما قالا فعلى الهادئ ما لم يعتد المظلوم».

(٣٣) عجبًا لأمر المؤمن :

سبق تخریجه ، انظر هامش (۱) .

(٢٣) إن روح القدس نفث في روعي :

ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (٢٧٧٣) بلفظا: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفشا لن تموت حتى تستكمل أطفها ، وتسترعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلهه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يذال ما عنده إلا يطاعته ، التخريج (مقصلا) : أبو نعيم فى الحلية عن أبى أمامة ، تصحيح السيوطى: ضعيف .

(٢٤) أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس:

رواه البخارى في بدء الوحى (٢) وفي بعء الخلق (٢٢٥) ومسلم في الفضائل (٢٣٣٧) والقرمذي في المناقب (٣٦٣٤) ۽ والنسائي في الافتتاح (٩٣٣ / ٩٤٣) وأحمد (٢٤٧٤ / ٢٥٦٦، ٥ ومالك في الموطأ (٤٧٤) من حديث عائشة وانظر كتاب (علوم الدين الإسلامي) للدكتور عبد الله شحاتة ، وفي أوله موضوع (الرحى والقرآن) .

(8 7) ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب:

رواه الترمذي في التفسير (٩٠٠) من حديث جابر بن عبد الله قال: لقيني رسول الله ﷺ ققال لي: «يا جابر ما لي أرأك منكسراً» ؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وتراء عجالاً وبينا ، قال: «أفلا أبخرك بما لقي الله به أباك» ؟ قلت: بلن يا رسول الله ، قال: «ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وأحياً أباك فكلمه كلاحًا ، فقال: يا عبدي تمن علي أعطك ، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب عز رجل: إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجمون». قال: وأنزات

(٢٦) من المراجع المتيسرة في علوم القرآن:

كتاب: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي.

كتاب : الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي .

كتاب : مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقائي .

كتاب: علوم القرآن للدكتور عبد الله شماتة.

كتاب : مباحث في علوم القرآن للكتور صبحي السالح .

كتاب: مباحث في علم القرآن لمنَّاع القطان.

ونلاحتذا أن محتلم كتب التفسير الأساسية كانت تكتب مقدمة طويلة عن علوم القرآن ، مثل تفسير ابن جرير الطبرى فقد بدأ تفسيره بمقدمة عن نزول القرآن على سبمة أحرف ، وعن المكى والمدنى ، وغير ذلك من مباحث علوم القرآن ، وتجد مثل ذلك في تفاسير : القرطبي ، وابن كثير ، والمنار ، وفي ظلال القرآن ، وتفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الله شماتة، رزفنا لله الإملامي والقوبل والتوفيق والسداد ، اللهم آمين .

(٢٧) اللهم رب السماوات البيع:

رياه المترمذى فى الدعوات (٣٥٣٣) من حديث بريدة قال : شكا خاله بن الوليد المخزيص إلى القبى ﷺ قال : يا رسول الله ما أتام الليل من الأرق فقال النهى ﷺ : وإذا أريت إلى فراعكه فقل : اللهم دب السماوات السبع بما أقلات ويب الأرضين وبما قناوت ورب الشياطين وما أشمات كن لى جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يقوط على أخد منهم أن أن يعني، عزجارك رجل فناؤك ولا إله غيرك لا إله إلا أنت» ، قال أبو عيسى : هذا حديث ليس إستاده بالقوى ، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث ويروي هذا الحديث عن الذين ﷺ حرساً من غير هذا الوجه .

(٢٨) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ٤٢١ ، مع تعديل يسير.

(۲۹) أشرجه مسلم ، وأبو داود ، والنساني ، والإمام أحمد ، وانتش مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ، * ٢٨٠/٣ .

(۳۰) إن كاد ليسلم:

رواه مسلم فى الشعر (٢٢٥٠) وأحمد فى مسند (١٨٩٦٣) من حديث عمرو بن الشريد يحدث عن أبيه قال: استنشدنى رسول الله ﷺ من شعر أمية بن أبى الصلت فأنشدته ، فكلما أنشدته بيتا قال : همىء ، حتى أنشدته مائة قافية ، فقال: وإن كاد ليسلم .

(٣١) أو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة :

رواه الترمذي (٣٣٧) وابن ملجة (٤١١) من حديث سهل بن سعد وقال: هذا هديث صحيح غريب من هذا الرجه ، ولفظ المرجة ، ولا لفظ المرجة ، ولا المرجة ، ولا لفظ المرجة ، ولا المرجة ، ولم المرجة

(٣٢) أفي شِكَ أنت يا ابن الخطاب :

هذا اللفظ جزء من حديث الإيلاء ، رواه مسلم في الطلاق (٤٧٩) ، والترمذي في التفسير (٣٣١٨) من حديث ابن عباس.

(٣٣) هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة :

رواه البضارى فى اللباس (٥٨٣١) وأبو داود فى الأشرية (٣٧٧٣) والترمذى فى الأشرية:(١٨٧٨) وابن ماجة فى الأشرية (٢٤١٤) (٢٨٤٨) من حديث حديثة .

(٣٤) إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى النم:

رياه البخارى في الاعتكاف (٢٣٧٩, ٢٠٣٩) وفي يده النكاق (٢٣٨١) وفي الأحكام (٢٧١٧) ومسلم في السلام (٢٧١٧) و وأبر داود في الصديم (٢٤٧٦) وفي الأدب (٤٩٩٤) وابن ماجة في الصديد (٢٧١٠) وأحمد في مستده (٢٢٢٢) من حديث على بن الحسين ومن حديث مسفية كان النبي هج في المسجد وعنده أزواجه فرجن، فقال لصفية بنت حمين، ولا تعجلي حتى أنصرف معك»، وكان بيتها في دار أسامة فدرج النبي هج مها قلايه وجلان من الأنصار فنظرا إلى النبي هجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني عشيت أن يلقى في أنفسكما شيئاء ، ورواه مسلم في السلام (٢٧١٥) وأبرد داود في يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإني عشيت أن يلقى في أنفسكما شيئاء ، ورواه مسلم في السلام (٢٧١٥) وأبرد داود في السلام (٢٧١٤) وأحد في مسنده (٢٩٨٣) من حديث أنس أن النبي هج كان مع إحدى نسأله قدر به رجل قدعاه فيعاه، فقال : ويا قائر به هذه روجهي فلانة، فقال : يا رسول الله من كنت أظن به ، ظم أكن أطن بك ، فقال رسول الله هج .

(٣٥) ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم :

تقدم تخريجه ، انظر هامش (٤)

(٣٦) إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق:

رواد أحمد في مستده (٨٥٩٥) من حديث أبي هريرة .

(٣٧) وأخرجه أحمد ، والطبراني ، واليهقي في الشعب .

(٣٨) إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصبه ما يحب:

رواه أحمد في مسنده (۱۹۸۳) من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: وإذا رأيت الله يعملى العبد من الدنيا على ' معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج ، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ وَالْمَا نسوا ما ذكروا به فتحا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أرتو اأحذاهم باعثة اؤذا هم مبلسوت﴾ . قال المنارئ في فيض القدير : قال الهيشمى : رواه الطبراني عن شيشه الوليد بن العباس المصرئ ، وهو ضعيف . وقال العرائي : إسناده حسن ، وتبعه المؤلف فرمز لحسنه .

(٢٩) قــال تـــالى : ﴿أَوَ كَالْلَّكُ مِنْ عَلَى قَرِيَةُ وهي خاوية على عروشها قال أنى يتحى هذه الله بعد مرتها قاماته الله مائد عام ثم بعه قال كم لهفت قال لبشت يوماً أو بعض يوم قال بل لبث مائة عام فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنّه و انظر إلى حمارك ولمجملك آية للناس و انظر إلى العظام كيف نشترها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قانيز ﴾ (البقرة : ٢٥٩) .

(٤٠) الأكمه : الأعمى عِلْقةً .

(٤٠١) ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم :

رواه البخارى فى الديوع (٢٢٢٧) ومسلم فى الإيمان (١٥٥) من حديث أبى هرورة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسمًا ، فيكسر السليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية . ويذيفن المال جتى لا يقبله أهده .

٢٤) لا تزال طائفة من أمعى ظاهرين :

رواه البخاري تعليقاً في الاعتصام ، باب : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ، ويصله في المناقب (*۲۵) ، وفي
الاعتصام (۲۷۹۱ ، ۱۷۹۹) ، والدارس (۲۵۲۷) ، وأحدد (۲۷۲۹ ، ۱۳۷۱) من حديث المفيرة ، ورواه مسلم في الإمارة
(*۲۹۱) ، وأبو دارد في الفنز (۴۷۶) ، والترمذي في الفنز (۲۷۲۹) ، وابن ماجة في المقدمة (* ۱) ، وأحدد (۲۸۹۷)
من حديث ثربان بن بجدد ، ورواه البخاري في المناقب (۲۶۳۱ ، ۱۳۵۶) ، ومسلم في الإمارة (۱۳۷۷) ، وأحدد (۲۸۹۸)
من حديث ثربان بن بحدد ، ورواه البخاري في المناقب (۲۶۳۷) من حديث عدر بن المطاب ، ورواه أخسد (۲۰۷۰) ، وأحدد (۲۶۳۳)
الرحمن ، ورواه أخيد (۲۶۳۳ ، ۲۰۷۰) من حديث عبار بن سرة ، ورواه الترمن (۲۹۲۱) ، وأبن ماجة (۱) ، وأحدد (۲۰۵۰)

(۲۰۷۰) من حديث جابر ، ورواه أثبر داوي من الجهاد (۲۸۶۲) وأحدد (۲۹۳۱) ، وأحدد (۲۹۳۱) ، وأحدد (۲۰۵۰)
ورواه أحدد (۲۰۱۷) من حديث سلمة بن نقيل ، رووه أحدد (۲۹۳۱) ، واحدد مدي بن عجلان ، ورواه أحدد (۲۸۲۱) من حديث زيد بن أرقم ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (۷) من حديث عبد الرحمن ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (۷) من حديث عبد الرحمن ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (۷) من حديث عبد الرحمن ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (۷) من طريق عبد الرحمن ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (۲ من حدیث عبد الرحمن ، ورواه ابن ماجة في المقدمة (۲ من طريق الحرواء احد (۲۹۲۷) سام مهم .

(۴) من طريق الحجاء بن أرطاة من معرورون شعيب عن أبهة قال غلم معاوية ... ويواه احد (۲۹۲۷) سام مهم .

(٤٣) أتتم أعلم بأمر دنياكم :

رواه مسلم في الفضائل (٣٣٦٧) وأحمد في مسنده (١٣٦٥) من حديث أنس أن النبي ﷺ مر بقوم بلقحون ، فقال : طو لم تغطوا لصلح» ، قال : فخرج خيصا فعر بهم فقال : «ما لنخاكم»؟ قالوا : تلت كنا وكذا ، قال : «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

(\$ 2) ما نهيتكم عنه فاجتبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطحم :

رواه البخارى في كتاب الاعتصام (٧٢٧٨) ، ومسلم في كتاب الفضائل (١٣٣٧) ، والترمذى في العلم (٢٦٧٩) والنسائى في المناسك (٢١١٩) وابن ماجة في المقدمة (٢) وأحد (٣٩٢٠) من حديث أبي هريرة .

(٤٥) في رواية: يتخوُّلنا بالموعظة ، أي: يعطيها لنا بكميات قليلة ، فترة بعد فترة .

(٤٦) كان النبي 機 يتخولنا بالموعظة :

رواه البخاري في العلم (۲۸ ، ۷۷) ومسلم في منفة القيامة (۲۸۲۷) من حديث ابن مسعود قال : كان الذبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا .

(٤٧) أو أن عبدين تحايا في الله واحد بالمشرق :

نكره الهندى في كنز العمال (٢٤٦٤٦) ونسبه للبيهقي في الشعبُ عن أبي هريرة .

(٤٨) لا تلبسوا الحرير ولا الديهاج:

تقدم تشريجه ، الخار هامش (٣٣)

(٤٩) إنكم سترون ربكم:

رواه المخاري في التفسير (٤٥٨١)، وفي التوحيد (٧٤٤٠)، ومسلم في الإيمان (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري. 🎮

(٥٠) يطلب من الله العتبى والمغفرة والتوبة.

(1 0) أن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت :

رواه البخاري في المرشى (٩٦٧) ومسلم في صطة القيامة والجنة والشار (٣٨١) ، من حديث أبي هريرة قال: سمحت رسول الله ﷺ يقول: «لن يدخل أحدا عمله الجنة» ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: «لا ولا أننا إلا أن يقدمني الله بغضل ورحمة فمددوا وقاريها ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيناً فلعله أن يستمقي،

(٥٢) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم .

(۵۳) تفسير أبي السعود .

(٥٤) التفسير المنير أ. د وهبة الزحيلي ، دار للفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، الجزء ٢٥ من ١٩٦٠ .

(٥٥) من قرأ حم الدخان :

دياه الترمذى فى فضائل القرآن (۲۸۸۹) من حديث أبى هرورة قال: قال رسول الله ∰: دمن قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة غفر ك»، قال أبر عيسى: هذا حديث لا تعرفه إلا من هذا الوجه ، مشام أبو العقدام يضعف وام يسمم الحسن من أمى هريرة ، هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد رعلى بن زيد . ورواه الترمذى أيضًا فى فضائل القرآن (۲۸۸۸) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستففر له سبعون ألف ملك». قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من هذا الرجه وعمر بن أبي خثعم يضعف قال محمد: وهو منكل الحديث ، وفي حاشية الشهاب على تفسير البهضاري (8.4): هذا الصيث أخرجه الترمذي وليس ، موضّع عكل.

(٥٦) في ظلال القرآن ، يقلم سيد قطب ٢٤ / ١٠٥.

(٥٧) اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف:

رواه البختارى فى الأدب (٢٠٠٠) وفى الدعوات (١٣٩٣) ومسلم فى المساجد (١٧٥) وأبر داود فى المسلاة (١٤٤٢) من حديث أبى هريرة قال: لما رفع النبى ﷺ رأسه من الركمة قال: «اللهم أنج الوايد بن الرئيد وسلمة بن هشام وعياش ابن أبى ربهمة والمستضعفين بمكة ، اللهم اشدد وطألك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف».

(٥٨) العِهَّن: الصوف يصبغ بالدم ، ويشوى ويؤكل لشدة الجوح الذي أصابهم .

(99) رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكار من هذا فصير:

رواه المبخارى فى المغازى (٤٣٣٥)، وفى الأدب (١٠٥٩)، وفى الدعوات (١٣٣٦) من حديث عبد الله قال: لما قسم النبى ﷺ قسمة حذين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله . فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فتغير وجهه ثم قال: «رحمة الله على موسى لقد أوذى يأكثر من هذا قصير» .

(٠٠) التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(٩١) في ظلال القرآن ، يقلم سيد قطب ، الجزء ٢٥ من ١٩٦١ ، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٦٣) تفسير القاسمي ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، المجلد ٦ ص ٢١٢.

(٦٣) في غلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ، طبعة الحلبي ، جزء ٢٥ ص ١٩١٦ .

(١٤) انظر تفسير القرطبي ، المجلد ٧ ص ٢٩٥١ ، وتفسير ابن كثير وغيرهما .

(٩٥) إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا :

رواه مسلم في الجنة (۲۸۳۷) والترمذي في التفسير (۲۳۵٦) والدارمي في الرفاق (۲۸۲٤) وأحمد في مسنده (۲۰۵۹) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبدا ، فذلك قوله عز وجل فونو ورا أن تلكم الحدة أور فموها بما كتم تعملوني،

(٦٦) يوتي بالموت على صورة كيش:

رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٧٣٠) والتربذي في تفسير القرآن (٢١٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضمي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ويؤتي بالمرت كهيئة كبش أملم ، فينادي مناد يا أهل الجنة ، فيشرئبرن وينظررن فيقول: مل تعرفون هذا؟ عيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فه ينادى: يا أهل النار فيشرنبون وينظرون فيقول مل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فينبع ، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود قلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرآ · ﴿وَانْفرهم يوم الحسرةاذ قضى الأمر وهم في غفلة ﴾ ومؤلاء فى غفلة أهل الدنيا ﴿وهم لا يؤمون ورواه ابن صاجة فى الزهد (٤٣٧٤) والدارمى فى الرقاق (٢٤٨١) وأحمد فى مسنده (٧٤٩١ ، ٨٨٨٩ ، ٩٨٩٦ ، ٩٨٩١ من مديث أبى هريرة عن الذبى ﷺ قال : «يؤتى بالموت يكبش أغير فيوقف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون ويزون أن قد جاء الفرح، فيفبح ويقال - غلود لا موت...

(٩٧) لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت :

تقدم تشريمه ، انظر هامش (٥١)

(١٨) عله يقصد الإشارة إلى آيات الله الكونية في نفع العباد في الدنيا ، ثم في عقوبة الكفار في الآخرة .

(٦٩) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ٤٢٦ .

(٥٧) يا مقلب القلوب ثبت قلبي :

رواه أحمد في مسنده (٣٤٠٨٣) من حديث عائشة قالت: دعوات كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بهها: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قالت : فقلت : يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء ، فقال : «إن قلب الأدمى بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه . ورواه الترمذي في الدعوات (٢٥٢٢) وأحمد في مسنده (٢٥٩٨٠) من حديث شهر بن حوشب قال : قلت لأم سلمة : يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك قالت كان أكثر دعائه : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت : فقلت : يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؟ قال : «يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابم الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ»، فتلا معاذ ﴿وربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾. قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن ورواه الترمذي في القدر (٢١٤٠) وقال: حسن ، وابن ماجة في الدعاء (٣٨٣٤) وأحمد في مسنده (١١٦٩٧) من حديث أنس قال . كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ، فقلت: يا رسول الله أمنا بك ويما جنت به فهل تخاف علينا ؟ قال: «نعم إن القلوب بين أصبعين من أصبابع الله يقلبها كيف يشاء». قال الترمذي : وحديث أبي سفيان عن أنس أصبح . ورواء أحمد (١٧١٧٨) والحاكم في المستدرك (٢٨٨/٢) من حديث النواس بن سمعان الكلابي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول · «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه». وكان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلوينا على دينك ، والميزان بيد الرحمان عز وجل يخفضه ويرفعه» . ورواه الترمذي في الدعوات (٣٥٨٧) من حديث عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه عن جده قال · دخلت على النبي ﷺ وهو يصلي ، وقد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ووضع يده اليمني على فخذه اليمنى وقبض أصابعه وبسط السبابة ، وهو يقول : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه. ورواه مسلم في القدر (٢٦٥٤) وأحمد في مسنده (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن المعاص قال اله سمع رسول الله على يقول إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمان كاللب واحد يصرفه حيث يشاءه ، ثم قال رسول الله ﷺ «اللهم مصرف القلوب صرف قلوينا على طاعتك».

(٧١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ، جزء ٢٥ ص ١٩٣٠ ، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(۷۲) تفسير القرطبي ، مجلد ۷ ص ۲۹۷۱ ، طبعة دار القد العربي – العباسية – الفاهرة . وقارن بتغسير مقاتل بن سليمان. تحقيق د . عبد الله شحاتة ۳ / ۸4۰ .

(٧٣) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت :

رواه الترمذي في سعة القيامة (٣٥٩) وابن ماجة في الزهد (٣٤٠٠) وأحمد في مستده (٦٦٧٤) من حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال ، «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز عن أتبع طبعه مواها وتعنى على الله». قال منا عديث حسن : ومعنى قوله : بعن دان نفسه يقبل : عاسب نفسه في : نها قبل أن يحاسب يوم القيامة ، ويروى عن عمر بن المغاب قال ، حاسبو التفعكم قبل أن تحاسبوا وتزييوا للعرص الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا ، ويروى عن ميمون بن مهران عال ٠٤ يكون العبد تقيا جتى يحاسب نفسه كما يحاسب على عداس كرية من أن علمه وعليسه .

(٧٤) زيدة التنسير من فتح القدير ، محمد سليمان عبد الله الأشقر ، ص ١٤٤ طبعة أولى ، على نفقة وزارة الأوقاف الكويت .

(٧٥) منفرة التفاسير ، محمد على الصابوني ، المجلِّد الثالث ص ١٨٨ .

(٧٦) أنت رحمتي أرحم بك من أشاء:

رواه البضارى في التفسير (* 600) ومسلم في الحنة (٢ ٢٥٤) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال اللغبي على الم «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة ما لن لا يدخلني إلا جمعفاء الناس وسقطهم ، قال الله تبارى وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم يك من أشاء من عبادى وقال للنار : إنما أنت عنابي أعنب يك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تعتلى حتى يضم رجله فتقول : قط قط فهنالك تمثلئ . ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وحل من طقة أحدا ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقًا».

(٧٧) أي قل ، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل :

رواه مسلم في الزهد (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة اتال : قالوا : يا رسول الله على نرى ربنا يوم القيامة ؟ قالوا : لا ، فهل نضارون في رينة القمر لهلة البدر لمن مسحاية » قالوا : لا ، قال . «فهل نضارون في رينة القمر لهلة البدر ليس حلى سحاية » . قالوا لا ؛ قال : «فهل نضارون في رينة القمر لهلة البدر ليس حلى سحاية » . قالوا لا ؛ قال : «فهل أنهى أن سوالة وأن ورية أنهى أنهى المنافئة المنافئة في روية ريكم إلا كما تضارون في روية أنهى أنها أكرك وأسودك وأزيجك وأسحر لك الدغيل والإبيل وأذرك نرأس وزميع ، فيقول ؛ بلي الثان فيقول ؛ المن فيقول ؛ المنافئة فيقول أ فيني أنها أنها كما نصيتان ، ثم يلقى الثانى فيقول - أي قل ألم أكرك وأسودك وأزوجك وأسحر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ، فيقول ؛ بلي أن وب ، فيقول أنها في أنها أنها كما نصيتان . ثم يلقى الثان فيقول - أي قل ألم يقول . فيلول أنها نشاف كما نصيتان . ثم يلقى الثان فيضاف كما نصيتان . ثم يلقى الثان بضع شاهدنا عليك ويتخالف ويتقال عامنا إذا قال ثم يقال له - الأن نبحث شاهدنا عليك ويتخالف يوتفك في نف عن فيه ويقال الهذفة ولحمه وعظامه النظقى ، فتنطق فغذه ولحمه ويظامه بصده . وذلك لهدناق ونشاك ويشخط للله عليه ».

(٧٨) وفي رواية : ولمن نازعني فيهما قصمته ولا أباليء ، والعديث في صحيح مسلم.

(تخريج أحاديث وهوامش)

الجزء الخامس والعشرون

3710

تم بعمد الله تخريج أحاديث وهوامش الجزء (الخامس والعشريث)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1793	﴿ إليه يرد علم الساعة وما تخرج من شمرات	٤٧
1773	﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل	٤A
1773	﴿لا يســام الإنسـان مــن دعـاء الــخــيــر﴾	٤٩
1773	﴿ وَالنَّانُ أَدْمُنْنَاهُ رَحْمَةً مِنْنَا مِنْ يَعْدُ ضَاءً مَسْتُهُ﴾	٥٠
1793	﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونـأى بـجانبه﴾	٥١
1773	﴿قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَنَانُ مِنْ عَنْدِ اللَّهُ ثُمْ كَفَرْتُمْ بِهُ﴾	٥٢
1773	﴿سندريسهم أيساتسنا فسى الأفساق وفسى أنسفهم﴾	٥٣
8979	﴿ أَلَا إِنْهِم فِي مرية مِنْ لِقَاء ربِهِم أَلَا إِنْهُ بِكُلِ شَيْء محيط .	٥٤
2979	خلاصة ما اشتملت عليه سورة فصلت	-
1773	تقسير سورة الشورى	-
2977	أهداف سورة الشورى	-
89WV	← ,	١
¥44A	ف	۲
£94V	﴿كَذَلُكُ يَسُوهُ عِنْ السِّيكُ وَإِلَّى السَّذِينَ مِنْ أَسْهِلُكُ﴾	٣
¥97V	﴿ لَسِهُ مَا قَسَى المسمساوات ومَسَا قَسَى الأَرضَ﴾	٤
£946	﴿تسكساد السعساوات يستسفسطسرن مسن فسوقسهسن	٥
2987	﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم	٦
1373	﴿ وكذلك أوحب نسا إليك قرآنًا عدريبيًا﴾	٧
1383	﴿ ولي شياء البلية لسجيعيليهم أمية وإحدة﴾	٨
8988	﴿أَمُ السِّحْدُوا مِنْ دُونِتِهِ أُولِينًا وَاللَّهِ هِنِو النواسي ﴾	4
8383	﴿ومِنَا اهْتِلْفَتُم فَينَهُ مِنْ شَيَّءَ فَنَصَكُمَهُ إِلَى اللَّهُ !﴾	١٠
8488	﴿فَاطُر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾	11
3373	﴿ لِيهِ مِــــــــــالــــــــــــــالات والأرض﴾	17
£9£V	﴿شرع لسكسم مسن السديسن مسا يعسى بسه نسوسًا﴾	14.
ESEV	﴿وما تنفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم	18
£9.EV	﴿ فَسِلَسَدُكُ فَسَادَعُ وَاسْتَسَقَسَمُ كَسَمَسًا أُمْسِرَتُ ﴾	10
EREV	﴿ وَالَّذِينَ يَمَاجُونَ فَي اللَّهُ مِنْ يَعَدُ مِا اسْتَجِيبِ لَهُ﴾	17

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
8904	﴿الله الدي أنسزل الكسّاب بالحدق والمهيزان﴾	۱۷
8904	﴿ يستعجل بسهسا السنيسن لا يسؤمسنسونُ بسهسا ﴾	١٨
2905	﴿السلع لطبيعة بسعبناده يسرزق من يشاء﴾	19
2904	﴿مَـن كَـان يَـريـد هـرث الآشرة نـزد لـه فني هـرثـه﴾	ķ.
१९०७	﴿ أَم لَهُم شَرِكَاء شَرَعُوا لَهُم مِنْ الدِينُ مَا لَمْ يَأَذِنْ بِهُ اللَّهُ﴾	71
2907	﴿ترى الطالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم﴾	77
2907	﴿ ذلك الدِّي يَسْبِشِسُ السِّلِيةِ عَسِسَادِهِ السَّدِيسُ آمَسْسُوا ﴾	77
१९५	﴿أُمْ يَسَقُسُولُسُونَ افْسَلُسُرِي عَسَلَسِي السَلَمَ كَسَدْيُسًا﴾	37
٠٢٩3	﴿ وهسو السذي يسقسبسل الستويسة عسن عسبساده	70
१९५०	﴿ ويستنجيب النذين أسنوا وعملوا المسالسمات ﴾	41.
2977	﴿ولِسَ يُسْطُ البُّلِّهِ البَّرِيْقِ لِنعِيسَادُهُ لِينَفُوا فِي الأرضُ﴾	77
8977	﴿ وهدو الدِّي يستشول الدفيق من يسعد منا قستنطبوا ﴾	44
7773	﴿ ومــن آيـساتــه هــلــق الســمــاوات والأرض	79
8977	﴿وما أمايكم من معديبة فيما كسبت أيديكم﴾	۳٠
2977	﴿ ومسا أنستسم بسمسعسجسزيسن فسى الأرض ﴾	۳۱ .
7773	﴿ ومسن أيساته السجسوار فسي السيسمسر كسالأعسلام. ﴾	77
8977	﴿إِنْ يَشَا يُسَكِّنُ الريحِ فَيَخَلِّلُ نَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرَهِ﴾	77
2977	﴿أُو يسوبِ قَسَهِينَ بِمِمَا كَسَبِيوا وَيَسْعَفَ عَنْ كَثَيْسٍ.﴾	37
77793	﴿ ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص . ﴾	40
897A	﴿ فِمَا أُوتِينَهُم مِنْ شَيء فِصِتَاعِ الْحِيَاةِ الْدِنِيَا ﴾	77
8974	﴿ والدِّين يسجم تستبون كها ثر الإثم والسفواحش	44
4883	﴿ والدِّيسَ استجابوا لبرينهم وأشاموا المسلاة ﴾	۲۸
8971	﴿ والدِّيسَ إِنَا أَصَابِسَهُمَ الدِّيعْنِي هَمْ يَسْتَصَارِونَ ﴾	44
£97A	﴿رجناء سيشة سينة مثالبا	٤٠
£97A	﴿ ولِمن انتمىر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل .﴾	٤١
٤٩٦٨	﴿إنْ مَا السِّيمِ لِ عَلَى الَّذِينَ يَظَلُّمُونَ النَّمَاسِ﴾	٤٢
47.P3	﴿ ولـمـن صبهـر وغه فسرإن ذلك لسمسن عسرُم الأمـور. ﴾	٤٣
٤٩٧٥	﴿ ومن يضلل الله فمناله من ولني من بعده	3.3

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
£9.40	﴿ وتسراهم يسعر ضون عليمها خاشعيهن من الذل ﴾	٤٥
£9.40	﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾	٤٦
EAVO	﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾	٤٧
٤٩٧٥	﴿ فَإِنْ أَعْرِضُوا فَمَا أُرْسَلْنَاكُ عَلَيْهُمْ حَفَيْظًا ﴾	٤A
£9V9	﴿لِللَّهُ مَـٰلِكُ السِّـمَـاوات والأرض يَــشَـلَـق مَـا يَشَـاء﴾	٤٩
£9V9	﴿أُو يـــــزوجـــهـــم نكــــوانَـــا وإنــــانـــا﴾	٥٠
1979	﴿ وما كان ليشر أن يكلمه الله إلا وحيًّا أو من وراء حجاب	٥١
٤٩٧٩	﴿ وكنذك أو حسيسنا إلسيك روحُسا مسن أمسرنسا ﴾	٥٣
٤٩٧٩	﴿صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾	٥٣
1947	خلاصة ما تضمنته سورة الشوري .	_
£9AV	تفسير سورة الزخرف .	_ [
£9AA	أهداف سورة الرُحْرف .	
£99Y	4.	١ ،
8997	﴿والــــك تــــاب الــــمـــــبــــــن٠﴾	۲
£99Y	﴿ إِنَا مِعَلِنَاهُ قَرَآنًا عَرِيسًا لِسَعَلَكُمْ تَسْقِلُونَ . ﴾	۳.
£99Y	﴿ وَإِنَّهُ فَـَى أَمُّ الْكَتَابِ لِنَدِينَا لِعَلَى حَكِيمٍ ﴾	٤
8997	﴿ أَفْنَضُرِبِ عَنْكُمُ الذَّكُرُ صَفْحًا أَنْ كَنْتُمْ قُومًا مَسْرَفَيْنَ . ﴾	٥
8997	﴿ وكم أرساسنسا من تسبسي قسي الأواسيسن . ﴾	٦
8997	﴿ وما ياتيهم من نبي إلا كانوابه يستهزلون .	v
8997	﴿ فَا أَمُلَكُ مَا أَشَدَ مِنْهُمَ يَنْطُفًا وَمَهْنِي مِثْلُ الأَوْلِينَ . ﴾	٨
8947	﴿ وَالنَّاسُ سَالَتَهُم مِنْ شَالَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ ﴾	٩
8997	﴿الَّذِي جِعَلَ لَكُمَ الأَرضَ مَهِدًا وَجِعَلَ لَكُمْ فَيَهَا سِبِلاً﴾	١.
8997	﴿ وَالذَى نَزْلُ مِنْ السماء ماء يقدر فأنشرنا به بلاءً ميتا	11
8997	﴿والدى مالق الأزواج كالها	14
8997	﴿ لَسَسَدُورًا عَلَى ظُهُورَهُ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نَعْمَةً رِيكُمْ ﴾	14
٤٩٩٦	﴿وإنا إلى ربينا ليميني فسلم بون ﴾	18
٥٠٠٠	﴿ وج عدا واله من عديداده جزءً ١٠٠٠ ﴾	١٥
٥٠٠٠	رُأَم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين. ﴾	17

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٠٠٠	﴿ وَإِذَا بِشِرِ أَصِيفِم بِعِما ضِرِبِ لِلْرَحِمِينَ مِثَالًا ﴾	۱۷
۵۰۰۰	﴿أو من ينشأ في الملية وهو في الخصام غير مبين .﴾	١٨
٥٠٠٠	﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عهاد الرحمن إناثنا	19
۵۰۰۰	﴿وقالسوا لسو شناء السرحيمين منا عبيدنساهم﴾	۱ ۲۰
٥٠٠٠	﴿أُمْ آتِهِنَاهُمْ كَتَابًا مِنْ قَبِلُهُ فَهُمْ بِهُ مُسْتَمَسُكُونَ .﴾	۲١.
0	﴿بِيل قِيالِي إِنَّا وَجِيدِنِيا أَبِياءِنِيا عِيلِينَ أُمَّةٍ﴾	77
۵۰۰۰	﴿ وكـندلك مسا أرسطسنسا مسن قسيسلك فسي قسريسة	77
0	﴿قال أو لو جئتكم بأهدى مصا وجدتم عليه أباءكم	. 48
4	﴿ فَانتَقَمَنَا مِنْهِمَ فَانظر كَيفَ كَانَ عَاقِبَةَ المَكْذِبِينَ . ﴾	۲0
۸۰۰۸	﴿وَإِذْ قَسَالَ إِيسَرَاهِسِيسَمَ لأَبِسِيسَهُ وَأَسْرَمُسَهُ﴾	77
٥٠٠٨	﴿إلا الدى فيطرني فيإنيه سيسهديدن.﴾	44
۸۰۰۸	﴿ رجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون.	44
۸۰۰۸	﴿ يَسِلُ مَسْتِعِتَ هَمُولًا مُ وَآيِنًا مُقْتِمَ حَسْنِي جِنَامُهُمُ الْنَصَاقِ﴾	74
۵۰۰۸	﴿ ولِعَمَا جِنَاءَهُمُ الْنَصَاقَ قَنَالَسُوا هَبَذَا سَنَدَنِ﴾	۲۰]
۰۰۰۸	﴿ وقالواً لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .	۳۱ ا
٥٠٠٨	﴿ طِي مَــم نِن سِمَــم أَمُ	44
٥٠٠٨	ول ول أن يمكون المناس أمية واحدة	44
٥٠٠٨	﴿ والم يسوقهم أبسوابًا وسررًا عليها يتكثون .	37
۸۰۰۸	﴿ورْحُدرفًا وإن كل ذلك لما متاع المياة الدنيا	40
٥٠١٥	﴿ ومن يعش عن نكر الرحمن نقيض له شيطانًا	77
٥٠١٥	﴿ وَإِنَّهُم لِيصِدُونَهُم عَنْ السِّيلِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُم مَهْدُونَ . ﴾	44
0.10	﴿حستسى إذا جاءنها قسال يسا لسيت بسيستسى ويسينك﴾	44
0.10	﴿ وَابْنِ يَنفَعَكُم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون .	44
0.10	﴿أَفْسِأَنْتَ تَسِمِعِ المِسَمِ أَنْ تُسَهِدَى الْحِمْسِي﴾	٤٠
0.10	﴿ فَسَامِنَا تَسْفُهُ بِسِنْ بِكَ فَسَارِتُنَا مِنْ يَهِمُ مِنْ تَسْقَيْمِونَ . ﴾	٤١
0.10	﴿أَوْ نَارِينَكُ الَّذِي وَعَادَنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهُمْ مَقْتَدِرُونَ ﴾	23
0.10	﴿فَا است مسك بالذي أرحسي إلى﴾	23
0.10	ووإنسه المذكر لك واسقمومك وسموف تسمالمون . ﴾	٤٤

رقم الآية (قم الآية (قم الآية (قاسال معن أرسلنا معرسي بآياتنا إلى فرعون وملنه) (والقد أرسلنا معرسي بآياتنا إلى فرعون وملنه) (المناع معرسي بآياتنا إلى فرعون وملنه) (المناع معرسي بآياتنا إلى فرعون وملنه) (المناع المعربي بآياتنا إلى المعربي المعتملي) (المناع المعتملي إلى المعين أكبر من أكتها) (المناع المعتملية المعين المعتملية إلى المعين المعتملي) (المناع المعتملية في المعتملة المعتملية المعتملية) (المعتملية في المعتملة المعتملية المعتملية) (المعتملية في المعتملة المعتملية) (المعتملية في المعتملة المعتملية) (المعتملية المعتملية) (المعتملية المعتملة) (المعتملية المعتملة) (المعتملة الأحزاب من بينهم فويل للنين ظلموا) (المعتملة الأحزاب من بينهم أويل النين ظلموا) (المعتملة الأحزاب المنتقين) (المعتملة الأحزاب المنتقين) (المعتملة الأحزاب المنتقالة الأحزاب) (المعتملة الأحزاب المنتقالة الأحزاب) (المعتملة المعتملة			
المعدد الصلفا موسى بالياتفا إلى فرعون وملك الله و المعدد الم	رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
الا المعالى المعالى المعالى المعالى الله المعالى الا الا الا الا الا الا الا الا الا	0.10	﴿ واسال من أرسلنا من قيلك من رسلنا	٤٥
8	۰۰۲۱	﴿ وَلِقَدَ أُرْسِلْنَا مَوْسَى بِأَيَاتُنَا إِلَى فَرَعُونَ وَمَلِنَّهُ﴾	٤٦
9 . وقسالسي السياهسي المساهسي الدين الدين الله المحدد الدي السياهسي الدين الله المحدد الدين أولاد المحدد	۱۲۰۰	﴿ فَلَمَا جَاءِهُم بِأَيَاتِنَا إِنَا هُم مِنْهَا يَضْحَكُونَ .﴾	٤٧
(۱۹۰۰ كان المراك كلف فنا عنهم العناب إذا مم ينكلون و و و و و و و و و و و و و و و و و و	0.71	﴿وما نـريمهم من أيه إلا هني أكهر من أخشها﴾	٤٨
(ونادى فرعين في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر) (ام أنسا شيس ر مـن هـنا السنى هـبو صهـيـن) (ام أنسا شيس ر مـن هـنا السنى هـبو صهـيـن) (الم أنسا شيس ر مـن هـنا السنى هـبو صهـيـن) (الم أنسا شيل الأسـقى عـلـيـب أسـرية صمن ذهب) (الم أنسا شيل التقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين .) (الم أسـول المن صريم مشكر إذا قومك منه يعمدون .) (الم مـوالا عيد أنـعـمنا عليه بيـعلناه مشكر) (الم المـامل السامة فلا المحترن بها واتبحون) (المـامل علم السامة فلا المحترن بها واتبحون) (المـامل عـامل السامة الله تعرب بيان) (المـامل عام عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) (المـامل عـاد وريـم يوريـك م فـاعــم) (المـامل وريـالا المحتون) (المـامل المـامل المـاملة المـامل المـاملة عالـكم المـور ولا أنـم مـونون) (المـامل الـاملة عـالـكم المـور ولا أنـم مـونون) (المـامل الـاملة عـالـكم المـور ولا أنـم مـمنون) (المـامل الــمنة أنـتـم أنـوا بـاملـمـن) (المـامل الــمنة أنـتـم أنـوا بـاملـمـن)	0.41	﴿واقسالـــوا يـــا أيـــه السساحـــر ادع لـــنـــا ربك﴾	٤٩
۱۹۰۵ (ام أنسا غييس رصن هنذا الذي هيو ميين) ۱۹۰۵ (فيلستيف قريمه فأطاعيم إنهم كانوا قرم سري فاسقين .) ۱۹۰۵ (فيلميا أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين .) ۱۹۰۵ (فيلميا أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين .) ۱۹۰۵ (فيلميا غيرب اين صريم مشلاً إذا قريف منه يعدون .) ۱۹۰۵ (والمناه المحلما مناه المحلما مشلاً الماهيون) ۱۹۰۵ (والمناه المحلما منكم ملائكة في الأرض يطلقن) ۱۹۰۹ (والمناه المحلما منكم ملائكة في الأرض يطلقن) ۱۹۰۹ (والمناه المحلما المناه المحلما) ۱۹۰۹ (ولا يصدين كم الشيطان إنه المحمد) ۱۹۰۹ (وللما جاء عيسي بالبينات قال قد جنتكم بالمحكمة) ۱۹۰۹ (فللما جاء عيسي بالبينات قال قد جنتكم بالمحكمة) ۱۹۰۹ (فللما ين ينهم فريل للذين ظلموا) ۱۹۰۹ (فللما يومله ين ينهم منيل اللذين ظلموا) ۱۹۰۹ (فللما يومله ينهم الميماة المناس) ۱۹۰۹ (فللمالا يومله عمليكم اليوم ولا المتقين .) ۱۹۰۹ (فللمالا علي عمليكم اليوم ولا المتقين .) ۱۹۰۹ (فللمال عاليا المناه عمليكم اليوم ولا المتقين .) ۱۹۰۹ (فللمال المبناة عمليكم اليوم ولا المتقين .) ۱۹۰۹ (فللمال عليه عمليكم اليوم ولا المتوسون .) ۱۹۰۹ (فللمال عاليا عالم عاليكم اليوم ولا المتوسون .) ۱۹۰۹ (فللمال عالم عمليكم اليوم ولا المتوسون .) ۱۹۰۹ (فللمال عالم عمليكم اليوم ولا المتوسون .) ۱۹۰۹ (فللمال المبناة عمليكم اليوم ولا المتوسون .) ۱۹۰۹ (فللمال المبناة عمليكم اليوم ولا المتوسون .) ۱۹۰۹ (فللمال المبناة عمليكم اليوم ولا المتوسون .)	0.41	﴿ فَسَاسَنَا كَشَفْتَنَا عَنْهُمَ النَّعَذَابِ إِذَا هُمَ يَسْتَكُفُونَ . ﴾	0.
۱۹۰۵ و فاستفف قربه فأطاعي، إنهم كانوا قرم سوي فاسقين . ١٩٠٥ و فاستفف قربه فأطاعي، إنهم كانوا قرم سوي فاسقين . ١٩٠٥ و فاستفف قربه فأطاعي، إنهم كانوا قرم سوي فاسقين . ١٩٠٥ و فاسما الشفيا انتقصنا منهم فأغرقناهم لجمعين . ١٩٠٥ و فاسما شخير المقال القصييين . ١٩٠٥ و والمنا ضحير المن مرد المالات الله المناب الله الله المناب الله الله الله الله الله الله الله ال	١٧٠٥	﴿ وِنادِي فَرِعِنْ فَي قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر	٥١
\$0 واستيف قيمه فأطاعوه إنهم كانوا قيم سره فاسقين \$ 00 والما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين \$ 00 والما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين \$ 00 والمحمول التقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين \$ 00 والمحمول المدين ألم الأخريسن \$ 00 والمحمول المدين المحمول الأخريسن \$ 00 والمحمول المدين المحمول المحمول المحمول في المحمول \$ 00 والمحمول المحمول المحمول المحمول	14.0	﴿ أَم أَنْسَا شَنِيسَر مِنْ هِنَذَا السَّدِي هِنْ مِنْهِنِينَ ﴾	٥٢
(ه فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمين ()	17.0	﴿ فَسِلْسُولًا ٱلسِّقْسَى عَسَلَى بِينَهُ أَسْسُورَةَ مِسْنُ نَهُدِ ﴾	٥٣
0 \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \	١٢٠٥	﴿ فاستدف قرمه فأطاعوه إنهم كانوا قوم سوء فاسقين .	٥٤
۱۹۰۷ (ولنما غدري ابن صريم مشلاً إذا قومك منه يصدون . ۱۹۰۵ (وقساا سريا أألسه تنا خسيسرام هسو) ۱۹۰۹ (وارد سمال السهامة المعالم الأرض يكافون . ۱۹۰۹ (وارد المعالم المسابعة الها المعترن بها واتبعون) ۱۹۰۹ (ولا يصديذ كم الشهاطان إنه الكم عدومبيين . ۱۹۰۸ (ولما جهاء عيسي بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) ۱۹۰۹ (ولما جهاء عيسي بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) ۱۹۰۹ (ولما للماء عيسي بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) ۱۹۰۹ (ولما للماء عيسي بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) ۱۹۰۸ (ولما للماء عيسي بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) ۱۹۰۸ (ولما عيل الماء عيسي بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) ۱۹۰۸ (ولما عيل الإساعة أن تأليم ميفقة) ۱۹۰۸ (ولما عياد لا كموق عليكم اليوم ولا المتقين . ۱۹۰۸ (ولما الماء عيل الماء الماء المين الماء عيد والماء الماء	١٢٠٥	﴿ فلما أسفونا التقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . ﴾	00
	0.41	ولف جدهد المناهد مساسقًا ومدالاً اسالا عدودن.)	٥٦
0 • ول نصوالا عبد أنصصنا عليه وجعلناه صلاً ♦ • ول نشاه لجعلناه منكم ملائكة في الأرض يطلقون . ♦ • و و و المسلم للسباعة فيلا تمتين بها واتجعون ♦ • و و المساعد فيلا تمتين بها واتجعون ♦ • و و المساعد فيلا المساعد فيلا تمتين بها واتجعون ♦ • و و المساعد الشيطان إنه لكم عدو مبين . ♦ • و المساعدات قال قد جئتكم بالككمة ♦ • و المساعد الأحزاب من يهنهم فويل لللذي ظلموا ♦ • و المساعد الأحزاب من يهنهم فويل للذي ظلموا ♦ • و المساعد الأحزاب من يهنهم فويل للذي ظلموا ♦ • و الأعلاء يوملذ بعضهم لمبعض عدو الالمتقين . ♦ • و الأعلاء يوملذ بعضهم لمبعض عدو الالمتقين . ♦ • و المناس المناس المناس و المناس المناس المساعد ♦ • و المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس ♦ • و المناس المناس عليهم المناس والمناس ♦ • و المناس المناس عليهم والمناس ♦ • و المناس المناس عليهم وسعاله من ذهب والحاب ♦ • و المناس المناس عليهم وسعاله من ذهب والحاب ♦	٥٠٢٧	﴿ وَلِنْمَا صَبَرِهِ أَيِنْ صَرِيمٍ مَشَالًا إِذَا قَدِمَكَ مِنْهُ يَصِدُونَ . ﴾	۰۷
	٥٠٢٧	﴿وقيالِوا أَالِسِهِتِينِ أَمْ هِسُو﴾	٥٨
7 (وإنه المسلم للسباعة فالا تعتين بها بالتبعين) 7 (ولا يصديذكم الشيطان إنه لكم عدر مبين .) 7 (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالمحكمة) 7 (إن السلم عدر ريسي ريبكم في المحكمة) 70 (في المناف الأحزاب من بينهم في ل للنين ظلموا) 7 (مل ينظرون إلا السباعة أن تأتيهم بغفة) 7 (والأخلاء يومئذ بعضهم ليعض عدو الا المتقين .) 7 (والأحلاء يومئذ بعضهم ليعض عدو الا المتقين .) 7 (والمناف المناف عاليكم اليوم ولا أنتم تحزنون .) 7 (والمناف عاليما الجنة أنتم وأزواجكم تصبون .) 7 (والمناف عاليهم بعد عالى من ذهب وأكواب)	٥٠٢٧	﴿إِن هِمُو إِلاَ عَهِمُ أَنْ عَمَا عَلَيْهِ وَجِعَلْنَاهُ مَثَلاً ﴾	٥٩
	0.44	ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون.	٦٠
77 (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالمكت) 3 (إن السلب هـ رويسي ورويسيكم فيام بدوه) 4 (إن السلب هـ رويسي ورويسيكم فيام بدوه) 5 (هل يتطون إلا الساعة أن تأتيهم بفتة) 6 (الأخلاء يومئذ بعضيم لبعض عدوا الالمتقين .) 6 (المناب الاكموة عليكم اليوم ولا أشتم تحزنون .) 7 (المناب أمنوا باليات المناب والمناب الالمتقين .) 7 (المناب السبب المناب المن	٥٠٢٧	﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَمُ لَلْسَاعَةَ مَلا تُمَثِّرِنَ بِهَا وَاتَّبِعُونَ ﴾	11
3/ (إن اللياسة مي روسي وووسكم مناعيدوو) ١٥ 70 (مناختالف الأحزاب من بينهم ضويل للنين ظلموا) ١٥ 77 (همل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم يخفة) ١٩٠٥ ٧٧ (الأعلام يومئذ يعضيهم ليعض عدو إلا المتقين .) ١٩٠٥ ٨٨ (يا عيداد لا كموف عليكم اليوم ولا أنتم تحزبون .) ١٩٠٥ ٩٠ (المناب أمنا وابيا بالتنا وكانوا مسلمين .) ١٩٠٥ ٧٠ (بيد المناب واللياسة) ١٩٠٥ ٧٠ (بيد المناب عليهم بعد مناهم وأدوا بالكوراب) ١٩٠٥	٥٠٢٧	ولا يمديد كم الشيطان إنه لكم عدو مبين.	77
70 (٥٠٢٧	وُولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ﴾	75"
77 (همل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغقة (٥٠٢٧	﴿إِنْ السَّلِّسَةِ هَـــوريـــي وريــكــم فساعـــــدوه﴾	٦٤
 ۲۷ ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم البعض عبو إلا المتقين ﴾ ۲۸ ﴿ يا عباد لا كوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . ۲۹ ﴿ النين أمنوا باليات المناوا مسلمين . ۲۹ ﴿ الملاك الله الميات أنتم وأزواجكم تصبون . ۲۷ ﴿ يرطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾ ۲۵ ﴿ يرطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾ 	۵۰۲۷	وفاختلف الأحزاب من بينهم فويل للنين ظلموا	10
 ۲۸ ﴿ يَا عَبِادُ لا عَوْفَ عَلَيْكُمُ اليَّوْمِ وَلا أَسْتَمْ تَحْزَنُونَ . ﴾ ۲۹ ﴿ النَّذِينَ أَمـنَـوا بِالْيَاتِـفَ وَكَانُوا مسلمين . ﴾ ۲۰ ﴿ وَالْمُلْلُوا اللَّهِ نَدَّةُ أَنْ لَهُ وَأَزُوا جَكُمْ تَصْبِـونَ . ﴾ ۲۷ ﴿ وَيَطْلُقُ عَلَيْهُم بِعَمْ عَلَيْهُم مِنْ فَهُو وَأَكُوا بِ ﴾ ۲۵ ﴿ وَيَطْلُقُ عَلَيْهُم بِعَمْ عَلَيْهُم مِنْ فَهُو وَأَكُوا بِ ﴾ 	٥٠٢٧	أمل يتظرون إلا الساعة أن تأثيهم بختة	17
۱۹ خوالنين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين . فه ٥٠٥٥ والنين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين . فه ٥٠٣٥ وازواجكم تحديدون . فه ٥٠٣٥ وازواجكم تحديدون . فه واكواب . في م	0.40	﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . ﴾	٦٧
۷۰ (ادخالوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، ﴾ ۵۰۳۵ (۱۳۵۰ و ۵۰۳۵ ۲۰۰۰ ۱۳۵۰ ۱۳۵۰ ۱۳۵۰ ۱۳۵۰ ۱۳۵۰ ۱۳۵۰ ۱۳۵۰ ۱	0.40	﴿ يا عياد لا عَوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . ﴾	7.4
٧١ ﴿ يسطاف عاليسهم بعد حاف من ذهب وأكواب ﴾	0.40	﴿السنيسن أمنوا بسأيات نما وكانوا مسلمين.)	19
	0.40	﴿ادخالوا الجنة أنتم وأزواجكم تحديدون .	٧٠
٧٧ ﴿ وَ تِلْكُ الْدِينَةُ النِّي أُورِ تُتَمُوهَا بِمِا كُنْتُم تَعْمِلُونَ ﴾ ٥٠٣٥	0.40	﴿ يسطساف عمل يسهسم بعد حماف مسن ذهب وأكواب	٧١ ا
1	0.40	ووتلك الجنة التي أورثتموها بماكنتم تعملون .	٧٢

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0.40	﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون.﴾	٧٣
0.49	﴿إِنْ السمسجــرمــيـــنْ فسى عـــذاب جــهــنــم حـــالــدون .﴾	٧٤
٥٠٣٩	﴿لا يَسْفُسُنُسُ عَسْفُهُمْ وَهُمْمُ فَسَيْسَهُ مُسْسِلُسُونَ .﴾	٧٥
٥٠٣٩	﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالميين. ﴾	٧٦
۰ ۳۹	﴿ونادوا يسا مسالك لسيسقش عباسيسنسا ريك﴾	٧٧
۰۳۹	﴿لقد جئناكم بالمق ولكن أكثركم للحق كارهون .﴾	. ٧٨
۰۳۹	﴿أَمْ أَيْسِرِمْسِوا أَمْسِرًا فَسَانِسًا مِسْيِسْرِمِسُونَ .﴾	٧٩
٥٠٣٩	﴿أَم يَحْسَبُونَ أَنَا لا تَسْمَعَ سَرَهُمْ وَنَجِواهُمُمْ﴾	٨٠
73.0	﴿قَالَ إِنْ كَانَ لَـلْمِحْمِنَ وَلَدُ فَأَنَّا أَوْلُ الْحَالِدِينَ ﴾	۸۱
0.84	﴿سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون .	AY
0.54	﴿ فَذَرَهُم يَحْوَمُوا وَيَلْعَبُوا مَتَّى يَالَاقُوا يُومَهُم ﴾	۸۳
0-87	﴿وهـــوالسدّى فسى السمساء إلسه وفسى الأرض إلسه	٨٤
73.0	﴿ وَتِيارِكَ الَّذِي لَهُ مِلْكَ السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَيْنَهُمَا﴾	٨٥
0.57	﴿ولا يحملك الدّين يدعون من دونه الشفاعة	۸٦
73.0	﴿والنَّدُن سَأَلَتَهُم مِنْ خَلَقَهُم لَيْقُولُنَ النَّهُ﴾	۸٧
73.0	﴿ وقسيله يسارب إن هسؤلاء قسوم لا يسؤمسنسون . ﴾	AA
0.54	﴿ فَاصَفِح عَنْهُم وَقَالُ سَالُم فَسَوَكَ يَحَلُّمُونَ . ﴾	۸۹
0.51	خلاصة ما تضمنته سورة الزخرف	-
०-१९	تفسير سورة الدخان	~
٥٠٥٠	أهداف سورة الدخان	- 1
0.04	♦. ← → →	١
0.04	﴿راك تصاب الصم بسين .)	۲
٥٠٥٣	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فَي لَيْلَةً مِبَارِكَةً إِنَّا كُنَّا مِنْذَرِينَ ﴾	٣
0.04	﴿فسيسها يسفسرق كل أمسر حكسيسم.﴾	٤
0.04	﴿أُمسراً مِنْ عَصَدَدِنَا إِنْا كَسِنَا مِسْ سِلْيِسْ .﴾	٥
0.04	﴿رحمه من ربك إنه هنو السمينج التعليم.﴾	٦
٥٠٥٣	﴿رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين .﴾	٧
0.04	﴿لا إلىه إلا همسويمسيت من ويسمسيت ﴾	· A

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٠٥٣	﴿ بِ لِي هِ مِ فِ مِي مثك يِ الْمِعِ بِ مِن . ﴾	٩
٥٠٥٧	﴿ فَارْسُقَهِ يَــوم تَــأتــى السماء بدخــان مــدِـــن . ﴾	١.
٥٠٥٧	﴿يَسْعُشْنَى الْسَنْسَاسَ هِسَدًا عَسَدَابِ ٱلسِيسَمِ ﴾	11
0.0V	﴿ ربسنسا اكشف عسنسا السعسةاب إنسا مسرَّمسنسون . ﴾	14
0.07	﴿أنسى لسهم السنكسري وقد جساءهم رسسول مسهيس .	18
0.00	﴿ ثسم تسولسوا عسنسه وقسالسوا مسعسلسم مسجستسون . ﴾	18
0.07	﴿إنسا كساشف السعداب قسليسلاً إنكم عسائدون. ﴾	١٥
0.07	﴿ يسوم نسبطش البطشة الكبري إنا منتقمون. ﴾	17
15.0	﴿ وَلَقَدَ فَتَمَا قَبِلُهُمْ قَوْمٌ فَرَعُونُ وَجِاءُهُمْ رَسُولَ كَرِيمٍ .﴾	17
15.0	﴿أَنْ أَدُوا إِلَى عَبِدَادِ اللَّهِ إِنْسَ لَكُمْ رَسُولُ أُمِّينَ .﴾	1.4
15.0	﴿ وَأَنْ لا تَعلوا على الله إنى أتيكم بسلطان مبين .	19
15.0	﴿وإنسى عددت بسريسى وريسكهم أن تسرجه مون .﴾	۲۰
0.71	﴿ وإن لسم تسوَّم خسوا لسى فساعست زاسون .﴾	71
15.0	﴿ فسدعها ريسه أن هسؤلاء قسوم مسجسرمسون .﴾	77
17.0	﴿ فسأسسر يسعبادي لسيالًا إنسكهم مستنهدون . ﴾	77
١٢٠٥	﴿ واتسرك السيدر رهسوًا إنسهم جست، مسفرقسون ﴾	72
15.0	«كسم تسركسوا مسن جسنسات وعسيسون.»	40
11.0	﴿ وندوع و المستقصام كالماح و الماح الم	77
15.0	﴿ونسعسمة كسانسوا فسيسها فساكسه بيسن . ﴾	**
0.71	﴿كـــذلك وأورثـــنـــاهـــا قـــومــا أخــريـــن.﴾	4.4
17.0	﴿ فَــمــا بِـكت عــلــيــهــم الســمــاء والأرض ﴾	49
0.79	﴿ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين . ﴾	٣٠
0.79	﴿من قرعون إنه كان عاليًا من المسرقين ﴾	*1
0.79	﴿ولِقَد احْتَرِشَاهُم عَلَى عَلَم عَلَى الْحَالَمِينَ.﴾	77
0.74	﴿ وأتسيستاهم من الأيمات مما فسيمه بسلاء مسيسن . ﴾	44
0.44	﴿إِن هــــولاء الـــيــقــوالـــون ﴾	4.5
٥٠٧٢	﴿إِن هِي إِلا موتــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٣٥
٥٠٧٢	﴿ فَأَنِي إِلَا مِنْ اللَّهِ إِنْ كُنْ مُعَ مَا لَقَيْنَ . ﴾	77

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٠٧٢	﴿ أهم خير أم قوم تهم والذين من قبلهم ﴾	44
٥٠٧٢	﴿ وَمِا خَلَقَنَا السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بِينْهُمَا لَاعْبِينَ . ﴾	٧٧
٥٠٧٢	﴿ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلَّمون .﴾	44
٥٠٧٢	﴿إِنْ يَسِومِ السِّفْصِيلِ مَسِيقَاتِسِهِمَ أَجِسِعِينِينَ .﴾	٤٠
٥٠٧٢	﴿يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئًا ولا هم ينصرون .﴾	٤١
٥٠٧٢	﴿إلا من رحم الله إنه هو العرزين الرحيم .﴾	٤٢
٥٠٧٦	﴿إِن شِـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٣
٥٠٧٦	م الأن ما الأن	٤٤
٥٠٧٦	﴿كالمهدل يسفان فسى السيد طون .﴾	٤٥
۲۷۰٥	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٦ .
٥٠٧٦	﴿ حُدُوهِ فَسَاعَتِ السَّوهِ إِلَّنِي سَبَواء السَّجِيدِيمِ . ﴾	٤٧
٥٠٧٦	﴿ فِسَمَ صَدِيدُوا فَسُوقَ رأستَهُ مَنْ عَدَابِ السَّمَعَيْدِم . ﴾	٤A
٥٠٧٦	﴿ذِقَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِينَ السَّكِينِ السَّكِينِ السَّاءِ ﴾	٤٩
٥٠٧٦	﴿إِن هَــذا مــا كــنــتــم بــه تــمــتــرين .)	٥٠
۵۰۷٦	﴿إِن السمسة قير نفي معقدام أمسيدن .﴾	٥١
۵۰۷٦	﴿ نَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥٢
٥٠٧٦	ويد بسون من سندس واستبرق منة ابليين .	94
۵۰۷٦	﴿ كَ نَاكُ وَرُوجَ نَسَاهُ مِنْ إِنِينَ الْحُمْ الْمِنْ الْحُمْ الْمُنْ الْحُمْ الْمُنْ الْحُمْ الْمُنْ الْحُمْ	٥٤
٥٠٧٦	﴿يد مُسون فسيسها بسكسل فساكسهمة أمستسيسن .﴾	٥٥
٥٠٧٦	﴿لا يَـذُوقَـونَ فَسِيسِا الـمـوت إلا الـمـوتـة الأولـي﴾	٥٦
۵۰۷٦	﴿ فَضَادُ مَانَ رِيكَ ذَلِكَ هِنْ الْسَفِيقِ السَّعِيقِ السَّعِيقِ السَّعِيقِ السَّعِيقِ عِلْسَانِهِ . ﴾	٥٧
٥٠٧٦	﴿ فَإِنْ مِنَا يَسْرِنْنَاهُ بِلِسَانَكُ لَبِعِلْمِيمَ يَسْتَذَكُرُونَ . ﴾	٥٨
٥٠٧٦	﴿ فسارت قب إنسب م مدرت قد بدون . ﴾	٥٩
٥٠٨١	خلاصة ما تضمئته سورة النخان .	-
۰۰۸۳	تفسير سورة الجاثية .	~
۵۰۸٤	أهداف سورة الجاثية .	-
۵۰۸۸	♦. ,	۸.
٥٠٨٨	﴿تبنزيل الكتاب من البله العزيز الحكيم.﴾	۲

	(==,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,-,	30 .7,
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٠٨٨	﴿إِن فِسَى السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لِآيَاتُ لَلَّمَانُ مَنْيِسٌ .﴾	٣
٨٨٠٥	﴿ وَهِي خَلَقَكُم وَمَا يَئِثُ مِنْ دَائِةً آيَاتَ لَقُومٍ يَوقَنُونَ .﴾	٤
٥٠٨٨	﴿واحْتَلَافَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلِ اللَّهِ مِنْ السَّمَاءُ مِنْ رِزَقَ﴾ .	٥
0.4.	﴿ تَسَكَ آيِسَاتَ البَّلِيَّةِ نَسْتَبَلِيهِمَا عَمَلِيكَ بِمَالِسِِّسَقَ﴾	٦
٥٠٩٠	﴿ ويـــل كـــك أفــــاك أثـــيـــم ﴾	V
٥٠٩٠	﴿يسمع آيــات الـلـه تــتـلـى عـلـيـه ثـم يمسر مستكبـرًا﴾	٨
0.9.	﴿ وإذا علم من أياتنا شيئًا اتخذها هزرًا ﴾	٩
0 - 9 -	﴿من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئًا	10
٥٠٩٠	﴿ هنذا هندى والذين كشروا بناينات ريسهم لنهم عذاب ﴾	11
0.97	﴿اللَّهُ الَّذِي سَشَرَ لَكُمُ الْجِمْرِ لَتَجْرِي الفَّكُ ثَيَّهُ بِأَمْرِهِ﴾	14
0.97	﴿وسفر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه﴾	17"
0.97	﴿قَلَ لَلَّذِينَ آمنوا يَعْقَرُوا لَلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامُ أَلُلَّهُ﴾	1 1 2
0.47	﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها	10
0+40	﴿ ولقد أقينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة	17
0.40	﴿ وَآتِينَاهُم بِينَاتُ مِنْ الأَمْرِ فِمَا اخْتِلْقُوا إِلَّا مِنْ يَعِدُ مَا جِاءِهُم ﴾	14
0.40	وثم جعلتاك على شريعة من الأمر فاتهمها	14
0+40	﴿إنسهم لسن يسفسنسوا عسنك مسن السلسه شمهستُسا﴾	14
0.90	﴿ هَذَا بِمَمَاكُمُ لَلْنَاسُ وَهَدِي وَرَحْمَةُ لَقُومٍ يَوَقَنُونَ . ﴾	۲٠
0.44	﴿أُم حسب الدّين لجدّر حوا السيشات أن نجعلهم﴾	71
0.44	﴿وحُسَاسِقَ السِلْسِهِ السَّمِسَاوَاتَ وَالْأَرَشُ بِسَالَسَصَاقَ﴾	77
٥٠٩٨	﴿ أَصْرَأَيْتِ مِنْ السَّمَدُ إِلَيْهِ هُواهُ وَأَصْلُهُ اللَّهُ عَلَى عَلَم ﴾	74
٥١٠٢	﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا	37
7.10	﴿ وإذا تتلى عليهم أياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا	70
7.10	وقل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة	77
٥١٠٢	﴿ ولِلَّهُ مِنْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وِيومَ تَقْومَ السَّاعَةَ ﴾	YY
٥١٠٢	﴿ وترى كل أمة جائية كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾	44
01.7	و <u>ُمذا کتاب نا پخطیق علی کم بالحق</u> ﴾	79
٥١٠٧	وُفأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم	. **

رقم الآية	أول الآيات	رقم الصفحة		
771	﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن أياتي تثلى عليكم فاستكبرتم	01.4		
44	﴿ وإذا قسيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيسها	٥١٠٧		
. 44	﴿ ويدا لهم سيئات ما عملوا رحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾	٥١٠٧		
3.7	﴿ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾	01.7		
70	﴿ذلكم بأنكم اتفذتم آيات الله هزوًا وغرتكم الحياة الدنيا﴾	٥١٠٧		
77	﴿ فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين .	٥١٠٧		
77	﴿وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز المكيم .	٥١٠٧		
i –	خلاصة ما تضمنته سورة الجاثية	0117		
_	تخريج أحاديث وهوامش	0117		
-	فهرس موضوعات	0170		
l				

تم بحمد الله الجزء (الخامس والعشرون) ويليه الجزء (السادس والعشرون) بإذن الله تعالى

تفسير القرآن الكريم

الجزء السادس والعشرون من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته





أهيداف سيورة الأحقياف

سورة الأحقاف مكية ، وآياتها ٣٥ آية ، نزلت بعد سورة الجاثية .

سورة الإيمان والتوحيد

تعرض سورة الأحقاف قضية الإيمان برحدانية الله ، وربوبيته المطلقة لهذا الوجود ومن فيه وما فيه ، والإيمان بالوحى والرسالة ، والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء على ما كان في الحياة الدنيا من عمل وكسب ، ومن إحسان وإساءة .

هذه الأسس الأولى التى يقيم عليها الإسلام بناءه كله . ومن ثم عالجها القرآن فى كل سوره المكهة علاجنا أساسيًّا . وظل يتكئ عليها كذلك فى سوره المدنية كلما هم بترجيه أو تشريع للحياة بعد قيام الجماعة المسلمة والدولة الإسلامية ، ذلك أن طبيعة هذا الدين تجعل قضية الإيمان بوحدانية الله سبحائه، ويعثة محمد على الإيمان بالأخرة وما فيها من جزاء هى المحور الذي تدور عليه أدابه ونظمه وشرائعه كلها ، وترتبط به أوثق ارتباط، فتبقى حية حارة تبعث من التأثر الدائم بذلك الإيمان .

وتسلك السورة بهذه القضية إلى القلوب كل سبيل ، وتوقع فيها على كل وتر ، وتمرضها في مجالات شتى ، مصحوية بمرثرات كونية ونفسية وتاريخية ، كما أنها تجعلها قضية الهجود كله – لا قضية البشر وحدهم – فتذكر طرفًا من قصة الجن مع هذا القرآن ، كما تذكر موقف بعض بنى إسرائيل منه ، وتقيم من الفطرة الصادقة شاهدًا ، كما تقيم من بعض بنى إسرائيل شاهذا سواء بسراء .

ثم هى تطوف بتلك القلوب فى آغاق السمارات والأرض ، وفى مشاهد القيامة فى الأخرة ، كا تطوف بهم فى مصرح قرم هود وفى مصارح القري حول مكة ، وتجعل من السماوات والأرض كتبًا تنطق بالحق كما ينطق هذا القرآن بالمق على السواء .

أربعة مقاطع

تشتمل سورة الأحقاف على أربعة عناصر متماسكة كأنها عنصر واحد ذو أربعة مقاطع:

١ - نقاش المشركين:

يبدأ المقطع الأول بالحرعين (ها ، ميم) . وهي بداية تكررت في ست سور سابقة تسمى بالحواميم . وهي : غافر ، وقصلت ، والشورى ، والزهرف ، والدخان ، والجاثية ، والسورة السابعة هي الأحقاف .

الجزء السادس والعشرون

ونلحظ أن هذه السور السبع تبدأ بالحرفين (حا . ميم) ، ثم تعقب بذكر الكتاب ، مما يؤيد أن هذه الأحرف نزلت على سبيل التحدى لأهل مكة أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

وتشير سورة الأحقاف في بدايتها إلى القرآن فتقول: تُعزِيلُ آلْكِتُبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَرِيدِ أَنْحَكِيمِ ، (الأحقاف: ٢). وعقبها مباشرة الإشارة إلى كتاب الكون وقيامه على الحق وعلى التقدير والتدبير: مَا خَلَقَا ٱلسَّمَـٰوَّتِ وَٱلْأَرْضُ وَمَا يَشْهُمَّا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمِّى ... (الأحقاف: ٣) . فيقوافق كتاب القرآن المثلو، وكتاب الكون المنظور، على الحق والتقدير.

ويعد هذا الافتتاح القرى الجامع يأهذ في عرض قضية العقيدة مبتدتا بإنكار ما كان عليه القوم من الشرك الذي لا يقوم على أساس من واقع الكون ، ولا يستند إلى حق من القول ولا مأثور من العلم ، ويعرض بعد هذا سوء استقبالهم للحق الذي جامهم به محمد رسول الله ﷺ : وَإِذَا تُعْلَىٰ عَلَهُمْ ءَايُنْتَا بَيْنَاتُ قَالَ ٱللَّيْنَ كُمُّ وَ اللَّحَقِّ لَكُ جَاءَهُمْ هَلْنًا سِحِثْرُ مُّسِنَّ . (الأحقاف: ٧) .

ثم يبين أن مصدا ليس بدعا من الرسل فقد سبقه رسل كليرون ، فهو مبلغ عن الله وملتزم بوحى السماء، ويسوق حجة أخرى على صدق رسالته ، تتمثل في موقف بعض من اهتدى للحق من بنى إسرائيل ، حيدها رأى في القرآن مصداق ما يعرف من كتاب موسى عليه السلام ، ويستطرد في عرض تعلاتهم ومعاذيرهم الواهية على هذا الإصرار ، وهم يقولون عن العرضين : أوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سُهُونًا إِلَّهُ إِسَالًا ... (الأحقاف: ١١)

ويشير إلى كتاب موسى من قبله، وإلى تصديق هذا القرآن له ، وإلى وظيفته ومهنته : وَبِن قَبْلِهِ كِنَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمُهُ وَهُذَامًا كِتَنْبُ مُهَدَّقٌ لِمَانًا عَرَبُيًا كَيْلِرَ ٱلْفِينَ فَلَعُواْ وَيُشرَى الْمُحْرِينِينَ . (الأحقاف : ١٧).

وفى نهاية المقطع الأول يصور لهم جزاء المحسنين ، ويفسر لهم هذه البشرى التى يحملها إليهم القرآن الكريم بشرطها ، وهو الاعتراف بربوبية الله وحده والاستقامة على هذا الاعتقاد ومقتضياته : إِنَّ اللَّهِيَّ لِللَّهِا رُبِّنا اللَّهُ أَسْتُعَلَّمُوا فَلَا صَوْفً عَلَيْهِمْ زَلاً هُمْ يُحَرُّفُن أَد (الاحقاف: ١٣). فقد آمنوا بالله وأعلنوا ذلك، واستقاموا على منهج الإيمان فاستحقوا حياة كريمة في الدنيا ، ونعيمًا خالدًا في الأخرى .

٧ - الفطرة السليمة والفطرة السقيمة :

يحترى المقطع الثنائي على ست آيات هي الآيات (٥٠ – ٢٠) ، وفيها حديث عن الفطرة في استقامتها وفي انحرافها ، وفيما تنتهي إليه حين تستقيم وما تنتهي إليه حين تنحرف .

يبدأ بالوصية بالوالدين ، وكثيرًا ما ترد الوصية بالوالدين لاحقة للكلام عن العقيدة ، لبيان أهمية الأُسرة والعمل على ترابطها ، وتذكير الإنسان بأصل نعمته ورعايته .

وتذكرنا الآيات بجهود الأم وفضلها في الحمل والولادة والرضاع.

«إن البريضة بمجرد تلقيمها بالخلية المنوية ، تسعى للالتصاق بجدار الرحم وهى مزودة بخاصية الكالم ، ومن منودة بخاصية الكالم ، ومن منودة بخاصية الكالم ، ومن الأم الخنى بكل ما في جسمها من خلاصات ، وتمتمه لتحيا به وتنمو ، وهى دائمة الأكلان لجدار الرحم ، دائمة الامتصاص لمادة الحياة ، والأم المسكينة تأكل وتشرب وتهضم وتمتص التحيا عنداً كند منا نقياً غنياً لهذه البويضة الشرعة النهمة الأكول .

وفي فترة تكوين عظام الجنين يشتد امتصاصه للجير من دم الأم فتفققر إلى الجير ، ذلك أنها تعطى مجلول عظامها في الدم ليقوم به هيكل هذا الصفير ، وهذا كله قليل من كلير .

ثم الوضع ، وهو عملية شاقة ، ممزقة ، ولكن آلامها الهاثلة كلها لا تقف في وجه الغطرة ، ولا تُنسى الأم حلاوة الثمرة ، ثمرة تلهية الفطرة ، ومنح الحياة نبتة جديدة تغيض وتمتد بينما هي تذوي وتموت.

ثم الرضناع والرعاية ، حيث تعلى الأم عصارة لحمها وعظمها في اللبن ، وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية ، وهي مع هذا وذاك فرحة سعيدة رحيمة ودور ، لا تمل أبدا ، ولا تراها كارهة لتعب هذا الوليد ، وأكبر ما تتطلم إليه من جزاء أن تراه يسلم وينمو فهذا هو جزاؤها الحبيب الوحيد» (".

وقد تكررت رصية القرآن للأبناء ببر الآباء ، لأن الوالدين قدَّما كل شيء ، كالنبتة التي ينمو بها النبات فإذا هي قشة ، وكالبيضة التي ينمو منها الكتكوت فإذا هي قشرة .

ومن الواجب رد الجميل والعرفان بالفضل لأهله ، وأن يحسن الإنسان إلى أصله وأن يدعو لهما ، وهو نوع من تكافل الأجيال ، قال تعالى : وَوَصِّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِنَهِ إِحْسَنَا حَمَلَتُهُ أَمُّهُ, كُوهًا وَوَمَنتَهُ كُوهًا وَحَمْلُهُ, وَهِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتِّى إِذَا بَلَغَ أَلْمَهُ، وَلَلْغَ أَرْبَينَ سَنَةً قَالَ وَبُ أَوْلِكَ وَإَلَى مِنَّ أَلْمُكُونَ فَعَلَىٰ وَالِمَن وَأَنْ أَهْمَا صَلْهِحًا رَضَنْهُ وَأَصْلِع فِي فَرَيْتِي بَلِي كُنِّ إِلَّكُ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلُومِنَ . (الأحقاف: ٥٠). وهذا النموذج الذي نشاهده في الآية ، نموذج للقطرة المستقيمة التي ترعى أصلها وتتعهد ذريتها ، وهذا النموذج يقبل الله عمله ويحشره في أصحاب الجنة .

أما النموذج الثاني فهو نموذج الاتحراف والفسوق والفسلال ، نموذج ولد عاق يجحد معروف والديه، ويذكر البعث والجزاء ويقول : مَا هَذَا إِلَّهُ أَسْطِيرُ الْأَوْلِينَ . (الأحقاف : ١٧) .

وهذا النموذج جدير بالخسران ، لقد خسر اليقين والإيمان في الدنيا ، ثم خسر النعيم والرضوان في الآخرة .

وينتهى هذا المقطع من السورة بعرض هذين النموذجين ومصيرهما فى النهاية ، ثم يعرض مشهدًا من مشاهد القيامة حيث يُعرض المتكبرون على النار ، وفى ذلك المشهد نرى الغائب شاهدًا ماثلاً يستحث النفوس على الهدى ، ويستجيش الفطر السليمة القوية لارتباد الطريق الواصل المأمون .

* - قصة عاد :

يتناول المقطع الثالث من السورة قصة عاد، وهم قوم نبي الله هود، ويشمل الآيات (٢٠ - ٢٨).

واللصة هذا تخدم الفكرة وتزيدها ، فقد أنكر أهل مكة رسالة الذبى محمد ، وأعرضوا عن دعوته ، هجاء هذا المقطع يذكرهم بأشباههم وينذرهم أن يصيبهم ما أصاب السابقين .

وَآذَكُمُّ أَمَّا عَادٍ إِذَّ النَّرَةُ فَيَمَّهُ بِالْأَحَّقَافِ ... (الأحقاف : ٢١) . وأهن عاد هو هود عليه السلام ، دعا قومه إلى القوهيد وخذرهم من عذاب الله .

والأحقاف جمع حقف ، وهو الكليب المرتفع من الرمال ، وقد كانت منازل عاد على المرتفعات المتفرقة في جنوب الجزيرة ، ويقال إنها كانت في حضوموت .

وقد أنذر أخو عاد قومه ودعاهم إلى عبادة الله وحده ، وحذوهم بطشه وانتقامه ، ولم ترمن عاد برسالة هرد وقابلت دعوته بسوء النفان وعدم الفهم والتحدى والاستهزاء ، واستعجال العذاب الذي يندوهم بد فلما رأوا العذاب في صورة سحابة ظنوه مطرًا مفيدًا لهم : فَلَمّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقَبِلَ أَوْمِيّهِمْ قَالُواْ هَلْمَا عَرْضً مُسْتَقبِلُ الرَّمَةُ عَالَى المَّدَابُ الْبِعَ لَيْكُمْ وَلَمْ مُسْتَقبِكُمْ مِعْ رَبِع عَلَيْهَا عَلَمُ اللهِ عَنْدُمْ كُلُ شَيْعٍ بِأَمْرِ رَبَّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُوعَلِ إِلَّا مَسْلَكِتُهُمْ كَلَا لَهُ مَسْلَكُهُمْ وَلِي اللهِ عَنْدَاللهِ عَنْدَاللهُ لَمْ وَلَا اللهِ عَنْدُو كُلُولُ مُسْلَكِهُمْ اللهَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَنْدُمْ كُلُ شَيْعٍ بِلَهُ وَلَهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى ال

وتقول الروايات إنه أصاب القوم حر شديد ، واحتبس عنهم المحلر ، ودخن الجو حوانهم من الحر والجفاف ، ثم ساق الله إليهم سحابة ففرحوا بها فرحًا شديدًا ، وخرجوا يستقولونها في الأودية وهم يحسبون فيها الماء : قَالُواْ هَلَمْا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ... وجاءهم الرد بلسان الواقع : بَلْ هُوَ مَا آسَتَعْجَلُتُم بِدِرِيعٌ فِيهَا عَلَمَابُ آلِيمٌ » تَدَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرٍ رَبُّهَا ... وهى الريح الصرصد العاتية التي ذكرت في سورة أخرى كما جاء في صفتها : مَا لَدُرُ مِن شَيْءٍ أَلَتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتُهُ كَالرَّمِيمِ . (الداريات : ٤٢).

لقد اندفعت الربح تحقق أمر الله وتدمر كل شيء بأمر الله ، فهلك القوم بجميع ما يملكون من أنعام ومتاح وأشهاء ، ويقيت مساكنهم خالية موحشة لا ديار فيها ولا نافخ نار.

ويلتفت السياق إلى أهل مكة يلمس قلويهم ، ويحرك وجدانهم ، ويذكرهم بأن الهالكين كانوا أكثر منهم تمكنًا في الأرض ، وأكثر مالاً ومتاعًا وقوة وعلمًا ، فلم تغن عنهم قدرتهم ولا قوتهم ، ولم يغن عنهم الراؤهم ، ولم ينتفعوا يسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم ، بل أغلقوا قلويهم عن سماع الحق، ولم تغن عنهم آلهتهم التي اتخذوها تقربًا إلى الله .

وكذلك يقف المشركون في مكة آمام مصارح أسلافهم من أمثالهم ، فيقفهم أمام مصيرهم هم أنفسهم ، ثم أمام الخط الثابت المطرد المتصل ، خط الرسالة القائمة على أصلها الواحد الذي لا يتغير ، وخط السُّنة الإلهية التي لا تتحول ولا تتبدل ، وتبدو شجرة العقيدة عميقة الجذور ممتدة الفروع ضاربة في أعماق الزمان ، واحدة على اختلاف القرون وإختلاف المكان .

لقد أهلك الله القرى التى كذبت رسلها فى الجزيرة ، كعاد بالأحقاف فى جنوب الجزيرة ، وثموي بالمجز فى شمالها ، وسها وكانت باليمن ، ومدين وكانت فى طريقهم إلى الشام ، وكذلك قرى قوم لوط وكانوا يعرون بها فى رحلة المسيف إلى الشمال .

وقد نوَّع الله في آياته لعل المكذبين يرجعون إلى ريهم ويثوبون إلى رشدهم.

قال تعالى : وَلَقَدْ أَهْلَكُنَّا مَا حُولَكُم مِّنَ ٱلْقَرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَسْتِ لَفَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . (الأحقاف: ٢٧).

\$ - إيمان الجن:

يتناول المقطع الرابع الحديث عن إيمان الجن، ويشمل الآيات الأخيرة من سورة الأحقاف.

وقد تحدث القرآن عن الجن فذكر أن أصلهم من نار ، وأن منهم الصالحين ومنهم الظالمين ، وأن لهم تجمعات معينة تشهه تجمعات البشر في قيائل وأجناس ، وأن لهم قدرة على الحياة على هذا الكوكب الأرضى ، ولهم قدرة على الحياة خارج هذا الكوكب ، وللجن قدرة على التأثير في إدراك البشر ، والإيعاز ، عالم عالم ، والإيعاز ، قال تعالى : قُلْ أَمُودُ بِرَبِّ آلناسٍ م بِلَكِ آلناسٍ ه إِلَكِ آلناسٍ م اللهِ على المؤلِق اللهِ على اللهِ اللهِ على اللهِ على اللهِ على اللهِ على اللهِ اللهِ على اللهِ اللهِ على اللهِ على اللهِ اللهِ على المؤلِق اللهِ على الهِ على اللهِ على اللهِ على اللهِ على اللهِ على اللهِ على اللهِ عل فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ . (الناس : ١ – ٢) . ومن خصائص الجن أن يرى الناس ولا يراه الناس ، لقوله تعالى عن إيليس وهو من الجن : إلَّهُ يَرَسُحُمُّ هُوَ وَقَيلُهُمْ مِنْ حَبُثُ لاَ تَرْوَلُهُمْ ... (الأعراف: ٢٧) .

وقد تحدثت الآيات الأخهرة من السورة عن إيمان الجن الذين استمعوا لهذا القرآن ، فتنادوا بالإنصات ، واطعأنت قلويهم إلى الإيمان ، وانصرفوا إلى قومهم منذرين يدعونهم إلى الله ، ويبشرونهم بالففران والنجاة ، ويحذرونهم الإعراض والضلال .

وهذا الأمر في ظاهره الخير عن إيمان الجن ، ومع ذلك فهو يصور أثر هذا القرآن في القلوب ، فعندما سمعت الجن تلاوة القرآن القرآن عن القرآن من القرآن عن القرآن والإيمان ، ويحرضون دعوة الإسلام على قومهم ، ويفضل القرآن صاروا دعاة هداة ملك القرآن عليهم تهوسهم ، فانطلقوا يحملون الهداية والرحمة لقومهم ، ويفضل القرآن صاروا دعاة هداة ملك القرآن عليهم تفوسهم ، فانطلقوا يحملون الهداية والرحمة لقومهم ، ثم يتحدثون عن الصلة الوقيقة بين القرآن والقرراة ، وبين محمد وموسى ، فالجميع من عند الله لهداية خلق الله ؛ لَأَلُو إَيْكُونَمَا إِلاَّا سَمِعْنَا كِتَبَا أَنزِلُ مِنْ بَعْدِمُوسَىٰ مُصَدِّلًا لَمْ الله المداية خلق الله ؛ لَأَلُو إَيْكُونَمَا إِلَّا سَمِعْنَا كِتَبَا أَنزِلُ مِنْ بَعْدِمُوسَىٰ . مُصَدِّلًا لَمْ الله المداية خلق الله ؛ لَالَّوا يَشْوَمُنَا إِلَّا سَمِعْنَا كِتَبَا أَنزِلُ مِنْ بَعْدِمُوسَىٰ .

وهذا القول من الجن يفيد ما بين الرسل جميعًا من آصرة الأخرة ، فربهم واحد ، ودعوتهم واحدة ، وفكرتهم أساسها هداية الناس ومحارية الرفائل ، والتعاون على الخير والمعروف ، والعدام بين الأديان إنما جاء من سوء الفهم أو من تحريف الإنسان للوحي .

كذلك ورد على لسان الجن إشارة إلى كتاب الكون المفتوح ، ودلالته على قدرة الله الظاهرة في خلق السماوات والأرض ، الشاهدة لقدرته على الإحياء والبعث ، وهي القضية التي يجادل فيها البشر وبها بحدون .

ويمناسبة البعث يعرض السياق مشهدًا من مشاهد القيامة ببدو فيه الكفار وهم يعترفون بالإيمان ، بعد أن كانوا ينكرونه في الدنيا ثم يقال لهم :

فَلُوقُواْ ٱلْعَلَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكَلُّمُونَ . (الأحقاف: ٣٤).

وفي ختام السورة توجيه لرسول الله ﷺ بالصبر والمصابرة ، فإنها طريق الرسل ، وما ينبغي للدعاة إلا الصبر والاحتمال .

مقصود السورة إجمالا

قال الفيروزبادي :

إن معظم مقصود سورة الأحقاف هو: إلزام الحجة على عبادة الأصنام ، والإهبار عن تناقض كلام المتكبرين ، وبيان نبوة سيد المرسلين ، وتأكيد ذلك بحديث موسى ، والوصية بتعظيم الوالدين ، وتعديد المتنعمين والمترفين ، والإشادة بإهلاك عاد العادين ، والإشارة إلى الدعوة وإسلام الجن ، وإتيان يوم القيامة فجأة آا ، واستقلال لبد اللابئين في قوله ، فأصْبِر كُمَّا صَبَرَ أُولُوا أَلْقُواْمٍ مِنْ ٱلرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْصِلُ لَهُمْ كَالَّهُمْ يُومْ يُرُونُ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْكُواْ إِلَّا سَاعَةً مِّنْ قَهَارٍ بَكُما فَهُمْ كَالُهُمْ اللهِ اللهِ على الما اللهِ على المنافقة عنه عنه).

_ _ _

وحدانية الخالق

المُعَوِّ الْعَجِيمِ اللهُ الْخُوْرَ الْحَجِيمِ

﴿ حَمّ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِنْكِ مِنَ اللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيدِ ۞ مَلَطُقْنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا إِلْمُ فَيَ وَأَجَلِ مُسَمَّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا ٱلْذِرُوا مُعْرِضُونَ ۞ قُل آدَءَ يَتُم تَامَّدُعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ مَمْ فِرْكُ فِي السَّمَوَتِ آفَوْنِ بِكِتنب مِن فَرْنِ اللهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيمَةِ وَمُمْ عَن دُعَا بِهِمْ عَفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَا فُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُ أَفِيهِ اللهِ مِنْ كَالْمِ اللهِ مَن اللهِ مَنْ اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ المُؤْمِنَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ ا

المفردات

وأجل مسمى : هو يوم القيامة .

محبرضون و مديرون و لاهون .

ارايــــــــم، أخبروني.

الهم شرك، شركة ونصيب.

أثارة من علم : بقية من علم .

حشـــر، جمع.

كسافسرين ، مكذبين .

تمهيد

بدأ الله هذه السورة بمثل ما بدأ به سورة الجائية ، وأتبع ذلك ببيان أنه سبحانه خلق السماوات والأرض بالحق والعدل ، ولوقت معين ينتهى فيه عمر هذا الكون : يُرْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ خُيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَاتُ وَوَرُرُولً لِلَّهِ ٱلْآرِحِدِ ٱلْقَهُارِ . (إبراهيم: ٤٨).

ومن الحق أن يُكافأ المحسن ، وأن يُعاقب المسىء في الأخرة ، بيد أن الكفار أعرضوا عن الاستماع للوحى ، أو الاهتداء به ، وهنا يسألهم الله : هل اشتركت هذه الأصنام في خلق الأرض أر في خلق السماوات؟

هل عندكم كتاب – مثل التوراة أو الإنجيل – يثبت للأصنام أن الأوثان أو غيرها خلفًا للأرضى ، أو مشاركة في خلق السماء ؟

وهل لديكم بقية من علم تثبت هذا ، وإذا لم تكن لديكم وثيقة مكتوية ، ولا أثر معقول ، فعلى أي شيء تعتمدون في عبادة هذه الأصدام ؟

وفي يوم القيامة تتبرأ الأصنام ممن عبدها ، وتعلن العداء لمن عبدها من دون الله ، وتندد بهذه العبادة .

التفسيره

۱ – حمد .

حرفان من حروف المعجم ، للتنهيه أن للتحدى والإعجاز ، وبيان أن هذه الأحرف المقطعة مبنى كتاب الله العزيز ، وقد عجزتم عن الإتيان بمثله ، قدلُ ذلك على أنه ليس من صنع بشر ، وإنما هو تنزيل من حكيم حميد .

٧ – تَنْوِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ .

هذا الكتاب منزل من عند الله تعالى على محمد ﷺ، ومن صفة الله سبحانه أنه ، ٱلْفَرِيْغِ . العَالمِ وهو القاهر فوق عباده ، وهو سبحانه ، ٱلْحَكِيمِ ، في خلقه وتدبيره .

٣ - مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَلُوْاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَل مُّسَمِّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّا أَنْلِرُواْ مُعْرِطُونَ .

إن هذا الكرن بما فيه من سماء وأرض وفضاء ، لم يخلق عبثًا ، بل أبدعته يد القدرة الإلهية ، لحكمة عليه ، لحكمة عليا هي الاختبار والمتيار للسلوك الذي عليا هي الاختبار والابتلاء ، وإعطاء الإنسان فرصة في هذه الدنيا ، ومعه قدرة وإرادة واختيار للسلوك الذي يفضله ، فمن أطاع الله فله الجنة ، ومن عصى الله فله النار، وحياة هذا الكون لمدة محددة هي عمر الدنيا، هزا انتهد الحياة على هذه الأرض ، بُدُلت الأرض غير الأرض والسماوات ، ويرز الجميع لله الواحد القهار،

لكن الكفار لم يستمعوا لهذا الكتاب ، ولا للرسول محمد ﷺ ، وأعرضوا عن دين الإسلام ، وهو سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة .

 \$ - قُلُ أَرْوَثِهُم مَّا تَدَعُونَ مِن دُونِ اللهِ أُرُولِي مَاذَا حَلْقُواْ مِنَ ٱلْأَرْصِ أَمْ لَهُمْ هِرْكَ فِي السَّمَنوَاتِ النَّولِي بِكِتَسِير مِّن قَبلَ هَـلَمَا أَنْ ٱلْمَرْقِ مَنْ جِلْمِ إِن كُتُمْ صَلالِينَ.

أخبرونى أيها الكفار ، هل الأصنام أو الأرثان أو الجن أو الملائكة ، أو جميع ما تعيدون من دون الله، هل هذه المعبودات الزائفة خلقت شيئًا من هذا الكون البديع ؟ أرونى هذا الذي خلقته من الأرض ، هل خلقت الماء أو الهابس ؟ الشرق أو الغرب ؟ السهل أو الجبل ؟ الحيوان أو الإنسان ؟ والجواب معلوم : إن أحدًا لم يدُّع مطلقًا أنه خلق الأرض ، ولا جانبًا منها ، لأن هذه المعبودات الزائفة لا تقدر على خلق شيء من ذلك ، وهذه الأرض لم تخلق نفسها ، فلم يبق إلا أن تكون خلق الله .

ثم قل لهم أيها الرسول الكريم: أَمْ لَهُمْ شِرْكً فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ ...

أي : تدرج معهم واسألهم : هل لهم مشاركة وإسهام في خلق السماوات ؟

هل ساعدوا الله وأعانوه في خلق شيء من ذلك ؟ والجواب معلوم ، ولكن القرآن يستمرُ في مناتشتهم وتحقيهم بأن يثبتوا بأي حجة أو دليل ، يغيد أن هذه المعبودات قد خلقت أي شيء في الأرض أو السماء حتى تُعبد .

آثُونِي بِكِتَلْبٍ مِّن فَبْلِ هَلْدُآ ...

أي: هل عندكم كتاب من الكتب المنزلة قبل القرآن ، كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى ، تشهد بأن هذه المعبودات الزائفة قد خلقت شيئًا ، أو جانبًا من الأرض أو السماء ؟ وإذا لم تكن عندكم وبيقة مكتوبة تثبت ذلك ، فهل عندكم بقية من علوم الأولين تنطق باستحقاق هذه المعبودات للعبادة ، أو أنهم خلقوا شيئًا من الأرض ، أو اشتركوا في خلق السماوات ؟ هل لديكم أي دليل نقلي أو عقلي يثبت لهذه الأصنام خلقًا للأرض ، أو مضاركة في خلق السماء ؟

إِنْ كُنتُم صَلْدِقِينَ .

فقدموا ما يثبت صدقكم ، فإن الدعوى لا تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى أو دليل نقلى ، وحيث إنه لا دليل لكم فقد ثبت بطلان كفركم ، وأقيمت للحجة عليكم . ه – وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ آللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَلْمَةِ وَهُمْ عَن دُعَاثِهِمْ غَافِلُونَ .

لا أحد أشدّ ضلالاً ممن يعيد من دون الله أصناماً أو أوثاناً أو جنّاً أو ملائكة ، وهذه المعبودات لا تسمع ولا تبصر، ولا تستجيب لمن يدعوها ، أو تدفع عنه ضرًّا ، أو تملك له نفعًا ، لأنها مخلوقات فانهة، ولأن الملائكة مرتبطة بطاعة الله ، والتزام أوامره ، وهي لا ترضى أن يعبد أحد من دون الله ، وهذه الأصنام وغيرها غافلة عن هذه العبادة لا تحس بها .

٣ - وَإِذَا خُشِرَ آلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَلْفِرِينَ .

وإذا قامت القيامة واجتمع الناس في صعيد واحد، ووقف الكل أمام الجبار للقضاء، تبرُّأت الأصنام معن عبدها، كما يتبرأ عيسى عليه السلام معن اتخذه إلها هو وأمّه، ورفض الجميع كل عبادة لهم.

قال تعالى : إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيْسَةِ يَكُفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا تُنْبُطُكَ هِلْ صَبِيدٍ . (فاطر: ١٤).

وقىال عز ىشاند : وَٱتَخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةَ لَيْكُونُواْ لِهُمْ عِزًّا ﴿ كُلَّا سَبَكَفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِيدًا . (مريم: ٢٨٠٨٨).

مناقشة المشركين

﴿ وَإِذَا لَتُنَا عَلَيْهِمْ ءَايَنُنَا بَيْنَتِ قَالَ الَّذِينَ كَفُرُوا لِلْحَقِّ لَمَّاجَاءَهُمْ هَلَا سِحْرٌ ثَبِينُ ۞ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَّهُ قُلْ إِنِ أَفْتَرَبْتُهُ، فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعَلَرُ بِمَا أَشِيضُونَ فِيدٍ كَفَى يعِ مَشَعِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الفَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْ مَا كُنتُ بِدْ عَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَلُ فِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنْيَمُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَى وَمَا أَنَا إِلَّا يَذِيرُ ثُمُّ بِنُ ۞

المقردات :

تستسلسي، تقرأ.

بيسسات، واضحات.

افستسراه، نسبه كذبا إلى الله .

<u>ت نه يضون</u> ؛ تندفعون وتخوضون فيه .

يتُم المبتدع بالكسر: الشيء المبتدع.

قال الرازى : والبردع والبديع من كل شيء المبدع ، والبدعة ما المترع معا لم يكن موجودًا قبله بحكم السُّلَة .

إن أتسبيع : ما أتبم .

التفسيره

٧ - وَإِذَا تُتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَائُتَنَا بَيَّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰلَمَا سِحْرٌ مُّبِينٌ.

وإذا قرآن عليهم القرآن واضحًا جليًّا ميسرًا ، أنكر الكفار أن يكرن هذا القرآن كلام الله سبحائه وتمالى ، وقالوا : هذا سحر مبين ، أى هذا سحر واضع ، وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا .

٨ - أَمْ يَلُّولُونَ آفَرَتُ قَالَ إِنِ آفَرَيْثُهُ فَالاَ تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ هَئِنَا أَمْ مَا أَعْلَمُ بِمَا تَضِيطُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ هُمِيمًا بَنْبِي
 ٨ - أَمْ يَلُو ٱلْفَلُورُ ٱلزَّحِمُ .

في هذه الآية ردّ على الكفار ، وبيان لعظمة الألوهية ، والحُلاع الله على كل شيء ، وأنه منتقم معن كنب عليه ، وهو الحكم بين النبى وقومه ، وهو سبحانه غفور لمن تاب ، وقد جمعت الآية بين تعظيم الله جلّ جلاله والردّ على اتهام الكفار للرسول ، وفتح الباب أمام توبة التائيين مفهم .

ومعنى الآية:

بل أيقولون إن محمدًا افترى هذا القرآن واختلقه من عند نفسه ، ثم نسبه رُورًا إلى الله ؟

ثم يلقُّن الله رسوله الحجة ليقول لهم :

إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ, فَلَا تُمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ مَيُّنا ...

أى: لمن أفْتْرِي؟ الأجل أن أكسب أتباعًا يومنون برسالتي من البشر؟ إن الله أقرى من كل قوى، وهو على كل شيء قدير، وإذا كنبتُ عليه قمن يعصمني من بطشه وأخذه وقوته.

والخلاصة : أنا لا أكسب مثلوقًا وأُستَط شَالقًا ، لأن هذا التَّالق إذا غَضَب علىٌ قلن يمك أحد منكم أن يعصمنى من عقوبته لى .

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ...

لقد أحاما علم الله بكل شيء ، ويما تندفعون فيه من القول ، واتهامكم للقرآن بأنه سحر أو شعر أي أساطير الأولين ، واتهامكم لمحمد على مسنوف الفرين .

كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَيَيْنَكُمْ ...

إن الله تعالى يشهد لى بالصدق ، ويأنه أنزل القرآن من عنده على محمد ﷺ ، وكفى بشهادة الله تعالى شهادة تكفينى وتشرَّفنى ، وقد رضيت بحكمه بينى وبينكم ، وفى ذلك من تعظيم الله والرضا بشهادته وأطلاعه ، وتهديد الكافرين بما يستحقونه من عقوبة الله الشهيد على كل نفس بما كسبت .

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ .

من قصد بابه تائبًا غفر له وشمله برحمته وفضله ، ونعمته وقبوله ، فما أوسع فضله ، وما أوسع رحمته لمن تاب إليه ورجع إلى مرضاته .

قال تعالى : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ... (الأعراف : ١٥٦) .

• - قَالَ مَا كُنتُ بِدْعًا مَنْ ٱلرُّسُل وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَل بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَلْبِي إلاَّ مَا يُوحَى إلى أَلْبِيل شَمِينً .

لقد أرسل الله الرسل قبلي ، وأنزل عليهم الكتب ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وكلّم موسى تكليمًا ، ويشر عيسي قومه برسالة أحمد ﷺ ، فرسالتي إليكم ليست بالأمر البديم أو الغريب .

أمًا الغيب فعلمه عند الله ، وكان الممثركين قد اقترحوا على النبي ﷺ الإتيان بمعجزات ، والإخبار عن مغيبات ، فأمزل الله عليه هذه الآية لتفيد الآتي :

- لست أول من أرسله الله رسولا.

أنا بشريوحي إلى ، أؤدى واجبى في تبليغ الرسالة والجهاد في سبيلها ، أما الغيب فعلمه عند الله،
 والمعجزات يأتى بها الله حين يشاء هو ، لا تليبة لطلب المشركين .

أنا أتبع الرحى وأبلغه ، وأنفَّذ ما يدعوني إليه ربِّي .

 رسالتي لا تقوم على المعجزات الماذية ، فالقرآن أسلوب يضاطب العقل والفطرة ، ويحدِّر من محصية الله ، وأنا أحذركم عقاب الله تعالى ، على نحو وإضم لكل عاقل . وقد أورد ابن كثير في تفسيره طائفة من الأحاديث الصحيحة عند تفسيره لهذه الآية ، منها ما رواه أحمد ، والبخاري ، عن أمّ العلاء — وهي امرأة من نساء الأنصار – قالت: لمّا مات عثمان بن مظعون ، قلت: لحمد الله أبا السائت ، شهادتي عليك لقد أكرمك الله ، فقال رسول الله ﷺ : «وما يدريك أن الله أكرمه ؟ أما هو فقد جاءه اليقين من ربّه ، وإني لأرجو له الخير ، والله ما أدرى وأنا رسول الله، ما يغمل بي ولا بكم» . قالت أم العلاء : فوالله لا أزكى بعده أحدًا أن

قال المفسرون:

وفيه دليل على أنه لا يُقطع لشخص معين بالجنة ، إلا الذين نمنَ الشارع على تعيينهم ، كالمشرة المبشرين بالجنة (¹⁰ ، وعبد الله بن سَلَام ، والعميصاء ، ويلال ، وسراقة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد چابر ، والقرّاء السبعين الذين قتلوا ببثر معونة ، وزيد بن حارفة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة، و مِن أشهه هوّلا ، رضى الله عنهم .

من تفسير القرطبي

ذكر القرطبي تعليقًا طويلاً على قوله تعالى في هذه الآية :

وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ...

ثم قال القرطبي : والمسحيح في الآية قول الحسن ، كما قرأ على بن محمد ، عن الحسن : وما أذرى ما يفعل بي ولا يكم في النباء .

قال أبو جعفر الطبرى: وهذا أصبح قول وأحسنه ، لا يدرى ما يلحقه وإياهم من مرض وصحة ، ورخصن وغلاء، وغنى وفقر.

ومثله قوله تعالى : وَلُوْ كُنتُ أَعْلُمُ ٱلْفَلِبُ لاَ سَتَكَلُوتَ مِنَ ٱلْخَوْرِ وَمَا مَسْنَى ٱلشُّوَءُ إِنْ أَنَّا إِلَّا لَيْفِرُ وَيَشِيرُ ... (الأعمال: ۱۸۵۸)

وقال المهايمي:

وَمَّا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ...

أى: فيما لم يوح إلى ، والوحى بيعض الأمور لا يستلزم العلم بالباقى ، ولم يكن لى أن أضم إلى الرحم كذبًا من عندى (° .

من تفسير ابن كثير

قال عكر مة و الحسن وقتادة (٢):

إِن قوله تعالى : وَمَا أَذْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ... منسوخ بقوله تعالى : لَيْغْفِرُ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَفْدُمْ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرُ ... (اللتم: ٢).

ولما نزلت هذه الآية قالوا: هنيتا لك يا رسول الله ، فما لنا ؟ فأنزل الله تعالى : لَيُلْحِيْلُ ٱلْفُوْمِينَ وَٱلْمُوْمَلَتِ جَنْلُتُ تَجْرِى مِن تَحْيَهَا ٱلْأَنْهَالُ حَلِلِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَبَّتَابِهِمْ وَكَانَ ذَالِكَ عِندُ ٱللَّهِ فُوْرًا عَظِيمًا . (اللّذِينَ : ٥)

قال المفسرون:

وفي هذا دليل على أن النبي ﷺ لا يدري ما يتول إليه أمره وأمر المشركين في دار الدنيا ، أما في الأخرة فهو ﷺ جازم أنه يصبير إلى الجنة هو ومن اتبعه ، وذلك في الجملة™ . ا هـ.

خاطرة

ورد في الأحاديث النبوية الشريفة أن الله تعالى زرى الأرض لرسول الله ﷺ ، ثم قال ﷺ : «وسيبلخ ملك أمِّني ما زوى لى من الأرض ، وسيبلخ هذا الدين ما بلخ الليل والنهار ، بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، (⁽⁽⁾

وفى البضارى ما يفيد أن رجالاً من آمة النبى ﷺ يركبون ثبج البحر غزاة فى سبيل الله ، كأنهم العلوك على الأسرة (١٠).

وفى صحيح مسلم أن النبي ﷺ بشَر اَمته بفتح القطر المصرى ، وقال : «سيفتح عليكم بعدى بلد يذكر فهه القيراط ، فاستوصوا بأهله خيرًا فإن لهم ذمة ورحماه (۱۰۰) .

وروح الأحاديث النبوية تبشّر بنصر هذه الأمة ، وفي غزرة الخندق اعترضت المسلمين صخرة لم يستطيعوا كسرها ، فاستعانوا برسول الله ﷺ فتناول المعول وضرب الصخرة فصارت كثيبًا أهيل ، وقال للمسلمين : وإنَّ الله أضاء لى منها كنورَ كسرى وقيصر» (١٠).

كما بمشر النبي ﷺ سراقة بن مالك بن جشعم، وقال له : وأسلم يا سراقة ولك سوار كسرى، ٥٠٠ ، وكل هذا يفيد أن النبي ﷺ بنكر بالنصر ، ويخر أمته بذلك .

وخلاصة الأمر: أن القضاء والقدر في علم الله ، ولا يعلم الغيب إلا الله ، والرسول ﷺ بنشر يوحى إليه ، وهو لا يعلم الغيب ، كما قال القرآن الكريم : وَلَوْ كُنتُ أَعْلُمُ ٱلْغَيْبَ لَا سَّتَكَثَّوْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّبَى ٱلسُّوّةُ ... (الإعراف: ۸۸۱) لكن الله تعالى بشُّره في الجملة بنصره على المشركين ، ويشر الرسول ﷺ أمته بنصر الإسلام على يلاد الفرس والروم والحيرة ومصر وغيرها .

وفى القرآن الكريم طائفة من هذه البشارات ، مثل قوله تحالى : يُرِيئُونَ لِيُطْفِرُا لُورُ آللَّهِ بِأَفْرِهُمِمُ وَآللُهُ يُعَمُّ لُورِو وَلُو كَوْ وَآلْكَلُيرُونِ َ هُوَ آلَدِينَ أَرْسَلَ رَسُولُمُ بِٱلْهَدَىٰ وَدِينِ آلْحَقِّ لِطُهْرِهُ، طَلَى آللَّيْنِ كُلُهِ وَلَوْ كَرْهَ آلْمُشْرِكُونَ. (العسد : ٨، ٩)

ومثل قوله سبحانه: وَيَوْمَئِلٍ يَقُرُحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ و بِنَصْرٍ ٱللَّهِ يَنَصُرُ مَن يَشَآءُ وَلَهُوٓ ٱلْعَزِيرُ ٱلرَّحِيمُ. (الديم: ٤٠٠). وقوله عز شأنه : كُتُبُ ٱللَّهُ لَأَطْلِسُ أَنَّا وَرُسُلِي إِنْ ٱللَّهُ قَوِيًّ عَزِيلٌ. (السجادلة: ٢١).

وقوله عز شأنه : وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ . (الروم : ٤٧).

شهادة عيد الله بن سلام يصدق محمد علية

﴿ قُلْ أَرَهَ يَشَدُ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَهِ بِلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَا أَمْنَ مَنَ اللّهِ عَلَى مِثْلِهِ فَنَا مَنَ وَقَالَ اللّهِ مَنَا إِنَّا لَلْهَ مَنَا اللّهَ عَلَى مِثْلِينَ فَ وَقَالَ اللّهِ مَنَا إِفَاكُ فَدِيدٌ فَنَا عَلَى مِثْلِينَ فَلَا اللّهِ مَنْ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهِ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّ

المفردات:

إن كنان من عند النابه ، إن كان القرآن من عند الله .

وشهد عبد الله بن سلام.

عسمابسي مسمولة على مثل ما في القرآن من التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له ، أو شهد على مثل ذلك وهو كون القرآن من عند الله .

ف آم الشاهد .

واست كي برتم الكبريم عن الإيمان الستم ظالمين ؟

ثو كان خيرا ما سبقونا إليه ، لو كان ما جاء به محمد من القرآن والإيمان خيرًا ، ما سبقنا إليه المؤمنون .

وإذا بهم يسهستسدوا يسه ؛ أي بالقرآن العظيم .

إفك قصيد والأولين .

وهمانا كستساب مصدق ، القرآن مصدق للكتب التي سبقته .

سبب النزول :

أهادت الأحاديث الصحيحة أن الآية العاشرة من سورة الأحقاف نزلت في عبد الله بن سلام ، حيث إنه قد شهد بصحة رسالة النبي محمد ﷺ ، وأن التوراة قد بشرت برسالته ﷺ .

آخرج البخاري ، ومسلم وغيرهما ، عن سعد بن أبي وقامن قال : في عبد الله بن سلام نزلت : وَطَهِدَ شَاهِدُ مِّنْ بَيْنَ إِسْرَاتِهِانُ عَلَيْ مِثْلِهِ ... ٣٥٠ .

وأهرج الطبراني بسند محيح ، عن ابن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطاق النبي هي وأنا معه ، حتى بخلنا كنيسة اليهود ، وما عيدهم ، فكرهوا دخولنا عليهم ، فقال لهم رسول هي : «يا معشر اليهود ، أروني الثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه » ن فسكتوا ، فما أجابه منهم أحد ، ثم انصرف ، فإذا رجل من خلفه ، فقال : كما أنت يا محمد ، فأقبل ، فقال : أي رجل تعلمونني يا معشر اليهود ؟ قالوا : والله ما نعلم فينا رجلاً كان أنت يا محمد ، فأقبل ، فقال : أي رجل تعلمونني يا معشر اليهود ؟ قالوا : والله ما نعلم فينا رجلاً كان أمل بكتاب الله ولا أفقه منك ، ولا من أبيك قبلك ، ولا من جنك قبل أبيك ، قال : فإني أشهد أنه النبي الذي تتجدون في التوراة ، قالوا : كان مِن عِناد الله ولا أوقية مناف الذي الذي الشهد وكفية مناف الله ولا أنقب ، ثم ردوا عليه ، وقالوا فيه شرًا فأنزل الله : قُل أَرْقَيْتُم إنْ كَانَ مِنْ عِناد الله ولا وكفية ، وقالوا فيه شرًا فأنذل الله : قُل أَرْقَيْتُم إنْ كَانَ مِنْ عِناد الله ولا أنقه منك ، ولا من جنك قبل أبيد ولا ين يهدون في التوراة ، قالوا : كان مِن عَلى طِبُله فِكَانَ وَاسْكُورُتُم إنْ الله لا يُهديد من القراة ، قالوا : كان مِن عَلى طِبُله فِكَانَ وَاسْكُورُتُم إنْ الله لا يُهديد من القراة ، قالوا : كان مِن عَلى طِبُله فِكَانَ وَاسْكُورُتُم إنْ الله لا يُهديد ألقرة مُ الطّبِليمِين . (١٠٠)

وفي تقسير ابن كثير ما يأتي:

روى البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، ومالك ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على وجه الأرض إنه من أهل الجنة ، إلا لعبد الله بن سلام رضى الله عنه ، قال : وفيه نزلت : وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَيْنَ إِسْرَّ مِنْلُ عَلَىٰ مِبْلِهِ ... (١٠٠٠). وكذا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة : إنه عبد الله بن سلام \mathbb{N}^{1} .

التفسيره

١ - قُلُ أَرْعَتُهمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مَنْ بَينِ إِسْرَاعِيلَ عَلَى مِلْهِ فَعَامَنَ وَاسْتَكَمْرَتُمْ إِنْ
 اللّه لا يَهْدَى اللّهَ مَ الشّالمينَ.

كان عبد الله بن سلام من أحبار اليهود، ولما جاء النبي ﷺ مهاجرًا إلى المدينة جاء إليه عبد الله ابن سلام، وقال: لما نظرت إلى وجه النبي ﷺ قلت: ما هذا بوجه كذاب، ثم سأل النبي ﷺ فلائة أسئلة لا يعلمها إلا نبي:

الأول: ما أول أشراط الساعة ؟

الثاني: ما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

الفالث: ما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟

فقال النبي ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه، وإذا سبق ماء المرأة نزعته، وقال: أشهد أذك رساء الله حقًّا؟**،

ومعنى الآية الكريمة:

أخبروبني يا معشر المشركين ، إن كان هذا القرآن من عند الله في المقيقة ، وأعلنتم كغركم به ، فِم شهد شاهد من أهل الكتاب على صدق القرآن ، وصدق محمد ﷺ ، وشهد أن القرآن منزل من عند الله ، وأن القرآن مماثل لما بشرت به القوراة ، ثم آمن هذا الشاهد بالقرآن والإسلام ، وصدُق محمدًا ﷺ ، واستكبرتم عن الإيمان بالله ، أيستم ظالمين خاسرين ؟

وبعبارة أخرى :

ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان القرآن الذي أنزل علىّ من عند الله ، وقد كفرتم به وكذبتموه ، مع أن شاهدًا من بنى إسرائيل قد شهد أن القرآن مماثل لما فى الثوراة ، وأن فى الثوراة يشارة بالنبى محمد ، فآمن هذا الشاهد ودخل فى الإسلام ، واستكبرتم عن الدخول فيه ، أنستم ظالمين ؟

إذن فاعلموا : إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمُ ٱلظُّلْلِمِينَ . أي : لا يوفقهم إلى الهدى والإيمان .

وجمهور المفسرين على أن الآية نزلت فى عبد الله بن سلام ، لكن عبد الله بن سلام لم يدخل فى الإسلام إلا فى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ اليها ، وسورة الأحقاف مكية ، لذلك قال علماء القرآن : هذه آية مدنية نزلت بالمدينة ، أمر الله أن توضع في سورة مكية ، وكان ﷺ إنا نزلت عليه الآية قال : «منحوا هذه الآية في سورة كذاه ، وعنوان السورة مكتوب في المصحف هكذا : (سورة الأحقاف مكية ، إلا الآيات : ١٠ ، ١٥، ٣٥ ، فدندة).

وألهاد الإمام القرطبي في تفسير الآية أن جمهور المفسرين على أنه عبد الله بن سلام ، وقد نزل فيه قوله تعالى: قُلُ كُفُيْ بْٱللَّهِ شَهِينًا يَتِّيْ رَبِيَّتُكُمْ وَمُنْ عِندُهُم عِلْمُ ٱلْكَتَلَابِ ، (الرعد: ٤٣).

وبعض المفسرين ذكر أن الشاهد من بنى إسرائيل هو موسى عليه السلام ، فقد بشّر برسالة محمد ﷺ وذكرت الثوراة صفة محمد ﷺ . ا هـ .

ويمكن ثنا أن نقول: إن موسى عليه السلام بشر برسالة محمد ، كما وردت صفته في التوراة ، كما صدُّق برسالة محمد بعض علماء بني إسرائيل في المدينة ، فأراد الله أن يزازل إصرار أهل مكة على الكفر ، فأغبرهم بأن هذا كتاب صادق ، وأن محمدًا نبى صادق ، قد أيده موسى رسول الله ، وسيؤيده بعض علماء بني إسرائيل ، وتكون الآية من المبشّرات .

وقد أذاد القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) أن الآية من باب الإخبار قبل الوقوع ، كقوله تعالى: وَلَاذَيْ أَصُّحُلُ الْأَغْرَافِ ... (الأعراف: ٤٤).

ويرشحه أن الفعل: وُضَهِدُ ، معلوف على الشرط الذي يصير به للماضي مستقبلاً ، فلا ضير في شهادة الشاعد بعد نزولها ، ويكرن تفسيره بها بيانًا للواقع ، أي أن الآية يمكن أن تنطبق على إسلام عبد الله بن سلام في المستقبل (^).

١١ - وَقَالَ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ عَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتُدُواْ بِهِ فَسَيْقُولُونَ هَدْذَا إِفْكَ قَدِيمٌ.

سبب نزول هذه الآية دخول جماعة من الفقراء والضعفاء في الإسلام بمكة ، واعتزاز الأغنياء والأقوياء بمكانتهم ، وأنفتهم من الدخول في الإسلام ، خوفًا على وجاهتهم ، ورغبة في الاستعرار في الزنا وشرب الخمر ، واستغلال الفقراء والضعفاء ، من أجل ذلك نزلت هذه الآية ترد عليهم ، وتحكى قولهم ، وتناقش تعسفهم .

والمعنى:

وقال الذين كغروا من أهل مكة ، أو من يهود المدينة : لو كان دين محمد حتًّا ، ما سبقنا إليه الفقراء والضعغاء والأراذل من الناس ، فنحن أغنياء وأقوياء وأمراء ، ولنا وجاهة عند الناس ، وما أعطانا الله هذه الرجاهة إلا ولنا وجاهة عنده ، وفي هذا المعنى قالوا : لُولاً لَزُلُ هَـٰلُنَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقُرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . (الزحرف: ٣١)

وما علموا أن شرف النفوس واستعدادها لقبول الحق فطرة فطر الله الناس عليها ، فالهداية ليست قاصرة على الأغنياء كما زعموا ، بل هي منحة إلهية ، يهبها الله للنفوس الراغبة في الحق ، المشتاقة إلى الصدق ، التي تتبع الهدى عند ظهوره ، ولا تتكبر ولا تستنكف عن السير وراء الحق إذا ظهر نوره لها .

قال تعالى : أَفَمَن شَرَحَ آللَّهُ مَمْدُوهُ، لِلْإِسْلَمْمِ فَهُوَ عَلَىٰ لُورٍ مِّن رَّابِهِ فَوَيْلٌ لَلْقَنسِيَةِ فَلُوبُهُم مِّن وَجُرٍ ٱللَّهِ . . . (النعد: ٢٢)

لقد قاس هؤلام أمر الدين على أمر الدنيا ، وما علموا أن الله يعطى الدنيا لمن يحبّ ولمن لا يحبّ ، ولا يعطى الدّين إلا لمن يحب .

وَإِذْ لَمْ يَهْعَدُواْ بِهِ فَسَهَةُولُونَ هَلْدًا إِفْكُ قَدِيمٌ .

وحين لم تدخل الهداية إلى الإسلام قلويهم ، ولم يستمحوا للقرآن استماع منصت متفهم ، ولم ينظروا للإسلام نظرة باحث راغب في معرفة الحق ، ولم يسيروا في طريق الهدى ، ولم يأغذوا في أسباب النظر والتذكرُ في هذا الدين ، فقد اخترعوا زيفًا ويهتانًا ، فقالوا : إن الإسلام والقرآن كذب قديم مفترى .

قبل لبعضهم : هل في القرآن : (من جهل شيئًا عاداه) ؟ قال : نعم ، قوله تعالى : وَإِذْ لَمْ يَهْتُلُواْ بِهِ فَسَيُقُولُونَ كَلَمْ إِلْكُ قَائِمٌ ، وقوله سبحانه : بَلْ كَلَبُواْ بِمَالِمْ يُعِيطُواْ بِعِلْهِ ... (يونس : ١٩).

من تفسير ابن كثير باختصار

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ...

أى: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا هؤلاء إليه ، يعنون (بالألا) و(عمارًا) و(صهيبًا) و(خيًابًا) رضى الله عنهم ، وأشباههم من المستضعفين والعبيد والإماء ، ولقد غلطوا في ذلك غلطًا فاحسًا ، وأخطأوا خطأ بيئا ، كما قال تبارك وتعالى : وَكَلَالِكَ قَتَّا يَعْضُهُم بِيَعْضٍ لِيُعُولُوا أَ أَمْآؤُلَا مِنَ اللّهُ عَلَيْهِم مُنْ مُنِيّنًا .. (الأعماء : ١٥٧) .

أى : يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ، ولهذا قالوا : لُوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ...

وقوله تعالى : وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ . أَي : بالقرآن .

فَسَيَتُولُونَ هَالَا إِفْكُ قَالِيمٌ .

أى: كذب تديم مأثور عن الناس الأقدمين ، فينتقصون القرآن وأهله ، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله عنه : «الكبر بطر الحق وغمط الناس» .

و«بطر الحق» ، أي : دفعه وعدم قبوله ، و«غمط الناس» ، أي : احتقارهم وازدراؤهم .

١٦ - وَمِن قَلْلِهِ كِتَلْبُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَالَمًا كِتَلْبُ مُّصَدَّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًا لَيْمَلِورَ ٱللَّهِينَ ظَلَمُواْ وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ.

من قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة على موسى ، مشتملة على حكم الله ودينه فى التشريع والقصاص والعقائد ، والعبادات والمعاملات ، فالتوراة إمام حاكم ، وتشريع عادل ، ورحمة للعباد ببيان حكم رب العباد ، وهذا القرآن مصدق للتوراة مؤيد لها ، مهيمن على ما سبقه من الكتب السماوية ، يوافقها فى الأصول التى قامت عليها ، وهى الدعوة إلى الترجيد ، وبيان مكارم الأخلاق ، والإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر.

وقد أخزل الله القرآن باللسان العربي ، تشريقاً للعرب العرسل إليهم ، وليحدُّر الظالمين من خلامهم ، ويبشر المحسنين برضوان الله في الدنيا ، وبالجنة في الأخرة .

١٣ - إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَدْمُواْ فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُلُونَ .

هؤلاء الذين أعلنوا إيمانهم بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا .

فَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ...

هـ الله الجليل العلى الكبير ، المتَّصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، هو رينا وخالقنا وإلهنا ، به آمنا ، ويشرعه التزمنا .

ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ ...

لازموا الاستقامة ، وهي اتباع المأمورات ، واجتناب المنهيات ، هي السير على طريق الإسلام ، وهدى القرآن ، وسنة محمد 義 ، هي الاستقامة على المعراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله في الدنيا ، وإلى الجنة في الأهرة .

فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ .

والخوف هن التوجّس والرهبة وتوقع الشر من أمر ما في المستقبل ، والحرّن هو الخوف على أولادهم أو أحفادهم أو أي أمر من أمور حياتهم . أي أن هؤلاء المؤمنين الذين أمنوا بالله واستقاموا على شريعته وهداه ، لا خوف عليهم في مستقبل أمرهم ، فهم أهل لمرضاة الله وجنته .

وَلَا لُهُمْ يَحْزُنُونَ .

على خطرٍ أو كرب ينزل بأحبابهم ، إنهم موصولون بالله ، راضون بحكمه ، شاكرون على نعمائه ، صابرون على قضائه . فكيف يضافون أو يحزنون وهم في معية الرحمان ؟

١٤ - أُوْلَلْهِكَ أَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ خَلِلِينَ فِيهَا جَزَّآءٌ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

هؤلاء المذكورون سابقًا هم أصحاب الجنة ، ملازمون لها ملازمة المالك لداره ، فهم أصحابها وأهلها ، والمنعمون فيها ، والخالدون فيها خلودًا أبديًّا سرمديًّا ، بسبب أعمالهم الممالحة في الدنيا ، والآية دعوة لنا جميمًا إلى العمل الصالح النافع المفيد ، الذي يرقى بنا في الدنيا فيجعلنا سادتها ، ويجعلنا الأمة الوسط المحترمة في دينها وشرعها ، والعمل هو الذي يجعل الجنة جزاء عادلاً لذا ، لقوله تعالى : بِمَا كُانُواً يُعَمَّلُ بَنَ .

قال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَلْتِ إِنَّا لَا تُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً. (الكهف: ٢٠).

* * *

الوصية ببر الوالدين

﴿ وَوَصَيْنَا الْإِنسَنَ وَوِلِدَيهِ إِحْسَنَنَا حَلَتَهُ أَمُّهُ وَكُهَا وَوَضَعَتْهُ كُرُهَا وَحَمَّهُ وُوفِصَلُهُ. ثَلَتُونَ شَهَّرًا حَقَّ إِذَا لِلْفَآ أَشُدُّهُ وَلِكُغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِغِنِ أَنَّ أَشْكُونِ هَمَتَكَ الَّيَ أَنْهُمَّتَ عَلَى وَعَلَى وَلِدَى وَأَنَّ أَعْمَلُ صَلِحًا زَضَيلُهُ وَأَصَّلِحَ لِي فِي ذُرِيَّيَ إِنَى الْمَثَالِيَكَ وَ إِنْ مِنَ ٱلْمُسْلِعِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَنَ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَقِيلُ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ ال

المطردات :

ووسيه نام أرشدنا وأمرنا وألزمنا ويبنا له الطريق القويم ليسلكه ، وهو بر والديه . احسب انسساء أن بفعل معهما فعلاً نا حسن . ي ___ ه ____ ; فعلاً ذا كره ومشقة وتعب في الحمل والوضع .

وقص بالسبه الفصال: الفطام ، وهو مصدر (فاصل) ، فكأن الولد فاصل أمه ، والأم فاصلته .

اش دورشده . كمال عقله وقوته ورشده .

أورْ مسئسي، ألهمني ووفقني ورغُبني.

رىمىسىنىسى: الهمنى ووقعنى ورعبنى .

لتقيل صنهم؛ القبول هو الرضا بالعمل، والإثابة عليه.

هي أصحاب الجنة : منتظمين في سلك أصحاب الجنة ، كما تقول : أكرمنى الأمير في أصحابه ، أي : منتظما في سلكهم .

تمهيد :

تحدثت أيات سابقة عن توحيد الله سبحانه وتعالى ، وهنا وصية ببر الوالدين ، وعادة يوهمى القرآن الكريم بير الوالدين بعد الأمر بعبادة الله وحده .

كقوله تعالى : وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعَبُدُوۤ اللَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... (الإسراء: ٢٣) .

التفسير،

١٥ – رَوَمُسِّنَا الْإِنسَــنَ بِوَالِنَهِ إِحْسَــنَا حَمَلَتُهُ أَمَّهُ كُرْهَا وَوَضَعَتْهُ كُرْهَا وَحَمْلُهُ, وَفِصَــلَهُ, وَلِمَسَــلَهُ لَعَلَونَ هَــهُوا حَتَى ` إِذَا بَلَــعَ أَن أَلْمُـكُرُ يَعْمَتُكَ النِّي آلْمَمْتُ عَلَى وَعَلَى وَالِمْتَى وَأَنْ أَخْمَلُ صَلِياحًا
 يَوْا بَلَحَ أَشْلِحُ لَى فِي فَرَقِينَ إِلَى كُبْتِ إِلَيْكَ وَإِلَى مِنْ آلْمُسْلِحِينَ .

تكررت وصالها القرآن الكريم بالوالدين ، وجعل هذه الوصية بعد عبادة الله تعالى ، وخصُّ القرآن الأمُّ بعزيد من العناية بسبب العناء الذي تحملته في الحمل والولادة والرضاعة والفصال والرعاية .

وَوَصَّهُمُنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِخْسَانًا ...

الزمنا وأمرنا وأرسندنا الإنسان أيا كان ، بإكرام والديه ويرّهما ، ورعايتهما والإحسان إليهما ، ودفع الأدى عنهما ، وعدم إيدائهما أيّ إيداء .

وقد ورد أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق ، حيث أسلم والداه جميعًا ، وأسلم أولاده ، ورأى أولاده النبي ﷺ فآمنوا جميعًا ، ولم يجتمع نلك لأحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وقيل: إن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص .

ونلاحظ مع ذلك أن الآية عامة في كل إنسان ملتزم ، وأن العبرة فيها بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثم خص القرآن الأمُّ بمزيد عناية ، فقال :

حَمَلَتُهُ أُمُّهُم كُرُّهَا وَوَضَعَتْهُ كُرُّهَا وَحَمْلُهُ وَفِصَلْلُهُ ثَلَاعُونَ شَهْرًا ...

ما أشق آلام العمل والوضع والكفالة والرضاع والفصال ، بمجرد أن يتم تلقيع الحيوان المنوئ لبورضة الأنثى ، فإنها تسعى للالتصاق بجدار الرَّحم الذي للوضع ، وهي مزودة بضاصية أكالة ، تعزق جدار الرَّحم الذي تلتصق به وتأكله ، فيتوارد دم الأم إلى موضعها ، حيث تسبع هذه البويضة الملقحة دائما في بركة من دم الأم الغني بكلّ ما في جسمها من خلاصات ، وتمتصه لتحيا به وتندو ، والأم تأكل وتشرب ثم تعطي محلول أكلها وعظامها في الدم لهقوم به هيكل هذا الصغير ، وهذا كله قليل من كثير ، فالحمل ومدته الطويلة والأم ومشقاتها ، والرضاع وفيه يمتص الوليد خلاصة دم الأم ، ويرضع اللبن من أمّه ، ويرضع اللبن من أمّه ، ويرضع اللبن من أمّه ، ويرضع وغليان وثقل ويشتد منها كل عافيته وهذا معنى : حَمَنَكُمُ أَمُّهُ السّ الله الذي وجم الولادة والأمها .

وَحَمْلُهُ, وَفِصَالُهُ, لَلَاعُونَ شَهْرًا ...

أي: مدة حمله ورضاعه ورعايته ثلاثون شهرًا ، عامان ونصف عام ، كلها عطاء حسَّى ومعنوى ، وعناء السهر والغذاء ، والتنظيف والتربية ، بمحبة وحنان ، دون ضجر ولا سأم ، ولذلك تأكد حقّ الأمُّ ، وتقدم على حقّ الأب ، لأن الأم أكثر عطاء .

أهرج البخاري ، ومسلم ، عن أبى هريرة قال : جاه رجل إلى النهى ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال : «أمك» ، قال : ثم من ؟ قال : «أمك» ، قال : ثم من ؟ قال : «أمك» ، قال : ثم من ؟ قال : «أبوك» ٧٠".

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدُهُ, وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ...

حتى إذا تناهى عقله ورشده وقوته فى الفترة من الثلاثين إلى الأربعين ، ويكملُ الأشدُ ببلوغ الأربعين، لذلك قيل: إنه لم ينبأ نبى قبل الأربعين ، إلا ابنى الضالة عيسى ويحيى عليهما السلام .

فَالَ رَبِّ أَوْرَعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرُ تِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَى وَعَلَىٰ وَالِدَىِّ ...

هو إنسان مرّمن مخلص ملتزم قد امتد عمره إلى كماله وقوته ، فمدّ يده لله طالبًا توفيقه وعنايته و فضله ، في أن يلهمه الله شكره على النعم التي أنعم بها عليه وعلى والديه ، من الهداية إلى الحق والتوجيد، وغير ذلك من نعم الدنيا ، كسلامة العقل والصحة والعافية ، وسعة العيش وحذان الأبوين حين عطائهما وتربيتهما ، ومن نعم الأخرة مثل الهداية والترفيق .

وَأَنْ أَعْمَلُ صَلِلِحًا تَرْضَلُهُ وَأَصْلِحُ لِي فِي ذُرِّيتِي ...

وفقنى يا رب للعمل الصالح الذي يرضيك وتقبله ، فنحم العمل إذا كان في مرضاة الله ، وإذا حظى بالتوفيق والقبول ، ويمتد الدعاء إلى الدرية وتوفيق الله لها فيقول : رَأَصُّلحٌ فِي فِي ذُرِّيِّيِّ ...

أى: اجعل الصلاح والتوفيق والهداية فى ذريتى ، لجعلها صالحة نافعة ملتزمة تسير فى الطريق المستقيم .

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ .

إنى رجعت إليك تاثبًا منيبًا ، نادمًا على ما قرطت في جنب الله ، وإنى من المسلمين المنقادين لطاعتك ، الملتزمين بأوامرك ، الخاضعين لريوبيتك .

قال أبن كثير : وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ، ويعزم عليها .

قال شيخ زادة في حاشيته على تفسير البيضاوي :

طلب هذا الداعي من الله ثلاثة أشياء:

الأول: أن يوفقه الله للشكر على النعمة.

الغاني: أن يوفقه للإتيان بالطاعة المرضية عنده تعالى.

العالث: أن يصلم له في نريته ، وهذه كمال السعادة البشرية . 1 هـ.

من تفسير ابن كثير

روى الحافظ الموصلى ، عن عثمان رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه ، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه ، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء ، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته ، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ننبه وما تأخر ، وشقعه في أهل بيته ، وكُتب في السماء أسير الله في أرضه» (٬٬۰۰

أقاء مدة الحماء

استدل العلماء بهذه الآية الكريمة مع قوله تعالى في سورة البقرة : وَٱلْوَالِذَاتُ يُوضِعُنَ أُولَئَكُمُنَّ حُولَيْن كَامِلِين لِمُن أَرَادُ أَن يُعِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ... (البقرة : ١٣٣) .

على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وهو استنباط قوى محيح كما ذكر الإسام ابن كلير وغيره من المفسرين ، واستشهد ابن كلير بما رواه محمد بن إسحاق ، عن معمر بن عبد الله الجهني قال : تزرج رجل منا امرأة من جهيئة فولدت له لتمام ستة أشهر ، فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمر عثمان برجمها ، فبلغ ذلك عليا ، فقال لعثمان : أما تقرأ القرآن ؟ فقال : بلي ، قال : أما سمعت الله عن وجلّ يقول : وحَقّ من يقول : وقال : أما تعدل المؤلّ و كَالِين من الجده بقى إلاّ ستة أشهر ، قال عثمان : والله ما أن فطنت لعذا .

وروى ابن كثير أن قومًا نالوا من عثمان رضى الله عنه ، ثم سألوا عليا عن عثمان ، فقال على رضى الله عنه : كان عثمان رضى الله عنه من الذين قال الله تعالى عنهم : أَوْلَكِكُ ٱللَّذِينَ تَعَيَّشُ عُقَهُمْ أَحَسَنَ مَا عَمِلُواْ وَلَعَمُولُ وَسَيِّكَاهِمْ فِي آصَحَنْهِ آلْجَنَّةُ وَعَدْ ٱلصَّدْقِ ٱللّذِي كَالُواْ يُوعَدُونَ . (الأحداف : ١٦) .

١٦ - أَوْلَلْكَ ٱللَّهِنَ نَقَيْلُ عَنْهُمُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَعَجَاوُرُ عَن سَيّناتِهِمْ فِي أَصْحَدِمِ ٱلْحَثْلَةِ وَعَدَ ٱلصَّدَقِ ٱللَّهِى كَانُوا يُوعَلُونَ .
 كَانُوا يُوعَلُونَ .

هذه العينة الممتازة من هذا الإنسان البار بوالديه ، المتبتل إلى ريه ، الراغب في شكر الله على نعمائه ، الراغب في سكر الله على نعمائه ، والعمل الراغب في سكر الله على نعمائه ، والعمل بالإسلام ، والانضمام لجماعة المسلمين ، هؤلاء المذكورين نتقبل منهم أحسن أعمائهم ، ويتفضل عليهم بالتوية والمفقرة لسيئاتهم ، حال كونهم ضمن أصحاب الجنة ، فهم من أهل الجنة وفي عداد أهلها ، وأكرم بذك من صحية ونعمة ، لقد أكرمناهم بالجزاء الحسن ، والقبول الحسن ، والمفقرة ، تحقيقًا لوعدنا الممادق على السنة الرسل بمكافأة المتقين ، في مثل قوله تعالى : إِنَّ اللَّبِنَ عَاشُوا وَعُولُوا الْهَــُـــُـــُتَــــُا لَا نَعْمِعُ أَجْرٌ مَنْ مَنْ فَهِـنَهُ الرَّحِد ، ٣٠) .

وقوله عز شأنه : فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْرًا يَرَهُر * وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّة شَرًّا يَرَهُر . (الزلزلة : ٧ ، ٨).

وقوله سبحانه : رُبُّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدَتْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُحْوِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَلَمَةِ إِنُّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَاة .

(آل عمران: ۱۹٤)

نموذج ردىء

﴿ وَالَّذِى قَالَ لِوَلِدَيْهِ أَقِ لَكُمَّا أَتَعَدَ الِنِيّ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللّهَ وَيَلِكَ عَامِنْ إِنَّ وَعَدَالِمَّوَ فَيْغُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَطِيرُ ٱلْأَوَلِينَ فَيْ أُولَتِهَكَ اللّهِ مَنْ فَيْغُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَطِيرُ ٱلْأَوْلِينَ فَيْ أَوْلِينَ فَيْ أَوْلِينَ فَيْ أَلْهُونِ عَلَى اللّهِ مِنَ اللّهِ مِنَ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهُ وَلَى اللّهُ مَنْ اللّهُ وَلَيْ مَنْ مُنْ اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ

المفردات :

أن ليك مناه منوت يصدر عن المرء عند تضجره .

أغ ______ أبعث من القبر للحساب.

علت القرون من قبلي ، مضت الأزمان ولم يخرج منها أحد .

يست في شان الله ؛ يلجآن إلى الله أن يدفع الكفر عن ولدهما .

اساط يسر الأوليين ، أباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة .

حق صليهم القول : ثبت ووجب عليهم قوله تعالى الإبليس : الْأَهْأَلُنَّ جَهَتُمْ مِنكَ وَمِمَّن تَبِطُكُ مِنْهُمْ أَجْمُونِنَ . (ص: ٨٨) .

الشياطين .
 الشياطين .

درجيسيسيات: منازل ، واحدها درجة ، وهي المنزلة .

تمهيد،

هذا نموذج آهر لوالدين مرَّمنين ، يدعوان ولدهما للإسلام والإيمان ، فيأبي ويكدِّب بالبعث ، وهما يستغيثان بالله أن يهديه ، لكنه يزداد كفرًا وعنادًا ، ويستحق ما أعد الله له من العقوبة في جهنم .

لتفسعر

١٧ - وَٱللَّهِى قَالَ لِوَالِمْنَهِ أَفْ لَكُمَا أَسْدَائِينَ أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ عَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَلِي وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ ٱللَّهَ وَيَلَكَ عَلَىنَ الْقُرُونُ مِن قَلِي وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ ٱللَّهَ وَيَلَكَ عَامِنْ إِنَّ وَهُمَا اللَّهِ عَلَيْكَ إِلَيْ اللَّهَ وَيَلَكَ عَلَيْ أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ عَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَلِي وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ ٱللَّهَ وَيَلَكَ عَلَىنَ إِنَّا إِنَّا لِمِنْهِ إِلَيْهِ إِنَّهُ إِنَا لِمَنْهِ إِنَّا لِمَنْهِ إِنَّا لِمِنْ إِنْهِ إِنْ اللَّهُ وَيَلَكَ عَلَيْتُ إِنَّا لِمِنْ إِنْهِ إِنْهُ إِنْهُ وَيَلَكَ مَا هَلَانَ إِنَّا لِللَّهِ اللَّهُ وَيَلِكُ إِنَّا لِللَّهِ عَلَيْهِ إِنْهُ إِنْهُ إِنْهِ إِنْهِ إِنْهُ إِنْهِ إِنْهُ إِنْهِ إِنْهُ إِنْ أَنْهُ إِنْهُ إِنْ إِنْهِ إِنْهُ إِنَا لِلْهُ إِلَيْهُ أَلِنَا أَنْهُ إِنْهُ إِنْهُ إِنْهُ إِنْهُ إِلَالِهُ إِنْهُ إِنْهُ

زعم مروان بن الحكم أن هذه الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر ، وقد ردّت عليه أم المؤمنين عائشة ، والجق ما قائلته رضى الله عنها ، فإن عبد الرحمن بن أبى بكر هداه الله للإسلام والإيمان ، وهذا النموذج ترعّده الله بالمذاب فى جهنم ، والآية عامة فى كل كافر يكنب بالبعث ريسخر من الحساب .

و المعنى:

هذا الابن العاق لوالديه ولدينه ولريه ، فهو يتضجر ويتأفف ، ويتألم من دعوة والديه له إلى الإيمان ، و يقدم حججًا وإهية ، حيث يقول لهما :

أَتَعِدَائِينَ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي ...

أي: أتذكّرانني بالبعث والحشر والجزاء ، مع أن طبقات متعددة من البشر قد ماتت ولم تعد إلينا ، ولم يخبرنا أهد ممن ماتوا إن كان في جنة أو في نار.

والله تمالي لا يعجل لعجلة العباد ، ولا يحيى الموتى بعد قرون معينة ، بل يترك الدنيا وأهلها إلى انتهاء أجلها ، ثم يبعث الناس جمينًا مرة واحدة ، فإذا نفح إسرافيل في الصور صعق الناس جميمًا وماتوا، ثم إذا نفخ مرة أخرى قاموا للبعث والحساب والجزاء .

وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ ٱللَّهُ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٍّ ...

أى: وهما يستحظمان قوله وكُفْره ، ويتضرعان إلى الله تعالى لهدايته ، ويحدُّراته من الكفر والجمود، ويستمثانه على الإيمان والهداية فيكون جرابه لهما .

مَا هَلَدًا إِلَّا أَسَلطِيرُ ٱلْأَوْلِينَ .

ما هذه الأفكار التي تقولانها عن البعث والحشر والحساب والجزاء ، وضرورة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، إلا أكانيب السابقين ، وليس لهذه الأفكار ظل من الحقيقة .

1٨ - أَوْلَنْهِكَ ٱللَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِي أَمَمِ قَدْ خَلَتْ مِن قَلِهِم مِّن ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنس إِنَّهُمْ كَالُواْ خَلْسِرِينَ .

َ إِن هُولَاهِ المَكَنِّبِينِ بِالبعث الكَافِرِينِ بِاللهِ ، أَهَلُ لعنابِ جِهنْم ، ولقوله تعالى لإيليس . قَالَ قَالْحَقُ وَالْحِقُ أَقُولُ هِ لِأَمْأَوُنُّ جَهِنْمُ مِلِكَ وَمِثْنَ تَجْلُكُ مِنْهُم أَجْمُعِينَ . (من: ٨٥٠٨٤). وسيكون هذا وأمثاله فى عداد أمم وجماعات من الَّذِنَّ والإنس ، تركوا الهدى وأهملوا عقولهم وفكرهم، وساروا وراء الهوى، فكانوا خاسرين خسرانا حقيقيًّا ، فقد باعوا الجنة وتعيمها وطاعة الرحمان، وأفروا جهنم وطاعة الشيطان .

١٩ - وَلِكُلُّ دَرَجَلتٌ مَّمًّا عَمِلُواْ وَلِيْوَلِّيَهُمْ أَعْمَلْكُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

تحدثات آيات سابقة عن نموذج جيد لرجل مؤمن بلغ أربعين سنة ، طلب من الله القوفيق للشكر وللعمل الصالح ، وطلب منه توفيق ذريته للصلاح ، ووعد بالتوبة والدخول في زمرة المسلمين ، ثم تحدثت الآيتان (١٨٠١٧) من سورة الأحقاف ، عن نموذج ردىء منكر للبعث والحشر والجزاء ، مستحق لدخول جهنم.

وهما نموذجان ظاهران :

الأول: مثل أعلى للإيمان والدعاء.

الغاني: مثل رديء للكفر والضلال، وسُوق الحجج الزائفة.

وفي هذه الآية رقم ١٩ بيان أن الجنة درجات بعضها فوق بعض ، ولكل عامل درجة مناسبة لعمله ، وأن النار دركات في شدة العذاب والسعير ، ولكل كافر جزاء مناسب لكفره وجحوده ، وسيملاً الله الجنة بالعدل والقسطاس ، وسيملاً الله النار بالعدل والقسطاس ، وسيلقي كل عامل جزاء عمله بلا ظلم .

قال تمالى: إِنَّ ٱللَّهُ لاَ يَطْلِمُ مِفْقَالَ ذُرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُصَلِّمُهَا وَيُؤْتِ مِن لَذَنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا . (النساء: ١٠).

وقبال عن شأنه : فَمَن يَهْمَلُ مِفْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, ﴿ وَمَن يَهْمَلُ مِفْقَالَ ذَرَّةٍ هَرًّا يَرَهُر . (الزلزلة : ٧ ، ٨).

٢ – وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱللَّهِنَ كَفَرُواْ عَلَى آلثَارِ أَفْقَتُمْ طَيْبَائِكُمْ في خَيَاتِكُمْ ٱللَّذِيَ وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا قَٱلْيَوْمَ تُعْرُونَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَمَنْ فَسْتُقُونَ .
 عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُتُمْمُ ٱسْتَكْبُرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بَقْرِ ٱلْحَقَّ وَبَمَا كُتُمْمُ فَفَسْقُونَ .

من شأن القرآن أن يستعرض مشاهد القيامة ، فإذا الغائب حاضر ، وإذا يك ترى رأى العين هؤلاء الكفار الذين أسرفوا على أنفسهم في المعاصى ، ولم يستجيبوا لداعي الإيمان ، فيقال لهم :

أَذْهَبُتُمْ طَيِّبَاعِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱللَّذَيَّا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ...

لقد أفنيتم حياتكم مستمتعين باللذائد والمحرَّمات ، معرضين عن هدى السماء ، كافرين بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر. فَٱلْيَوْمَ تُحْزَرُنَ عَلَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كَتُمُمْ آلسَّكَكُبرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بَغَيْرِ ٱلْحَقّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ .

فى هذا اليوم ، يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء ، تجازون على كفركم وإسرافكم فى المعاصى ، بعذاب الهوان والمذلة فى جهنم ، بسبب استكباركم وعثرُكم وظلمكم وعدم إيمانكم ، ويسبب فسوقكم وخروجكم على طاعة الله وهديه .

وقد تورِّع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن كثير من طيبات المأكل والمشارب وتنزه عنها ، وقال: لو شتتُ لكنتُ أطبيكم طعامًا وأحسنكم لهاسًا ، ولكنّى أستبقى طيباتى لحياتى الآخرة ، وإنى أخاف أن أكون من الذين قال الله فيهم : أَهْمُتُمُ مُوْيَبُوكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلنُّذُانَ أَرْسَتَمْتُتُم بِهَا ...

وعند التأمل نجد أن الإسلام دين وسط ، لا يحرم الطيبات ، فالله تعالى يقول : قُلُ مَنْ حُرُّمُ زِينَةَ ٱللَّهِ الْعِينَ أَخْرَجُ لِجَادِهِ وَٱلْطَيْسَنَدِ مِنَ الرِّدُوقِ قُلُ هِيَ لِلْبِينَ ءَاسُوا فِي الْخَيْزَةُ اللَّيْكَ عَالِمَهُ يَوْمَ الْفَيْسَةِ ... (الأعراف: ٢٧) .

والنبي ﷺ – وهو القدرة العملية – كان يأكل ما يجده ، يشبع إذا وجد ، ويصبر إذا عدم ، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها ، ويشرب العسل إذا انفق له ، ويأكل اللحم إذا تيس ، ولا يعتمد أصلاً ولا يجعله ديدتا، ومعيشة النبي ﷺ معلومة ، وطريقة المسماية رضوان الله عليهم منقولة .

وقيل: إن التوبيخ واقع على ترك الشكر، والاستعانة بالطيبات على الشهوات والمحرمات.

وجاء في التسهيل لعلوم التنزيل :

هذه الآية في الكفار : بدليل قوله تعالى : وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ ...

وهي مع نلك واعظة لأمُّل التقوى من المؤمنين ، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله - وقد رآه اشترى لحمًا - : أَن كُلُمَّا اشتهى أحدكم شيئًا جعله في بطنه ! أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية ، ممن قال الله فيهم: أَذْهَبُّهُ فَكَيَّدُهُ فِي صَرَّائِكُمُ ٱللَّذُيُّا ...

من تفسير الفخر الرازي

وهذه الآية لا تدلّ على المنع من التنعم ، لأن هذه الآية وردت في حق الكافر ، وإنما ويُخ الله الكافر لأنه يتمتع بالدنيا ، ولا يؤدى شكر المندم بطاعته والإيمان به ، وأما المؤمن فإنه يؤدى بإيمانه شكر المنعم فلا يويّخ بتمتعه ، ودليله : قُلُ مَنْ حُرَّمْ زَيْعَةَ ٱللّهِ ٱلْتَيْ أَخْرَجٌ يُهِادِهِ وَٱلْعُلِسُتِ مِنْ ٱلرَّرْقِ ... (الأعراف: ٣٢).

نعم لا ينكر أن الاحتراز عن التنعم أولى ، وعليه يحمل قول عمر : لو شنت لكنت أطبيكم طعامًا ، وأحسنكم لباسًا ، ولكني أستيقي طبياتي لحياتي الآخرة . وأرى أن دين الله يتسم للتمتع بالطيبات ، ويتسم للزهد فيها وتغليب جانب الآخرة ، ولكل وجهة هو مولّيها فاستبقوا الخيرات ، فمن استمتع بالطيبات وأدى حق الله وأطعم الجائع وساعد المحتاج ، فهو ناج إن شاه الله ، وَمَن زهد في الطيبات – بدون أن يحرّمها على غيره – فله نيته واجتهاده وصبره ، واقتدارُه بالزاهدين من السلف الصالح .

وأخيرًا .. أرى أن خير الأمور الوسط ، وشر الأمور الشطط ، والرسول ﷺ قدوتنا ، وكان ينال من طبيات الدنيا وزينتها وطيبها ، ويتزوج من نسائها ، ويستمتع بالنعمة عند وجودها .

ويقول ﷺ في حديث صحيح رواه البخاري : «إن أتقاكم لله أننا ، وإن أعلمكم بالله أننا ، وإن أخوفكم من الله أننا ، ومع ذلك فأننا أصرم وأفطر ، وأصلًى وأرقد ، وأنزوج النُساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (١٠٠٠).

وكان ﷺ قدوة أيضًا في الممبر والتجلد والزهد، ليظل المؤمن شديد المراس، لا يلين ولا يخدع، ولا يرغب في العليبات إلا إذا كانت من حلال، وفي قدرته وفي متوسط دخله، ولا يتطلع إلى الشبهات ولا إلى الكماليات، إذا كان دخله الحلال لا يتسم لذلك.

قال ﷺ: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك» (٣٠٠).

وقال ﷺ: «البرّ ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(١٦٠).

وقال ﷺ: «الحلال بين، والحرام بين، ويبنهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ...» (17).

قصة هود عليه السلام مع قومه عاد

﴿ وَإِذَكُرْ آَغَاعَادٍ إِذَ أَنَذَرَ قَرْمَهُ وَإِلاَّحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ الْآلَتُهُ وَالْكَالِكَ اللَّهُ الْوَالْمَ الْمَالِكَ اللَّهُ الْوَالْمَ الْمَالِكَ اللَّهُ وَالْمَالِكُ مَنَا لِمَالُولِكُ مَا الْمُسْتَقْبِلَ الْوَالْمَ الْمَالِكُ مِنَا الْمِسْلَتُ بِهِ مَالْمِينَ الصَّدِيقِينَ ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْمِلْمُ عِندَاللَّهِ وَأَمْلِكُمُ مَّا الْرُسِلَتُ بِهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

المطردات:

أحسب ا مساد، هود عليه السلام ، وكانت أخرَّته لعاد في النسب لا في الدّين .

ولا م الله عنه الله عنه عليه عنه و الله من المن المن واعدج ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، من أن المرة . من أن اعرجً أحقوقف الشيء ، إذا اعرجً .

ا منثر ، واحدهم نذير ، أي : منثر .

م<u>ن بين پيدي دي</u>ه و من قبله .

م ن ع الم المن ومن بعده ، أي : وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده .

ت الله كرات التصرفنا وتمنعنا عن عبادة آلهتنا.

_____ا قـ___ا في من العذاب .

إنها العلم عند الله: العلم بوقت نزول العذاب عند الله .

تسميج منذرًا.

المسسمعسم ارض: السجاب الذي يعرض في أفق السماء .

مستقميل أوديستهم متجهًا إليها.

فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم: فأجأتهم الربح فدمرتهم ، ولم يبق شيء يرى إلا مساكنهم.

تمهيده

ساق القرآن القصص للعظة والاعتبار، وتكرر ذكر قصص عاد مع نبيهم هود، وغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها فاستحقت العذاب، ويهذا سجل القرآن الكريم تاريخ الأنبياء والمرسلين وأحيا ذكراهم، وسجل كفاحهم، كما سجل تكذيب الأمم المكذبة لرسلها، وعقاب السماء لها، فقد أغرق الطوفان قوم نوح، وأهلكت الربح العاصفة قوم هود، حيث قال تعالى: وَاذْكُرْ أَمَا عَادٍ إِذْ اللّهَرْ وَاللّهُ اللّهَ عَلَى ...

وقال فيما سبق : أَلَّا يُعْدًا لُّعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ . (مود : ٦٠).

وأطبق الهلاك على كثير من المكذبين ، مثل ثمود قوم صالح ، ومثل فرعون وقومه ، ومدين قوم شعيب ، وقوم لوط وغيرهم .

وقد تكرر التنبيه بما أصاب المكذبين لتحذير أهل مكة ، ولتحذير كلّ مكذب بآيات الله ورسله .

قال تعالى : فَكُلَّا أَعَلْنَا بِلَنْهِ فَجِنهُم مِّنَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مِّنْ أَعَلَنَهُ آلَسَيْحَةُ وَمِنْهُم مِّنْ حَسَفْنَا بِهِ آلأَرْضَ وَعِنْهُم مِّنْ أَغْرِقُنَا وَمَا كَانَ آللَّهُ يَطْلَعُهُمْ وَلَكِينَ كَالْوَا أَنْفُسَهُمْ وَطَلْمُونَ . (المدكور : ٤٠) .

التفسيره

٧١ – وَآذَكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ ٱللَّرَ قَوْمَهُ, بِٱلْأَحْفَافِ وَقَدْ حَلْتِ الثَّلَّرُ مِنْ يَيْنِ يَدَبُهِ وَمِنْ حَلْفِهِ ٱلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ إِنَّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَلْمَابَ يَوْمَ عَظِيمٍ .

هذه القصة تسلية للرسول ﷺ بتكر قصة أح له من المرسلين ، كُنُب من قومه ، فصبر حتى نصره الله وأهلك الكافرين ، وفيها تهديد ووعيد لأهل مكة ، وأشياههم من المكذبين .

والمعنى:

الذكر في نفسك قصة هود مع قومه عاد ، وانكرها لقومك ليعتبروا بمضمونها ، فهو رسول كريم ، دعا قومه الذين كانوا يسكنون الأحقاف ، وهي رمال ملتوية لم تبلغ أن تكون جبلاً ، وكانت بالشَّعر يقال (شِحْر عُمان) أي في مكان بين عمان واليمن على ساحل البحر ، ويقال في حضرموت .

وحين كنت أعمل أستاذًا ورئيسًا لقسم الطوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس في العدة من (١٩٨٦م - ١٩٩٦م) بسلطنة عمان ، اكتشفت آثار قرب مدينة صلالة ، وهي مدينة تقع بين سلطنة عمان واليمن ، وذكر المكتشفون أن المرجَّح أنها القرى التي طمرتها الرياح وأهلكت أهلها ، ولم يبق من أهلها إلا المساكن ، أي بقايا عاد الأولى .

وقد أرسل الله الرسل إلى قومهم من قبل هود ومن بعده ، يدعون قومهم إلى الإيمان بالله تعالى ، ويحذرونهم من عبادة الأوثان والأصنام والتكنيب بالمرسلين حتى لا ينزل بهم العذاب الذي نزل بمن كذب فيلهم ، كقوم نوح .

قال تعالى : وَكُمْ أَهْلَكُنَّا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرِبَّكَ بِلُنُوبِ عِبَادِهِ خِيرًا بَعِيرًا (الإساء:١٧).

٢٧ - قَالُوٓ أَ أَجْتَتَنَا لِتَأْفِكُنَا عَنْ ءَالِهُمِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِذْنَاۤ إِن كُنتَ مِن ٱلصَّادِقِينَ .

قال قوم هود مكنبين له ٢ أجتننا بدعوتك الجديدة لتصرفنا عن عبادة آلهتنا التي تعودنا على عبادتها، ولقد ورثنا ذلك عن آبائنا قلن نترك عبادة آلهتنا، وإن كنت صادقًا في رسالتك فهات العذاب الذي تهددنا به .

قال الضحاك: تأفكنا: تصرفنا، من الإفك بمعنى الصرف.

٢٣ - قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَبْلَغُكُم مَّا أَرْسِلْتُ بِهِ وَلَلْكِتِّي ٓ أَرْسَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ .

أنا رسول من عند الله ، وظيفتى تبليغ الرسالة ، والبشارة بالجنة للطائمين ، وبالعناب للمكنبين ، وقد ينزل عناب المكنبين فى الدنيا ، لكن ذلك من الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، فهو الحكيم الذى يعلم متى ينزل العذاب ، وما هو الوقت المناسب لذلك .

وَلَـٰكِتُنَّ أَرَسَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ .

حيث تقابلون رسالة رسول يدعركم إلى الخير والإيمان ، ويحذركم عقوبة الكفر والجحود ، تقابلون ذلك باستعجال العذاب ، والاستخفاف بالرسول ، والتحدّى لقدرة الله ، وهو سبحانه على كل شيء قدير . ٢٤ - فَلَمَّا رَأُوهُ عَارِضًا مُّسْتَغُولَ أَوْ يَتِهِمْ قَالُواْ هَلْمَا عَارِضٌ مُّمْظِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَغْجَلُتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

كان قوم عاد على جانب من الثروة والغنى ، والبأس والقوة ، قال تعالى : فَأَمَّا عَادٌ فَآسَكَبُرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَير الْعَجِّلُ وَلَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا فُوَةً أَوْلَمْ بَرَوْاْ أَنْ ٱللَّهُ ٱللَّذِي عَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَالُواْ بِعَالِمِتَا يَجْحَدُونَ .

(فصلت : ٥٠

ومن ذلك نلمح أن القوم كذبوا واستهتروا واستخفوا بقدرة السماء ، وتحدّوا نبْيتُهم ، ومكنوا فترة في الجفاف وعدم المطر، ثم رأوا سحابة تعترض الأنق ففرحوا بها فرحًا شديدًا ، وخرجوا إلى الأودية ينتظرون نزول المطر، ففاجأهم لسان الحال بتحوّل السحابة إلى ربح عاتية ، مكلّفة بتدمير عاد ، وإفنائهم عن آخرهم.

ه ٧ - تُلَمَّرُ كُلَّ شَيْعِ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَاكِتُهُمْ كَذَا لِكَ نَجْزى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ.

إنها جزء من هذا الكون الخاضع لأمر الله ، المسبح بحمده ، فهذه الربح تحوّلت إلى عذاب أليم ، وإلى ربح صرصر عاتية ، تأخذ بأنفاس المكذبين وتقطع رقابهم .

وقد ورد أنهم حفروا لأنفسهم حفرًا ، وريطوا أنفسهم بالسلاسل ، وتركوا رقابهم فوق الأرض ، فكانت الربح تقطع أعناقهم ، وتترك أجسامهم ، كالنخلة الهالكة التي قطع أعلاها المثمر المُفهد وترك أسفلها قليل ، الفائدة .

وهى سورة المحاقة يقول الله تعالى : وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُواْ بِوبِحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخْرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالر وَتُمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقُوْمَ لِيهَا صَرْعَىٰ كَالْلَهُمْ أَعْجَارُ نَخْلِ عَالِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُهِمْ مَّ بَالِيّةٍ . (الحافة : ٦- ٨) .

لقد أهلكهم الله هلاكًا مدمًرا ، جزاء عترُهم وكفرهم وعنادهم ، وجعل مثل هذا الهلاك لكل من أجرم وكفر .

كَذَا لِكَ لَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ .

أى: مثل تلك العقوية التي نزلت بعاد قوم هود ، يعاقب الله بها كلّ من أجرم وكدُّب وعنا وتكبّر ، وكذر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآهر.

قال الإمام فخر اللدين الرازى: والمقصود منه تخويف أهل مكة .

وفي السُّنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ كان إذا عصفت الربح يقول : واللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها ، وخير مًا أرسلت به ، وأعوذ بك من شرّها وشرّما فيها ، وشرّ ما أرسلت به» . فإذا تخيلت السماء تغيّر لون الوسول ﷺ و طرح ودخل ، وأقبل وأدبر ، فإذا أصطرت سُرِّى عنه ، فسألته أم المؤمنين عائشة نقال : ولعله يا عائشة كما قال قوم حود : فَلَمَّا زَازُهُ عَارِضًا مُسْتَقِّلُ أَوْدِيَهِمْ قَالُواْ مُثَلِّنًا عَارِضٌ مُعْطِرُنًا " (الأسقاف : ٢٧).

أخرج الحديث مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، عن عائشة ، وأورده ابن كثير في تفسير الآية مع غيره من الأحاديث النبوية .

٧٦ – وَلَقَدْ مَكَنْتُهُمْ فِيمَا إِن مُكَنِّنَكُمْ فِيهِ وَجَمَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَدْرًا وَٱلْعِيْدَةُ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَنْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْعِيْتُهُم مَن هَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَخِحُدُونَ فِلِيَتِ اللَّهِ وَحَقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِويَسْتَهْوْرُونَ .

إن هزلاه الذين أهلكوا كانوا أكثر قرة من أهل مكة ، أعطاهم الله النعم والمنعة والقوة ، ليشكروا الله عليها ، ويحركوا عقولهم وأسماعهم وأبصارهم للتأمل والتفكر والتدبر ، والانتقال من النعمة إلى المنعم ، ومن الكون إلى المكون ، ومن خلق السماوات والأرض إلى المسانع الميدع ، ومن جملة النعم والقوة التي منها الله لهم إلى العرفان والشكر ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لقد أهملوا متافذ المعرفة ، وعطلوا عقولهم عن التأمل ، وأبصارهم عن النظر ، وأسماعهم عن سماع حجج الحق وأقوال الأرسل ، وأبات الله في الأنفس والأفاق ، وجحدوا بايات الله وكنبوا بما جاءت به الرسل ، فأحاط بهم العذاب ، وأطبق الله يعهم عقاب الله الذي كانوا يستهزئون به ، ويستعجلون وقوعه .

قال الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير:

المعنى: إنا فتحنا عليهم أبواب النعم ، وأعطيناهم سمنًا فما استعملوه فى سماع الدلائل ، وأعطيناهم أيصارًا فما استعملوها فى تأمل العبر ، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها فى طلب معرفة الله ، بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها ، فلا جرم لم تفن عنهم من عذاب الله شيئًا . لهـ.

٧٧ -- وَلَقَدْ أَهْلَكُمَّنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَسْتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

أهلكنا عددًا من القرى المحيمة بمكة ، في الجنوب والشمال ، جهة اليمن جنوبًا ، والشام شمالاً ، وكانت أخبار هذه القري محروبة مألوفة لأهل مكة ، فهم يدرون على هذه القري في رحاتهم إلى الشام في وكانت أخبار هذه القري في رحاتهم إلى الشام في المسيف ، وإلى البدر في المرتفكة التي المسلف ، وإلى المرتفكة التي أهلكت مع أهلها .

قال ابن كثير في تفسير الآية:

وقد أهلك الله الأمم المكذبية بالرسل مما حول مكة ، كحاد وكانوا بالأحقاف بحضوموت عند اليمن ، وثمرد ركانت منازلهم بينهم وبين الشام ، وكذلك سباً وهم أهل اليمن ، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزّة ، وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرّون عليها أيضًا . ا هـ .

وَصَرُّ لَمُنَا ٱلْآيَـلْتِ لَعَلُّهُمْ يَرْجِعُونَ .

بينًا ووضحنا وكررنا ولونًا في أنواع العظات وألوان البينات لأهل ثلك القرى ، لكي يرجعوا عما هم فهم من الكفر والمعاصي إلى الطاعة والإيمان .

٧٨ – فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱلْخَدُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُوْبَانًا عَالِهَا ۖ بَلْ صَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَالِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَالُواْ يَفْتُرُونَ .

في أعقاب قصة عاد وهلاكها ، تأتى هذه الآية للتأمل في نهاية قوم كانوا يعبدون أوثانًا يتقربون بها إلى الله ، ويقولون : مَا نَعْبُلُهُمْ إِلَّا يُقَرِّبُوناً إِلَى ٱللَّهِ رُلْقَىِّ ... (الزمر: ٣) .

فهل نفعتهم هذه الأمنام؟ وهل أنقذتهم من الهلاك؟ والجواب معلوم، وهو أنه لم يكن لهذه الأمننام أي أثر في نصرتهم، بل غابوا عنهم فأصبحوا كالمعرومين.

وَذَا لِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ .

وهذا الهلاك عاقبة كذبهم وافترائهم على الله ، حيث زعموا أن الأصنام شركاء لله ، وشقعاء لهم عند الله ، وقد خابرا وخسروا في عيادتهم لها ، واعتمادهم عليها .

إيمان الجن بالقرآن

﴿ وَإِذْ مَرَفَنَا إِلَيْكِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِ يَسْتَعِمُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَا حَصَرُّوهُ قَالُواْ أَنْعِسُواْ فَلَمَا وَقَوْمَ وَالُواْ أَنْعِسُواْ فَلَمَا وَقَوْمَ وَالُواْ أَنْعِسُواْ فَلَمَا وَقَوْمَا إِنَّا اللّهِ عَنَا كِتَا الْزِلَ مِنْ بَعْلِمُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهُدِئُ إِلَى اللّهِ اللّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهُدِئُ اللّهِ عَلَى اللّهِ مِنْ عَدَابٍ اللّهِ فَى مَنْ لَا يُحِبُ دَاعِى اللّهِ وَهُوكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَدَابٍ اللّهِ فَى مَنْ لَا يُحِبُ دَاعِى اللّهِ فَلَا اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلْمَ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ مَنْ وَلِيسًا لَهُ مِن دُونِهِ وَلِينًا أُولَئِيكُ وَمُعَلِّمُ مِنْ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهِ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّ

المضردات :

سيب رهم شماه وجهنا.

السيد من الرجال .

المام المساقضي، فرغ من تلاوته .

كتاب الزل من يعد موسى ، وهو القرآن الكريم .

مصلقًا تما بين ينبيه، مؤيدًا ومؤكدًا لما قبله من التوراة ، لأنهم كانوا مؤمنين بموسى .

ينقذكم.

داعسين المصلحية؛ هو الرسول ﷺ.

فليس بمعجرُ في الأرض ، لا ينجو منه هارب ، ولا يسبق قضاءه سابق .

أواستك هي ضلال مبين، أولئك الذين لا يستجيبون لله في خسران واضح بين.

تمهيد :

هذه آبات تفيد أن الجن استمعت إلى القرآن من النبى ﷺ، فانصرف نفر منهم إلى قومهم بحثُونهم على الإيمان ، ويحدُّرونهم من الكفر ، وتفيد الأحاديث النبوية الشريفة أن حضور الجن إلى رسول الله ﷺ على الايمان .

كما يفيد القرآن والسنة بمعلومات عن الجن ، منها ما يأتي :

١ - هذاك في هذا الكون عوالم متعددة ، ومعلومات كثيرة ، ومنها عالم الملائكة ، وعالم الجن .

- ٢ الجن عالم له تجمعات وقبائل: إِنَّهُ يَرَكُمُ هُوَ وَقَيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرُونَهُمْ ... (الأعراف: ٢٧).
- أى أن الجن لهم قدرة على التشكل والتكيف والحياة في هذه الدنيا، وهم يرون الإنسان ولا يراهم الإنسان.
- ٣ سخّر الله الجن لسليمان عليه السلام: يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشْآءُ مِن مُحَرْبِبَ وَتَمَلَيْلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُلُورٍ
 رأسيّلت ... (سها: ١٠).
- ٤ الجن فريقان: طائع مهتد مستمع للقرآن، مستخدم عقله في استجلاب أسباب الهداية، وعاص ضالً.
 - مكُّن الله سليمان من تسخير العصاة من الجنّ ، وحبسهم وتقييدهم في السلاسل.

قال تعالى : وَءَاحَرِينَ مُقَرِّينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ . (ص : ٣٨) .

كما سفر الله له الجن الطائعين . قال تعالى : وَمِنَ ٱلْجِنَّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيُّهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ... (سبأ : ١٢) .

- ٦- الجن خُلقت من النار ، والملائكة من النور ، والإنسان مخلوق من تراب ، خلط بالماء فصار طينا ، ثم
 ترك الطين فترة حتى صار حماً مسنونًا كالفشار .
 - ٧ -- النجن مدعوون إلى الإيمان ، ومحذَّرون من الكفر والجوَّر والظلم والعدوان .

قال تعالى : وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَالِكَ كُنَّا طُرْآلِقَ قِدْدًا . (الجن : ١١) .

ىقال سىحاند : وَأَنَّا نَمَّا صَوِفَنا أَلْهُدَى عَامَنًا بِهِ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَابِهِ فَلَا يَخَسُّ وَلَا رَهُفًا • وَأَنَا وَلَمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْفَنسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَسِّكِكَ تَعَرُّواْ رَهْمَا • وَأَمَّا ٱلْقَلسِطُونَ فَكَالُواْ لِجَهَيَّمَ حَقَلًا • وَأَلَّا يَسْتَطْمُواْ عَلَى آلطُريقَة لِأَسْفَيْسُهُم مَّاءً هَذَلًا • (لاجن: ١٧ - ١٥) .

وقال سبحانه : يَلْمَعْشَرَ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسِ ٱلْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلَّ شَكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايْلِيق وَيُعلِوُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا، قَالُواْ هَهِلْنَا عَلَىٰ ٱلْفُسِيّا وَخَرْتُهُمُ ٱلْخَيْلُةُ ٱللَّذِينَ وَهَهدُواْ عَلَىٰ ٱلْفُسِيمْ ٱلْهُمْ كَالُواْ كَلْفِرِينَ. (الانماء: ١٧٠).

- ٨ من أطاع من الجن فله الثواب، ومن عصى فعليه العقاب.
- ٩ الجن عالم تحت قبضة الرحمان ، يسكن هذا الكون ، وطعامه عظام الحيوانات التي ذكر اسم الله عليها،
 وطعام دوابة روث الحيوانات .
- ١٠ ينبغى أن نحارب الخرافة والأسطورة والنُجل الذي يرتبط بالجن في أذهان الناس ، ويكفينا ما ورد
 عنهم من طريق صحيح ، ولا ينبغى التزيد في ذلك ، فالقرآن تحدث كثيرًا عن الإنس ، وتحدث عن الجن

بقدر يسير يكفينا ، ويفيدنا أن معنا في هذا الكون عوالم أخرى ، وأن معلوماتنا محدودة ، وربما تطور العلم في المستقبل بأمور لم تكن في الحسبان ، كما قال سبحانه : سُنُرِيهِمْ وَالِنْجَا فِي ٱلْأَفَاوَ وَفِيّ أَنْفُسِهِمْ حُمّى يَشِنَ لُهُمْ أَلُهُ ٱلْحَمُّ ... (فصلت: ٥٠٣).

١٧ - الجن لهم قدرة على التشكل والانطلاق إلى السماء ، وقد ورد في صحيح البخارى أن الجن كانت ترصل بعضاء المؤلفة المنافقة بعض ، وكان آخر جنّى يستمع إلى أخبار السماء فيبلغها للكهان ، فيكتاب الكاهن مع هذا الخبر ماقة كذبة ، فلما أرسل الله محمدًا ﷺ شُدت الحراسة على السماء ، ولم يستطيعوا التقاط أخبارها ، فأخبرت الجن رئيسها ، فقال لهم : ما ذلك إلا لأمرة حدف في الأرض ، انطلقوا في مشارقها ومغاربها حتى تعرفوا الخبر ، فانطلقوا فسمعوا رسول الله ﷺ قائمًا في صلاة الفجر يقرأ القرآن ، فأمن به من استمع له ، وقد نزلت سورة الجن في هذا المعنى ، وفيها قوله تعالى : قُل أُوحيَ إلى آلُهُ أَسْتَعَمْ فَلُنْ من استمع له ، وقد نزلت سورة الجن في هذا المعنى ، وفيها قوله تعالى : قُل أُوحيَ إلى آلُمُ استَعْمَ فَلُنْ مَنْ الْحِورُ فَقَالُوا إِلا المعنى ، وقيها قوله تعالى : قُل أُو حيَ إلى آلَهُ السّعَمْ فَلُنْ من استمع له ، وقد نزلت سورة الجن في هذا المعنى ، وفيها قوله تعالى : قُل أُو حيَ إلى آلُمُ السّعَمْ فَلُنْ من السّعَم لله الله عَلَيْ الله المعنى ، وفيها قوله تعالى : قُل أُو حيَ إلى آلُم السّعَمْ فَلَنْ المعنى .

ى قولە تىمالى : وَأَنَّا لَمُسْمَنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدَدُنَهَا مُلِّتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُهُا ، وَأَنَّا كُنَا نَفُعُدُ مِنْهَا مَعُنِيدَ لِلسَّعْعِ فَعَن يُستَعِمَ ٱلْآنَ يَجِدُ لَمُر هِهَاهًا رَّصَمًا ، (الجن ١٨٠) .

- ١٢ يؤخذ من إيمان الجن بالقرآن أن الرسول محمدًا ﷺ أرسله الله إلى الإنس والجن.
- ١٣ من العلماء من يرى أن النبى ﷺ لم يذهب إلى الجن ولم يكلمهم ، وإنما استمعوا إليه في ممالة الفجر قائمًا يقرأ القرآن فأمنوا ، ويدع قومهم إلى الإيمان .
- ٩٤ ومن العلماء من يستأنس بأحاديث نبوية ، تفيد أن لقاء الجن بالرسول ﷺ تم سد مرات ، دعته الجن في إحدامه إلى الذهاب إليهم، فقلل قائمًا يدعوهم وقد تكاثروا على الاقتراب منه ، واستأنسوا لذلك بقوله تمالي وَأَلْفُه لِمَنا مَنْ مَنْ الله عِنْ الله عِنْ الله عَلَى إِنْ الله عَلَى إِنْهَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلاَ أَشْرِكُمْ الله عِنْ الله عَلَى إِنْهَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلاَ أَشْرِكُمْ أَرَبِّي وَلاَ أَشْرِكُمْ الله عَلَى إِنْهَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلاَ أَشْرِكُمْ أَنْ عَلَى إِنْهَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلاَ أَشْرِكُمْ الله عَلَى إِنْهَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلاَ أَشْرِكُمْ أَنْ عَلَى إِنْهَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلاَ أَشْرِكُمْ أَنْهُ لِللهُ عَلَى الله عَلَ
- ١٥ سورة الجن مكملة لعوضوع الجن في القرآن ، وكذلك ما ورد في القرآن من معلومات عن الجن وأصطهم وعملهم ، وحياتهم ومناهجهم ، وعقلياتهم وطوائفهم .
- ١٦ في موضوع الآيات التي سنفسرها إن شاء الله توبيخ لأهل مكة ، فهذا الكتاب العزيز أمن به الإنس والجن ، وعجزتم عن الإصغاء إليه ، وفيها تسلية الرسول ﷺ ، فقد ثبت أن إيمان الجن تم بعد رحلت ﷺ إلى الطائف ، وكان دعارة في الطائف ينبع من شفاف قلبه ، حيث قال : «اللهم أشكر إليك

ضعف قرّتى ، وقلة حيلتى ، بهوانى على الناس يارب العالمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربّى , إلى من تكلنى ، إلى عدو يتجهمنى ، أو بعيد ملّكته أمرى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والأهرة ، أن ينزل بى سخطك ، أو يحل على غضبك ، لك العتبى حتى ترضى , عافيتك هى أوسح لى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» .

ويعد هذا الدعاء نزل ملك الجبال ، وقال : يا محمد ، إن ربك أمرنى أن أطبعك في قومك ، بسبب ما فعلوه
بك ، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت ، ققال ﷺ : «لا تفعل إنى لأرجو أن يخرج من ظهورهم من
يعبد الله ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون». ونلحظ أن تكنيب أهل مكة قد اشتد قبل الهجرة ، وكذلك تكنيب
أهل الطائف ، وقد كان إيمان الجن بالرسول ﷺ بعد عودته من رحلة الطائف مواساة لرسول الله ﷺ ، كما
كان الإسراء والمعراج الإطلاعه على إيمان الملأ الأعلى به ، كما قال سبحانه : فَإِن ٱستَكَثّرُوا فَالَّذِينَ عِندُ رَبَّكُ
يُسْبَّحُونُ لَهُ بِالْيِّلُ وَالنَّهُمُ وَهُمْ لاَ يُسْتَعُونً . (فصلت : ۸۲).

التقسيره

٢٩ - رَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفُرا مِّنَ ٱلْعِنِّ يَسْتَعِمُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَشَرُوهُ قَالُواْ أَلصِمُواْ فَلَمَّا قَضِي وَلُواْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنارِينَ.

واذكر لقومك ولنفسك حين وجُهدا إليك مجموعة دون العشرة يستمعون القرآن الكريم ، وكان ذلك بوادى نفلة عند منصوف ﷺ من الطائف ، يقرأ القرآن في تهجده أو في صلاة الفجر .

فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا أَنصِتُوا ...

عندما حضروا تلاوة القرآن تواصُّوا بالإنصات والتفرغ التام ، وحشد الذهن لاستماع القرآن وتأمله .

فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّعلِرِينَ .

ظما انتهى النبي ﷺ من تلاوة القرآن ، رجعوا إلى قومهم منذرين لهم من الكفر ، مرغبين لهم في الإيمان بمحمدﷺ وبالقرآن الكريم .

وتغيد الروايات أن الجن استمعت للقرآن، وانصرفت في هذه الليلة درن مقابلة النبي ﷺ, ثم إنهم وفدوا عليه جماعات جماعات، وتم لقاء الجنّ بالنبي ﷺ ست مرات، في بعضها انصرفوا، وفي بعضها دعوا النبي ﷺ إلى زيارتهم في مكان حددره له ، وذهب بعض المفسرين إلى أن الجن كان لهم منذرون فقط، وقال قوم: كانت للجن رسل منهم ، وانظر تفسير هذه الآية في الكشاف للزمخيشري. . ٣ - قَالُواْ يَنْقُونَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ يَعْدِ مُوسَىٰ مُصَلَّقًا لَمَا يَيْنَ يَدَنِهِ يَهْدِيَّ إِلَى ٱلْحَقِّ رَإِلَى طَرِيعَى شُنْتَقِيمِ.

قال النفر من الجن لقومهم : يا قومنا ، إننا سمعنا كتابًا كريمًا ، أنزله الله تعالى على نبى أرسله بعد نبيه موسى ، هذا الكتاب يصدُق الكتب السابقة فى أصولها ، وهى الدعرة إلى الإيمان بالله تعالى ، والحث على مكارم الأخلاق ، هذا الكتاب يرشد إلى الدق المبين ، وإلى دين الله القويم .

وتعتبر التوراة كتابًا كامالاً في الأحكام ، أما الإنجيل فهو مشتدل على كثير من العواعظ ، وقلها من الأحكام ، والعهد القديم أساس للعهد الجديد ، فالتوراة كتاب أساسى عند الجميع ، ولذلك قالوا : إِنَّا سُمِقًا كَتُنَا أُثُولُ مِنْ يَقَدِ مُوسَيْل ...

فالعمدة في التشريم لليهود والنصاري على السواء هي التوراة.

وقال عطاء : كانوا يهودًا فأسلموا .

وقال بعضهم : لم تسمع الجن بعيسي عليه السلام ، وتلحظ أن ذلك أمر بعيد كما قال المفسرون.

وفى صحيح البخارى أن ورقة بن نوفل حين سمع من رسول الله ﷺ خير نزيل الوهي عليه ، قال ورقة : قدُّرس هذا هو الناموس (الوحي) الذي آنزله الله على موسي(٣٠) .

٣١ – يَنفُوْمَنَا أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَعَامِنُواْ بِهِ يَفْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ رَيُعِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

تلمُّفت الجِن في دعوة قومها إلى الإيمان، والتصديق بمحمد رسول الله ﷺ، وبالقرآن الذي أنزله الله عليه.

ومعنى الآية :

استجيبوا يا قومنا لداعي الإيمان بالله تمالي ، وهو القرآن الكريم أن الرسول محمد ﷺ وأمنوا بالله، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه ، يكُنْ جِزاؤكم منفرة بعض ذنويكم ، تلك التي بينكم ويين الله ، أمّا مظالم العباد فيجب أن تردّ إلى أصحابها ، ومنفرة الذنوب وسترها يضاف إليها أن يخلصكم الله وينجيكم من عناب شديد مؤلم .

وقد ذهب عدد من الأئمة إلى أن الجن المسالح يكافأ بالمغفرة والنجاة من العذاب ، ودهول الجنة مثل الإنس تمامًا ، وذهب بعض الأئمة إلى أن الجن المسالح يكافأ بمغفرة الذنوب والنجاة من العذاب في جهذم، ولا يدخلون الجنة .

قال الحسن:

ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من الثار ، فيقال لهم : كونوا ترابًا ؛ فيكونون ترابًا ، ويه قال أبو حنيفة .

وقال القشيري معلقًا على هذا الخلاف:

والصحيح أن هذا مما لم يقطع فيه بشيء ، والعلم عند الله .

ونعم ما قال ، فلماذا الاسترسال في بحث أمور من الأفضل السكوت عنها ، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

٣٣ - وَمَن لَّا يُحِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لُهُ مِن دُولِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي صَلَئلٍ مُبِينٍ .

من رفض الإيمان بالله ، ورفض تلبية دعوة رسوله وكتابه المنزل ، فإنه لا يفوت الله طلبًا ، ولا يعجزه هربًا ، فالله سيحانه على كل شيء قدير ، والكون كله في قبضته ، وهو سبحانه لا يغلبه غالب ، ولا يعجزه هارب ، وهذا الكافر لا يجد وليًّا ينصره ، ولا سندًا يمنعه من عذاب الله ، وليس له من دوته وليًّ ولا نصير ، إن هذا المهارب الآبق الكافر ، قد خسر الدنيا والآخرة ، وسار في ضلال واضح لا متياره الكفر ، وابتعاده عن الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر.

لقد كان هذا النفر من الجن حكيمًا في دعوته ، حيث استعمل أسلوب الترغيب والترهيب ، لذلك نجحت دعوتهم في هداية كثير منهم ، وجاءرا إلى رسول الله ﷺ وفودًا .

الجزء السادس والعشرون

ختام سورة الأحقاف

﴿ أَوَلَمْ رَوَّا أَنَا لَلَهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْى يِخَلِّقِهِنَّ بِقَدِدٍ عَلَق أَن يُحْتَى الْمَوْقَ ّبِكَة إِنَّهُ عَلَكُمْ شَيْءِ قَدِيرٌ ٣ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ٱلشَّ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بِكَنَ وَرَيْنَا قَالَ فَدُوقُوا الْقَدَابَ بِمَا كُمْتُرْتَكُفُونَ ۞ فَاصْبِرُكَمَا صَبَرُ أُولُوا الْفَرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَغْجِل أَمْمُ كَانَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ الْوَيْلَمُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَا رَبِئَكُ فَهَال يُهَاكُ إِلَّا الْقُومُ الْفَسِقُونَ ۞ ﴾

المفردات :

يُعرض الذين كفرواهلي النار ، يوقفون عليها ، ويمررون بها .

أول ــــو السمينية ، أولو العزم من الرسل خمسة : نوح ، إيراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ﷺ ، نظمهم الشاعر في قوله :

أولو العزم نوح والخليل الممجد وموسى وعيسى والحبيب محمد

المها المساعمة ، كأنهم حين يرون العذاب لم يمكلوا في الدنيا إلا وقتًا يسيرًا من نهار ، لشدة العذاب وطول مدته .

مهيف

في ختام سورة الأحقاف نجد ثلاث آيات:

الأولى: تستعرض مشاهد الكون ، وتستلفت النظر إلى أن خالق الأكوان قادر على إحياء الموتى ، فهو سبحانه على كل شيء قدير .

الثانية : تستعرض مشهدًا من مشاهد القيامة ، حين يكلّف الكفار بمشاهدة نار جهنم عيانًا جهارًا ، ويقال لهم : كنتم تكنّبون بالبعث والحشر والجزاء والجنة والنار ، شهل هذه النار حقيقةٌ ماثلة ؟ فيشهدون بذلك مقسمين: بأنّي زَرْبّنًا .

لقد كذَّبوا بالله وبالجزاء في الدنيا ، فكان الجزاء على كغرهم هُوَ : دُوقوا عذاب النار بسبب كفركم .

أما الآية الثالثة: فهى ختام السورة ، وهى دعوة للصبر والمصابرة ، والتجدُّد أمام تكذيب الكفار وتعنّتهم ، كما صبر الأنبياء المرسلون الكبار ، أصحاب العزائم ، أما الكفار فلهم يوم يصلون فيه العذاب ، فإذا شاهدوا عناب الذار وطول مدته استهانوا بكل أيام الدنيا ، ويكل شهواتها ولذائذها ، من شدة مول عذاب الأحرة ، وكأن الدنيا بالنسبة لهم ساعة من نهار بالنسبة لطول عذاب الآخرة ، ثم تختم السورة بأن هذه موعظة بليفة ، لا يحرم من الاستجابة لها إلا محروم فاسق .

التفسيره

٣٣ - أَوَلُمْ يَرُواْ أَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِي حَلَقَ ٱلسَّمَـُوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْنَى بِخَلْقِينٌ بِقَدادِرِ عَلَىٰٓ أَنْ يَحْمِيَ ٱلْمَوْلَىٰ بَلَيْ إِنَّهُ, عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٌ قَدِيرٌ.

أو لم يشاهدوا مظاهر القدرة الإلهية في خلق السماوات الطباق ، وما فيها من أبراج وأقلاك ، وشموس وأقمار ، وملائكة ومخلوقات عديدة ، وخلق الأرض وما فيها من جبال ويحار وأنهار ، وإنس وجنّ ، وحيوانات وطيور ، وحشرات وهوام ، ودوابّ متعددة لا يعلمها إلا الله ، وقد خلق الله السماوات والأرض ، بدون أن يصبيه تعب ، أو إعياء أو لغوب أو كلال ، أليس هذا الخالق العبدع بقادر على أن يحيى الموتى ، بأن يعيد الروح إلى الجسد ، ويأمر الموتى بالقيام والبعث ، ثم بالحشر والنشر والجزاء ؟ بلى إنه سبحانه قادر على الخلق في البدء ، وقادر على الإعادة ، وهو سبحانه على كل شيء قدير .

٣٤ – وَيَوْمُ يُعْرُضُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ عَلَى آلثارِ ٱلنِّسَ هَنذَا بِٱلْحَقُّ قَالُواْ بَلَيْ وَرُبَّنَا قَالَ فَلْدُوقُواْ ٱلْتَمْذَابَ بِمَا كُشْتُمْ كَفُقُرُونَ .

واذكر لهم أحداث يوم القيامة ، ومنها أخذ الكفار لمشاهدة النار وأهوالها ، وعذابها وحميمها وغسلينها ، وسائر أحوالها ، وعندند يقال للكفار الذين كانوا يسخرون من المؤمنين ، ويستبعدون وقوع العذاب ، ويقولون : فَيَهَاتَ هُنَهَاتَ لِمُنَا تُوعَلُونَ ء إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَّاتُ اللَّذِينَ نَمُوتُ وَنَحَيًّا وَمَا لَحَنْ بَهَمَعُونِينَ .

(المؤمنون : ٣٧ ، ٣٧) .

لكنهم يوم القيامة يؤكدون أن الغار والعذاب ، والحساب والقيامة ، والجزاء والعقاب ، حق وصدق ، ويقسمون بالله مؤكدين ذلك ، لعلهم بهذه الشهادة والحلف عليها لتأكيدها أن يفرُّوا من العذاب ، لكن الجواب عليهم يكون مقابلاً لأعمالهم في الدنيا .

قَالَ فَلُوقُواْ ٱلْعَلَاابَ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُّرُونَ .

أى : امحلاقا بنار جهنم ، وذوقوا ألوان العناب فيها ، بسبب كفركم بالله ، وعدم استجابتكم لرسل الله في الدنيا ، وتكذيبكم بقدرة الله على البعث والحشر ، والجزاء والعقاب ، فالجزاء لكم من جنس العمل ، بسبب كفركم ، ولا ظلم في ذلك لكم ، لأن الله لا يظلم أحدًا وهو عادل كل العدل .

٣٥ - فَأَصْمِنْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلقَوْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَهُمْ كَأَلَهُمْ يَوْمَ يَوْوَنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يُلْتُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِنْ لَهُوا بَلَكُ فَهِلَ يُهْلِكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفُسِيقُونَ .

تأتى هذه الآية في ختام السررة ، سورة الأحقاف المكية ، وفيها أدلة التوحيد والقصص ، وحديث عن إيمان الجن ، ومناقشة الكافرين ، ثم توجُّه الحديث إلى رسول الله ﷺ تدعوه إلى الصبر والمصابرة ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، وهم أصحاب العزائم والثبات ، الذين اجتهدوا في تبليغ الشريعة ، وتأسيسها وتقريرها ، وصبروا على تحمل مشاق الدعوة ، ومعاداة الطاعنين فيها .

قال مقاتل : مم ستة :

١ - ترح صبر على أذى قومه مدة طويلة .

٢ - وإبراهيم صبر على النار.

٣ - وإسماعيل صبر على الذبع.

3 — ويعقوب صبر على فقد الواد وذهاب البصر.

٥ – ويوسف صبر على البثر والسجن.

٦ - وأيوب صهر على الضرّ.

وقال ابن عباس: كل الرسل كانوا أولى عزم ، أي: اصبر كما صبر الرسل.

وقيل: هم نجياء الرسل المذكورون في الآيات (٨٣ - ٨٧) من سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر:

إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ونورح ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وموسى ، وهارون ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وإلياس ، وإسماعيل ، واليسم ، ويونس ، ولوط (٣٠) .

وأشهر الآراء أن أولى العزم من الرسل خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد على المرا

وكم صبر محمد ﷺ ومسابر، وتحمل في مكة والطائف، وطريق الهجرة وأعمال المدينة، وسائر الغزيات، حتى لقى ربّه راضيًا مرضيًا، فالآية تثبيت لصبره، وتأكيد ومؤازرة، وأيضًا تهديد للكفار، وهذا معنى:

وَلَا تَسْتَعْجِلِ لَّهُمْ ...

لا تتعجل وقوع العذاب بهم في الدنيا ، فإن لهم موعدًا لن يفلتوا منه : فَأَرْتَقِبُ إِنَّهُم مُرْتَقِبُونَ . (الشمان: ٥٩)

وقال مقاتل: لا تدع عليهم في إحلال العذاب بهم ، فإن أبعد غاياتهم يوم القيامة .

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنُ مَا يُوعَدُونُ ...

من الحذاب في الأخرة ، لم يمكثوا في الدنيا أو في قبورهم إلا وقتًا يسيرًا ، لطول مدة عذاب الأخرة ، وامتداد عذابها أبد الأبدين ، ويزيد في طولها أنه لا أمل في النجاة ، ولا في الرجوع إلى الدنيا ، ولا في تغفيف العذاب .

بَلَنغٌ ، أي : بلَغَنًا ، وقد أعذر من أنشر ، أن إن في هذا القرآن وما يحمل من صنوف الأيات ، وألوان اللهداية ، ما يكني في تبليغ الدعوة ، وفي فتح الأبواب لمن أراد أن يلج في طريق الهداية ، فكم فتح الله فيه من أبواب رحمته وهدايته ، وكم لؤن وصرف من طرق الهداية ، فلا يهلك على الله إلا هالك ، فما أوسح أبواب رحمته .

فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَنْسِقُونَ .

أى: لا يستحق الهلاك إلا خارجٌ على طاعة الله ، مُغرضٌ عن أسباب الهداية وما أكثرها ، فهذا الفاسق الخارج على طاعة الله ، الكافر بالله وأثوان هدايته ، أهل للهلاك العادل : وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَاكِن كَاتُواْ أَنْفُسَهُمْ يُظْبِمُونَ ، (النحل: ٣٣) .

خلاصة ما اشتملت عليه سورة الأحقاف

- ١ اقامة الأبلة على التوحيد ، والردُّ على عبدة الأصنام .
- ٢ المعارضات التي ابتدعها المشركون للنَّبوَّة ، والإجابة عنها ، وييان فسادها .
 - ٣ ذكر حال أهل الإيمان والاستقامة ، وبيان أن جزاءهم الجنة .
- ٤ ذكر وصابا للمؤمنين بإكرام الوائدين ، وبيان مشقة الأمّ في الحمل والوضع والرضاع.
 - ٥ بيان حال من انهمكوا في الدنيا وملذاتها .
- ٣ قصص عاد ، وهيه أن الله أنعم عليهم بنعم متعددة ، فبطروا وأشروا وكفروا ، وعائدوا واستحقوا الهلاك .
 - ٧ استماع الجن إلى رسول الله ﷺ، وتبليغهم إلى قومهم ما سمعوه.
 - ٨ عظة للنبي صلى المؤمنين من أمته.
 - ٩ الأمر بالصبر، وبيان قصر الدنيا وقلة نعيمها بالنسبة إلى نعيم الآخرة.
- ١٠ ما أوسع رحمة الله وفضله وفقحه الأبواب لكل عاص، فلا يهلك إلا من رفض كل ألوان المدى، وخرج على طلاعة الله ، وارتمى في أحضان الشهوات .



أهداف سيورة محمد ﷺ

هي سورة مدنية ، وآياتها ٣٨ آية ، نزلت بعد سورة الحديد ، ولها اسمان : سورة محمد ، وسورة القتال .

والقتال عنصر بارز في السورة ، بل هو موضوعها الرئوسي ، فقد نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة الأحزاب ، أي في الفترة الأولى من حياة المسلمين بالمدينة ، حيث كان المؤمنون يتعرضون لعنت المشركين ، وكيد المنافقين ، ودسائس اليهود .

عناصرالسورة

يمكن أن نقسم سورة (محمد) إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: يحرض على قتال المشركين ويحث عليه ، ويشمل الآيات (١ - ١٠).

- القسم الثالى: يفضح المنافقين ويكشف نفاقهم ، ويشمل الآيات (١٦ - ٣٠) .

- القسم الثالث: دعوة المسلمين إلى مواصلة الجهاد بالنفس والمال ، ويشمل الآيات (٣١ - ٣٨).

٩ -- التحريض على قتال المشركين:

تيداً السورة بالهجوم على المشركين وتبين هلاكهم وضياعهم وضلالهم ، لقد سلب الله عنهم الهدى والترفيق ، فاتبعوا الباطل وانحرفوا إلى الضلال ، أما المؤمنون فقد آمنوا بالله ويرسوله ؛ فكفّر الله ذنويهم ورزقهم صلاح البال وهدوء النفس ونعمة الرضا واليقين .

وشتان بين مؤمن راسخ الإيمان ، صادق اليقين ، معتمد على رب كريم حليم ، ويين كافر ضال يبدع الحق ويشترى الباطل ، ويفرّط في الإيمان والهدى ، ويتيم الشرك والضلال .

ثم تحث السورة المسلمين على قتال المشركين ، وقطع شركتهم وهدم جبروتهم ، وإزالة قوتهم من طريق المسلمين : فَإِذَا تَقِيْمُ ٱللّبِينَ كَفُرُواْ فَصَرْبُ ٱلرَّقَابِ ... وهذا الضرب بعد عرض الإسلام عليهم وإبائهم له ، حُثِّيٍّ إِذَا أَتُخْشُوهُمْ فَشَلْرُ ٱلْأَوْنَاقَ ... والإنشان شدة التقتيل حتى تتحطم قوة العدو وتتهاوى فلا تعود به قدرة على هجرم أو دفاع ، وعندقذ يؤسر من استاسر ويشد وثاقه : فَإِمَّا مَثْلًا يَعْلُدُ وَلِمَا فِئِدَاةً ... أَيْ إِمَا أَنْ يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل ، وإما أن يطلق سراحهم مقابل فدية من مال أو عمل ، أو في نظير إطلاق سراح المسلمين المأسورين . حَتَّى تَشَعَ الصَّرِّبُ أَوْزَاهُمًا ... (محمد: ٤) . أي : حتى تنتهي الحرب بين الإسلام وأعدائه المناوتين له .

ولى شاء الله لانتقم من المشركين وأملكهم كما أهلك من سبقهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم ، ولكن الله أراد أن يختبر قوة المؤمنين ، وأن يجعلهم سبيلاً لإعزاز الدين وإهلاك الكافرين ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضيع أعمالهم ، فهم شهداء عند الله يتمتعون بجنات خاادة وتعيم مقيم ، وأرواحهم في حواصل طير خضر تسبح حول الجنة ، وتأكل من ثمارها وتقيم في ألوان النعيم ، وقد وعد الله الشهداء بحسن المقوية والكرامة والهداية وصلاح البال وبدهل الجنة : لأنهم نصروا دين الله فسينصرهم الله ويثلبت أقدامهم ، كما توعد الكافرين بالتماسة والضلال والهلاك جزاء كفرهم وعنادهم .

وتسوق السورة ألواناً من التهديد للمشركين ، فتأمرهم أن يسيروا فى الأرض فينظروا ماذا أمساب المكذبين من الهلاك والدمار ، ثم تمضى السورة فى ألوان من الحديث حول الكفر والإيمان ، فتصف المؤمنين بأنهم فى ولاية الله ورعايته ، والكفار محرومون من هذه الولاية .

وتغوق السورة بين متاع المؤمنين بالطيبات ، وتمتع الكافرين بلذائد الأرض كالحيوانات : إِنَّ اللَّهُ يُلْحِلُ الَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلَاحِدَاتِ جَنْدتٍ مَجْرِى مِن تَحْبِهَا الْأَنْهَارُ وَاللَّينَ كَفُوواْ يَتَمَتُّونَ وَيَأْكُونَ كَمَا تُأْكُلُ الْأَنْصَارُهُ آلَانَا مُنْهَى لُهُمْ . (محمد: ١٢) .

إن الفارق الرئيسي بين الإنسان والحيوان أن للإنسان إرادة ومدنًا وتصورًا خاصًا للحياة يقوم على أ أسولها المنحيمة المثلقاة من الله خالق الحياة ، فإذا فَقَدُ هذا فَقَدُ أهم همنائص الإنسان المميزة لجنسه، وأهم المزايا التي من أجلها كرمه الله .

ثم تمضى السورة في سلسلة من الموازنات بين المؤمن المتيفن والكافر الذي اتبع هواه وشيطانه ، وزُين له سوء العمل: أَلْمَن كَانَ كَلَمْ يَلْيَةٍ مِّن رَبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَمُ سُوّةَ عَلِمُهِ وَالْيَقِرْ أَلْهُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آَلُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آَلُوْ آَلُهُوْ أَلْهُوْ آلَانِهُ اللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ وَسَلّمانِهُ عَلَى اللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّ

كما تصف الآيات متاع المؤمنين في الجنة بشتى الأشرية الشهية ، من ماء غير آسن ، ولبن لم يتغير طعمه ، وخمرة لذة للشاريين ، وعسل مصفى ، في وفر وفيض ، في صورة أنهار جارية ، وذلك مع شتى الثمرات ، ومع المففرة والرضوان ، ثم سؤال : أهؤلاء المتمتعون بالجنة والرضوان ، كَمَنْ مُوَ خَلِلًا فِي آثَارٍ رُسُمُّواً مَاءً حَمِيمًا قَشَلُمَ أَمْمَا عَمْمُ ، ع

٢ - خصال المنافقين :

تشمل الآيات (٢٦ - ٣٠) المقطع الثانى من سورة محمد ، وفيها حديث عن المنافقين وسفاتهم ، وحركة النفاق حركة مدنية لم يكن لها وجود فى مكة نظرًا لضعف المسلمين فى مكة وتقوق أعدائهم ، فلما ماجر المسلمون إلى المدينة وبدأ شأن الإسلام فى الظهور والاستعلاء ، بدأت حركة النفاق فى الظهور والدم، وساعدها على الظهور وجود أليهود فى المدينة ولهم قوة مادية وفكرية ، وكراهيتهم للدين الجديد، وسرعان ما اجتمع اليهود مع المنافقين على هدف واحد ، ودبروا أمرهم بليل ، فأخذ المنافقون فى حبك المؤامرات ودس الدسائس فى كل مناسبة تعرض ، فإن كان المسلمون فى شدة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم ، وإذا كانوا فى رخاء ظلت الدسائس سرية والمكائد فى الظلام ، وكانوا إلى منتصف العهد المدنى يشكلون خطرًا حقيقيًا على الإسلام والمسلمين ، وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم ، والتنديد معهم المؤامرات المحبوكة .

والحديث عن المنافقين في سورة (محمد) يحمل فكرتها ، ويصور شدتها في مواجهة المشركين
والمنافقين ، بل إن المنافقين هم فرح من الكافرين ، أظهروا الملاينة وأبطنوا الكفر والخداع ، أن هم فرح من
اليهود يعمل بأمرهم ، وينفذ كيدهم ومكرهم ، فمن هؤلاء المنافقين من يستمع إلى النبى بأذنه ويغيب عنه
بوعيه وقلبه ، فإذا خرج من مجلس النبى تظاهر بالحرص على الدين ، فسأل الصحابة عما قاله النبى سؤال
سخرية واستهزاء ، أو سؤال تظاهر ورياء .

أولتك المنافقون قد طمس الله على أفتدتهم فلا تفقه ، وقد اتبعوا أهوامهم ، فقادهم الهوى إلى الهلاك .

بينما المتقون المهتدون يزيدهم الله هدى ويمنحهم التقوى والربشاد ، ثم يتهدد القرآن المنافقين بالساعة ، فإذا جاءت فلا يملكون الهداية ولا تنظعهم الندامة .

فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاحَةَ أَن تَأْتِيهُم بَعْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشَرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتُهُمْ ذِكْرَكُهُمْ. (مصد: ١٨).

ثم تصور الأيات جبن المنافقين وهلمهم وتهافتهم إذا رُوجِهُوا بالقرآن يكلفهم بالقتال ، فهم يتظاهرون بالإيمان ، فإذا أنزلت سورة لا تشابه فيها وذكر فيها الجهاد ؛ رأيت المنافقين ينظرون إليك يا محمد نظرًا كنظر من هو فى النزع الأخير ، تشخص أبصارهم ، لذلك كانوا جديرين بأن يهددهم الله بالويل والهلاك .

وتحقوم الآيات على الطاعة والمصدق والثديات: فَأَرْنَىٰ لَهُمْ هَ ظَاعَةٌ وَقَوْلُ مُتَوُرِفٌ فَإِذَا عَرَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَّقُواْ اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ . (محمد : ٢٠ . ٢٠) . ويذلك يفتح القرآن الباب لمن يريد الطهارة الحسية والتفسية من المنافقين ومن جميع المخاطبين. ثم يحثهم على تدبر القرآن وتأمله حثًا يحرك المشاعر ويستجيش القلوب ويخلص الضمير.

وتمضى الآيات فى تصوير حال المنافقين ، وبيان سبب توليهم عن الإيمان بعد إذ شارفوه ، فتبين أنه تأمرهم مع اليهود ، ورعدهم لهم بالطاعة فيما يدبرون .

لقد كره اليهود الإسلام وتألبوا عليه ، فلما هاجر النبى 養 إلى المدينة شُقُوا عليه حرب الدس والمكر والكيد ، وانضم المنافقون لليهود يقولون لهم سرًا : سُطُهِكُمْ فِي بُعْسَ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يُعْلَمُ إِسْرَارُهُمُ ، (محد: ٢٦).

ثم يتهدد القرآن المنافقين بملائكة العذاب ، لأنهم تركوا طريق الإسلام ، وانضعوا إلى دسائس الحاقدين عليه .

وفى نهاية المقطع يتهددهم بكشف أمرهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين الذين يعيشون بينهم متخفين ، لأن ما فيك يظهر على فيك :

ومهما تكن عند أمرئ من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تعلم

قال تعالى : أَمْ حَسِبَ ٱللَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرْضُ أَن لُن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضَفَتَهُمْ ، وَلَوْ نَشَاءُ لَأَنَيْنَكُهُمْ فَلَعَوْفَهُم بِسِيمَ لَهُمْ وَلَعَوْ لَلْهُمْ فِي لَخِن ٱلْقُولِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَصْمَلُكُمْ . (سعد ١٩٠ - ٢٠) .

٣ - حديث عن المشركين والمؤمنين:

المقطع الأخير من السورة يشمل الآيات (٣٧ – ٣٨) ، وقد تحدث في بدايته عن المشركين ، وبينَ أنهم منعوا الناس عن الإيمان بالله ، وأعلنوا الشقاق والعداوة لرسول الله ، وهزلاء لن يضروا الله يكفرهم ، وسيحبط الله أعمالهم .

و تتجه الآيات إلى المؤمنين فتأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول ، وتأمرهم بالثبات على الحق حتى الدي المارة . وأثر نصر الله .

يَنَآيُهَا ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرُّسُولَ وَلا تُبْطِلُواْ أَعْمَـٰلُكُمْ . (محمد: ٣٧) .

وهذا التوجيه يرحي بأنه كان في الجماعة المسلمة يومئذ من لا يتحرى الطاعة الكاملة ، أو من تثقل عليه بعض التكاليف ، وتشق عليه بعض التضحيات التي يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية المختلفة التي تقف للإسلام ، وتنارشه من كل جانب ، والتي تربطها بالمسلمين مصالح ووشائج قربي يصعب فصمها والتخلي عنها نهائيًا كما تقتضي المقيدة ذلك . ولقد كان وقع هذا التوجيه عنيفًا عميقًا هي نفوس المسلمين الصادقين ، فارتحشت له قلويهم وخافوا أن يقع منهم ما يبطل أعمالهم ويذهب بحسناتهم .

وتستمر الآيات في خطاب المؤمنين ، تدعوهم إلى مواصلة الجهاد بالنفس والمال دون تراخ أو دعوة إلى مهادنة الكفر المعتدى الظالم ، تحت أى مؤثر من ضعف أو مراعاة قرابة أو رعاية مصلحة ، ودون بخل بالمال الذي لا يكلفهم الله أن ينفقوا منه إلا في حدود مستطاعة ، مراعيًا الشح الفطرى في النفوس ، وإذا لم ينهضوا بتكاليف مذه الدعوة فإن الله يحرمهم كرامة حملها والانتداب لها ، ويستبدل بهم قرماً غيرهم ينهضون بتكاليفها ، ويعرفون قدرها ، وهو تهديد عنيف مخيف يناسب جو السورة ، كما يشى بأنه كان علاجاً لحالات نفسية قائمة في صفوف المسلمين إذ ذاك — من غير المنافقين — وذلك إلى جانب جالات التفاني والتجرد والشجاعة والفداء التي اشتهرت بها الروايات، فقد كان في الجماعة المسلمة هؤلاء وهؤلاء. وكان القرآن يعالج ويربي لينهض بالمتخلفين إلى المسترى العائي الكريم .

مقصود السورة إجمالا

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود سورة محمد: الشكاية من الكِفار في إعراضهم عن الحق ، وذكر آداب الحرب والأسرى وحكمهم ، والأمر بالنصرة والإيمان ، وابتلاء الكفار في العذاب ، وذكر أنهار الجنة : من ماء ، ولبن ، وهمر، وهمر، وعمل الكفار وشرايهم ، وظهور علامة القيامة ، والشكاية من المنافقين ، وتفصيل ذميمات خصالهم ، وأمر المؤمنين بالطاعة والإحسان ، وذم البخلاء في الإنفاق ، ويبان استغناء الحق تمالي وفقر الخلق في قوله تعالى . وَزَاللّهُ الْفَيْقُ وَزُالُهُمْ الْفَقْرَةُ ... (محمد : ٣٨) (٤٨).

بين يدى السورة

أخرج الطبراني في الأوسط، عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة محمد ﷺ في صلاة المغرب.

وتسمى سورة محمد لبيان تنزيل الكتاب على محمد ﷺ فيها ، في قوله تعالى وَعَامُوا بِمَا نُزُلُ عَلَىٰ مُحمد عَلَى مُحمد عَلَى اللهِ مُحمَّدٍ وَهُوَ أَنْحُنُ مِن رَبِّهِمْ ... (محمد : ٢) .

ولم يذكر محمد على باسمة في القرآن إلا أربع مرات:

هي سورة آل عمران : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... (ال عمران : ١٤٤) .

وفى سورة الأحزاب: مَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَّآ أَحَدٍ مِّن رَّجَالِكُمْ ... (الأحزاب: ٤٠).

وهذا في سورة محمد ، وفي سورة الفتح : مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ... (الفتح : ٢٩) .

وفى غير هذه المواضع يذكر بصفته أن النبى مثل: يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَلْهِمًّا وَمُبَشِّرًا وَلَلِيرًا. (الأحزاب: ٤٥)

وسميت سورة القتال لبيان أحكام القتال والدعوة إلى الجهاد فيها ، مثل قول تعالى : فَإِذَا أَقْيَتُمُ ٱللَّذِينَ غُرُوا فَصَرْبُ ٱلرَّفَابِ ... (مصد : ٤).

بيان الفرق بين الكفار والمؤمنين

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ أَضَالَ آعَناهُمْ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَيلُوا الصَّلَاحَتِ وَهَامَنُوا بِمَانُزِلَ عَلَى مُعَمَّدِ وَهُولِلْمُقُّ مِن رَبِّهُمْ كَفَرَعَتُهُمْ سَيِّعَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالْكُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا اَتَّبِعُوا الْبَعْلِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَبْعُوا الْمُقَّ مِن رَبِّيمٌ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَشْتَكُمْ ۞ ﴾

المقردات ا

ومسمواه*ن سيبيل الشه*ه منحوا الناس عن الدخول في الإسلام ، وذلك يستلزم أنهم منحوا أنفسهم من الدخول فيه ، وأعرضوا عنه ،

أضب أعسم الهم ، أبطلها .

وهمو المحمق من ربهم، الحق الثابت الذي لا مرية فيه.

كضرعتهم سيئاتهم؛ أزالها ومحاما بالإيمان والعمل الصالح.

وأصلى عنه المنه من الذين والدنيا ، وأصل البال : الحال التي يكترث بها ، ولذلك يقال : ما بالبعد عنه المنه بالبعد بها ، وهذه قوله ﷺ : «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمان الرحيم فهو أجزم أو أقطع» .

اتبيعيوا الميساطيل والشرق أو الشيطان .

تبيعسوا المحسق، التوحيد والقرآن.

يضوب الله للناس أمثالهم ، يبين لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه في ميعادهم .

تمهيد،

هذه الآيات بداية قوية لسورة القتال ، والسورة كلها دعوة للقتال ، وبيان عاقبة الكافوين ، وهى الخزى والخذلان وعذاب الآخرة ، وعاقبة المؤمنين الذين آمنوا بالقرآن المنزّل على محمد ﷺ ، حيث يقبل الله منهم صالح أعمالهم ، ويكفّر عنهم سيناتهم ، ويُصلح بالهم . هذا الجزاء العادل لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل والأهواء ، والذين آمنوا اتبعوا الحق والهدى . الاتفسعة :

١ - أَلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَلُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ.

هذه بداية السورة ، تُلّنِي في وجه الكافرين عقوية كفرهم رضاؤلهم ، فهزلاء أهل مكة كفروا وَمُنتُوا الناس من الإيمان ، وخرجوا في غزوة بدر الكبرى بطرًا وتظاهرًا بالباطل ، وليتسامع بهم الناس ، فكان الجزاء أن هزمهم الله هزيمة منكرة ، فقُتل مفهم سبعون ، وأبير منهم سبعون ، وفرَّ الباقون ، فجعل كيدهم ضائقًا ، وعملهم ضالاً ، ومكرهم في تباب .

وتغيد روايات أسباب النزول أن هذه الآية نزلت في كفار مكة ، الذين أرادوا هزيمة المسلمين في بدر ، فهزمهم الله .

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس في قوله تعالى : أَلَّذِينَ كَفُرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَطَنَ أَهَمُنالُهُمْ. قال : هم أهل مكة ، نزلت فيهم .

وَٱلَّذِينَ ءَامَتُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَلْتِ ... قال: هم الأنصار.

وقال ابن عباس في رواية أخرى: نزلت في المطعمين ببدر، وهم اثنا عشر رجلاً: أبو جهل، والحارث ابن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأمية ابنا خلف، ومنبّه وبُنيه ابنا الحجاج، وأبو البحتري بن هشام، وزمعة بن الأسود؛ وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.

ومعنى: أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ.

جعلها شعالة على غير هدّى وتوفيق ، وذكر بعض المفسرين أن المعنى: أبطل الله ثواب الأعمال الحسنة ، التي يسمّرنها مكارم الأخلاق ، كصلة الرحم ، وإكرام الضيف ، وإجارة المستجير ، فقد أبطل أعمالُهم فسادُ عقيدتهم .

قال تعالى : وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَكُ هَبَّاءً مُّشُورًا . (الفرقان : ٢٧) .

أي أن الله يجازيهم على أعمالهم الحسنة في الدنيا ، لأنهم لا نصيب لهم في الجنة بسبب كفرهم .

وهناك من المفسرين من يرى أن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وأنه لن يضيع مكافأة أي عامل على عمل عمله ، حتى ولو كان كافرًا أو كتابيًا ، واستشهدوا بقوله تعالى : فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ فَرَّةٍ عُيْرًا يَرَهُ, ه وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مُرَّا يَرَهُ, (الزارَلة: ٧ - ٨). ويقوله تتعالى : إِنَّ ٱللَّذِينَ مَامَنُواْ وَٱللَّذِينَ هَادُواْ وَٱللَّصَـٰوَىٰ وَٱلصَّـٰحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلَّوْمِ ٱلْآخِيرِ وَعَمِلَ صَـٰلِهَا فَلَهُمْ أَخِرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفً عَلْيُهِمْ وَلَا هُمْ يُحَرِّنُونَ . (الدفرة : ١٧) .

والأُوْلَى بِنا أَن نقول : إِن ذلك في مشيئة الله تعالى ، وعلمه وحكمته وفضله ، فتُقُوَّض علم ذلك إليه سبحانه وتعالى .

٢ - وَٱللَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ وَعَامَتُواْ بِمَا نُوْلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رُبَّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيَّعَاتِهِمْ
 وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ

والذين آمنوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن كتابًا منزلاً، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، وآمنوا بأن القرآن كتاب الله ، نزل به جبريل الأمين على محمد ﷺ، وأن القرآن حق وعدل وصدق أنزله الله على نبيه ﷺ، هؤلاء المؤمنون يقبل الله إيمانهم ويكفر عنهم السيئات التى ارتكبوها قبل الإسلام، ويرزقهم الهدى والتقوى، والسعادة في الدنيا، والجنة في الأخرة، ويصلح بالهم وشأنهم وأمورهم.

 ٣ - ذَالِكَ بَإِنْ ٱللَّذِينَ كَفُرُوا ٱلبُّمُوا ٱلبَّدُولَ ٱلبُّدُولَ البُّدُولَ البّهُ البُّدُولَ البّهُ اللَّهُ اللَّالِيلُولَ اللَّهُ اللّ اللَّهُ اللَّ

ذلك الجزاء العادل بإكرام المؤمنين ، وعقوية الكافرين ، سببه أن الذين كفروا ساروا وراء الباطل والكفر والإعراض عن القرآن وهدايته ، والرسول محمد ﷺ ربيانه ، والمقل الإنساني وحكمته ، بينما نجد أن الذين آمنوا التموا الحق والعدل ، وهدى القرآن ، وبيان محمد ﷺ ، فاستحق الكفار النار ، واستحق المؤمنون التوفيق في الدنيا ، والجنة في الأهرة .

كَذَا لِكَ يَصْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْقَالَهُمْ.

مثل ذلك البيان الرائع ، يبين الله للناس أحوال الفريقين ، الجارية مجرى الأمثال فى الغرابة ، ويظهر مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه فى ميعادهم .

«وضرب المثل في الآية هو أن الله جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار ، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين» (**).

أحكام القتال والأسرى والقتلى في سبيل الله ونصرة الإسلام

﴿ فَإِذَا لِقِيشُوا لَذِينَ كَفَرُواْ فَضَرَبُ الرِقَابِ حَقَّ إِذَا أَغَنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَقَاقَ فَإِمَاسَنَا بَعَدُ وَإِمَّا فِلَا أَنَّ مَعَمَّرَ فَشَدُّوا الْوَقَاقَ فَإِمَاسَنَا بَعَدُ وَإِمَا فِلَا يَعْضَا اللَّهِ وَلَيْكِونَ الْبَنْلُواْ بَعْضَاحُمُ بِبَعْنِ وَالَّذِينَ وَقَلَيْنَ الْمُؤْمِ وَلَيْنِيلُواْ بَعْضَاحُمُ مِنْلُونِ وَلَيْنِيلُوا بَعْضَالُونَ مَنْ وَلَيْنَ فَالْمَالُونَ مَنْ وَلَيْنَ فَالْمُونُ وَلَيْنِينَا أَفَدَا مَكُونُ وَلَيْنَا فَلَا مَنْكُونُ وَلَيْنَا فَلَا مَنْكُونُ وَلَيْنَا فَلَا مُنْفُولًا فَتَعْسَالُمُمْ وَلَيْنِينَا أَفَدَا مَكُونُ وَلَا لَذَى اللَّهُ وَلَا مَنْ اللَّهُمُ وَلَا مَنْ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

المفردات

فضير ريالي وقدم المصدر.

أشخص تستسم وهسم ؛ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه ، أي : جعلتموه تخينًا غليظًا .

هشمه و المسوئه من فأسروهم ، وأحكموا قيد من أسرتموهم ، بعد إثخافهم بكثرة القتل وإضعافهم بالجراح ، والزفاق والوثاق : ما يونق به ، أي : ما يربط به .

والمسط بعوض .

حتى تضع الحرب أورداها ، آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح ، وهو كناية عن انتهاء الحرب.

لانتقم منهم بغير الحرب كالزلزلة .

المستوات المساورة البخلي ويصيب.

هلت يضل أعمالهم ، فأن يضيُّعها .

هسراً فيهسي السهسم ، يهدى أهل الجنة إلى مساكنهم بإلهام منه تعالى ، فلا يخطئونها .

أحسب الضاع.

تمهيد،

عمد القرآن الكريم إلى تريية المسلمين على الجهاد ، فمدح الشهادة ، وذكر فضل الشهداء ، ورُزابِهم ومنازلهم فى الجنة ، وحياتهم البررخية والمعنوية ، وهنا بحثُّ المؤمنين على الشجاعة فى الحرب، ولِمُكُام القتال ، وضرب رقاب الكافرين ، وإثمان جراحاتهم وإضعافهم ، ثم أَخْذِ الأحياء أسرى ، وللإمام حينئة أن يمنّ عليهم، أو يقبل الفداء، أو يفعل ما يراه مناسبًا لإعزاز الدين ومنفعة المسلمين، مثل تبادل الأسري، ل غير ذلك ، ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بآفات سماوية أو أرضية ، لكنه أراد سبحانه اختبار المؤمنين وتدريبهم وتشجيعهم على قتال الكافرين ، أما الشهداء فثوابهم عظيم ، وطريقهم إلى الجنة معروف لهم ومألوف ، ثم نادي المؤمنين وبيَّن لهم أن المؤمنين الذين ينصرون دين الله ، سينصرهم الله وسيمكِّن لهم في الأرض ، أما الذين كفروا فلهم التعاسة ، وضياع الأمل ، لأنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله ، فأحبط الله أعمالهم ، وأذهبها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، بسبب عدم إيمانهم .

سيب التزول:

أخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة في قوله تعالى : وَٱلَّذِينَ تُعِلُواْ فِي سَبِيلَ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلُّ أَعْمَالُهُمْ.

قال: ذُكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد، ورسول الله صلى الشُّعب، وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل ، وقد نادى المشركون يومئذ: اعل هُبل (أكبر أصنامهم) ، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل ، فقال المشركون: إنا لنا العزَّى ولا عزَّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

التفسيره

٤ - فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ فَعَرْبَ ٱلرَّفَابِ حَتَّى إِذَا ٱلْحَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَثَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّى تَطَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَالِكَ وَلُو يَشَاءُ ٱللَّهُ لَآتَهُمَ وَلَنكِن أَيْنُلُواْ يَعْضَكُم يَغْض وَٱلَّذِينَ تُعْلُواْ فِي سَبيل ٱللَّهِ فَلَن يُعْمِلْ أَعْمَالُهُمْ.

تشجم الآية المسلمين على الجهاد، والقوة عند الحرب مع المشركين، وأهل الكتاب المعتدين. والمعني:

إذا لقيتم الكافرين في الحرب فاحصدوهم حصدًا ، واضربوا رقابهم ضربًا قاتلاً بالسيف ، حتى إذا

تمكنتم منهم ، وأكثرتم فيهم القتل والجراح واستسلموا لكم .

فَشَدُّواْ ٱلْوَلَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِنَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ...

أى: إحكام وثاق الأسرى حتى لا يفلتوا من أيديكم ولا يهربوا ، والإمام مفوض في اتخاذ الحلّ الأمثل والأنسب ، فله أن يمن عليهم ويطلق سراحهم بدون فداء ، وله أن يأخذ الفداء من الأسرى ، أو يبادلهم بأسرى المسلمين ، ونلاحظ أن قتل الكافرين مقيد بفترة الحرب ، فإذا انتهت الحرب ووقع جانب منهم في الأسر فلا بحون أن يقتل الأسب آخرج ابن جرير ، وابن مردويه ، عن الحسن ، قال : أتى الحجاج بأسارى ، فنفع إلى ابن عمر رجلاً يقتله ، فقال ابن عمر : ليس بهذا أمرنا ، إنما قال الله تعالى : حُتَى إِذَا ٱلْحُتُمُومُمُ فَشُدُّو ٱلْرُفَاقَ فَإِمَّا مَثَا بَعَلُ وَإِمَّا فقاءً ...

ومن ذلك نلمح روح الإسلام في الحرص على السلام ، فالحرب في الإسلام ضرورة لوقف الحدران ، وإزالة طواغيت الكفر ، ثم ترك الذاس أحرارًا في عقيدتهم .

قال تعالى : لاَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّين قَد تُبَيَّنَ ٱلرُّشَدُ مِنَ ٱلْغَيِّ . . (البقرة : ٢٥٦) .

وقال عز شأنه : وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَآجَنَّعُ لَهَا وَتَوَكُّلْ عَلَى ٱللَّهِ ... (الأنفال: ٦١).

حَتْنَىٰ تَصَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ...

حتى تنتهى الحرب، وبعد الحرب أحكام يجب احترامها، ومعافدات يجب المحافظة عليها.

ذَا لِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَا تَعَصَرَ مِنْهُمْ وَلَلْكِن لَّيْلُواْ يَعْضَكُم بِمُعْسِ ...

أى: ذلك هو الحكم فى قتال الكافرين ، والغلظة والشدة فى حريهم ، ولو أراد الله لانتصر منهم، بإهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من أنواع العذاب ، كالخسف والرجفة والغرق ، دون قتال منكم أيها المؤمنون، لكن الله تمالى أراد امتحان المؤمنين وابتلاءهم بإيجاب القتال عليهم ، حتى يرى منهم امتثال أوامره ، والرغبة فى الشهادة ، واحتمال الجهاد والقتال والجراح والآلام .

قال تعالى : كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُوهُ لَكُمْ وَعَسَىٰٓ أَنْ تَكَرَّهُواْ هَيْنًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰٓ أَنْ تُعْبِهُواْ هَيْنًا وَهُوَ شَرَّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَقَلُمُ وَأَنْهُمُ لاَ تَعْلَمُونَ . (البقرة : ۲۱۷) .

فالله تعالى يريد إعداد المؤمنين ، وخلق روح الكفاح والقتال فيهم ، وفي غزوة بدر رغب بعض المؤمنين في الاستيلاء على تجارة قريش عوضًا عن أموالهم التي اغتصبها الكفار بمكة ، وأراد الله أن يجعل من بدر ملحمة ، حتى يحق الحق وينصر الإسلام ، بسبب بطولة المسلمين رجهادهم ويلائهم .

قال تىمالى : وَإِذْ يَبِعَدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّالِهَتِينَ أَنْهَا لَكُمْ رَتِوُ قُونَ أَنْ خَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْعَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَتُوبِيهُ ٱللَّهُ أَن يُمِينُ ٱلْحَقْ بِكَلِيمَنِهِ وَيَقْطَعَ مَانِرُ ٱلكَنْفِرِينَ • لِيجِقُ ٱلْحَقَّ رَيْبِطِلُ ٱلْسَالِحُولُ وَك

وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلُّ أَعْمَالُهُمْ .

إن هرّلاء الشهداء الذين ضَحُوا بأرواحهم وأنفسهم ، وجادرا بها لنصر دين الله ، هوّلاء لن يذهب عملهم سدى ، ولن يضيع عملهم ولن يحيط ، ولن يفقد ثوابه وجزاءه ، ولهى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «يُفقر للشهيد كلّ شَرْء إلا الدّين» (°° .

٥ - سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ .

سيوفقهم الله لألوان الهداية والإيمان ، وهب الله وهب دينه وهب رسوله ، ويمنحهم الألطاف والسياد والتوفيق ، ويصلح حالهم وأمرهم ، ويجعلهم سعداء في الدنها ، وسعداء في الآخرة .

٢ - وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ.

وييسر لهم دخول الجنة التى وصفها لهم بأنها نعيم خالد : فِيهَا أَنَهُنرٌ مِّن مِّاءٍ غَيْرٍ ءَاسِنِ وَأَنْهُنرُ مَن لَّيْنِ لَّمْ يَتَكَنَّرُ طُغَمُّهُ، وَأَنْهُنرٌ مِنْ حَمْرٍ لَلَّةٍ لِلشَّنْرِينَ وَأَنْهُنرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفَّى وَلَهُمْ لِيهَا مِن كُلُّ الْفُعَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن وَيُهِمْ ... (محمد : ١٥).

ومن معانى هذه الآية أن المؤمن إذا دخل الجنة ، اهتدى إلى منزله بتوفيق الله وفضله .

ررى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «والذى نفسى بيده ، إنَّ أحدهم بمنزله فى الجنة ، أمدى منه بمنزله الذى كان فى الدنياء ٣٠٠ .

وقال مجاهد: يهندي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم ، وحيث قسم الله لهم منها ، لا يخطئون ، كأنهم ساكنهها منذ خلقه ا، لا يستدلون عليها أحدًا .

٧ - يَنَا أَيُهَا ٱللَّهِينَ ءَامَنُوٓ إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبَّتْ ٱقْدَامَكُمْ.

يا أيها الذين اختاروا الإيمان ، إن تنصروا دين الله وشرعه والجهاد فى سبيله ، فإن الله تعالي ينصركم على أعدائكم ، ويثبت أقدامكم فى مواطن الحرب ، أو على مصجة الإسلام ، ويعدكم دائمًا بالتمسك بالطاعة والتوفيق .

٨ - وَٱلَّذِينَ كَفُرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ .

والذين كغروا بدين الله ، ولم يصدّقوا بالإسلام ، فهلاكًا لهم وشقاء وتعاسة في الدنيا ، ولهم عذاب النار في الآخرة .

وَأَضَلُّ أَعْمَالَهُمْ.

جعلها ضالة لا ثواب لها ؛ لأنها كانت بدون إيمان.

إنَّ اللَّهُ إِنَّا إِنَّهُمْ كُوهُواْ مَا أَلزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ.

ذلك الإضالال بسبب كراهيتهم للقرآن الذي أنزله الله على رسوله ﷺ. وفيه التوحيد والعفة والاستقامة ، وتحريم الخمر والزنا والميسر، ورغبة الكافرين في إشباع ملذاتهم ، وإتباع أهرائهم .

فَأَخْبِطَ أَعْمَالَهُمْ.

أضاع ثوابها لعدم الإيمان ، أن أحيط عبادتهم للأوثان والأصنام وجعلها هالكة لا وزن لها ولا ثواب

قال الزمخشوي :

أى: كرهوا القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والأحكام ، لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان ني الشهوات والملاذّ، نشق عليهم ذلك وتعاظمهم .

من تفسير الجصاص

قال ابن عباس في قوله تعالى : مَا كَابِنَ لِتِي أَن يَكُونَ لَهُرَ أَسُوكَ حَتَّى يُلْعَمِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ... (الأنفال: ١٧). ذلك يوم بدر ، والمسلمون يومنذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم ، أنزل الله تعالى بعد هذا في الأسارى : إِنَّا مَثَّ يَعَدُّ وَإِمَّا فِلْمَاةٍ ... (محمد: ٤).

فجعل الله النبيَّ والدرَّمذين في الأساري بالخيار ، إن شاءوا قتلوهم ، وإن شاءوا استعبدوهم ، وإن شاءرا فادوهم ، أي يفعل الإمام ما يراه مصلحة حربية .

النظرفي آثار الأمم السابقة

﴿ أَهَلَة يَسِيمُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِيمَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمَّ دَمَّرَاللهُ عَلَيْحٍ وَلِلْكَفْيِنَ الْمَثْلَهُ اللهِ مَا الْمَائِلُ الْمُعْمِنَ اللهُ عَلَيْمُ اللهُ عَلَيْهُ وَلِلْكَفْيِنَ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ

المطردات :

ماة بالشرة ، وعاقبة كل شيء : آخره .

ومر الله عديهم واستأصل عليهم ما اختصهم به من أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

أم ف الساح المثال ثلك الماقعة .

مىسىولىسىن، ئامىر.

يت متاع الدنيا .

ويأكلون كما تأكل الأنعام : ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم ، ولا يلتفتون إلى العاقبة أو الآخرة .

م ومصير.

وكسايسن مسن قسريسة ، وكم من أهل قرية .

مسن قسريستك ، من أهل قريتك .

أهملك كالمتاهم ، بأنواع العذاب .

العقلية . حجة ويرهان ، وتشمل القرآن والحجج العقلية .

مسوء هسمسلسه ، كالشرك والمعاصى .

واتسب هسوا أهسوا همه في عبادة الأوثان ، فلا شبهة دليل لهم في ذلك ، والجواب عن قوله : أَفَهَن كَانَ . و كُمَن رُفِّنَ ، هو: لا مماثلة بين المؤمنين وكفار مكة .

نمهيك:

اون القرآن الكريم في أساليبه استلفاتًا للنظر، وتحريكًا للعقل والفكر، وهذا يحث الكافرين على السير في الأرض ، والتأمل قيما حولهم من القرى التي أهلكت ، مثل عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، لقد دمر الله هذه القرى على من فيها من الناس والأبناء والآباء ، والأحوال وسائر الممتلكات ، وكفار مكة معرَّضون لمثل هذا الهلاك والتدمير ، إن الله ولي المؤمنين وناصرهم ، وإن الكافرين لا يجدون وليًا ولا نصيرًا في الآخور ، إنَّ مأل المؤمنين جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وهذه المياه تنبت الأشجار والثمار والظل وألوان الفاكهة ، لذلك اكتفى هنا بذكر الأنهار ، لأنها ترشد إلى الخيرات التي ترتبط بها ، أما الكفار فإنهم يتمتمون بالملاد في الدنيا ، ويأكلون في بطونهم كما تأكل الأنمام ، بلا تدبر ولا تأمل ، والنار مصديهم لعدم إيمانهم ، ولكفرهم وعنادهم وجدودهم ، وكم أهلكنا من القرى الظالمة التي هي أشد قوة من مكة ، وهل يستوى من هو على يقين بالله ، وإيمان ثابت بريه ، والكافر الذي يرتكب المنحرات ، ويتلذذ بالمحرمات ، ويتم هوا وشيطانه ؟ والجواب : لا يستويان

قال تعالى : قُل لاَ يَسْعَوِى ٱلْحَبِيثُ وَٱلطَّيْبُ ... (العائدة : ١٠٠).

التطسيره

٩ - أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَنقِبُهُ اللَّهِينَ مِن قَلِهِمْ دَشّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَنفِرِينَ أَمْسَلُهَا .

أفلم يتأمل كفار مكة بالسير في الأرض ، أن التفكر بالعقل فيما أصباب المكتبين للرسل في القري المحيطة بهم ، مثل قرى قوم عاد وثمود ، وقوم لوط وأصحاب مدين ، فقد كذبت هذه القرى الرسل ، وعائدت واستكبرت ، وكفرت برسل الله ، فدمر الله هذه القرى على من فيها ، من الناس والأبناء والأمال وسائر الممتلكات ، وسيحيق بكل كافر ويأهل مكة أمثال هذا العقاب ، حيث أصابتهم فعلاً الهزيمة المنكرة في غزرة بدر الكبرى وفي فتح مكة ، ولهم عذاب أشد في نار جهنم في الآخرة .

٩ ٩ - ذَا لِكَ بَأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَنْفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ .

ذلك التدمير والاستنصال للكافرين ، والنجاة والنصر للمؤمنين ، بسبب أن الله ولى المؤمنين وناصرهم ، وأن الكافرين الجاحدين لا ناصر لهم ، ولا ولى يدفع عنهم العذاب ؛ فوقعت العقوية بهم .

سبب التزول ،

قَالَ قِتَادَةَ : نزلت الآية : ذَا لِكَ بَأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَأَنَّ ٱلْكَلْهِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ . يوم أحد .

حيث سأل أبو سفيان يوم أحد عن النبي ﷺ ، وعن أبى يكر وعمر، فلم يجبه أحد، فقال أبر سفيان: أمّا هزلاء فهاكوا، فأجابه عمر بن الخطاب رضمي الله عنه ، فقال : كذبت يا عنوّ الله ، بل أبقى الله تعالى ما يسورك ، وإن الذين عندت أحياء ، فقال أبو سفيان : يوم بيوم ، والحرب سجال ، ثم قال أبو سفيان : اعْلُ مُهل ~ اغْلُ مُبل ، فقال النبى ﷺ : «ألا تجيبون» ، قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ قال : «قولوا : الله أعلى وأجلُ» ، ثم قال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال النبى ﷺ : «قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم» .

١٧ - إِنْ ٱللَّهَ يُدَخِلُ ٱللَّذِينَ عَامَثُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَدْتِ جَنَّلَتِ تَحْدِي مِن تَحْفِهَا ٱلْأَنْهَـٰلُرُ وَٱللَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْهَـٰلُرُ وَٱللَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْهَـٰلُمُ وَٱللَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْهَـٰلُمُ وَٱللَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ كَمَا تَأْكُلُ اللَّهْ عَلَيْهُ مِنْ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ كَفْرُواْ يَتَمَتَّعُونَ كَمْ اللَّذِينَ عَلَيْهُ مِنْ لَمُعْمِلُوا اللَّذِينَ عَلَيْمُ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْنِ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْنِ اللَّذِينَ عَلَيْنِ اللَّذِينَ عَلَيْمُ إِنْ اللَّذِينَ عَلَيْنِ اللَّذِينَ عَلَيْنَ عَلَيْمِ وَاللَّذِينَ عَلَيْنِ اللَّهُ لِلللَّهِ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنِ عَلَيْنَ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنَ عَلَيْنِ عَلْلِينَ عَامِلُواْ الللَّهِ لَوْلَالِيلِينَ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنِ اللَّهُ لِللَّذِينَ عَلَيْنِ اللَّهُ لِلَوْلَهُ لِلللَّهِ عَلَيْنَ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللَّهُ لِللَّهُ عَلَيْنِ وَاللَّذِينَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنِ اللَّهُ لِلْمُ اللَّهُ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللَّهُ لِلْمُ اللَّهُ عَلَيْنِ عَلِيلُواللَّهِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ الللَّهِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللْعَلَقِيلُونَ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللَّهُ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللَّهُ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللَّهُ عَلَيْنَالِهُ اللَّهِ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلِيلُونَ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلَيْنِ الللَّهِ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلْمِ اللَّهُ عَلَيْنِ اللَّهُ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلَيْنِ الللَّهِ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلِيلِ اللَّهِ عَلَيْنِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ ع

إن الله الذي هو ُولى الذين آمنوا ، يختصهم بعنايته ورعايته ، وهو سبحانه يدخل الذين آمنوا وعملوا المسالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ، وفي هذه الجنات الأنهار والأشجار والثمار والحور العين ، ورضوان الله رب العالمين ، وفيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وَٱلَّذِينَ كَفُرُواْ يَتَمَتُّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَلَمُ وَٱلنَّارُ مَقْوى لَّهُمْ.

الكافرون تشقلهم الدنيا ولذائذها ، فهم حريصون على متعها ، والاستكثار من الطعام والشراب ، والخمر والمحرمات ، غير مفكّرين فى العاقبة ، كما تأكل الأنعام فى مسارحها ومعالفها ، غافلة عمّا هى بصدده من النحر والذبح ، أما منازل الكفار فى الآخرة فهى النار ، وما فيها من زقوم وحميم وغسلين، وعذاب وإمانة ، وغضب الحى القيوم .

روى البخارى ، ومسلم ، وأحمد ، والترمذى ، وابن ماجة أن رسول ﷺ قال : «المؤمن يأكل فى معى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمماءه ؟**.

قال فخر الدين الرازي في التفسير الكبير :

كثيرًا ما يقتصر الله على ذكر الأنهار في وصف الجنة ، لأن الأنهار تتبعها الأشهار ، والأشهار تتبعها الثمار ، والماء سبب حياة المالم ، والنار سبب الإعدام . ا هـ .

١٣ - وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَعِكَ ٱلَّتِيِّ أَخْرَجَتُكَ أَمْلَكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ.

كثيرٌ من القرى الظالمة ، مثل قرى عاد وثمود ولوجا ، كانوا أعتى وأقوى وأشد قدرة وقوة من أهل مكة الذين أخرجوك وعادوك ، وحاولوا قتلك أن نفيك أن حبسك ، ولقد أهلكنا كثيرًا من هذه القرى الظالمة مع تقوّتها ، ونحن أقدر على إهلاك أهل مكة ، لأنهم أقل شأنًا وقوة ممن أهلكنا من الظالمين ، وإذا كان الله قد أمهل أهل مكة إكرامًا لرسول الله ﷺ ، فإن ذلك أن ينجيهم من عذاب النار يوم القيامة .

أخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن الغبى ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار وأتناه، النفت إلى مكة وقال : «أنت أحب بلاد الله إلى الله ، وأنت أحب بلاد الله إلىّ ، وإولا أن المشركين أهرجونى لم أخرج منك» .

قال ابن كثير فى التفسير معقبًا على الأثر السابق: فأعدى الأعداه من عدا على الله تعالى هى حرمه، أو قتل غير قائله ، فأنزل الله على نبيه ﷺ: وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ لُوَّةً مِّن قَرْيَوكَ ٱلْحِيَّ أَخْرَجَتُكَ أَهْلَكُنْهُمْ فَلَا فُصِرَ لَهُمْ .

14 - أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيَّتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ, شُوَّهُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوٓا أَهُوٓا عَهُمٍ .

هذه آية تقارن بين الحق الثابت الأبلج ، والباطل وهو لجلج ، بين رسول الله ﷺ والوحي ينزل عليه ، واليقين مستقر في قلبه ، وأبي جهل وأمثاله ممن أغواهم الشيطان ، وزيّن لهم الكبر والطّلم والعدوان ، والكفر والبطر واتباع الهوى

قال المفسرون :

يريد بمن : كَانَ طَلَىٰ يَشَوْمُن رُبُّهِ. رسول الله ﷺ، ويمن : زُبِّنَ لَهُ مُوَّهُ عَمَلِهِ. أبا جهل وكفار قريش ، لكن الآية عامة ، والعبرة بعموم اللفظ، وفيه أن على المؤمن أن يكون على يقين وحجة ويبنة في دينه وإسلامه.

وهي معنى هذه الآية نجد قوله تعالى : أَقَمَن يَعْلُمُ أَلَمَا أَنْزِلُ إِلَيْكَ مِن رَبُكَ ٱلْمَقُ كَمَنْ هُرَ أَهُمَى ... (الرعد: 19)

. وقوله تعالى: لا يَسْتُونَ أَصْحُلْبُ آثارِ وَأَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَالِزُونَ . (المدر: ٢٠).

سفة نعيم الجنة وعذاب النار

﴿ مَسَٰلُ لَحَنَةَ الَّذِي وُعِدَ الْمُنْقُونَ فِيهَا آنَهَرُّين مَلَهَ عَيْرِءَ اسِنِ وَأَنْهَرُّ مِن لَهَ لِ لَمَ يَعَيَرَ طَعْمُهُ وَاكْهَرُّ مِنْ حَرِّلَدَّ وَلِلشَّذِينِ وَأَنْهَرُّ مِنْ حَسَلِهُ صَعَى وَلَهُمْ فِهَا مِن كُلِّ الشَّمَرَتِ وَمَغْفِرةٌ مِن زَبِيهُمْ كَمَنْ هُوحَذِلِدُّ فِيلَالْنَارِ وَمُشُواْ مَاتَّ جَمِيدًا فَقَطْمَ الْعَالَةَ هُرُّ شِي ﴾

المطردات :

مثل الجنة: الرصف العجيب للجنة وصفتها.

لم يتغير طعمه: لم تصر فيه حموضة كألبان الدنيا.

اللذيذ. تأنيث لذًا، وهو اللذيذ.

مصسطسين خابِمن الشمع ومن جميع العلائق والمخلَّفات،

حسمسيسمساء حارًا بالغ الجرارة .

الأمسهبساء، جمع معي ، وهو ما ينتهي إليه الطعام في البطن .

التفسيره

١٥ - مَثَلُ ٱلْجَنْتَةِ النِّي وُعِدَ ٱلْمَتْقُونَ فِيهَا ٱلْهَارْ مَنْ مَاءٍ عَنْدٍ عَاسِنِ وَٱلْهَارْ مَنْ تَمْنِ مَنْ حَمْدٍ عَاسِنَ وَٱلْهَارْ مَنْ عَشَلِ مُصَلِّمَ وَلَهُم فِيهَا مِن كُلِّ ٱللَّمَرَاتِ وَمَلْفِرَةٌ مَن رَبِّهِم كَمَنْ هُوَ حَدْلِدْ فِي آثارِ وَسُقُواْ مَاءً لَمْ اللَّمْنَ أَلْمَدَانِهُمْ أَمْنَا عَمْمُ.

تمهيد :

يصف القرآن نعيم المتقين ، فيذكر أحيانًا نعيم الجنة الحسنَ ، وأحيانًا ما هو أعلى وأسمى ، وهو رضوان الله ومودته ومعيته سبحانه ، مثل : إِنَّ ٱلَّذِينَ وَاثَنُواْ وَهَيُّواْ ٱلصَّالِحَلْتِ سَيَجَعَلَ لَهُمُ ٱلرَّحُمُلُ وَقًا . (موم : ١٦)

والله تعالى عليم بعباده ومشاريهم وأذواقهم وطوائفهم.

وهذا يفصل القرآن نعيم الجنة ، ويشرُق المتقين إلى ما فيها ، وكل ما فيها طيّب طاهر نظيف ، طارج. مشرق : وَفِهَا مَا تُسْتَهِمِ ٱلْأَفْسُ وَتَلَدُّ الْأَقْسُ وَأَنْهُمْ فِهَا خَلِلُونَ . (الرّمِق : ٧) .

ومعنى الآية :

صفة الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين ، الذين راقبوا الله وأطاعوه ، فاستحقوا أن يذالوا جزاءه في الآخرة ، في هذه الجنة ما يأتي :

- ١ أنهار من ماء طازج لم يداخله كس، ولم يتغير لونه أو طعمه.
- ٢ أنهار من لبن سليم طازج لم يتغير طعمه بحموضة أو رائحة كريهة كألبان الدنيا .
- ٣ أنهار من خمر لذيذة الطعم ، ليس فيها كراهية ريح ، ولا غائلة سكر ، ولا يجد شاربها إلا اللذة والمتعة .
- أيهار من عسل مصنعًى ، قد صُفّى من القذى ، وما يكون فى عسل الدنيا قبل التصفية ، من الشمع
 وفضلات الذحل وغيرها .

ه ~ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلُّ ٱلْفَعْرَاتِ ... وأنواع الفاكهة اليانعة ذات الألوان البديعة ، والروائح الذكية ، والمعهم الشعبة .

كقوله تعالى : يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنْكِهَةٍ ءَامِنِينَ . (الدخان : ٥٥) .

وقال سيحانه : فيهما مِن كُلِّ فَلْكِهَةٍ زُوْجَانِ . (الرحمن : ٥٢) .

٣ - وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ ... أي : وقد غفر الله ذنويهم ، وسترها عليهم ، وأمُنْهم يوم الغزع الأكبر ، وتجاوز عن
 السيئات ، وكافأهم على الحسنات بفضله ورحمته .

وبذلك جمع لأهل الجنة بين التعيم الحسى والتعيم المعنوي فيما يأتي:

١ - الماء : وبدأ به لأنه لا يستفنى عنه في الدنيا .

٢ - اللبن : وهو يجرى مجرى الطعوم لكثير من العرب في غالب أوقاتهم ، فهو حاجة من حاجات الجسم .

٣ - الخمر: وهي لذة ونعيم لمن استوفى الضروريات والصاجيات، واحتاج إلى اللذائذ والكماليات.

£ — العسل : وفيه الشقاء والحلاوة :

٥ -- المغفرة والستر والرحمة ، والتجاوز والحنان والفضل من الله .

ثم قارن بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ، فقال :

كُمَنْ هُوَ خَلْلِدٌ فِي آثَارِ وَسُقُواْ مَآءٌ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْقَآءَهُمْ.

أى: أيسترى النعيم الحسى والمعنرى لأصحاب الجُنة بعذاب أهل النار، وخلودهم فى الجحيم هلويًا أبديًّا سرمديًّا، فم يُكَلُفون بشرب ماء الحميم الذي يغلى غلياتًا شديدًا، ويشوى وجوههم وفروة ررُوسهم، وفيه مع حرارته ما يُقطع الأمعاء ويذيبها لتنزل من أدبارهم .

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب أهل النار ، اللهم أجرنا من النار ، ومن عذاب النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار ، بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار ، اللهم آمين .

أوصاف المؤمنين والمنافقين

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَعِمُ إِلَيْكَ حَتَى إِذَا خَرَحُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوثُوا ٱلْمِهْرَ مَاذَا قَالَ اَنفَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَّمَاللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَالْبَعْوَاأَهُولَةَ هُرَّ اللَّذِينَ الْمَنْدُواْ زَادَهُمْ تَقُونَهُمْ اللَّهِ فَهَلَيْنُظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ اَن تَأْنِيهُم بَعْنَةٌ فَقَدْ جَلَةَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّ لَهُمْ إِنَاجَاتَهُمْ ذِكْرَنَهُمْ اللَّهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِلَّا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْهِكَ وَلِلْمُوْمِينِينَ وَالْمُوْمِينِينَ وَالْمُوْمِينِينَ وَالْمُوْمِينِينَ وَاللَّهُ عَالَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْهِكَ وَلِلْمُومِينِينَ وَالْمُؤْمِينِينَ وَاللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْهِكَ وَلِلْمُومِينِينَ وَالْمُؤْمِينَ وَاللَّهُ وَالْمُولِينَا وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولِيلُونَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ

المفردات ،

النبين أوتوا العلم: الصحابة الذين وعوا حديث رسول الله على

المستقسساء سابقا.

طبع الله على قلوبهم : ملذس الله على قلوبهم وختم عليها .

آتـــاهــــه : ألهمهم .

ب ف ت داه.

.

أشرراطها علاماتها .

شمائسي السهسم «كيف لهم .

ذكرهم.

مستسقسلسيسكسم؛ تصرفكم وتقلبكم لأشفالكم في الدنيا.

وممسط المساق المساكنة عن مما وكام إلى مضاجعكم في اللهل ، وإما مأواكم في اللجنة أو النار. أي: هو عالم بجميع أحوالكم في الدنيا والأخرة ، لا يخفي عليه شيء منها .

تمهيد،

هذه آيات تتحدث عن المنافقين ، فالعظة لا تصل إلى قلويهم لانطماسها بما يشغلها من الدنيا ويبعدها عن الإسلام ، وقد كان النبي ﷺ يخطب الجمعة وأحيانا يتناول المنافقين بما يسرءهم ويكشفهم، ويعرّى رذائلهم ، فإذا خرجوا من خطبة الجمعة قال المنافقون لعبد الله بن مسعود ولعبد الله بن عباس : ماذا قال آنذاً ؟ يقولون ذلك استهزاء واستكبارًا . إن تلوب المنافقين قاسية ، لم تتفتح للهدى والإيمان ، وتلوب المرّمنين فيها هداية زادها الله
هداية ، ومنحهم التقوى والقبول ، إنّ القيامة قادمة ومحمد ﷺ من أشراطها ، ثم تضاطب الآية رسول الله
ﷺ مع أمنّه ، أنّ داوموا على الإيمان بالله وتصديق رسوله ، والاستغفار والتوية ، والله تمالى عليم
بحركتكم بالنهار، ويهجوعكم بالليل، أو هو عليم بأعمالكم في الدنيا، وينهايتكم في الآخرة ، وسيجازيكم
على ذلك بما تستحقون .

التفسير،

١٦ – وَمِنْهُم مِّن يَسْقَعِمُ إِلَيْكَ حُتَّى إِذَا حَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ عَالِمًا أَوْلَائِكَ ٱللَّذِينَ ضَيَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلْدِ بِهِمْ وَٱلْتُهُوزَا الْفَوْرَاءُهُمْ.

من هؤلاء الكافرين أن المتافقين من يستمع إليك وأنت تضلب الجمعة ، أن تقرأ القرآن ، وتشرح أمور الإسلام ، لكنه يسمع غافلا لاهيا ، بدون قلب حاضر أن همة في الاستفادة ، أن رغبة في معرفة الإسلام - والقرآن .

فإذا خرجوا من عند النبي ﷺ المهوا إلى أصحابه ﷺ، الذين حرصوا على كلامه ، واهتموا بما يقول، وعندنذ يسأل المنافقون عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأشهاههما : ماذا قال محمد آنفا ؟ وربما كان المقصود السخرية ، أي : هل يستحق كلامه أن تحرصوا عليه ؟ وهل يُلهم كلامه ؟

والقصد من المنافقين إشاعة البليلة والحيرة ، إنهم قوم قست قلوبهم ، وانحرفت عن اتباع الدين ، ورغبت في اتباع الهوى والملذات والمنكرات .

١٧ - وَٱلَّذِينَ آهْتَدُواْ زَادَهُمْ هُدَّى وَءَاتَنَهُمْ تَقُولُنَّهُمْ.

إذا كان الكفار والمنافقون قد أعرضوا عن الهدى فطمس الله على قلويهم ، كما قال تعالى : بَلُّ رَاثُ عَلَىُ اللَّهِمِ مَّا كَاثُواً يُكَجِّبُونُ . (المطفقين : ١٤) .

ف إن المؤمنين الذين أحبوًا الإسلام وامتدوا بالقرآن ، قد زادهم الله مداية وتوفيقا ، ومخمه التقوى ، وهي مراقبة الله ومحبته ، والإخلاص في طاعته ، والإيمان به ، وإيثار مرضاته ، والالتزام بتنفيذ أو امره ، والابتعاد عما نهي عنه .

قال الإمام على: التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقيل: التقوى هى ذوبان الحشا لما سبق من الخطا، وقيل: التقوى هى ألا يراك حيث نهاك، وألا يفقدك حيث أمرك، وكلها تلتقى على أن التقوى حالة من الشفافية والإيمان، والمحبة لله وطلب القرب منه، والتزام طاعته وابتفاء مرضاته. ١٨ – فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَعْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتُهُمْ ذِكْرَ لِهُمْ.

متى يتحرك مؤلاء الكفار إلى التوية والإيمان ، قبل أن يفاجئهم الموت ، إن من مات فقد قامت قيامته ، أي : مل ينتظر مؤلاء الفافلون اللاهرن إلا القيامة تفاجئهم ، وتنهى حياتهم فجأة .

فقد جاءهم محمد ﷺ ورسالته من علامات الساعة ، وفي عمديح البخاري أن النبي ﷺ قال : «بُعثنُ أنا والساعة كهاتينَ» ، وقرن بين أصبعيه الوسطى والسباية .

وقد جاء في أسماء الرسول ﷺ أنه نبى التوية ، ونبيّ الملحمة ، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه ، والعاقب فلا نبيّ بعده .

فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتُهُمْ ذِكْرَ سُهُمْ.

من أين لهم إذا جاءتهم الساعة وانقطعت آجالهم ، أن يتذكروا ويستمتهوا؟ فقد فات أوان ذلك ، وذهب وقت التذكر ، فقد عُمُروا ما يتذكر فيه من تذكر وجاءهم النذير ، وفي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت .

١٩ - فَأَخْلَمُ أَنُّهُ لاَ إِلَّهَ إِلَّا اللَّهُ وَآسْتَغْفِرْ لِلنَّبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَغُو سَكُمْ.

الخطاب لرسول الله ﷺ ، والمراد كل من يتأتى منه العلم ، أى : اندد يقينا وعلما وإيماناً بأن الكرن جميعه ليس له إلا إله واحد ، هو الله الواحد الأحد الفرد الممد ، وكُر الاستففار والتوية والإنابة وطلب المففرة ، وستر الننوب ومحو السيئات، وتثبيت الحسنات ، وادح الله أن يغفر لك وللمؤمنين والمؤمنات .

وقد أورد ابن كثير في تفسيره طائفة من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تدلّ على فَصْل الاستففار، ومنزلته العالية في مففرة الذنب ، ومن هذه الأحاديث ما يأتي : —

فى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول فى آهر الصلاة : «اللهم لفقر لى ما قدمت وما أهرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منّى ، أنت إلهي لا إله إلا أنت» .

وفي المحديح أنه ﷺ قال : «يا أيها الناس ، توين إلى ريكم فإنّى أستففر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سيعين مرّة،

وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَفَلَّبَكُمْ وَمَثْوَ سَكُمْ.

والله تعالى مطلع وعالم بمتقابكم وتصرفاتكم في نهاركم، ويعلم ، مُثُوِّ للكُمُّ. ومستقركم في ليلكم.

كقوله تعالى: وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَقُّكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ... (الأنعام: ٦٠).

وقوله سبحانه: وَمَا مِن دَاَّيْةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزَّلْهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَسْهِم مُسِينٍ . (مود: ١٠).

وعن ابن عباس قال: مُعَقِّبُكُمْ. في الدنيا، وَمَعْوَسْكُمْ. في الآخرة.

وقال السدّى: مُتَقَلَّبُكُمْ . في الدنيا ، وَمَفُونَكُمْ . في قبوركم .

وأرى أن الآية تتسع لتناول الوجوه المذكورة كلّها ، فالله سبحانه مطلع وعالم بحركاتنا بالنهار ومثوانا بالليل ، وهو عالم في نفس الوقت بحركتنا وعملنا في الدنيا ، ومثوانا في قبورنا ، ومآئنا في آخرتنا ، والله أعلم .

حال المؤمنين والمنافقين عند نزول سورة

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ عَامَنُوا لَوَلا نُزِكَ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْدِلَتْ سُورَةٌ تَعْكَمُهُ وَذُكِرَفِهَا الْفِسَالُّ رَأَيْنَ الَّذِينَ فِي فُلُومِهِم مَسَرَثُ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْفِي عَلَيْهِ مِنَ الْمُوتِ فَأَوْلَ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَلْ مَمْدُوكٌ فَإِنَا عَزَمُ الْأَمْرُ فَانَوصَدَفُوا اللّهَ لَكَانَ فَيْرَا لَهُمْ ۞ فِهَلَ عَسَبَّتُ إِن تَوَلَيْتُمْ أَنْ تُغْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقطِعُوا أَرْمَامَكُمْ ۞ أُولَتِكَ الَّذِينَ لَمَنَهُمُ اللّهُ وَأَصْعَدُمْ وَأَصْعَمَ أَصِّعَتُمْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ المُعْمَدُونَا أَنْهَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

المطرداتء

ولا ، كلمة تفيد الحث على حصول ما بعدها ، أي : هالاً أنزلت سورة في أمر الجهاد.
 مرح > مرح - يدينة واضحة لا احتمال فيها لشيء آخر.

المقشى هليه من الموت : مَنْ حضرته أعراض الموت وغشيته.

اواسي السيد من ويل لهم ، كما قال تعالى: أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ، (القيامة: ٣٤) .

عسيتم، قاريتم.

تس<u>ول من ستسم</u>م، توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم ، أن تعودوا إلى أفعال الجاهلية ، من قطع الأرحام ، والإفساد في الأرض ، أن إن توليتم وأعرضتم عن هدى القرآن ، أن تعودوا كفاراً تقطعون الرحم وتفسدون في الأرض .

أولينا المفسدون

ليهستسهم السلسه وطردهم الله من رحمته .

فيامين الحق .

تمهيد،

تفيد الآيات موقف المؤمنين والمنافقين من الآيات العملية ، التي تحث على الجهاد والزكاة والصلاة، فالمؤمنون يتشرِّقون لنزول سورة تحث على الجهاد والزكاة ، وتكلِّفهم بما يقرِّهم من ريهم ، أما المنافقون فإذا سمعها الآيات التي تحث على الجهاد والزكاة فإنهم يصيبهم الهول والويل ، فلو صدقوا الله في الجهاد لكان طريقهم إلى الجنة مفروشا بالعمل الصالح وحسن الذية .

ثم تقول الآيات : جدير بكم إذا توليتم وأعرضتم عن هدى القرآن وتكاليف الإسلام ، أن تعودوا إلى صفات الجاهلية ، وهى الفساد فى الأرض ، وتقطيع الأرحام ، ومن قعل ذلك فقد لعنه الله وطرده من رحمته ، وأعمى بصيرته عن رئية الحق ، والاهتداء بآيات الله .

التفسيره

٠ ٢ - وَيُقُولُ ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ لَوْلاَ نُوْلُتُ سُورَةٌ فَإِذَا أَنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمُةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِسَالُ وَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُومِهِم مُرَحَّلٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظُرَ ٱلْمُنْفِينَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمُؤْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ .

يتشوق المؤمنون إلى نزول آيات من كتاب الله ليتسابقوا إلى العمل بما فيها من تكاليف أو جهاد، ويقولون: هلا أنزلت على رسول الله ﷺ سورة جديدة ، لنستمع إلى وحى السماء، وننفذ أوامر رينا إذا طلب منا الجهاد، فإذا أنزل الله سورة محكمة ، واضحة في أوامرها ، لا تحتمل وجها آخر، بل هي صريحة في طلب الجهاد ، فإن المثاقفين يعتريهم الخوف والخور ، والجبن والتردد ، وينظرون إلى النبي ﷺ ، نَطُنَ الْمَخْشِيّ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْفَ والجبن.

فَأَوْلَىٰ أَهُمْ . أَى : فالويل والهلاك لهم ، كما قال سبحانه وتعالى : أُوْلَىٰ لَكُ فَأُوْلَىٰ هَ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . (القيامة ٣٤: ٣٥) . آى : هلاكا وسعيرا لك .

ويجوز أن يكون المعنى كالآتي :

فَأُوْلَىٰ لَهُمْ . أي : أفضل لهم وأولى بهم أن يطيعوا الله ورسوله ، وأن يقولوا : طاعة وقول معروف .

وهى معنى هذه الآية قوله تعالى: أَلَّمْ مَنْ إِلَى الَّذِينَ قِبِلْ لَهُمْ كُفُّواَ أَلْدِينَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلَوْةَ وَعَالُواْ الزِّكُوّةَ فَلَمَّا كُيبَ عَلَيْهِمُ الْقِبَالُ إِذَا فَرِيقٌ مَنْهُمْ يَمْخَشُونَ النَّاسَ كَمَخْشِيَةِ اللَّهِ اَلْ أَشَادُ خَشْ أَمْرُكَنَا إِلَىٰ آجَلَ فَرِيبٍ فَلْ مَنْكُمُ اللَّذِي فَلِيلُ وَالْاَجِرَةُ عَشْرٌ لَمْنَ الْقَبْلُ وَلَا يَش

٢١ - طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مُعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَاتُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ.

أى: طاعة وقول معروف خير لهم ، أو: فَأَرْنَى نُهُمْ . أى: خير لهم طاعة وقول معروف ، فيا ليتهم في وضع أفضل مما هم عليه ، بحيث يقابلون طلب الجهاد ، بقولهم : طَاعَةٌ . لله ورسوله واستجابة لأمرهما ، ويقولون : سمعنا وأطعنا .

فَإِذَا عَرْمَ الْأَكْرُ ... أَى : جِدُّ الجِد ، وجاءت ساعة الصَّفر ، وبدأ تنفيذ الجهاد عمليا ، فلو صدقوا الله في الإيمان والعزيمة والجدَّ ، وانضموا قولا وعملا وسلوكا وتنفيذ الجيش المسلمين ، لكان ذلك خيراً لهم ، حيث بمصلون على المُغنيدة عند النصر ، أو الثواب على الجهاد ، والجنة في الأخرة .

٢٧ – فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِئُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطَّقُواْ أَرْحَامَكُمْ.

جدير بكم إذا أعرضتم عن الجهاد ، وعن تنفيذ أوامرالله ، أن تعودوا كما كنتم فى الجاهلية ، تفسدون فى الباهلية ، تفسدون فى الباهلية ، تفسدون فى الأرض بالنّه ب الفارة ، وتقطعون الرحم التى أمر الله بصلتها ، فالآية تهديد ووعيد للمنافقين ، وبيان لهم بأن ترك الالتزام بأمر الله وترجيه رسوله من شأنه أن يشيع الفرقة والتنازع بين المنافقين والأمّة المسلمة، فيعود المجتمع فى المدينة إلى حالة من الفوضي ، ينتشر فيها القتل وسفك الدماء والفساد فى الأرض ، وتقطيع الأرحام بين أفراد الأمة الواحدة ، أن بين القريب والقريب ، حيث يتقاتل المنافقين مع المؤمنين ،

وجور بعض المفسرين أن يكون المعنى في هذه الآية كما يأتي:

فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس وتأمُّرتم عليهم ، أن تفسدوا في الأرض ، وترجعوا إلى التناهب والقتل ، وقطع الأرحام ، ووأد البنات كما كنتم في الجاهلية ، وتخصيص الأرحام بالذُّكَر تأكيد لحقّها ، وتحذير للناس من قطع الرحم . قال تعالى: وَٱللُّهُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي تَسَآعَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ ... (النساء: ١).

٧٧ - أُوْلَامِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمْهُمْ وَأَعْمَىٰ ٱلْمُصَارَهُمْ.

مولاء المفسدون في الأرض ، القاطعون للرّحم ، هم الذين لعنهم الله قطردهم من رحمته ، وجعلهم حياري لا يهتدون إلى طريق الإيمان ، ولا يوفّقون إلى هداية الرحمان ، فأذانهم صماء لا تسمع الهدى لأنهم تصامعوا فأصعهم الله ، وتعاموا عن النظر في أفاق الكون ، وفي الأدلة الساطعة على وجود الله وعظمته ، فأعمى الله أبصارهم ويصائرهم ، وأظلم قلوبهم فصارت قاسية لا تلين لذكر الله ، ولا تستجيب لدعوة الهدى.

من تفسير ابن كثير

أورد الحافظ ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية طائفة من الأحاديث والآثار في الحث على صلة الرحم، وفضل صلة الرحم ، وعقوبة قطيعة الرحم ، وهي في جعلقها تهيب بالمسلم أن يعمل الآتي :

١ -- الحرص على صلة الرحم ، ورعاية الأقارب ، والسؤال عنهم ، وزيارتهم والعطف عليهم.

٢ - مقابلة الإساءة بالإحسان ، حتى لا تقطع الأرحام ولا يعم الجفاء بين الأقارب.

روى البخارى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : «خلق الله تعالى الخلق ، فلما فرغ منه قامت الرحم ، فأخذت بحقوى الرحمان عزَّ رجلٌ ، فقال : مه ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من رصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لك» . قال أبر هريرة رضى الله عنه: اقرأوا إن شئتم : فَهَلَ عَسَيْمٌ إِن تَوَلَّيْمٌ أَنْ تُصِدُواْ فِي آلاً رَضِ وَتُفَكِّمُواْ أَرْحَاكُمُ .

رورى الإمام أحمد ، عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته فى الدنيا ، مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة ، من البشى وقطيعة الرحم» .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن لى ذوى أرحام ، أصل ويقطعون ، وأعفو ويظلمون ، وأحسن ويسيئون ، أفأكافتهم ؟ قال ﷺ : «لا ، إذن تتركون جميعاً ، ولكنَّ جُدُّ بالغضل وصلهم ، فإنه لن يزال معك ظهير من الله عزَّ وجِلُّ ما كنت على ذلك». أخرجه أحمد.

وروى الإمام أحمد ، والبخارى ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الرحم مطقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» . وفي الحديث القدسى : «قال اللهُ عزَّ وجلُّ: أنا الرحمان ، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى ، يُمن يصلها أصله ، ومن يقطعها أقطعه فأيثُه ، أخرجه أحمد .

وقال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها التلف، وما تذاكر منها اختلف» ، وفي النطف» . وفي المحدث قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهر القول وخزن العمل ، وانتلفت الأسنة وتباغضت القلوب، وقطع كل ذى رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم» . أخرجه الإمام أحمد ، والأحاديث في هذا كثيرة ، والله أعلم . ""

أحوال المنافقين

المفردات،

يستسد بسرون السقسران ، يتفهمونه ويتأملون ما فيه من وصايا وتصائح.

أقصد السهداء مفاليقها التي لا تفتح.

سميدول المسهدم اسهل لهم وزين لهم.

وأنسط من السهسم: مدُّ لهم في الأماني والأمال.

فكيف إذا توفتهم الملائكة ، كيف حالهم ، أو كيف يعملون ويحتالون حينتُذ .

يضريون وجوههم وادبارهم : تصوير للأهرال والفظائم التي يشهدها المنافقون عند الموت ، حيث تصرب الملائكة وجوههم والبارهم :

احمال وأذهب

المسلسل المساد معم ضيفن .

المحاريضة .

تمهيده

تصور الآيات موقف المنافقين في المدينة ، بعدما عظم شأن النبي ﷺ ، وانتصر في معظم غزواته، فأظهروا الإسلام أمام الناس ، وارتدوا على أعقابهم إلى الكفر سرًّا ، وقد زين لهم الشيطان ذلك ومثَّاهُم ومدُّ لهم في الأمل.

وقد كانت هناك موالاة بين المنافقين واليهود ، وكان اليهود أهل كتاب ، والتوراة بين أيديهم تبشر بشرور وسول قد أخل زمانه ، فلما ظهر الرسول من نسل إسماعيل – ولم يكن من نسل إسماق – كره اليهود رسالته ، وكرهوا هجرته إلى المدينة ، وأصبح اليهود شياطين للمنافقين ، يحركونهم إلى الشر، وتم التنسيق بين المنافقين واليهود .

فقال المنافقون لليهود سرا: سنقف معكم عند الحممار والحرب. والله سبحانه مطلع على أسرار هزلاء المنافقين.

ثم تعرض الآيات موقف المنافقين عند الموت والغُرغُرة ، والإنسان في أضعف حالاته ، والملائكة تضرب وجوههم، وتضرب أدبارهم التي ارتدوا عليها ورجعوا إلى الكفر بعد الإسلام، ذلك لأن المنافقير ساروا على طريق يغضب الله، ولا يرضيه، فأصاب أعمالهم بالإحباط والضياح،

وهنا يهدد الله المنافقين بأن يكشف سترهم، وأن يُطلع الرسول ﷺ على خباياهم، فيعرفهم بأشكالهم، ويعرفهم بطريقة كلامهم، والله سيحانه مطلع عليهم.

التفسيره

٢٤ - أَفَلَا يَعَنَبُّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالُهَا .

هلا تدبر هولاء المنافقون أو الكافرون القرآن ، وأمعنوا النظر والتأمل في هداياته وآدابه وتشريعاته وحلاله وحرامه، وقصصه وأمثاله، وما اشتمل عليه من عظات وعبر تفتح القلوب ، وتلين لها الأفئدة، وتخشع لها الجبال الراسيات ، لكن هؤلاء لم يهتدوا ، فهم بين أمرين : إما أنهم لا يتأملون القرآن ولا يتدبرون ما فيه ، وإما أنهم يتدبرون ويقرأون القرآن، لكن قلويهم مغلقة، كالبيوت التى وضعت الأقفال على أبوابها، فلا يستطيع الإنسان دخولها .

وظاهر الآية أنها خطاب لجميع الكفان خصوصا المنافقين، والآية توبيخ لهم، وأمر بتدبر القرآن وتفهمه، ونهى عن الإعراض عنه، وقد وردت محققة لمعنى الآية المتقدمة ، فإنه تعالى قال : أُولُسِّكُ ٱللَّبِينُ التَهُمُّ اللَّهُ فَأَصْبُهُمُ وَأَهْمَى أَيْصَرُوهُمْ . (مصد: ٢٢) .

لقد طردهم الله من رحمته بسبب نفاقهم ومرض قلويهم وخيانتهم.

قال تعالى : فِي قُلُوبِهِم مُرَضٌ فَوَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَلَىابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَالُواْ يَكُلِبُونَ . (البقرة : ١٠).

٥٧ - إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَى ٓ أَذَبُـ هِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبْينَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَانُ سُوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ .

قيل : إن هذه الآية نزلت فى بعض المنافقين، الذين خالطوا المسلمين بشاهدوا هداية الله لهم، ثم رجعوا إلى الكفر، وقيل : نزلت فى بعض اليهود، دخلوا فى الإسلام، وشاهدوا هداية القرآن، وتوفيق رأمانة الرسول محمد ﷺ ثم مرشت قلويهم وحقدوا وحسدوا رسول الله ﷺ، فعادوا إلى اليهودية، وقيل : نزلت فى بعض الكفار.

والأولى أن نقول: إن الآية عامة، وتشمل كلُّ من تنطبق عليهم -

والمعنى:

إن الذين دخليا في الإسلام ، ثم تكصوا على أعقابهم ، ورجعوا إلى الضلال بعد أن تبين لهم الهدى، وعالوا إلى الكفر بعد أن شاهدوا نور الإسلام ، وإعجاز القرآن وفضله ويركته وهدايته ، وآدابه وتشريعاته ، هؤلاء وقعوا أسرى لإغراء الشيطان ، ووسوسته لهم بطول الأمد والاغتراف من الملذات ، والمغانم الدنيوية ، نأترى العاجلة على الباقية ، كما قال تعالى :

بَلْ تُولِرُونَ ٱلْحَيَارَةَ ٱلدُّنيَّا ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ . (الأعلى: ١٧،١٦).

٢ ٧ - ذَا لِكَ بَأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَتُطِيعُكُمْ فِي بَعْض ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَازَهُمْ .

ذلك الارتداد والعمى ، والكفر بعد الإيمان ، يسبب أنهم بيّنوا السوء والكيد للمسلمين ، فقال المنافقون لليهود الذين كرهوا ما أنزل الله تعالى من القرآن الكريم على رسوك محمد ﷺ حقداً وحسداً ، على أن يتفضل الله بهذه النم على رجل من نسل إسماعيل ، وليس من نسل إسحاق . وفيهم قال سبحانه : أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَّا ءَاتَنْهُمُ ٱللَّهُ مِن فَصْلِهِ ... (النساء : ٥٤) .

لقد قال المنافقون لليهود سرا: نحن أولياؤكم ، سنطيعكم في بعض الأمر، وهو عداوة محمد ﷺ والتكاسل عن الجهاد معه، والانضمام إليكم إذا أهرجتم من العدينة، ونُصْركم عند القتال، والله تعالى مطّلعٌ على عفاياهم وخباياهم وإسرارهم، وإسرارهم بالكسر مصدر السرّ، وقرئ بفتح الهمزة: أسرارهم ، جمع سر، فهو عالم بالخفايا، يحاسبهم يوم القيامة على ما تكنّ صدورهم من عداوة للإسلام والمسلمين .

وهى معنى هذه الآية قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ لَلْقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَالِهِمْ اللَّذِينَ كَفُوواْ مِنْ أَهُلِ الْكَيَسْبِ لِيَنْ أُخْرِجُمْهُ تَنْظَرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيحُ لِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ لُوتِكُمْ لَسَكُورُكُمْ لا يَخْرُجُونَ مَعْهُمْ وَلِينَ لُوتِلُواْ لا يَعْسُرُولُهُمْ وَلِينَ لَعَرُوهُمْ لَيَوْلُنَّ الْأَفْتَارُ ثُمَّ لا يُعْسُرُونَ . (الحدن ٢٠٠١).

٧٧ - فَكَيْفَ إِذَا تَوَقَّتُهُمُ ٱلْمَلَامِكَةُ يَصْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ.

كيف يكون حال هزلاء العصاة المنافقين إذا ما انتهت حياتهم ، وحضرت الملائكة لاستخراج أرواحهم ، وتعاصت الأرواح عن الخروج من الجسد ، واشتدت الحشرجة ، والملائكة يضربون وجوههم من الأمام ، وأدبارهم من الخلف ، هل يستطيعون أن يتلوّنُوا أن يتافقوا عند موتهم، وهو آت لاشك في ذلك ؟

وقد جاء هذا المعنى فى قوله تعالى: وَلَوْ تَوَكَّ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ ٱلْمَلَّكِكُةُ يَشْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَسْرُهُمْ وَذُولُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ هَ ذَالِكَ بِمَا قَلْمَتْ أَيَّدِيكُمْ وَأَنْ ٱللَّهُ لَيْسَ بَطَلَّـمِ لَلْعَبِد . (الانشال: ٥٠ . ٥٠).

وقال تعالى : وَلَوْ نَوَىٰٓ لِوَ الطَّلِمُونَ فِي خَمَرَاتِ الْمُؤْتِ وَالْمَلَئِكُةُ بَاسِطُواْ أَلْيَبِهِمْ أَشْرِجُواْ أَنْفُسَكُمُ الْهُوْمَ تُعِثَرُونَ عَلَمَاتِ الْهُونِ بِمَا كُمُمُ تُقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْمُؤَلِّ وَكُمْمُ عَنْ عَائِمُو مُسْتَكُمُّرُونَ . (الانداء: ٩٠).

قال المفسرون : وضرب الوجوء والأدبار زيادة فى المهانة والإدلال ، وعن لبن عباس قال : لا يتوفى أحد على معسية إلاّ تضرب الملائكة فى وجهه وفى ديره .

٢٨ - ذَالِكَ بِأَنَّهُمُ أَتَّبُعُواْ مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكُرِهُواْ رِضْوَانَدُر فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ.

ذلك العذاب بسبب اتباع المنافقين لما يغضب الله، كترك الجهاد، وممالاًة اليهود.

وَكُوهُواْ رِطُوَالُهُ ... ورضوان الله يكون في رضاه وطاعته، وصدق الإيمان به، وتوقير رسوله، وفهم كتابه ، والمسارعة إلى مرضاته، لكن المنافقين كانوا على العكس من ذلك ، حيث ساروا في طرق مظلمة ملتوية، متاهدوا اليهود وتضامنوا معهم، وخاصموا المسلمين وخقدوا عليهم، وذلك السلوك أغضب الله عليهم، قحلً بهم غضب الله ، وابتعد عنهم رضوان الله وفضله ورحمته، وأبطل الله ثواب أعمالهم، كالصدقة وصلةً الرحم، لأنهم كانوا منافقين غير مغلصين، والله تعالى يقول :

وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَغَبُدُواْ ٱللَّهُ مُحْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... (البينة : ٥) .

٧٩ ، ٣٠ - أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ هِى قُلُوبِهِم مُرْصَّ أَن ثَن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْفَتَهُمْ ۥ وَلَوْ نَشَاءُ فَأَنْسُنَكُهُمْ فَلَعَرْفَتُهُم بسبيمَنهُمْ وَتَعَرِقُتُهُمْ هِى لَخَنِ ٱلْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلُكُمْ .

كان المنافقون في المدينة طابورا خامساً ، وشركة في جنب المسلمين ، يشرُشون على المسلمين ، ويحزنون إذا انتصروا ، ويشيعون عنهم أقاويل السوء ، ويضمرون لهم الحداوة والبغضاء .

وهي هاتين الآيتين يهددهم الله بأن يكشف أسرارهم ، وأن يظهر للمسلمين حقدهم وضغنهم، وخُبايا نفوسهم، ومكنونات قلويهم المريضة الطليلة بالضغن والحقد .

ولو أراد الله تعالى لكنف لرسوله ﷺ من أسمائهم وأشخاصهم وعلاماتهم ، لكن الله تعالى ستراً منه على عباده ، أعلم رسوله ﷺ بمساتهم العامة ، لا بأسمائهم ، كما أعلمه بطريقتهم في لحن القول ، وهو إسرار شىء متفق عليه لا يفهمه إلا صاحب لهم ، قد بيترا الأمر معه على طريقة في القول ، يلحنون بها لحنا معينا ، يفهم منه ما يريدون، ولا يعرف ذلك الأخرون .

قال الشوكاني في تفسير الآية :

لحن القول: فحواه ومقصده ومغزاه ، وهو هنا: ما يعرّضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين ، وقد قبل : كان بعد هنا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه ،

وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالُكُمْ .

لا تخفى عليه منها خافية ، فيجازيكم بها . ا هـ .

ونلحظ أنه لا تكاد تطو سورة مدنية من ذكر المنافقين وكشف أمروهم ، حتى سميت سورة براءة بالكاشفة و الفاضحة والمبطرة ، لأنها كشفت المنافقين وفضحتهم ويعثرتهم ، بقرابها : ومفهم ... ومنهم ... ومنهم .

مثل قوله تعالى : وَمِنْهُم مِّن يَلْفِرُكَ فِي ٱلصَّلَقَاتِ وَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رَخُواْ وَإِنْ لَمْ يُفَطُواْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ . (التربة ٥٠٠) ومثل قوله تعالى : وَمِنْهُم مِّن يَقُولُ ٱلْلَذِن لِّي وَقِهُ تَقْيِشَى ٓ أَلَا لِي ٱلْفِئْقَةِ سَقَطُواْ وَإِنْ جَهَيْمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَلْفِرِينَ . (التوبة: ٤٩)

وهكذا كشف القرآن الكريم أمر المنافقين ، وأظهر كيدهم ، وألقى عليهم الأُمْسِاء الكاشفة ليحذر المسلمين منهم .

وروى ابن كثير أن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه قال: ما أسرٌ أحد سريرة إلاّ أبداها الله على صفحات وجهه وقلتات لسانه ، وفي الحديث: وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر» (**).

٣١ -- وَلَتَبْلُوَنْكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَلِهِينَ مِنكُمْ وَٱلْصَّلِينَ وَنَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ.

تقوم الحياة على الابتلاء والاختبار، قال تعالى:

أَلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيْوَةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... (الملك: ٢).

وقال عز شأنه: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ (يَنَّةُ لَّهَا لِتَلْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. (الكهف: ٧).

فائله تعالى يعطى الإنسان الإمكانيات ، مثل المال أو الشباب أو العلم ، أو القدرة على الجهاد أو قول المق، ثم يكلفه الله تعالى أن يؤدّي واجب الجهاد أو الزكاة أو قول الحق ، ليتبين المؤمنين من الكافرين والمنافقين .

جاء في صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابوني ما يأتي :

وَلَتَبْلُوَلُّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَلِهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّلْمِينَ ...

أى: ولنختبرنكم أيها الناس بالجهاد وغيره من التكاليف الشاقة ، حتى نعام — علم ظهور — المجاهدين في سبيل الله ، والمسابرين على مبشاق الجهاد .

وَنَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ . ونختبر أعمالكم ، حَسَنَها وقبيحها .

وجاء في التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ٥ هما يأتي :

المراد بقوله: حُثَّىٰ لَغُلَمَ . أى نطمه ظاهراً فى الوجود ، تقوم به الحجة عليكم ، وقد علم الله الأشياء قبل كرنها ، ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم .

وكان القضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال : اللهم لا تبتلنا ، فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا (٣٠).

حال بعض كفار أهل الكتاب وبعض المؤمنين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَيِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّ اَلَمُمُ الْمُدَى اَن يَعْمُرُوا اللَّهَ شَيْعًا وَسَيُحُوا عَن سَيِيلِ اللَّهِ وَسَاتُهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَلْمِيمُوا اللَّهَ وَالطَّيْمُوا اللَّهِ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مُعَمَّ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْ

المفردات

شاقوا الرسول ، عادوه وخالفوه ، وأصله : صاروا في شق غير شِقَّه .

الأعساسون ؛ الغالبون .

والبلسة مسمنكم : تاصركم .

وثن يتركم اصمائكم ؛ لن ينقمنكم ثواب أعمائكم ، من وترت الرجل: إذا نتلت له تتيلاً من ولد أن أخ أن حسيم ، أو سلبت ماله وذهبت به ، فشيّه إضماعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر ، وهو إنساعة غرره معلد به من الأنفس والأموال .

تمهيف

بينت الآيات حال جماعة من الكافرين آمنوا ثم ارتبُّوا من بعد ما شاهدوا أنوار الإسلام ، وقيل : نزلت الآياة والثلاثون من سررة محمد ، في جماعة من ألمل الكتاب وهم بنو قريطة وبنو النضير ، كفروا بالله وصدوا الناس عن الإسلام ، وعن الإيمان بمحمد ﷺ ، بعد أن شاهدوا نعته في التوراة ، وما ظهر على يديه من المعجزات ، فهزلاء أصفو وأحقر من أن يضُرُوا دين الله وهو الإسلام ، وسيحبط الله عطهم ويبطل كيدهم .

ثم ذكر ضعف بعض النفوس المسلمة ، وتخلفها عن الغداء والتضحية ، مثل بنى سعد الذين أسلموا وجاءوا إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد آثرناك وجئناك بنفوسنا وأهلينا ، مثّا بذلك عليه ، فنهاهم وأمثالهم عن هذا التطاول المحبط للعمل والمضيّع للثواب ، وهكذا يربّى القرآن المسلمين ، ويهدد الكافرين الذين ماتوا وهم كفار بآن الله لن يغفر لهم .

ثم يدعن المسلمين إلى التماسك والجهاد ، وعدم الدعوة إلى السلام خوفًا وجبدًا من الكفار ، أما إذا جنح الكفار إلى السلام ورغبوا فيه ، فلا مانع منه ، ويذلك نعمل بكل الآيات ، تلهية السلام عند ميل الكافرين إليه ، والتماسك والقوة عند ضياعً الحقوق ، أو الدفاع عن المقدّسات ، ولكل حالة ما يناسبها .

التفسيره

٣٧ – إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَاتُواْ ٱلرَّسُولَ مِنْ يَعْدِمَا تَبَيْنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَعْدُواْ ٱللَّهَ هَيْتًا وَسُيُحِيدُ أَعْمَالُهُمْ .

قيل : نزلت هذه الآية في يهود بنى قريظة وبنى النضير ، حيث تبيَّن لهم في التوراة صدق محمد ﷺ ، وشاهدوا المعجزات تظهر على يديه ، فأعرضوا عن الإسلام .

وقيل : نزلت في المنافقين ، وقيل : نزلت في كفّار قريش ، والأولى أن يقال : إن الآية عامة في جميع · هذه الأصناف وأمثالها .

والمعنى:

إن الذين كغروا بالله ورسوله ، ومنعوا الناس من الإيمان ، وزينوا لهم الكفر ، وعادوا رسول الله ، ومادوا في شِقٌ وجانب غير جانبه من بعد أن شاهدوا صدقه ، وأدركوا أنه صادق أمين هؤلاه : أن يَحُمُّوا أَلَّهُ شَيِّنًا ... نهم أَحْثر وأَذَلُ مِن ذلك ، لأن الله غالب على أمره ، ولن يضرُوا دين الله وهو الإسلام ، ولا رسول الله محددًا ﷺ ، وسيبطل الله كيدهم ، ويمحق تدبيرهم ، ويحقظ رسوله وينصر دينه ، وقد تم ذلك في غزوة بدن عزينة بني قريظة ، والأحزاب وغيرها ، ونصر الله الإسلام على الكافرين والمنافقين واليهود وسائر أعداء دين الإسلام .

وفى معنى هذه الآية يقول الله تعالى فى سورة الصف : وَمَنْ أَظْلُمُ مِثْنِ آَفْتُوكُمْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُلْحَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقُومُ ٱلطَّلِمِينَ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُظْفِئُواْ لُورَ ٱللّهِ بِأَفَوْهِهِمْ وَٱللَّهُ مُيمَّ لُورِهِ وَلَوْ كُونَ آلْكَنْظُرُونَ ﴿ هُوَ ٱللّٰذِى أَرْصُلُوا رَسُولُهُۥ إِلَّهُهُمَا وَدِينَ آلْحَقُ لِيُظْهِرُهُۥ عَلَى ٱلذِين كُلُو وَلُوْ كُونَ ٱللّٰمِنْ وَلَا كُونَ اللّٰهِ عَلَيْ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَيْكُونَ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَمْ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَيْكُونَ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَيْكُونَ إِلَى الْمُعْلِقُولُوا اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَيْكُونَا اللّٰهِ عَلَيْهُ اللّٰهِ عَلَيْكُونَ إِلَى اللّٰهِ عَلَيْكُونَا اللّٰهِ عَلَيْكُونَا اللّٰهِ عَلَى اللّ وقالْمُ اللّٰهِ عَلَيْلِهُ لِللّٰهُ لَالْمِنْ أَوْلِنَا لِمَا عَلَى اللّٰهِ عَلَيْهِ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلْ

(الصف : ۷ — ۹)

٣٣ - يَشَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرُّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوٓا أَعْمَلْكُمْ

امتنَّ بعض المسلمين بإيمانهم على الرسول ﷺ، فيين القرآن أن هذا المن يبطل العمل ، فالفضل لله ورسوله ﷺ ، ويهذا كان القرآن الكريم يرتفع بالمسلمين إلى مستوى الإخلاص والنقاء والصفاء في ا إيمانهم

ومعنى الآية :

يا أيها الذين آمنوا ، اصدقوا في إيمانكم بطاعة الله ، والتزام أوامره ، وطاعة الرسول ، وتنفيذ توجيهاته .

وَلَا تُبْطِلُواْ أَعْمَالَكُمْ.

بالرياء ، أو المن والأذي ، أو المعاصى .

قال تعالى : يَلَا يُهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَائِكُم ٱلْمَنْ وَٱلْأَذَىٰ ... (البقرة : ٢٦٤).

وقال سبحانه وتعالى: يَمْتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لاَ لَمُتُواْ عَلَىْ إِسْلَامُكُمْ بَلِ آللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَئلْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُتُعُمْ صَدْيِقِينَ . (السجوات: ١٧).

أخرج ابن أبى حاتم ، ومحمد بن نصر المورى فى كتاب الصلاة ، عن أبى العالية قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنّه لا يضرّ مع (لا إله إلا الله) ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل ، فنزلت الآية : يَنْأَلُهُمُّا اللهُ عَمْلُوا اللهُ وَأَسْفُوا اللهُ وَاللهُ وَاللهُ عَمْلًا لُمُهُمْ . اللّذِي عَامَتُواْ أَطْهُدُواْ اللّهُ عَمْلُواْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَأَسْفُواْ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ عَامَتُواْ أَطْهُدُواْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّ

فخافوا أن يبطل الذنب العمل ، أى أن الكبائر الموجبات والفواحش تستوجب غضب الله وسخطه .

وعن ابن عباس قال: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة ، أو بالشك والنفاق .

وقيل: إن ناسًا من بنى أسد قد أسلموا ، وقالوا لرسول الله ﷺ قد أفرناك وجنتاك بنفوسنا وأهلينا، كأنهم يمثّون ، فنزلت ، ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض ، وكراهة قطع النفل من غير موجب لذلك ، وإذا كأن الله قد نهى عن إبطال الأعمال ، فهو أمر بإصلاحها وإكمالها وإتمامها ، والإتبان بها على الوجه الذي تصلع به علمًا وعملاً .

٣٤ – إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ .

إن الذين كفروا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومنحوا الناس من الدخول في الإسلام، ولم يتويوا ولم يرمنوا ، ثم ماتوا مُصرِّين على الكفر، هؤلاء لن يغفر الله لهم ، ولن يستر عيويهم ، ولن يتجاوز عن سيئاتهم ، لأنهم لم يتريوا في الدنيا قبل الموت، وذلك هو وقت التوية فقط.

كما قال سبحانه وتعالى : إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا هُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ صَالَّ صَلَكَالاً بِعِيمًا . (النساء ١٩٦٠) . وقال تعالى : إِنَّ ٱللَّذِينَ كَفُرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفُارٌ فَلَن يُقْبَلُ مِنْ أَخَدِهِم مَّلُهُ ٱلْأَرْضِ فَهَا وَلَوِ ٱلْفَتَدَىٰ بِهِ أُولَلَّئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن أَعْصِرِينَ . (ال عمران : ٩١) .

قال المفسرون :

ومقهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم ، فإن الله يغفر لهم ويرحمهم ويدخلهم الجنة ولو كانوا مُذَّيِّين أممارهم في الكفر به ، والصدّ عن سبيله ، والإقدام على معاصيه ، فسبحان من فتح لعباره أبراب الرحمة ولم يغلقها عن أحد ، ما دام حيًّا متمكنًا من التوية ، وسبحان الحليم الذي لا يعاجل العاسين بالعقوبة ، بل يعافيهم ويرزقهم كأنهم ما عصوه ، مم قدرته عليهم ٣٠ .

قال أبو السعود : وحكم هذه الآية يعمّ كل من مات على الكفر ، وإن صحّ نزولها في أصحاب القليب . ا هـ . . • ٣ - فَلاَ تَهُواْ وَكَدُغُواْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنْهُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَبْرُكُمُ أَغْمِلُكُمْ .

الشطاب هنا للمؤمنين، يرفع الله روحهم المعنوية، ويحثهم على الجهاد، ويأخذ بأيديهم إلى منازل العلياء.

والمعنى :

لا تضعفوا ولا تجبئوا ، ولا تضافوا من الجهاد والقتال ، ولا تعدّوا أيديكم إلى السلام في وقت يتيه فهه الأعداء المتفطرسون عليكم .

وَأَنْعُمُ ٱلْأَعْلَوْنُ ...

فأنتم في معية الله ، وأنتم حراس دينه ، وأنتم حملة لواء الإيمان ، وأنتم الأمة الوسط ، وأنتم على الحق وعدوكم على الباطل .

وَ ٱللَّهُ مَعَكُمْ ...

بنصره وتأييده وعنايته ورعايته وتوفيقه ، قال تعالى : لَالِكَ بِأَنَّ ٱللَّهُ مَوْلَى ٱللِّينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَنْفِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ، (محد: ١١) .

قَالَ ابن كثير : وفي قوله تعالى : وَآلَلُهُ مَعَكُمْ ... بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء .

وَلَن يَعِرَكُمْ أَغْمَالَكُمْ.

ولن يضيع ثواب أعمالكم، ولن يحبطها، ولن يسلبكم إيَّاها، بل يوفيكم ثواب أعمالكم كاملاً غير منقوص.

والآية تحث المؤمنين على الجهاد والقتال عند القوة والقدرة ، وفي آيات أخرى أباح نهم الموادعة والسلام والمهادنة ، إذا كان ذلك لحكمة أو مناسبة .

قال ابن كثير:

... أما إذا كان الكفار فيهم قوة ركثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ، ورأى الإمام فى العهادتة والمعاهدة مصلحة ، فله أن يقعل ذلك ، كما فعل رسول الله ﷺ حين صدّه كفار فريش عن مكة ، ودعره إلى الصلح ، ووضع الحرب بينهم ويهنه عشر سنين ، فأجابهم ﷺ إلى ذلك ™.

* * *

هوان الدنيا ، وختام سورة محمد عليه

﴿ إِنَّ مَا الْمَيْوَةُ الدُّنَهَ الْمِثُ وَلَهُ وَ إِن تُؤْمِنُوا وَتَنَقُوا الْوَيَكُو أَجُورَكُمُّ وَلا يَسْتَلَكُمُ أَمْواَكُمُّ وَ إِن يَسْتَلَكُمُ أَمْواَكُمُّ مِنْ اللّهِ فَا مَنْ مَنْ اللّهُ وَمَن يَسْخَلُوا وَكُوْرِجُ أَضْفَنَكُو اللّهُ مَا اللّهُ عَلَى اللّهِ فَمِن صَلَّا مِنْ يَبْخَلُّ وَمَن يَسْخَلُ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن لَكُمُونُوا لَمُعْدِدٌ وَاللّهُ الْفَقُ وَأَشُدُ الْفُقَدَرَاتُهُ وَلِن تَتَوَلّوا يَسْتَبْدِلْ فَوَمًا غَيْرَكُمُ فَدَ لَا يَكُونُوا أَمْسَالُكُم اللّهِ فَمَا عَبْرَكُمُ فَدَ لَا يَكُونُوا أَمْسُلُكُم اللّهِ فَي اللّهُ اللّ

المفردات ا

تبخلوا ويخرج أضفائكم، إن يسألكم أموالكم بتشدد تبخلوا بها ، ويبرز أحقادكم على رسوله ﷺ.

تمهيد،

في ختام السورة تتجه الآيات إلى ترقيق القلوب ، ويبان هوان الدنيا ، وسرعة تحوّلها ، فمتاعها قلبا ، ومرعة تحوّلها ، فمتاعها قلبا ، وهي كاللعب واللهو ، أما الإيمان والتقوى وطاعة الله فلوابها مضمون ، والمطلوب من المؤمن نسبة الزكاة ، وهي نسبة عادلة ، فالله لا يطلب مثا جديم أموالنا ، مع أنه هو الذي خلقنا ورزقنا ، وإن سألنا إياما وأنحف في السؤال ، فيشتد البخل بها ، والحقد على الدين والرسول الكريم ، لأن المال شقيق الروح ، وطالب جميع المال يستثور الأجفاد والأضغان ، إن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال هدف من أسمى الأهداف، وما أنتم تدعون لتنقوا في سبيل الله ، فمنكم من يبخل بماله ، ومن يبخل فضرر البخل عائد على نفسه ،

والله غنى عنكم ، لا تنفعه طاعتكم ، ولا تضره معصيتكم ، وأنتم الفقراء إلى رحمته وفضله وثوابه ، وإذا أعرضتم عن الإسلام فإن لله من المؤمنين رجالاً غيركم ، لهم عزائم الأبطال ولن يكونوا أمثالكم ، بل أطوع الله منكم ، وقد تحقق لهذا الدين أن احتضنه العرب حينًا ، ثم الفرس حينًا ، فكان الفقهاء والعلماء والمترجمون والنحاة والأدباء من بلاد الفرس وسموقند ويشارى وبلاد ما وراء النهر ، وكان للأندلس وعلماء المغرب دور نشيط فى خدمة الدين ، وكان لمصر وأفريقيا وللقارة الهندية دور فى حفظ الحديث وبالتشريع ، ومكذا لم يتعصب الإسلام للعرب كجنس ، بل بين أن العربية اللسان ، وأن كل من تكلم العربية فهو عربى .

محمد (۲۱ - ۲۸)

التفسيره

٣٧ - إِنَّمَا ٱلْحَيْرَةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبَّ وَلَهُوْ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَشُّواْ يُرْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْمَلُكُمْ أَمْوَ لَكُمْ .

إنما الحياة الدنيا قصيرة الأجل ، مثل اللعب واللهو ، والناس نيام فإذا ماتو) انتبهوا ، وفي الأثر : «الدنيا كسوق قام ثم انفضّ ، ربح فيه من ربح وخس فيه من خسر» .

وَإِنْ تُوْتِشُواْ ... بالله وتراقبوه حق المراقبة ، وتنقوه بأن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ؛ يعطكم الله ثواب أعمالكم ، ولا يطلب منكم إنفاق جميع أموالكم ، فلم يفرض عليكم سوى واجب الزكاة ، وهو نسبة بسيطة تدور في الأغلب على ربع العشر ، وهو ما يوازى 70٪ في زكاة المال وزكاة التجارة ، ونصف المعشر ٥٪ في زكاة الزراعة ، وأحيانًا تكون الزكاة المُشر إذا كانت الأرض تسقى سَيْما بدون تعب ولا مشقة ، وأحيانًا تكون الزكاة المُشر إذا كانت الأرض تسقى سَيْما بدون تعب ولا مشقة ، وأحيانًا تكون الزكاة الخمس بنسبة ٢٠٪ ، وهى زكاة الركاز والبترول والمعادن ، وما يستخرج من باطن الأرض.

قَالَ الإَمَّامُ ابن القَبِم : نلاحظ أن نسبة الزكاة تتراوح بين ١٪ في زكاة الماشية مثل زكاة الغنم ، نجد أن زكاة الغنم السائمة : في أربعمائة شاة أربع شياه ، وفي خمسمائة شاة خمس شياه ، وفي ستمائة شاه ١ شياه ، وهكذا في كل مائة شاة شاة ، أي النسبة ١٪ .

وزكاة المال والتجارة ٢٠,٥٪ ، وزكاة الزراعة تمتد من ٥٪ إلى ١٠٪ ، وزكاة الركاز والمعادن والكذوز المستخرجة من باطن الأرض ٢٢٪ .

أى أنه كلما كانت نعم الله تعالى على العبد أظهر كانت نسبة الزكاة أكثر، كزكاة الكنوز والركاز، و وكلما كان عمل العبد أظهر كانت نسبة الزكاة أقل ، مثل زكاة التجارة ؛ لأن العبد يتعرض للمخاطرة والأسفار، وارتفاع الأسعار وانخفاضها. فكلما كان عمل القدرة الإلهية أظهر كانت نسبة الزكاة أكثر، وكلما كان عمل العبد أظهر كانت نسبة الزكاة أقل .

٣٧ - إِن يَسْتَلُكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْحَلُواْ وَيُحْرِجُ أَضْفَانَكُمْ.

إن يسألكم الله جميع أموالكم ، ويبالغ في السؤال والإلحاح ، لتنفقرا جميع أموالكم ، فستقابلون ذلك بالبخل والشعّ ، والحقد على الرسول الأمين ، لأنكم تكرهون إخراج أموالكم كلها ، وتحقدون على من يطلب ذلك منكم .

قال قتادة: فإن المال محبوب، ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه.

وقال سفيان بن عيينة : أي : لا يسألكم كثيرًا من أموالكم ، إنما يسألكم ربع العشر فَطَيَّبوا أنفسكم .

٣٨ – مَنَا أَنْهُمْ مَنْ كُولَاء تُدْعَوْنَ فِصِفُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مِّن يَنْحَلُ وَمَن يَنْحَل فَإِنْمَا يَنْحَل عَن تَفْسِهِ وَاللَّهُ الْفَيْعُ وَأَنْصُمُ الْلَهُورَاءُ وَإِنْ مَتَوْلِناً وَمُعْمَدِلُ قُومًا خَيْرَكُمْ فَهُمْ لاَ يَكُولُواْ أَنْسَلُكُم .

ما أنتم معشر المسلمين ، يأتيكم أمر الله ودعوته لكم بالإنفاق في سبيل الله ، بإخراج الزكاة والصدقة ، وتجهيز المقاتلين في سبيل الله ، والإنفاق على الجهاد والقتال ، ويعض المسلمين يبخل بالزكاة ، أو بالإنفاق على المجاهدين ، ومن يبخل فإنما وزر بخله يعود عليه ، وإثم منع الزكاة ومنع نفقات الجهاد يعود على المائع .

وُ ٱللَّهُ ٱللَّهُيُّ ... فهو سبحانه غنى بذاته ، لا تنفعه طاعتنا ، ولا تضرّه معصيتنا ، ولا يحتاج إلى إنفاق أموائنا عليه .

وَأَتُكُمُ ٱلْقُفُرَآةُ ... الناس بذاتهم في أمد الفقر إلى رزق الله لهم في الدنيا ، وإلى ثواب الله ورضوانه في الآخرة .

قال تعالى : يَمْأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرْآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْفَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . (فاطر: ١٥).

وَإِن لَتَوَلُّواْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُولُواْ أَمْطَلَكُم .

وإن تعرضوا عن أحكام الله وشرائع دينه يذهبكم الله كما أذهب المكذبين قبلكم ، ويأت بقوم أطوع لله منكم ، يحرصون على طاعته ومرضاته ، تلك سنة الله ، وإن تجد لسنة الله تبديلاً . وقد اختلف المفسرون في تعيين أولئك القوم الجدد ، فقيل : هم الملائكة ، أن الأنصار ، أن التابعون ، أن أمل اليمن ، أن أمل اليمن ، أن كندة والنخع ، أن العجم ، أن فارس والروم ، والأولى تفويض ذلك إلى علم الله ، والخطاب لقريش أن لأهل المدينة ، والأولى جعل الخطاب متجددًا بتجدد الأجيال والأمم ، سواء كان عند نزول الوحى ألا بعد ذلك .

روى مسلم ، وابن أبى هاتم ، وابن جرير ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : رَإِن تَوَثَّرُا يُسْتَبُولُ قُومًا خَيْرَكُمْ فُمْ لَا يَكُولُواْ أَمُثَلُكُم . فقالوا : يا رسول الله ، من هولاء الذين إن تولينا استبدل بنا ، ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ قال : فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضى الله عنه ، ثم قال : «هذا وقومه ، ولو كان الذين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس» "" .

موجز مقاصد سورة محمد علي

اشتملت سورة محمد على ثلاثة مقاصد :

١ – وصف الكافرين والمؤمنين من أول السورة إلى قوله سبحانه: كُذَالِكَ يَعْمِرِبُ ٱللّٰهُ لِلنَّاسِ أَتَفْتَلُهُمْ.
 ١ – وصف الكافرين والمؤمنين من أول السورة إلى قوله سبحانه: كَذَالِكَ يَعْمُرِبُ ٱللّٰهُ لِلنَّاسِ أَتَفْتَلُهُمْ.
 ١ (محمد: ٣)

حِزاء الفريقين في الدنيا والآخرة ، من خذلان ونصر ، ونار وجنة ، من قوله تعالى : فَإِفَا لَقِيمُ ٱللَّهِينَ كَفُروا أَ
 فَعَرْبُ ٱلرُّقَابِ ... (محمد : ٤) . إلى قوله تعالى : وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّكُمْ وَمُثَوِّ لِكُمْ ، (محمد : ١٩) .

٣ – الوعيد والتهديد للمنافقين والمرتدين ، من قوله تعالى : وَيَقُولُ ٱللَّذِينَ ءَامَتُواْ لَوْلاً لُولَتَ سُورَةً فَإِذَا أَنزِلَتْ سُورَةً فَإِذَا أَنزِلَتْ سُورَةً فَإِذَا أَنزِلَتْ سُورَةً فَإِذَا أَنزِلَتْ
 سُورَةً ... (محمد : ٢٠) ، إلى آهر السورة .

* * *

تمّ بحمد الله تفسير سورة محمد 義، ظهر يوم الأحد ٢٨ من ربيع الآخر ١٤٢١ ، الموافق ٧/٢٠ و ٢٠٠٠م. والحمد لله الذي بنعمته تتم المسالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



أهداف سورة الفتسح

سورة (الفتح) مدنية ، نزلت في الطريق بين مكة والمدينة عند الانصراف من الحديبية ، وآياتها ٢٩ أية ، نزلت بعد سورة الجمعة .

ونلمح في بداية السورة فضل الله على النبي ﷺ وصحبه ، وآثار نعمائه على المسلمين .

وقد سبقتها في ترتيب المصحف سورة (محمله) التي وصفت ظلم المشركين والمنافقين ، وحرضت المسلمين على الجهاد ، وحدرتهم من الخنوع والهمد عن طاعة الله .

وقد نزلت سورة (محمد) في الفترة الأولى من حياة المسلمين بالمدينة ، أما سورة (الفتح) فقد نزلت في العام السادس من الهجرة ، وكان عود المسلمين قد اشتد ، وقوتهم قد زادت ، وظهر أثر ذلك في بيعة الرضوان التي تمت تحت الشجرة على التضمية والقداء .

صلح الحديبية:

رأى رسول الله ﷺ في منامه ذات ليلة أنه دخل المسجد الحرام في أصحابه ، آمنين مطلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون عدوا ، فاستبشر ﷺ بذلك وأخبر أصحابه فاستبشروا وفرحوا واستعدوا لزيارة البيت الحرام معتمرين . «وفي ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة خرج النبي ﷺ معتمرًا لا يريد حريًا ، واستنفر العرب ومن حوله من أمل البوادى ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت "" . وتخلف كلير من الأعراب عن مرافقته ظنًا بأن الحرب لابد واقعة بينه وبين قريش ، «فخرج رسول الله بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حريه ، وليطموا أنه إنما خرج زائرًا للبيت ومعشًا له،" "

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ، وأخذ معه من نساته أم سلمة ، وسار معه الف وخمسمائة من المسلمين معتمرين وسيوفهم مغمدة في قريها ، فلما أصبحوا على مسيرة مرحلتين ("ا من مكة لقى النبى بشر بن سفيان ، فأنياًه نبأ قريش قائلاً : يا رسول الله ، هذه قريش علمت بمسيرك ، فخرجوا عازمين على طول الإقامة ، وقد نزلوا بذي طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا . فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح قريش ، قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ، فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرتى الله دخلوا في الإسلام وافرين ؟ والله لا أزال أجاهدهم على الذي يعثنى الله به ، حتي _، يظهره الله أو تنفرد منى هذه السالفة» (")

وكان النبي ﷺ دريمًا على أن يتجنب الحرب مع قريش ، لأنه غرج متنسكًا معظمًا للبيت لا للحرب. وأرسلت قريش مندوبين عنها ، فأعلمهم النبي أنه لم يأت محاربًا ، وإنما جاء معتمرًا معظمًا للبيت.

وأرسل النبى ﷺ عثمان بن عقان إلى أهل مكة ليخبرهم بمقصد المسلمين ، فقال لهم: إنا لم نأت لقتل أحد ، وإنا جثنا زوارا لهذا البيت ، معظمين لحرمته ولا نريد إلا العمرة ، نأبت قريش أن يدخل النبى ﷺ وصحبه مكة ، وأذنت لعثمان أن يطرف بالبيت ، فقال: لا أطرف ورسول الله ممنوع، فاحتبست قريش عثمان فشاع عند المسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال ﷺ حينما سمم ذلك : «لا نبرح حتى نناجزهم الحرب» .

بيعة الرضوان

دعا النبى الناس للبيعة على القتال ، فبايعوه تحت شجرة هناك سعيد : (شجرة الرضوان) على الموت وقد بارك الله هذه البيعة وأعلن رضاه عن أهلها فقال سبحانه : لُقَدُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِينِينَ إِذْ يُسَامُ عَنْ أَهلها فقال سبحانه : الْقَدُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِينِينَ إِذْ يُسَامُ عَنْ أَهلها فقال سبحانه : الْقَدَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِينَ إِذْ يُسَامُ عَنْ أَهلها فقال سبحانه : اللَّمْوَةِ ... (النقد : ١٨) .

شروط الصلح

علمت قريش بخير هذه البيعة فاشتد خوفها ، وقويت رغبتها في الصلح ، وأرسلت سهيل بن عمر ليفاوض المسلمين بشأن الصلح ، وتوصل الطرفان إلى معاهدة مشتركة سميت بصلح الحديبية ، وأهم شروط هذا الصلح ما يأتى :

١ -- وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين.

٢ - من جاء إلى محمد من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشًا من المسلمين لا يلزمون برده .

٣ -- من أراد أن يدخل في حلف محمد دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه .

أن يرجع النبى 養 من غير عمرة هذا العام ، ثم يأتى فى العام المقبل فيدخل مكة بأصحابه ، ويقيموا
 بها ثلاثة أيام ليس معهم من السلاح إلا السيوف فى القراب .

وقد كان هذا الصلح مثار اعتراض من بعض كبار المسلمين لأنهم جاءوا للطواف بالبيت فمنعوا من ذلك ، وهم في حال قوة واستعداد لمحارية قريش ، كما أن شروط الصلح أثارت غضب المسلمين ، فقال عمر ولكن أبا بكر كان أكثر الناس وثوقًا بما اختاره النبي ، وبأن الحكمة والخيرة في اختياره .

ثم وقع الطرفان على الصلح ، ويعد ذلك توافدت قبيلة خزاعة فدخلت في عهد رسول الله ، وتوافدت قبيلة بكر فدخلت في حلف قريش ، وقد كان لهذا الصلح أكبر الأثر في سير الدعوة الإسلامية ، فقد اعترفت قريش بالمسلمين ، كما سمحت لهم بدخول مكة في العام القادم ، ولما دخلوا مكة شاهدهم أهلها وسمعوا القولهم ورأوا عبادتهم فتفتحت قلوبهم للإسلام ، وقد فتحت مكة بعد عمرة القضاء بسنة واحدة ، إذ كان صلح الحديبية سنة ٢ هـ ، وعمرة القضاء سنة ٧ هـ ، وفتح مكة سنة ٨ هـ ، كما أن هذا الصلح يسر للمسلمين نشر الدعوة وشرح الفكرة ، ودعوة الناس إلى الإسلام ، ومكاتبة الرسل والمطوك .

الأحداث وسورة الفتح

نزلت سورة الفتح في أعقاب صلح الحديبية فباركت هذا الصلح ، وجعلته فتحًا مبينًا ، ويشرت النبي ﷺ
بالمغفرة والنصر وإتمام النعمة ، وقد فرح النبي الكريم بهذه السورة فرحًا شديدًا (انظن الآيات ١ – ٣).
واشتملت السورة على بيان فضل الله على المسلمين حين أنزل السكينة والأمان والرضا في قلوبهم ، كما
اعترفت السورة للمؤمنين بزيادة الإيمان ورسوخه ، ويشرتهم بالمغفرة والثواب .

وتوعدت السورة المضافقين والكفار بالعذاب والتكال (انظر الآيات ٤ - ٢) ، ثم التنويه بهيمة الرضوان ، واعتبارها بيعة لله ، وربط قلوب المؤمنين مباشرة بريهم عن هذا الطريق بهذا الرياط المتصل مباشرة بالله الصى الباقى الذى لا يمون (الآية : ١٠) .

ويمناسبة البيعة والذكت ، التفت السياق إلى الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج ، ليفضح معاذيرهم ، ويكشف ما جال في خواطرهم من سوء الخن بالله ، ومن توقع السوء للرسول ومن معه ، ويوجه الرسول رسي المستعلق المستعلق منهم في المستعلل ، وذلك في أسلوب يوحى بقوة المسلمين وضعف المخلفين ، كما يرجى بأن هذاك غنائم وفقوها قريبة يسيل لها لعاب المخلفين المتباطئين (انظر الآبيات ١١ – ١٧) .

الله يبارك بيعة الرضوان

كان الربح الثاني من سورة الفتح تمجيدًا لهؤلاء الصفوة من الرجال ، وتسجيلاً لرضوان الله عليهم حين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، والله عز وجل حاضر هذه البيعة وشاهدها وموثقها ، ويده فوق أبديهم فيها ، تلك المجموعة التى حظيت بتلك اللحظة القدسية وذلك التبليخ الإلهى: أَقَدُ رُضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُوفِينِنَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلْشُجَرَةِ قَطِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَثَرُلُ ٱلسُّكِينَةَ عَلَيْهِمْ زَأْتُنْهُمْ قَصْعًا قَرِيًّا . (الفتح : 14) .

تلك المجموعة التي سمعت رسول الله ﷺ يقول لها عند البيعة : «أنتم اليوم خير أهل الأرض» ("".

تبدأ الآبات (۱۸ – ۲۹) بحديث من الله سيحانه وتعالى إلى رسول الله ﷺ عن هؤلاء الصفوة الذين بايعوا تحت الشجرة ، ثم بحديث مع هؤلاء الصفوة ببشرهم بما أعد لهم من مغانم كثيرة وفترح ، ويما أحاطهم به من رعاية وحماية في هذه الرحلة وفيما سيتلهما ، ويندد بأعدائهم الذين كغروا تنديدًا شديدًا، ويكشف لهم عن حكمته في لغتيار الصلح والمهادنة في هذا العام ، ويؤكد لهم صدق الرؤيا التي رأها رسول الله ﷺ عن دخول المسجد الحرام ، وأن المسلمين سيدخلونه أمنين لا يضافون ، وأن دينه سيظهر على الدين كله في الأرض جميفًا .

ظهور الإسلام

ولا يزال دين الحق ظاهرًا على الدين كاه حتى بعد انحساره السياسى عن جزء كبير من الأرض التي فتحها ، وبشاصة في أورويا وجزر البحر الأبيض ، وانحسار قوة أهله في الأرض كلها بالقياس إلى القوى التي ظهرت في الشرق والغرب في هذا الزمان .

أجل لا يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله من حيث هو دين ، فهو الدين القوى بذاته ، القوى بطبيعته ، الزاحف بلا سيف ولا مدنع من أهله ، لما في طبيعته من استقامة مع الفطرة ، ومع نواميس الرجود الأصلية ، ولما فيه من تلبية بسيطة عميقة لحاجات العقل والروح ، وحاجات العمران والتقدم ، وحاجات البيئات المتنوعة من ساكني الأكواع إلى ساكني ناطحات السحاب ، وما من مسلحب دين غير الاسلام ينظر في الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى ، إلا ويقر باستقامة هذا الدين وقوته الكامنة ، وقدرته على قيادة البيري وقوته الكامنة ،

وصف الصحابة

فى ختام سورة الفتح نجد صورة مشرقة للنبى الكريم وصحبه الأبرار ، فهم أقرياء فى الحق ، أشداء على الكفار رحماء بينهم ، وهم فى الباطن أقوياء فى العقيدة يملاً صدورهم اليقين ، فتراهم ركِمًا سجِدًا ببتهن فضالاً من الله ورضوافًا .

وقد ظهر نور الإيمان عليهم في سمتهم وسحنتهم وسماتهم ، سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ، هذه الصورة الوضيئة ثابتة لهم في لوحة القدر ، فقد وردت صفتهم في التوراة التي أنزلها الله على موسى .

أما صفتهم في الإنجيل فهي صورة زرع نام قوي ، يخرج فروعه بجواره ، وهذه الغروح تشد أزره وتساعده حتى يصبح الزرع ضخمًا مستقيمًا ثويًّا سويًّا ، يبعث في النفوس البهجة والإعجاب .

قال تعالى : تُحَمَّدُ رُسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهِ وَٱللَّهِ مَنْ أَشِيعُونَ فَاصْدُهُ أَرْسُلُهُ فِي ٱلْكُوْرُ و مِنَّ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِنْ أَلَوَ ٱلسُّجُودِ ذَالِكَ مَثَلَهُمْ فِي ٱلثَّوْرَحَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلَ كَوْرُحَ أَخْرَجَ هُطُكُهُ فِقَارَوْهُ وَآسَتُنْهُ لَاَسْتَوَى عَلَىٰ سُوقِهِ يُصْحِبُ ٱلزُّرَاعَ لِيَقِيطَ بِهِمُ ٱلْكُفُّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱللَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلَمِحْدَدِ مِنْهُم مُقْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا . (الدين : ۲۷).

مقاصد السورة إجمالا

قال الفيروزبادى:

معظم مقصود سورة الفتح هو: رَعَدُ الله الرسول ﷺ بالفتح والغفران ، وإنزال السكينة على أهل الإيمان ، وإيدال المرسلين ، وذكر الإيمان ، وإيمان المرسلين ، وذكر المرسلين ، وذكر المرسلين ، وذكر المهد وبيعة الرضوان ، وذكر ما للمنافقين من الخذلان ، وبيان عدر المعذورين ، والمنة على الصحابة بالنصر ، وصدق رئيا سيد المرسلين ، وتمثيل حال النبي والصحابة بالزرع والزراع في البهجة والنضارة وحسن الشأن (4).

هضل السورة

روى مسلم ، عن أنس ، عن ابن عباس رضمى الله عنه ، قال : لما نزلت سورة الفتح قال رسول الله ﷺ : «لقد أنزل عليَّ سورة هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيهاء (°°) .

فضائل صلح الحديبية ، أو فتح مكة



﴿ إِنَّافَتَحْنَا لَكَ فَتَعَاشُبِينَا ۞ لِيَغْفِرُ لِكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمُ مِن ذَيْك وَمَا تَأَخَّرَ وُيُتِمَّ يَعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَطًا مُسْتَقِيمًا ۞ وَيَصُرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا۞ ﴾

المضردات ،

الفتح ، الفتح في أصل اللغة : إزالة الأغلاق ، والفتح في باب الجهاد هو الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً ، بحرب أو بغير ذلك ، لأن البلد قبل ذلك منظق ما لم نظفر به ، فإذا ظفرنا به وأصبح في أيدينا فقد فُتح .

والمراد بالفتح هنا في رأى الجمهور : صلح الحديبية ، وقال جماعة : المراد فتح مكة ، وقد بشر الله تمالي به وسوله ﷺ والمؤمنين قبل حصوله .

مبيشا؛ ظاهر الأمر؛ مكشوف الحال.

تمهيده

بعد صلح الحديبية عاد المسلمون من الحديبية إلى العدينة ، وفى الطريق أنزل الله على ذيب ﷺ هذه السورة الكريمة ، تسجل للرسول الأحين أنه بذل جهده فى الحرب والسلم ، والمعاهدة فى صلح الحديبية ، وكان من أثر هذه المعاهدة ما يأتى :

- ١ اعتراف قريش بقوة المسلمين ، وأنهم أمة متكاملة ، وكانوا قبل ذلك يعتبرونهم صابئين خارجين على
 دين العرب .
- 7 -- ترل الأمر بالخيار للناس ، فتوافدت الوفود على المدينة ، حتى سُمى العام التالى لصلح الحديبية بعام الوفود .
- ح تزايد عدد المسلمين خلال عامين من ألف وخمسمائة فرد عام الحديبية سنة ٦ هـ، إلى عشرة آلاف في
 فتم مكة سنة ٨ هـ.
- اختلط المسلمون بأهل مكة في عمرة القضاء سنة ٧ هـ وجاوروهم ، وسمعوا منهم ، وتمّ النقاش المهاشر
 بين الكافرين والمسلمين ، وكان هذا سببًا عمليًّا في تيسير فتح مكة .

قال الإمام الزُّهري :

لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية ، لمتلط المشركون بالمسلمين ، وسمعوا كلامهم ؛ فتمكن الإسلام من قلويهم ، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير ، كثر بهم سواد الإسلام ، فما مضت تلك السنون إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف ففتحرها .

وقالت جماعة : المراد بالفتح هنا فتح مكة ، وقد نزلت السورة على النبى ﷺ وهو عائد من الحديبية تبشره بفتح مكة أو بفتح خيبر .

التفسيره

١ - إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا .

يسَّرنا لك صلح الحديهية ، وفيه اعتراف بالمسلمين كقوة محترمة يتّعاهد معها ، وفي صلح الحديبية أوقفت الحرب بين المسلمين وأهل مكة ، فتحرك الناس في جزيرة العرب آمنين ، وبدخل في الإسلام خلق كثير ، ويسَّر صلح الحديبية عمرة القضاء ، وفيها اختلط المسلمون بأهل مكة عن قرب ، وشاهدوهم وناقشوهم ، وكان ذلك سببًا من أسباب تيسير فتح مكة .

وجمهور المفسرين على أن المراد بالآية صلح الحديبية ، وكان اعتراض البعض أن المسلمين في صلح الحديبية قد مُنعوا من أداء العمرة ، ومُنع المؤتى من الوصول إلى الكعبة ودُبع عند الحديبية ، وقد بيُن الرسول ﷺ أهمية صلح الحديبية ، حين طلب أهل مكة الصلح ورغبوا فيه ، وأحسُوا بقوة المسلمين بسبب بيعة الرضوان التي تحت تحت الشجرة ، ويابع المسلمون فيها رسول الله ﷺ على الموت وعلى ألا يدُروا ، ثم عاد المسلمون وافرين سالمين إلى المدينة ، ليتيسر لهم فتح خيبر وإزالة حصون اليهود القوية ، ثم يتيسر لهم فتح مكة بعد عامين ، وهم في جيش يزيد على عشرة آلاف مقاتل ، لقد كان صلح الحديبية من أكبر وأهم نقاط الارتكان للأمة الإسلامية الناشئة ، فما أعظم أن تطلب مكة الصلح ، على أن يعود المسلمون إلى المدينة هذا العام ، ثم يقدموا إلى مكة في العام القادم — ومعهم السيوف في قرابها — ليؤدوا عمرة القضاء ، وكأنُ هذا الأمر ترتيب الله ، والإعداد للفتح الأكبر .

وبعض المفسرين يرى أن السورة نزلت عند انصراف الرسول ﷺ من الحديبية لتبشره بفتع مكة ، أو بفتح خيبر ، ولتعظّم قدر الذبي ﷺ وتبيّن آنه يستحق نعم الله تمالي عليه في الدنيا والأخرة .

والرأى الأول عليه جمهور المفسرين ، وهو أرجح عند التأمل.

٣ ، ٣ - أَيْفَيْرَ لَكَ ٱللهُ مَا تَقَلَمْ مِن فَنبُكِ وَمَا تَأْخَرَ رَأَيْمٌ نِعْمَتُهُ, عَلَيْكَ وَيَهلزيكَ مِرَ طَا مُسْتَقِيمًا ، وَيَعمُرُكُ ٱللهُ لَا يَعْمَلُكُ اللهُ اللهُ عَلَيْنَ اللهُ اللهُ عَلَيْنَ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلِيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَا عَلِيْنَا عَلَيْنَ عَلِيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلِيْنَا عَلِيْنَا عَلِيْنَا عَلِي عَلَيْنَ عَلِيْنِ عَلِيْنَا عَلِيْنَا عَلِيْنِ عَلَيْنِ عَلِيْنَا عَلِيْنَا عَلِيْنِ

كان محمد ﷺ أطوع خلق الله لله ، بلُغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ونصر دين للله فى السلم والحرب والمعاهدة ، فوعده الله بهذه المكافأة الجليلة المتمثلة فيما يأتي :

- (أ) أن يغفر الله له ننويه السابقة واللاحقة ، ليرفع درجته ويعلى كعبه ، ويطهّر ساحته ، ويغفر له هفواته قبل النبية ويعدها .
- (ب) إتمام النعمة بفتح الطريق أمام دين الإسلام ، وأمام أمة الإسلام ، لتأخذ طريقها إلى النصر والظفرَ ، واستهماب أحكام الدين .
- (جـ) هداية الرسول إلى الصراط المستقيم ، والدين القويم ، والحكمة الثامة فى تبليغ الدعوة ، وقيادة سفينة الإسلام بحكمة النبوة ، وهداية الله وتوفيقه .
 - (د) النصر العزيز الذي يقدمه له الله : وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ... (الأنفال ١٠٠).

وقد كان صلح الحديبية نصرًا ، ثم تبعه فتح خيبر ، ثم تبعه فتح حكة ، وكان هناك نصر معنوى كبير

في ضاّلة شأن المنافقين ، وانزواء أمرهم ، وتحطيم قوة اليهود ، وتلاشى قوة فريش والكافرين ، ويَحْت

جزيرة العرب عن الإسلام ، وتوافدها على الرسول ﷺ في المدينة ، فكان هناك فتح في النفوس ، وهداية

من الله للناس حتى دخلوا في دين الله أفواجًا ، أي جماعات ، وكانوا قبل ذلك يدخلون أفوائًا ،

وظل شأن رسول الله ﷺ في ارتفاع ، وشأن أعداته في انحدار ، حتى عمّ الإسلام بلاد العرب ، ونزل قوله

تمالى : آثَيْرَمُ أَكْمَلُتُ لَكُمُ وَيْلُكُمُ وَيُلْكُمُ وَيُلْكُمُ وَيُلُكُمُ أَلْمُسُكِ وَيْ شِيتَ كُمُ الْإسلام بلاد العرب ، ونزل قوله

تمالى : آثَيْرَمُ أَكْمَلُتُ لَكُمُ وَيُلْكُمُ وَيُلْكُمُ أَلْمُسُكِ وَيْ شِيتَ لَكُمُ الْإسلام بلاد العرب ، ونزل قوله

وقوله سيحانه : إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتَعُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ ٱلْوَاجَا * فَسَبَعْ بِحَمْدِ زُلُكَ وَٱسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ ثَوَابِنًا * (النسر: ١ - ٣) .

إنزال السَّكينة في قلوب المؤمنين

﴿ هُوَ الَّذِى آزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوَا لِيمَنَا مَعَ لِمَنْبِمَ ۚ وَيَلَو جُمُودُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا عَنْ لِيَنِ اللَّهُ عِنْدَ اللَّهُ فَوْزًا عَظِيمًا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ فَيْهَا الْأَنْهُ رُعَنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا اللَّهُ فَوْزًا عَظِيمًا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَلْكَ عَنْدَ اللَّهُ فَوْزًا عَظِيمًا اللَّهُ وَلَيْعَ لَلْهُ مَلِيمًا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَالْمُنْهُمْ وَلَمْنَهُمْ وَالْعَنَّالُ وَلَمْنَا اللَّهُ وَالْمَنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِيمُ وَلَمْنَهُمْ وَالْعَنْمُ وَالْمُنْفِقِيمُ وَلَمْنَهُمْ وَالْعَنْمُ وَالْعَنْمُ وَلَمْنَهُمْ وَالْعَنْمُ وَالْعَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْمُ وَلَا مُنْفَعِيمُ وَلَمْنَهُمْ وَالْعَلَامُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَالْعَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الْمُؤْمِنُ وَالْعَلَالُولُولُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْوَلَالُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُلِقِي وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُومُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُومُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِمُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنُومُ وَالْمُؤْمِنُومُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِلُومُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُومُ وَا

المقردات ا

السكرن والرضا.

إيسالنامع إيسائنهم ، يقينا مع يُقينهم .

جنود السماوات والأرض ، الأسباب السماوية والأرضية .

ظـــــــن السِّـــوء على الأمر الفاسد المذموم ، وهو أن الله لا ينصر نبيه .

هلهسم دائسسرة الشُوّه؛ الدائرة في الأصل: الدائلة التي تديط بمن وقعت عليه ، وكلر استعمالها في المكروة ، والجملة دعاء عليهم بالهلاك والنّمار الذي يتربصونه بالمؤمنين .

تمهيك ا

يتفضل الله على رسوله ﷺ في الآيات السابقة بما يأتي :

١ – المغفرة .

٢ – إتمام النعمة .

٣ – هداية الصراط المستقيم .

\$ - النصر العزيز.

وهنا يبين سبحانه أنه أنزل ترفيقه على المؤمنين ، فازدادوا يقينًا بغضل الله عليهم ، وتفهموا أن صلح الحديبية كان نقطة ارتكاز ، سيتم بعدها الانطلاق إلى أعمال نافعة مثل :

١ - الوفود القادمة إلى المدينة في عام الوفود.

٢ -- فتح خيير، وعُمْرة القضاء، وفتح مكة، ولله ملائكة تحث على الخير، وتثبُّت المؤمنين.

ثم وعد الله المؤمنين الصادقين بدخول الجنة ، ومغفرة الذنوب ، وذلك فوز عظيم لهم ، كما وعد سدحانه بأن يعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات .

٤ - هُوَ ٱللَّذِي َ الزل آلسَّكِينَة في قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَتْ مَعَ إِيمَنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَازَاتِ وَٱلْأَرْضِ

 ٢ كان ٱللَّهُ عليمًا حَكِيمًا .

كان خروج النبى ﷺ مع المسلمين من المدينة إلى مكة لأداء مناسك المعرة ، ومعهم السيوف في قرابها ، وقد وقفت قريش في طريقهم ومنعتهم من دخول مكة ، واحتبست عثمان بن عفان ، وأشيع بين المسلمين أنه قد قتل ، فتغير الموقف ، لقد خرجوا لأداء العمرة والنسك والعبادة ، ثم تغير الموقف إلى المناجزة والحرب والقتال ، وفي هذه الحالة تمّت بيعة المسلمين جميمًا لرسول الله ﷺ تحت شجرة الرشوان ، بايعوا على الموت وعلى ألا يفرّوا ، بعد أن أشيع أن عثمان بن عفان قد قتل ، عندئذ قال ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» (٧٠) .

ققد بدأوا بالحدوان وصد المسلمين عن البيت الحرام ، وقتل عثمان كما أشيع ، عندند كان المؤمنين على مستوى المعركة ، تجيش قلويهم بالإيمان ، وطاعة الرسول ﷺ ، ومعرفة أن الحكمة في فعله ﷺ ، وكانوا على قلب رجل واحد ، وحكى القرآن الكريم ذلك الموقف حين قال تعالى : أَقَدْ رَحِيَى اللَّهُ عَن الْمُؤْمِينَ وَاللَّهُ عَن النَّمُ اللَّهُ عَن الْمُؤْمِينَ وَاللَّهُ عَن اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَن اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلْهُ عَلَيْكُوا عَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلْ اللَّهُ عَنْ الْعُنْ اللَّهُ عَلْهُ اللَّهُ عَلَيْكُوا عَلَا عَلَا عَلَا الْعَنْ اللَّهُ عَلَيْكُوا عَلَا عَالَهُ عَلَا عَلَا عَالِهُ اللْعُلُوْ عَلَا عَالِهُ اللَّهُ عَلْهُ عَلَا عَلَمُ عَلَا عَلَا عَلَا عَا

لقد اطلع الله على هذه القلوب وهى تتحرك إلى البيعة والفداء والتضحية عند بيعة الشجرة ، ثم يظهر للجميع أن عثمان لم يقتل ، ويرغب أهل مكة في الصلح ، ويرسلون عددًا من الرسل ، ويتم الأمر بعقد صلح بين أهل مكة يمثلهم سهيل بن عمرو ، ويبن العسلمين ويمثلهم رسول الله ﷺ.

وكان كبار المسلمين متحفزين مع جميع المسلمين للقتال والدفاع ، ثم عقدت معاهدة المُلح ، وإيقاف القتال عشر سنين ، على أن يعود المسلمون جميعًا هذا العام بدون أداء العمرة ، وأن يأتوا في العام اللقتاد لا لأداء عمرة القضاء ، وفي أعقاب المعاهدة أمر رسول الله ﷺ المسلمين بذبح البدى، فلم يبادروا إلى الذبى ﷺ على أمّ سلمة وقال لها : «هلك المسلمون» ،

أمرتهم بدبح الهدى قلم يفعلواه ، فقالت أم سلمة · يا رسول الله ، التمس لهم بعض العذر ، فهم قدموا من أجل العمرة وزيارة مكة ، والطواف بالبيت ، والسعى بين الصفا والمحروة ، ثم ذبح الهدى بمكة ، وقد أُحصروا ومُنموا من دخول مكة ، ومن أداء العمرة ، فهم فى موقف صععب ، ثم قالت أم سلمة : يا رسول الله ، أخرج ولا تكلم أحدا ، واعمد إلى هديك فاذبحه بيدك ، فإن المسلمين سيتسابقون إلى الاقتداء بك ، وبالفعل خرج رسول الله ﷺ ولم يكلم أحدا ، وذبح الهدى علنا جهراً أمام المسلمين ، فتسابقوا بسرعة وقوة إلى ذبح الهدى والاقتداء بالرسول الأمين مؤيد بمعونة الله ، وأن الله ناصره ، وأن طاعة الرسول وجبة .

ويكون معنى الآية ما يأتي :

إن الله تعالى الذى منَّ على رسوله محمد ﷺ بالفتح والمغفرة والنصر، هو الذى أنزل السكينة والأمان والاطمئنان واليقين والرضا في قلوب المؤمنين عند بيعة الرضوان ، استعدادًا للحرب، فلما تبين أن عثمان لم يقتل ، ورغب أهل مكة في المسلح ، وتمّ صلح الحديبية بعد مناقشات متعددة ، ورضى الرسول ﷺ عن المعاهدة وقبلها ، ألقى الله السكينة والاطمئنان في قلوب المؤمنين ، بأن ما عمله الرسول هو الأسلم والمحاهدة من أن هي هذا العمل أمانًا للإسلام والمسلمين ، فازدادوا يقينًا مع يقينهم بصدق الرسول ﷺ.

وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ...

فقد كان قادرًا على أن ينصر المسلمين بإنزال ملائكة من السماء ، وإنَّ ملكًا وإحدًا قادر على البطش بقريش ومن ممها ، ولكن الله أراد أن يبتلى المسلمين بالجهاد والقتال ، ليظهر إيمان المؤمنين ، ونفاق المنافقين ، وهزيمة الكافرين .

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا .

أى : كان الله ولا يزال واسعًا علمه ، محيطًا علمه بكل شيء ، حُكِيمًا . في فعله ، لطيفًا في تدبيره .

وقد أخذ جمهور العلماء من هذه الآية أن الإيمان يزيد وينقص، واستدل جمهور الأشاعرة والفقهاء والمحدُّثين والمعتزلة على هذا بهذه الآية ، ويقوله ﷺ قد سُئل: هل يزيد الإيمان وينقص ؟ فقال ﷺ: «نعم، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار، ""،

وقد ذهب الشافعي ، ومالك ، والبشاري إلى أن الإيمان يزيد وينقص .

قال البخارى : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار ، فما رأيت واحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص . وقد خالف في ذلك أبو حنيقة ، وأورد الآلوسي في تفسيره هذا الموضوع بتوسّع ، فليرجع إليه من شاء. وقال المفسرون :

أراد بإنزال السكينة في قلوب المؤمنين (أمل الحديبية) حين بايعوا رسول الله ﷺ على مناجزة الحرب مع أمل مكة، بعد أن حصل لهم ما يزمع النفوس ويزمغ القلوب ، من صدُّ الكفار لهم عن بخول مكة، ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم ، فلم يرجع منهم أحد عن الإيمان ، بعد أن هاج الناس وماجوا ، وزلزاوا حتى جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ وقال : أاست نبى الله جفًا ؟ قال · هبلي » ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الماطل ؟ قال : هبلي » ، قال : فَلِمَ نعطى الدنية في ديننا إذن ؟ فقال ﷺ . وإني رسول الله، ولمن ناصري» (١٠) .

- لَيْدَخِلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنْدَتِ تَحْرِى مِن تَحْيَهَا ٱلْأَنْهَارُ صَالِمِينَ فِيهَا وَيُكَثَّمَوَ عَنْهُمْ سَيَاتِهِمْ وَكَانَ ذَالِكَ عِندَ ٱللهُ فَوْزًا عَظِيمًا .
 ذَلِكَ عِندَ ٱللهُ فَوْزًا عَظِيمًا .

كما أكرم الله تحالى رسوله ﷺ بالفتح المبين ، ومغفرة الذنب ، وإتمام النعمة ، وهداية المسراط المستقيم ، فقد أكرم المؤمنين في هذه الآية إكرامًا عظيمًا ، جزاء ثباتهم في بيعة الرضوان ، وطاعتهم للرسول ﷺ في الحرب والسلم ، فوعدهم هما يأتي :

(1) أن يدخلهم جنات ويساتين ناضرة تجرى الأنهار من تحتها، ويتمتعون فيها بسائر أنواع المتعة، وما
 تشتهيه الأنفس وثلاً الأعين .

(ب) أن يكفّر عنهم سيئاتهم ويستر خطيئاتهم ، ويغفر ذنوبهم ، ويرفع درجاتهم .

(ج) أن يعطيهم الفرز العظيم برضوان الله ، وجواره وفضله .

هَال تعالى: فَمَن زُحْزِحَ عَنِ آثَارِ وَأَدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيْؤَةُ ٱلذُّنْيَّ إِلا مَشْئُحُ ٱلْغُرُورِ . (ال عموان: ١٨٥).

٧ - وَيُعَلَّبُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُنْفِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلطَّالِينَ بَاللَّهِ طَنَّ ٱلسُّوْءِ عَلَيْهِمْ دَابَرَةُ ٱلسُّوْءِ
 و خصب ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَتَعَيْمُ وَأَعَدُ لَهُمْ جَهَيْمٌ وَصَاءَتُ مَصِيرًا.

كما أكرم الله المؤمنين والمؤمنات بدخول الجنة ، وتكفير السيئات ، وبالفوز العظيم ، كذلك عاقب المنافقين والمنافقات ، الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام .

وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَتْتِ ... الكافرين بالله ، والعابدين للأصنام .

· الطُّالِينَ بِاللَّهِ ظَنْ السُّوءِ ...

ظنوا أن الله لن يتصر رسوله ، وأن الرسول والموِّمتين لن يعودوا إلى أهليهم بالمدينة ، بل سينزل بهم المكروه والقتل والهزيمة أمام أهل مكة .

عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ . . .

دعاء عليهم بأن تدور الدائرة عليهم ، وأن يحيق بهم مكرهم السيئ ، وعملهم الخبيث ، فينزل بهم السوء والمكروء الذي يتوقعونه للمسلمين .

وَغَضِبَ آثِلُهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ...

وسخط الله عليهم بكفرهم ونفاقهم ، وأبعدهم من رحمته وفضله ، وعرَّضهم اعقويته .

وَأَعَدُ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتُ مَصِيرًا .

وهياً لهم في الأخرة نارًا مستعرة ، يجدون فيها أنواح الآلام وصنوف العذاب ، ويئس المصير مصيرهم في جنهم .

٧ - وَلِلَّهِ جُنُوهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا .

جنود يرسلها للرحمة والمعرنة والنصر للمؤمنين ، والتثبيت قلوبهم ، كالريح والملائكة ، وجنود يرسلها بالعذاب على الكافرين ، من الملائكة والجن والحيوانات ، والصواعق المدمرة ، والزلازل والخسف والغرق ، جنود لا تُحصى ولا تُحدُ ، تُستخدم تارة للرحمة بعباد الله وأصفيائه وأوليائه ، ونفس الجنود تُستخدم لعذاب من يشاء الله .

قال تعالى : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبُّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَو . (المدور: ٣١) .

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا .

غالبًا غير مغلوب ، حكيمًا لا يعمل عملاً إلا بحكمة الحكيم العليم .

جاء في حاشية الجمل على تفسير الجلالين ما يأتي :

في الآية الرابعة قال سبحانه : وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا .

وكان ذلك في معرض الخلق والتدبير، فذيكها بقوله : عُلِيمًا حَكيمًا.

وذكرها ثانيةً في معرض الانتقام – في الآية السابعة – فذيلها بقوله : عُزِيرًا حَكِيمًا .

وهو في منتهى الترتيب الحسن ، لأنه تعالى ينزل جنود الرحمة لنصرة المؤمنين ، وجنود العذاب لإهلاك الكافرين . ا هـ.

وفى معركة بدر أنزل الله المطر فقبُت به أقدام المسلمين ، وكان المطر ويالاً على الكافرين ، وأنزل الله الملائكة تثبت قلوب المؤمنين ، وتلقى الرعب فى قلوب الكافرين .

فضل الرسول علله والمؤمنين

﴿ إِنَّا أَرْسَلَنَكَ شَنهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِتَوَّمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَرِّرُهُ وَ وَتُوَقِّرُهُ وَلُسَّرِّحُوهُ بُكَرَةً وَأَصِيلًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ بَايِمُونَكَ إِنَّمَا بَايِمُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ آيِدِيجٍ مُّنَمَنَ تُكَنَّ فَإِنَّمَا يَنكُنُ عَلَى تَفْسِعِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَاعَنَهَ مَلَتَهُ ٱللَّهَ فَسَمُونَهِ لِتَرَاعَظِيمًا ۞ ﴾

المطردات د

اهما على أمتك .

وتــــوقـــروه؛ وتعظموه.

وتسيم ومسود، وتنزهوه، وتصلُّوا عليه.

يكرة وأهبيسلا غدوة وعشيا ، أي: أول الذهار وآخره ، والمراد : جميع النهار ، إذ من سنن العرب أن يذكروا طرفي الشيء ، يريدرن بذلك جميعه ، كما يقال : شرفًا وغربًا ، لجميع الدنيا.

لمدالله هوق ألمديهم، قدرته وقوته فوق قدرتهم وقوتهم ، أو بركة الله ونصرته وتوفيقه فوق أيديهم.

تــــــكث نقض العهد والبدعة .

هانما يتكث على نفسه ، فإنما يضر نفسه ، ويوردها موارد الهلكة ، فلا يعود وبال نقضه وضرر نكته إلا عليه .

عساسيسةُ السلسة ، قرأ الجمهور بكسر الهاء ، وقرأ حقص برفعها لأنها ماء (هر) مضمومة ، فاستصحب . ذلك كما في : لله ، وضرية .

تمهيد،

نحن أمام وظائف الرسول ﷺ ، وهي :

١ - تبليم الرسالة للخلق أجمعين.

٢ - الشهادة على أمَّته بالإيمان، وعلى المكذِّبين بالكفر.

٣ - هو بشير بالجنة لمن أطاع.

٤ - هو تذير بالنار لمن عصى .

وزاد في سورة الأحزاب ما يأتي : وَذَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا قُبِيرًا . (الأحزاب: ٤٦) .

ثم تحدثت الآبات عن فضائل المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة ، على الموت رعلى على الموت رعلى ألا يفررا ، وقد بارك الله هذه البيعة ، ونسبها إليه تشريفًا لها وتكريمًا ، وجعل بركته وفضله وأنعمه وتوفيقه فوق أيدى المبايعين ، ووعد بالعقوبة للشاكلين ، وبالأجر العظهم لمن وفي بهذه البيعة .

وقد شهدت آيات القرآن الكريم ، وصفحات التاريخ ، والسيرة المحمدية على جهاد الرسول ﷺ ، واجتهاده في تبليغ الرسالة ، وتبشير المؤمنين ، وإنذار الكافرين ، طول مدة رسالته ﷺ ، على مدار ثلاث وعشرين سنة ، حتى عمت رسالته بلاد العرب ، ثم انطلق نور الإسلام بعد ذلك فعمُ المشارق والمغارب .

التفسير،

٨ - إِنَّا أَرْسَلْتَنْكَ شَنْهِدًا وَمُبَشِّرًا وَلَٰلِيرًا .

هذه شهادة من الله العلى الكبير لرسوله محمد ﷺ ، يذكر فيها سبحانه أنه اختص نبيه ﷺ بما يأتي:

' (أ) أرسله الله رسولا ، وجعله خاتم الرسل ، وقال له : إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ ...

أي: نحن الذين اصطفيناك واخترناك ، وأرسلناك رسولاً .

(ب) شُلْهِناً على أمتك بالإجابة ، وعلى أعدائك بالتكذيب ، وعلى الرسل السابقين بأنهم بلغوا رسالات ربهم،
 بدليل القرآن الذي قصٌ قصصهم ، وأحيا ذكراهم ، ويارك كفاحهم ، وسجل نصر الله لهم ، وإهلاك
 أعداثهم .

(جـ) وَمُبَشِّرًا . للمؤمنين والمؤمنات ، وكل من استجاب لرسالة الإسلام بالجنة .

(د) وَنَلِيرًا . لكل من خالفك بالثار.

٩ - تَتَوْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّرُوهُ وَلُوَقَرُوهُ وَلُسَبِّحُوهُ لِكُرَّةُ وَأَصِيلاً .

أرسلنا رسولاً من أجل أن تؤمنوا أيها المؤمنون بالله ربًّا ، ويمحمد ﷺ نبيا ورسولًا.

وَتُعَرِّرُوهُ . بالاستجابة لدينه والإيمان برسوله ، وتقويته ونصره ، والانضمام تحت لوائه .

وَ تُوَفِّرُوهُ . تعظموه .

وُتُسَبُّحُوهُ . تنزهوه عما لا يليق ، فالله سيحانه وتعالى متصف إجمالاً بكل كمال ، ومذرَّه عن كل نقص ، والتسبيح ذكر الله ، مثل : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظهم .

هُكُرُةٌ وَأُصِيلاً ، أول النهار وآخره ، وقيل : البكرة والأصيل جميع النهار ، ويكنى بالتعبير عن جميع المشء بطرفيه .

وقال ابن عباس: المراد بهما صلوات الفجر والظهر والعصر.

قال القاسمي في تفسير الآية ما يأتي :

والضمائر كلها على ما ذكرنا لله ، وجُوِّز إعادة الأولين للرسول ، والأخير لله، إلا أن فيه تفكيكًا . ا هـ .

وقال القرطبي في تفسيره :

والهاء في قوله تعالى: وَلُمُزَّرُوهُ وَلُولُورُهُ ... للنبي ﷺ ، وهنا وقف تام ، ثم تبتدئ بقوله تعالى: وَتُسْبُحُوهُ . أَيْ : تسميرا الله يكرة وأسيلاً .

وقيل : الضمائر كلها لله تعالى ، فعلى هذا يكون تأويل : وَلَعَزَّرُوهُ وَكُوَّرُوهُ ... أي : تثبتوا له صحة الربوبية ، وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك . ا هـ .

٩٠ – إِنَّ ٱلَّذِينَ يُسَالِمُونَكَ إِمَّا يَسَامِونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْسِهِمْ فَمَن تُكَتَ لَإِنَّمَا يَسَكُّتُ عَلَىٰ فَفْسِدِ وَمَنْ أَزْفَىٰ بِمَا عَـنَهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهُ فَسَرُؤْمِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .

تتحدث الآية عن بيعة الرضوان ، عندما خرج رسول الله ؛ والمسلمون الأداء العمرة ، همنعتهم قريش ، وأرسل رسول الله ؛ عثمان ليُخلِم أهل مكة بقصد رسول الله ؛ وأنه جاء معتمرًا معظمًا للبيت ، ولم يأت محاربًا ، فاحتبست قريش عثمان ، وأشيع بين المسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال ؛ «لا نبرح حتى نناجر القرم»، واجتمع المسلمون إلى رسول الله ﷺ، وأحدّهُواً به ، والتفُّوا حوله ، وبايعوه على الموت وعلى ألا يغرّوا ، وكان عدد المسلمين ألفًا وأربعمائة مقاتل أن ألفًا وخمسمائة مقاتل ، وقد بايعوا جميمًا ، ولم يتخلف أحد من المسلمين عن البيعة ، إلا الجدّ بن قيس ، فكان جابر رضى الله عنه يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصغًا بإيط ناقته ، قد صباً إليها يستتر بها من الناس .

ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان باطل ، وأن عثمان حيٍّ يرزق ، لكن الله سجل أمر هذه البيعة ، وظلت علامة بارزة ، ووسامًا غاليًا ، يذكر لهؤلاء الصحابة تضحيتهم ويبعتهم ، ورغبتهم في ذصرة دين الله ، ونصرة رسوله ﷺ ، وطاعة الله ، والتضحية بالدنيا في سبيل الآخرة وما فيها .

من معانى الآية

عناية الله تعالى رإكرامه ورضاه عن هؤلاء الرجال ، الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، حتى جمل بيعتهم للرسول ﷺ إنما هي بيعة لله ، فيا للجلال والإكرام في هذا المعنى .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُهَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهُ ...

لقد بايعوا رسول الله ﷺ تحت شجرة الرضوان ، على الموت وعلى ألاً يقرَوا ، وكانت هذه البيعة للرسول ﷺ ، وهي أيضًا بيعة لله ، على بيع النفس وشراء الجنة ، كما قال سبحانه وتعالى : إِنَّ ٱللَّهُ ٱلْمُتَرَى مِنْ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُم بِأَنْ لَهُمْ ٱلْجَنَّةُ يَقْدُولُنَ فِي سَسِلِ ٱللَّهِ فَيْتَظُونَ وَيُقَتُلُونَ وَعْمَدًا عَلَيْمِ حَمَّا فِي ٱلثُورُكَامِ وَالْوَالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُم بِأَنْ لَهُمْ ٱلْجَنَّةُ يَقْدُولُنَ فِي سَسِلِ ٱللَّهِ فَيْتَظُونَ وَيُقْتُلُونَ وَعْمَدًا عَلَيْمِ حَمَّا فِي ٱلثُورُكَامِ وَالْوَالِمِينَ اللهِ مِنْ اللهِ ... (التربة: ١١٨) .

وقريب من ذلك قوله تعالى : لَقَلَمُ تَقْتُلُوهُمْ وَلَلْكِنَّ ٱللَّهُ قَتَلُهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَلْكِنَّ ٱللَّهُ رَمَىٰ ... (الأنفال: ١٧)

وقوله سبحانه : مِّن يُطِع ٱلرُّسُولَ فَقَدْ أَظَاعَ ٱللَّهُ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَاۤ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَقِيظًا . (النساء : ٨٠).

ثم قال تعالى : يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ...

بركة الله ، وعناية الله ، وتوفيق الله ، وفضل الله ، ورقابة الله ، وقوة الله ، وقدرة الله فوق أيديهم ، بالنصر والرضا والتأييد .

فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ...

فمن نقض عهده مع الرسول ، وهان الأمانة ، وعدل عن التضمية والقداء ، أو هان بأي نوع من أنواع الغيانة ، فإنما ضرر ذلك يعود على نفسه ، فهو الخاسر المقيون ، لأنه خسر ما أعدَّه الله لهولاء الرجال المبايعين ، الذين قال لهم رسول الله ﷺ يوم البيعة : وأنتم اليوم غير أهل الأرضيء .

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَنْهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.

ومن قام بحق البيعة ووبنَّى بها ، وأانرم نفسه طاعة الله ، وطاعة الرسول ، وألزم نفسه بهدى القرآن والسنة ، ولزرم الجماعة والأمة ، فله الثواب العظيم ، والأجر الكريم من الله تعالى ، وأنْجِمُ به من أجر عظيم .

وفى معنى ذلك قال سبحانه وتعالى : لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلْرِبِهِمْ قَانَزَلُ ٱلسَّكِينَةُ عَلَيْهِمْ رَأَفْتَهُمْ قَحُوا قَرِيهًا . (الفتح ١٨٠) .

أحوال المتخلفين عن الحديبية

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُحَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا آمُولُنَا وَآهَلُونَا فَٱسْتَغْفِرْلَناً بَعُولُونَ

إِلَّاسِ نَتِهِ مِمَّا لَيْسَ فِي هُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن بَعْلِكُ لَكُمْ مِنَ الْمُوسَنَّةِ إِلَى الْدَوبُمُ صَرًا أَوْلَالُو بِكُمْ نَفَعًا بَلَكَانَ اللَّهُ مِنا نَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ إِنَّ بَلْ طَنَعْتُمْ أَنَ لَنَ يَنقِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْقَلِيهِمْ آبَدًا وَثُوبَ وَلَكَ اللَّهُ وَمَكُمْ وَطَنَعْتُمْ طَنَّ السَّمْ وَصَحَنْتُمْ وَصَحَنْتُمْ وَصَحَنْتُمْ وَمَن اللَّهُ وَمَن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمَن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَمَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَمَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَلُولُولُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ الْمُلْكُولُ اللَّهُ اللْمُلْولُولُ اللْمُعُلِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْكُولُولُ اللْ

المفردات:

قمن يملك تكم ، استفهام بمعنى النفى ، أي : لا أحد يملك لكم .

ضيياء ما يضر من هلاك الأهل والمال وضياعهما.

ما ينفع من حفظ المال والأهل.

إلى أهليهم؛ إلى عشائرهم وذوى قرباهم.

بــــــورا، مالكين لفساد عقيدتكم.

وسيعسب باء نارًا موقدة ملتهبة.

تمهيد،

فى هذه الأيات بيان حال المتخلفين من الأعراب عن مشاركة الرسول ﷺ فى الخروج لأداء العمرة ، التى ترتب عليها صلح الحديبية ، وقد اعتذروا بانشغالهم بالمال والأولاد ، وهو اعتذار ظاهرى أو مخادع ، وقد كشفهم القرآن وعرَّاهم ، وكشف السبب الحقيقى لتخلفهم ، وهو ظنهم السوء بالمسلمين ، واعتقادهم بأن الرسول ﷺ ومن معه سيقتلون وتستأصل شأفتهم ، ولا يعودون إلى أهليهم أبدًا ، وقد هددهم الله بالنار المحرقة يوم القيامة ، ويين لهم أن لله ملك السماوات والأرض ، وهو أهل للمغفرة لمن تاب إليه وأخلص نيته ، وهو أهل لأن يعدّب الخائنين المعادين لله ورسوله .

التفسيره

١٩ - مَنيَّةُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّقُونَ مِنَ ٱلْأَغْرَابِ شَغَلْتُنا أَمْوَاتُنا وَأَهْلُونَ فَاسْتَغْفِرْ ثَنَا يَقُولُونَ بِٱلْسِتِيهِم مَّا لَيْسَ فِي
 الله بهم قُلْ قَمَن يَمْلِكُ لَكُم ثِنَ ٱلله هَيْئًا إِنْ أَوَادَ بَكُمْ ضَرًّا أَوْ أَوَادَ بَكُمْ تَشَتُّ بَلُ كَانَ ٱلله بَعْدَ نَعْمَلُونَ خَبِينًا.

كان حول المدينة أعراب من جهينة ومزينة ، وغفار وأشجع ، والديل وأسلم ، وقد تخلّفوا عن رسول الله ﷺ حين خرج لأداء العمرة ، وظنوا أن الرسول ﷺ لن ينتصر على قريش ، ومعها ثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة ، وهم الأحابيش .

وقالوا: كان أمل مكة يغزونه بالمدينة في عقر داره ، في غزوتي أحد والخندق ، فكيف يذهب البهم بنفسه ، وما علموا أن لله ملك السماوات والأرض ، وأن بهده الخلق والأمر والنصر ، وأنه على كل شيء قدير .

سيقول لك المتخلفون عن الجهاد من الأعراب ، معتدرين عن تخلفهم : انشغلنا برعاية أموالنا وأبنائنا ونسائنا ، فاطلب من الله المغفرة لنا على هذا التقصير عن الجهاد ، وهم لم يقولوا الحقيقة ، ولم يعترفوا بالسبب الحقيقى لتخلفهم ، بل قالوا كلاما فيه نوح من التقيّة والمداراة ، وعدم إظهار العذر الحقيقي للتخلف. قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيًّا إِنْ أَزَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَزَادَ بِكُمْ نَفْعًا ...

أي: ايس الشغل بالأمل والمال والولد عذرًا ، فكل المجاهدين لهم أموال و أولاد ، والحقيقة اليقينية . هي أن الخسر والنفع بيد الله ، وأن الغنى والفقر بيد الله ، والصحة والمرض بيد الله ، فإذا أراد الله بكم ضرًا . فلا أحد يستطيع أن يدفعه ، وإذا أراد الله بكم خيرًا أو نفعًا فلا أحد يستطيع أن يمنعه ، ولو استقر الإيمان في تلويكم لخرجتم للجهاد مع المجاهدين ، وعلمتم أن النفع وحفظ المال والأهل من عند الله ، وأن الضرر لا يدفعه الا الله .

بَلُ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا .

بل كان الله مطلعًا على قلوبكم ونياتكم ، وسيجازيكم عليها جزاء عادلاً .

قال القرطيي:

وهذا رد عليهم حين ظنوا أن التخلف عن الرسول ﷺ يدفع عنهم الضرّ ، ويعجل لهم النقع .

٩٧ – بَلْ هَسَعُمْ أَن تُن يَعَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ ٱبْنَا وَزُيْنَ ذَلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَهَسَعُمْ هَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُمُعُمْ قَوْمًا بُورًا .

بل ظننتم أبها المنافقون أن رسول الله ﷺ سَهُرَم ، ويقتل أمام أهل مكة ، ولن يرجع الرسول والمرمنون إلى أهليهم وعشائرهم أبدًا ، وزين الشيطان ذلك فى قلويكم ، وامتد ظُنُّ السوم إلى صدق رسالته ﷺ ، لأن الذى يشك فى صدق رسالته ويتوقع له الهزيمة إنسان فاسد الإيمان ، هالك مع الهالكين المسترجبين لسخط الله وعقابه .

ونلحظ هذا جملة : وَكُنفُمْ قَوْمَنَّا بُورًا .

أي: هالكين فاسدين ، لا تصلحون لشيء من الخير ، ولا تستحقون إلا الخزى والعقاب ، ومنه : أرضر باثرة ، أي : ليس فيها زرح .

قال الزمخشري :

والبور من بـار ، كالهُلُك من هلك ، بناءً ومعنى ، ولذلك وُصف به الواحد والجمع ، والمذكّر والمؤنث ويجور أن يكون جمع بالنر ، كمائذ وعوُّد . ١٣ - وَمَن لَّمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدُنَا لِلْكَـٰلَفِرِينَ سَعِيرًا -

ومن لم يصدق بالله ربًّا، وإلهًا واحدًا أحدًا، فردًا صمدًا، بيده الخلق والأمر، والرزق والخير، والنفع والضرّ، ولم يؤمن بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، من أمثال هؤلاء المخلّفين من الأعراب؛ فان ينفعه مال ولا واد، وقد أعد الله له السعير والعذاب الشديد.

أى: فقد اختار الأدنى وهو المال والولد، وعرَّض نفسه للهلاك والبوار، وعذاب السعير.

\$ ١ - وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰ وَاتَ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَلَّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .

هو سبحانه الملك الحقيقي لهذا الكون كلّه ، سمانه فأرضه ، ويحاره وأنهاره ، وليله ونهاره ، وشمسه وقمره : وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَلْكِن لاَ تَفْقَهُونَ تَنْسِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ خَلِيمًا خَفُوزًا . (الإسراء : ٤٤) .

وهو سبحانه : يُغْفِرُ لِمَن يُشَاءً . ممن تاب وأناب ، ودخل في محراب الإنابة والرجوع إلى الله ، وفهه حث للمنافقين والكافرين وجميع الناس على الدخول في رحمته الواسعة ، والإنابة والرجوع إليه ، واللندم على ارتكاب النفاق والشقاق .

وُيُعَدُّبُ مَن يَخَاءُ . فلا يقدر أحد على دفع العذاب عنكم إن أراد الله تعذيبكم ، وفيه تحريض لهم على عدم اللجرء إلى الرسول ﷺ، ليعاملهم على ظواهرهم ويستغفر لهم ، لأن الله تعالى هو المطلع على السرائر، وبيده وحده المغفرة لمن يشاء ، والعذاب لمن يشاء .

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .

أى : كان ولا يزال واسع المغفرة ، سبقت رحمته غضبه ، وفتح أبوابه للتائبين .

قال ابن جرير الطبرى: منا من الله جل ثناؤه حثُّ لهؤلاء الأعراب المتضلفين عن رسول الله ﷺ على التوية والمراجعة إلى أمر الله ، في طاعة رسوله ﷺ ، يقول لهم: بادروا بالتوية من تخلُفكم عن رسول الله ﷺ فإن الله يغفر للتائبين ، لأنه لم يزل ذا عفر عن عقوية التائبين إليه من نخويهم ومعاصيهم من عباده، وذا رحمة بهم أن يحاقبهم على نذويهم بعد تويتهم منها .

رغبة المخلِّفين في القتال والغنائم

﴿ سَيَغُولُ ٱلْمُحَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقَتُمْ إِلَى مَعَانِمَ لِتَأَغُدُوهَا ذَرُونَا نَيَّيِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَمَ ٱللَّهِ قُل لَن تَنِّيعُونَا كَلَاكُمْ قَاكَ اللَّهُ مِن فَبْلُ فَسَيْقُولُونَ بَلِ قَسُدُونَنَا بِلَّ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞﴾

المفردات

﴿رُولُانْتُهُمُهُ * أَتُرْكُونَا نَفْرِجُ مَعْكُمُ إِلَى خَيْبُر .

كالأم الطنه احكمه القاضي باختصاص أهل الحديبية بمغانم خيبر،

تمهيده

التفسب

هذه الآية أيضًا من الإخبار بالغيب ، حيث أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بما سيقع من الأعراب الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية ، ظنًا منهم أن الرسول ﷺ وأصحابه سيقتلون هناك ، سيقولون : اتركونا نخرج معكم إلى فتح خيبر ، رغبة فى الفنائم ، وذلك يوضع كذبهم السابق ، حين قالوا : شفلتنا أموالنا وأهلونا، ويركد أنَّ النفاق والخوف هو الذي منعهم فى السابق .

وجمهور المفسرين بعلى أن المراد بالغنائم هنا غنائم خيير، فقد كانت عمرة الحديبية في ذي الحجة من العام السادس للهجرة ، وكان فتح خيير في المحرم من السنة السابعة ، فهي أقرب غنائم بعد الحديبية

م - سَيَتُولُ ٱلشَّحَلَقُونَ إِذَا آنطَلَقُمْ إِلَىٰ مَعَامِمَ لِتَأْخُلُوهَا ذُرُونَا فَيْحَكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدَّلُوا كَلَامُ ٱللَّهِ قُل أَن تَجْمُونَ كَانَ يَبَدُلُوا كَلَامُ ٱللَّهِ قُل أَن تَجْمُونَ كَانَ مَشْدُونَ بَالْ تَحْسُدُونَ بَالْ كَانِهُ لَا كَانُواْ لَا يَفْقُهُونَ إِلَّا قَلِيلاً.

سيقول المخلّفون الذين تخلفوا عن عمرة الحديبية ، إذا انطلقتم إلى فتع خيير ، والحمول على غنائمها : اتركونا نخرج معكم ، بغية الحصول معكم على الغنائم ، يريدون أن يبدّلوا وعد الله القاضى بأن يحبّل لأهل الحديبية غنائم كثيرة يأخذونها وحدهم ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل مفاتم خيير لأهل الحديبية ، لأن الله وعدهم بفتح قريب ، ويمغانم كثيرة يأخذونها ، وسيائى تأكيد ذلك في قوله سبحانه : لقد رُخِي الله عن الله عند من المنافقة مُنافعة أمّ الشَّحَرُ وَقَعْلِمَ مَا فِي قُلْرِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَٱلْنَهُمْ فَعَمَّا أَمِياً مَنْ عَلَيْهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَٱلْنَهُمْ فَعَمَّا فَرِياً ، وهنا منافعة عند منافعة الله عند الله في المنافقة المنافقة الله عند الله عند الله عند الله المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة الله الله المنافقة المناف

قُل لَّن تَشِعُونَا كَذَا لِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ...

قل يا محمد لهوّلاء المتخلفين عن الحديبية: لن تتبعونا عند الذهاب إلى خيبر، فبمثل ذلك الحكم أمر الله وقضى وحكم ، بأنَّ غنائم خيبر لمن خرج إلى الحديبية ، حيث بايع على الموت ، ثم رضى بالصلح والعودة إلى المدينة ، راضيًا بحكم الله ورسوله .

فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُلُولَنَا ...

سيقول المخلّفون عند سماع ذلك : ليس هذا حكم الله ، بل هو الحسد الذي منعكم من قبولنا في الخروج معكم إلى فتح غيبر .

بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا .

أي: إنكم شغلتكم الدنها وأموالها ، فلا فقه لكم في المعانى السامية التي يحملها المؤمنون المجاهدون الذين بايعوا تحت الشجرة ، ورضى الله عنهم ، وسجّل ذلك في كتابه ، فأنتم لا تفهمون إلا فهما قليلاً في شئون الدنيا ، أمّا أمور الدين ، ومعالم الخير والرضوان من الله ، فأملها وفاهموها هم المؤمنون ، فالقرآن ينزّه رسوله صلى المحتفى الحسد ، وهو تمنّى زوال نعمة الغير ، ويصاحبه الحقد والضغينة والسوء والشرّ، وكلها معان حفظ الله رسوله والمؤمنين منها ، والمنافقون لا يفهمون من هذه المعانى إلا القليل .

أو المعنى : قليل منهم هم الذين يفقهرن ويدركون ، وقد ثبت أن بعض هؤلاء الأعراب أسلم وحسُن إسلامه ، وشارك في فتح مكة ، ثم في غزوتي حنين والطائف .

* * *

ء خطاب آخر للمخلفين

﴿ قُلِللْمُ مَنَافِينَ مِنَ ٱلْأَعَرَابِ سَسَدُ عَوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسِ شَلِيدٍ لْقَنْلُونَهُمْ أَوَكُسُلِمُونَ ۚ فَإِن تُطِيمُوا يُوْقِيكُمُ اللَّهُ أَجُرًا حَسَنَا ۗ قَلِن تَسَوَلُوا كَمَا تَوْلَيْتُمْ مِن فَبْلُ يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا اللِّيمَا ١٤ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجُ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللّه يُدْخِلْهُ حَنَّنتٍ جَبِّرِي مِن تَقْتِهَا ٱلْأَمْرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا أَلِيمًا ١٤٠٠ ﴿ ﴾

المضردات :

أولى بأس شديد ، أصحاب شدة وقوة في الحرب.

فإن تطيعوا ، تستجيبوا وتنفروا للجهاد .

مسسسرج ، إثم في التخلف عن الجهاد ، وقدال الكفار .

تمهيده

في هذه الآية يفتح الله أبوابه للمتخلفين عن الجهاد ، ويذكرهم بأن فرصة سانحة ستأتى لقتال قوم أشداء أقوياء في الحرب ، فمن أطاع ولبي وقائل فئه الثواب والأجر الحسن ، ومن أعرض فله العذاب الألهم ، ويمناسبة الدعوة إلى الجهاد بيِّن سبحانه أصحاب الأعذار الذين يباح لهم التخلف عن الجهاد .

التضسير،

١٦ - قُل لَلْمُحَلَّقِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتَعْمَوْنَ إِلَىٰ قَوْمِ أَوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تَقْشِلُونَهُمْ أَوْ يَسْلِمُونَ فَإِن تُعِيمُواْ فَإِنكُمْ اللهِ عَلَيْهُ عَلَيْ أَيْدِكُمْ عَلَيْهُ إِلَيْهُمْ عَلَيْهُ أَلِيمًا.

قل أيها الرسول الكريم لهؤلاء المخلفين من الأعراب: ستأتى فرصة قادمة لدخولكم تحت راية الجهاد، حيث تدعون إلى قتأل قوم أقوياء ، أصحاب خبرة وتفوق في الحرب ، ولهم به مراس شديد ، حيث يكون القرض من القتال دخولهم في الإسلام أو قتالهم ، فإن تطيعوا الله ورسوله في تلبية داعي الجهاد والإخلاص له : يرتكم الله أجرًا حسنًا ، فما أعظم ثواب الجهاد ، وهو الأجو والفنيمة في الدنيا ، أو الثواب إن لم يقتم ، ثم الجنة في الآخرة ، كما ورد في الحديث الصحيح .

وَإِنْ تَعَوَلُّواْ كُمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَيْلُ يُعَلِّبْكُمْ عَلَابًا أَلِيمًا .

وإن تعرضوا عن المشاركة مع المسلمين ، كما سبق أن أعرضتم عنهم في عمرة الحديبية : تتعرضون للمناب الأليم ، أي الهوإن والذلّ في الدنها ، والسعير والمذاب في الآخرة .

من هم القوم أصحاب البأس الشديد 9

تعددت أقوال المفسرين في هؤلاء القوم ، وذكر ابن كثير عدة أقوال :

أحدها : هوازن , ثانيها : ثقيف , ثائلها : بنو حنيفة , رابعها : فارس , خامسها : فارس والروم .

ورجّع د. أحمد الكومى ، ود. محمد سيد طنطارى ، أن يكون المقصود بالقوم أولى البأس الشديد هوازن وثقيف ، فالجيش المسلم الذى ذهب لفتح مكة كان يضمّ بين جوانحه العدد الكثير من قبائل أسلم وأشجع وجهينة وغفار ومزينة ، وقد ذهبوا لفتح مكة ، ويعد خمسة عشر يومًا ذهبوا لقتال هوازن وثقيف ، وكانوا رماة مهرة ، ولهم دراية بغنون القتال ، وقد شارك الأعراب في قتالهم ، وكثير من هؤلاء المخلفين أسلم إسلامًا خالصًا ، وحسنت توبته . ١٧ -- لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَغْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَوِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطعِ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ يُلدَخِلُهُ جَنَّلتِ لَعَجْرى مِن تَحْجِهَا ٱلْأَلْهَارُ وَمَن يَهَوْلُ يُعَلَّمُهُ عَلَايًا أَلِيمًا .

هوّلاء أصحاب الأعدار الذين يباح لهم التخلّف عن الجهاد ، وهم الأعمى فاقد البصر ، والأعرج صاحب العرج البين المستمر، والمريض .

والمرض نوعان: مرض دائم فيلحق بالأعمى والأعرج، ومرض طارئ: يطرأ أيامًا ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بذوى الأعذار اللازمة، حتى يبرأ، فإذا برئ من المرض وأصبح سليمًا معافى، وجب أن يشترك في الجهاد.

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ, يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلُ يُعَدَّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا .

من أطاع الله ورسوله في كل ما ذكر ، ولهي داعي الجهاد ، وآثر الأهرة على الغائية ، فله الجنة التي تجرى الأنهار من تحتها ، وفيها النعيم الأبدى الدائم ، ومن أعرض عن طاعة الله ، وترك الجهاد وخالف أمر الله ، يعذَّبه عنابًا بالغًا ، بالذلة والصفار في الدنيا ، والخار في الأجرة .

* * 1

رضوان الله عن أهل بيعة الشجرة

﴿ لَقَدْرَضِ اللَّهُ عَنِ الْمُقْمِينِ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَعْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَافِي قُلُوبِهِمْ فَأَذَلَ اَلسَّكِم مَنَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثْبَهُمْ فَتَحَافَرِيبًا ۞ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةَ يَأْخُذُونَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِمَا ۞ ﴾

المفردات :

رضــــــــن، الرضا من الله تعالى محبة وعطف وحنان ورعاية ، وتوفيق وهداية وتقدير ، وعدم سخط على أهل الحديبية لمبايعتهم رسول الله ﷺ.

يبايسونك، يعاهدونك على السمع والطاعة.

ما في قلوبهم ، من الصدق والإخلاص في المبايعة .

السكيت، طمأنينة القلب، وسكون النَّفس.

وأئسايسهم ، جازاهم .

فتحاقريها: هو فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية.

ومقائم كثيرة ، هي مغانم خيبر، وكانت خيبر أرضًا ذات عقار وأموال ، قسَّمها رسول الله ﷺ بين المقاتلين، والراحل سهمًا .

تمهيد :

يخبر الله تعالى برضاء عن العرّمنين الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا قد بايعوا رسول الله 瓣 تحت الشجرة على الموت رعلى ألا يغرُّوا ، وذلك عندما أرسل النبى 瓣 عثمان إلى قريش ، كمبعوث لرسول الله 瓣 ، يخبرها أنه جاء معتمرًا معظمًا للبيت الحرام ، لكنَّ قريضًا احتسب عثمان ، وأشيح أنه قد قتل ، فتمّت هذه البيعة، ثم علمت قريش بخبر هذه البيعة ، فأفرجت عن عثمان ، ورغبت في الصلح مع رسول الله 瓣 .

التفسيره

١٨ - أَقَنْدُ رَضِى ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ مَّتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَٱلَوْلَ ٱلسَّكِيمَةَ عَلَهِمْ وَٱلْمَهُمْ فَصَحَا قَرِينًا .

إن الرضا والبركة ، والرحمة والفضل ، والسكينة والأمان والمغفرة ، قد نزلت من الله تعالى على هؤلاء الصحابة الأجلاء ، وكانوا ألنًا وأربعمائة رجل ، قد بايعوا رسول الله ﷺ تحت شجرة الرضوان ، فسجل الله رضاء عنهم ، وقال ﷺ لهم : «أنتم اليوم خير أهل الأرضر» .

وقد حضر جبريل الأمين هذه البيعة ، روى ابن أبى حاتم ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه قال : بينما نحن قائل: بينما نحن قائلون إذ نادى منادى رسول الله ﷺ : أيها الناس ، البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، قال : فسرنا إلى رسول الله ﷺ ، وهو تحت شجرة سمُرة فبايعناه ، فذلك قول الله تعالى : أَقَدُ رَحْبَى ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُمُّكِينَ إِذْ يُنَاهِمُ لَكُ تَحْتُ ٱلشَّعِرَة . . .

قال: فبايع رسول الله ﷺ لعثمان رضى الله عنه ، بإحدى يديه على الأخرى (١٩١).

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ...

من التضحية والفداء ، والصُّدق والوفاء ، والسمع والطاعة .

فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِم ...

فأنزل عليهم الطمأنينة والهدوء، والامتثال لأمر الله ورسوله.

وَأَلَابَهُمْ فَضَحًا قَرِيبًا .

عوضهم الله وكافأهم بفتح قريب ، تمّ بعد شهرين من الحديبية ، وهو فتح خيبر، وفقح مكة ، وفتح حنين والطائف ، بل وسائر ما فتحه الله عليهم من البلاد ، وما وقع لهم من العزّ والرفحة ، والنصر والمنعة في الدنيا والأخرة .

١٩ – وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا .

جعل الله لهم المخانم الكثيرة ، التي يسرها لهم من أهل خيبر وغيرها من البلاد ، مع العن والمنعة والرفعة في النئيا والآخرة .

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

هو سبحانه العزيز الغالب ، الحكيم في تصرفاته وأفعاله ، حيث يسَّر لهم مهادنة أهل مكة ، والصلح معهم ، ثم يسَّر لهم فتح خيبر ، وقد غنموا منها غنائم كثيرة ، ثم فتح مكة ، ثم فتح جنين والطائف .

هال تعالى : قُلِ ٱللَّهُمَّ مَثلِكَ ٱلْمُلُكِ تُؤْتِي ٱلْمُلَكَ مَن تَشَاءُ وَتَوَرِّعُ ٱلْمُلَكَ مِمْن تَشَاءُ وَتُعِوُّ مَن تَشَاءُ وَتَعْلِلُ مَن تَشَاهُ إِيَّدِكُ ٱلْخَيْرُ إِلْكَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَلِيرٌ . (ال عمول: ٢٦) .

الحكمة في صلح الحديبية

﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِدَكَثِيرَةً تَأَخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمُ هَذِهِ وَكَفَ أَيْكَ النَّاسِ عَنكُمْ وَإِنكُونَ النَّا عِنكُمْ وَإِنكُونَ اللَّهُ عَلَا لَمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللللَّةُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ الللِل

المقردات:

المقائم الكشيرة، ما رُجِد به المؤمنون إلى يوم القيامة.

فعجل لكم هذه: مغانم خيبر.

وكف أيدى النامى عنكم، أبدى قريش بالمبلح ، وأيدى أهل خيبر وحلفائها من بنى أسد وعطفان ، وأيدى اليهود عن المدينة ، إذ هموا بعيالكم بعد خروج الرسول ﷺ منها إلى الحديبية ، بأن قذف في تلويهم الرعب .

آيــــــة ، علامة وأمارة .

المن من المرادة للمؤمنين في نصرهم ، يعرفون بها صدق الرسول الله في وعدهم بفتح خيبر وبالمغانم وغير دلك ، ومعرفة المؤمنين الذين سيأتون بعد أن كلامته تعالى ستنمهم أيضًا ما داموا على الجادة .

الصراط المستقيم؛ الثقة بفضل الله، والتوكل عليه، فيما تأتون وتذرون.

وأغير ومقائم أخرى ، هي مقائم فارس والروم .

أحساط السلسة يسهدا، أعدها لكم وهي تحت قيضته يُظُهر عليها من أراد.

الموتِّ ــوا الأديسار ، لانهزموا وأعطوكم ظهورهم هريًا منكم .

الــــوالـــــن، الحارس الحامى .

السنسبيب والمساعد

ســنــة الـجلــه، حكم الله وقانونه القديم في نصرة أنبياته ، قال تعالى : كُتَبَ ٱللّٰهُ لأَغْلِمَنْ أَنَا وَرُسُلِق ... (المجادلة: ٢١).

كث أيديهم عنكم، أيدى كفار مكة.

وأينيكم منهم بيطن مكة ، يعنى بالحديبية .

أظلف ركم صليمهم؛ أظهركم عليهم ، وجعلكم متظبين عليهم ، فإن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة إلى الحديبية ، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد على جند فهزمهم ، · حتى أنخلهم حيطان مكة ثم عان .

تمهيد،

هذه الأيات تتحدث عن نعمة الله تعالى على أهل الحديبية ، فقد تم الصلح بعد مناوشات متعددة ، تمسّك المسلمون فيها بالصبر ، وسنّحهم الله النصر ، وهنا يخبرهم القرآن أن أمامهم مغانم كثيرة في فتوحاتهم ، فعجل لهم غنائم خيير ، ولتكون دليلاً على صدق وعده سبحانه ، وهناك غنائم في فارس والروم قد أحاط الله بها ، وجعلها جاهزة لمن يتقدم لطلبها ، أن مغانم بعد فتح مكة من هوازن وغيرها ، ولو حدث قتال يوم الحديبية لنصركم الله عليهم ، تلك سنّة الله في نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين ، إن الله حكمة في أن ككّ ومنع أيديكم عن أهل مكة ، ومنع أيديهم عنكم ، بعد أن اظفركم الله عليهم بالبيعة ويمطاردتهم إلى حيطان مكة ، والله مطلع على أعمالكم ، بصير بنياتكم ، وسيحسن مثويتكم .

التفسير،

٧٠ – وَعَلَاكُمْ ٱللَّهُ مَعَالِمَ كَثِيرَةُ تَأْخَلُـونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـنـالِهِ وَكَفَّ أَلَيدِىَ ٱلنَّاسِ عِنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لَلْمُؤْمِنِينَ وَيَهَا بِيَكُمْ مِنرَهًا مُسْتَقِيمًا

وعد الله المؤمنين إذا استعروا على الجهاد في سبيل الله ، ولإعلاء كلمة الله ، أن يغنموا مغانم كليرة إلى يوم القيامة ، ومنها ما غنموه في حياة الرسول ﷺ ، وما غنموه في حياة خلفائه ، وفي تاريخهم في ماضى حياتهم ، وفي مستقبل حياتهم إن شاء الله ، قال تعالى : إِنَّا لَسَصُّرُ رُسُلنًا وَٱلَّذِينَ ءَامَّوا فِي آلْحَرَاقِ ٱلذُّبَا وَيَوْمَ يُقُومُ ٱلْأَحْمَةِ لُذَ ، (غانو ، 13) .

فَعَجُّلَ لَكُمْ هَلَاهِ ...

عجل لكم فتح خيبر ، مكافأة عاجلة لما أظهرتم يوم الحديبية من البيعة ، ومن طاعة الرسول في الحرب والسلم .

وَكُفُّ أَيْدِيَ آلنَّاسِ عَنكُمْ ...

كف أيدى أهل مكة عن قتالكم ، ورغبوا في مصالحتكم ، فرجعتم وافرين سالمين ، وكف أيدى اليهود بالمدينة عن نسائكم وصبيانكم ، بإلقاء الرعب في قلويهم ، وكف أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان عن قتالكم ، وقذف في قلويهم الرعب ، فنكصوا على أعقابهم ، وولوا هاريين فزعًا وخوفًا ، كل ذلك لتشكروه ، وَشِكُونَ ثَايَةً للمُؤْمِينَ ... يعرفون منها صدق رسولهم ﷺ في جميع ما يعدهم به ، وأن الله حافظهم وناصرهم على جميم الأعداء مم قلة العدد .

وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

ويلهمكم الصنواب والترفيق في سلوك الطريق الأمثل ، الواضح القويم ، الذي يوصلكم إلى ما تبتغون في عزّة وأمان .

٢١ ﴿ وَأَخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَخَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

وغنائم أخرى وعدكم الله إيهاما ، غير غنائم خيبر ، مثل فتح مكة وحنين والطائف ، وقد غنم المسلمون منها مخارة وقبل : المقصود غنائم فارس والروم ، لم تقدروا عليها الآن ، لكن الله العليّ المسلمون منها مخارة بها ، ودبر حفظها وتيسير أمرها للمسلمين ، حين يتقدمون لفتح هذه البلاد في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، الذي لرتعدت منه الأكاسرة ، والقعامية ، كما قال البلاء ي

يا من رأى عمرا تكسولا برئته والسزيت أدم لمه والسكوخ مأوالا بهتز كسرى على كرسيه فرقا من بطشه وملوك الروم تخشالا

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ قَامِيرًا .

حيث دبر سبحانه اقتتال الروم مع الفرس ، وهزيمة الروم أولاً ، ثم انتصارهم ثانيًا ، ثمّ تهيئةً الفريقين للأنهزام أمام المسلمين ، بتدبير الله الذي ينصر من يشاء ، وهو على كل شيء قدير ، إذا أراد أمرًا هيأ له الأسباب ، ثم قال له كن فيكون ، فهو سبحانه كان ولا يزال قادرًا مقتدرًا ، لا يعجزه شيء .

٢٧ - وَلَوْ قَاعَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلُّواْ ٱلْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

أراد الله أن يحفظ مكة من الحرب يوم الحديبية لعدة أسباب ، وهنا يقول: ؛ لو اشتيك كفان مكة معكم في قتال يوم الحديبية ، لانهزموا مولين أدبارهم للمسلمين ، كناية عن الفرار والهرب خوفًا من المسلمين ، ثم لا يجد الكفار وليًا يساعدهم ويأخذ بأيديهم ، ولا نصيرًا ينصرهم يقوة سلاحه وقوة جيشه ، لأنهم يحاربون دين الله ، والله غالب على أمره ، على حد قول القائل :

وليتخبآب أمخالب الخلاب

جاءت جهينة كي تحارب ربّها

٣٣ ~ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱللَّهِ ٱللَّهِ عَلَى خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَحِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً .

تلك سنّة الله ، أى منهجه المطرد ، وقوانينه العادلة ، أن يؤيد الحق وينصر الرسل ، ويبارك المؤمنين إذا أخذوا بالأسباب ، ثم اعتددوا على الله رب العالمين ، ومن سنة الله هزيمة الكافرين أمام المؤمنين ، وهزيمة أهل الهامل أمام أهل الحق ، وهي سنة قديمة ومعتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً .

أى: ولن تجد أيها العاقل لقانون الله الكونى تغييرًا ، لأن الذى وضعه هو خالق هذا الكون ، ورافع السماء وياسط الأرض ، ومسخر السحاب ، ومظلم الليل ومضىء النهار ، ومن قوانينه العادلة نصرة السماء وياسط الأرض ، ومسخر السحاب ، ومظلم الليل ومضىء النهار ، ومن قوانينه العاملة السماعة، المجاهدين ، ورفع راية أهل الحق ، وهزيمة المبطلين ، فدولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة، والآية تبشر المؤمنين ، وتأخذ بأيديهم إلى الثبات والكفاح والنصر ، كما قال تعالى : وَلَقَدْ سَبَقَت كُلِمُتُنا لَهُمْ الْفَالِمُونُ . (المساخات : ٧١١ – ١٧٣) .

4 ٢ – وَهُوَ ٱلَّذِي كَفُ ٱلْمِيهُمْ عَنكُمْ وَٱلْمِيكُمْ عَنْهُم بِيطْنِ مَكَّةَ مِنْ يَعْدِ أَنَّ أَظَفُو كُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ يَصِيرًا .

تشير روايات في صحيح مسلم وغيره إلى أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على المسلمين من قيل جبل التنعيم ، يريدون غرة في المسلمين ، فأُخذوا وعفا عنهم النبي ﷺ ، وعادوا إلى مكة ، وكان ذلك سبب نزول هذه الآية .

والآية مع ذلك تفسِّر بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالله تعالى بحكمته وقدرته ومشيئته ، أراد أن يمرّ يوم الحديبية دون قتال ، فمنع أيدى المسلمين عن قتال ألهل مكة ، ومنع أهل مكة عن قتال المسلمين، من بعد أن غنم المسلمين فئة من أهل مكة كانوا خمساماية مقانين محاربًا فأطلقوهم ، وطارد نخبة من جيش المسلمين فئة من أهل مكة كانوا خمسمائة مقاتل ، بقيادة عكرمة بن أبى جهل ، فهُزِم المشركون وطاردهم المسلمون إلى جدران مكة، وكان معرفًا يومئذ أن الظلبة والقوة والبيعة مع المسلمين .

وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ يَصِيرًا .

كان مطلحًا ومشاهدًا لاجتهادكم في مطاردة أعدائكم إلى جدران مكة ، ويقطتكم واستيلائكم على ثمانين محاربًا دعا عليهم النبي ﷺ فكفأ الله بصرهم ، واستولى عليهم المسلمون ، ثم أطلق النبي سراحهم، وكل هذا يسًّر لمعاهدة الحديبية ، ثم يسًّر بعد ذلك لقتم مكة .

* * *

أيضامن حكمة المصالحة يوم الحديبية

﴿ هُمُ الَّذِيكَ كَفُرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَى مَعْكُوفًا أَنْ يَبِلُغَ عِمَلَهُ وَلَوْلَا رِعَالُّ مُوْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُوْمِنَتُ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْنُوهُمْ فَصِيبَكُمْ مِنْهُ مَعَ رَّأَيْفِيرِ عِلْرٍ لَيْدُخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِن يَشَاهُ لَوْنَ زَيْلُوا لَمَذَّبَنَا اللَّذِيكَ كَفَرُوا مِنْهُمْ اَلِيمًا ۞ إِذْ جَعَلَ اللَّهِ يَكَ كُمُرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمُعَيِّدَةَ حَيِّنَةُ الْجَعِلِيَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَنَهُ مَانَ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْزَمَهُمْ كَلِيمًا اللَّهُ وَعَلَيمًا اللَّهُ عَلَيمًا

المطردات :

وصدوكم ومتعوكم من الوصول إليه .

والسهدي، وصدُّوا الهدى، وهو ما يقدُّم قريانًا لله حين أداء مناسك الحج أو العمرة.

مصكوفا : محيوسًا عن الوصول إلى الحرم .

مصحصاته : المكان الذي يسوغ فيه نحره وهو مني .

تعطؤوهم ، تدوسوهم بأقدامكم ، والمراد أن تبيدوهم وتهلكوهم .

مسمسرة ؛ المكروة والمشقة .

الستسزيسل، النفرق والتميز.

السعسمسية ؛ الكبر والأنفة ، وحميّة الجاهلية هي حميّة في غير موضعها ، لا يؤيدها دليل ولا برهان .

سكيته : السكينة : الوقار والملم .

السرمهم المتارلهم ، وطلب منهم .

كلمة التقوى ، هي : لا إله إلا الله .

للمة النقوى: قبى: لا إله إلا الله .

أحمق بسها: أولى بها من غيرهم ، ومتصفين بمزيد استحقاق لها . .

وأهبف هناء وأصحابها المستأهلين لها.

تمهيد:

فى هذه الآيات تعبير مصور يُزرى بالكافرين ، ويسجَل أوسمة للمؤمنين ، فكنار مكة هم الذين كغروا برسالة محمد ﷺ ، ومنعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام معتمرين متنسكين ، ومنعوا المهدى من الإبل والبقتى والمقتم وقد عُلَقت فى صدورها قلائد من زيادات أوراق شجر الحرم ، ليعلم الناس جميمًا أنها قد أهديت إلى البيت الحرام ، لتذبح ويوزع لحمها على الفقراء ، وهذا منسك دينى موقّر محترم فى سائر الأديان، لأنه يعتمد على نحر الهدى بعد أداء منسك العمرة أو الحج تقريّا إلى الله ، وإطعامًا للفقراء .

والقرآن هذا يسجل على الكافرين هذا المشهد ، الذي يدّم عن الفلظة والتعدى ، والتصدّى بالمدع لمجاج ببت الله ، وللهدى المتقرب به إلى الله ، ليطعم الفقراء من لحمه بعد ذبحه ، وكانت لله حكمة في المجاج ببت الله ، وللهدى المتقرب به إلى الله ، ليطعم الفقراء من لحمه بعد ذبحه ، وكانت لله حكمة في أبى حاتم ثلاثة رجال وتسع نِسْرة من المسلمين المختلطين بكفار مكة ، وكان القتال بين المسلمين أبى حاتم ثلاثة رجال وتسم نِسْرة من المسلمين المختلطين بكفار مكة ، وكان القتال بين المسلمين والمشركين سيزدّى إلى قتلهم ، بدرن أن يعرفهم المسلمون ، فيندموا ويتأذّوا ، لذلك منع الله الحرب ، ولد تمرّمهم في الدنيا ، ثم عاقبهم في الأخرة.

وتمرض الآية السادسة والعشرون موقفًا ظهر الكافرون فيه في غاية الحمق والجلافة والعدوان بدون وجه حق، وكان المسلمون في غاية السكينة والإيمان والتقوى وهم أهل لذلك، وتغيد كتب السيرة والتاريخ أن قريشًا لما أرادت العملي أرسلت سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العُزِّي، ومكرز بن حفص، ليسألوا النبي هي أن يرجع في عامه على أن تُخلى قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ، فأجابهم ، ويدأ على بن أبى طالب يكتب معاهدة العملة ، فقال رسول الله ﷺ: «اكتب: بسم الله الرحمان الرحيم» ، فقال سهيل بن عمرن اكتب ما نُعْرف ، وهو : باسمك اللهم، فوافق رسول الله ﷺ ثم قال النبي ﷺ: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبري الله سهيل بن عمرو ، نقال سهيل بن عمرو ، نقال سميل بن عمرو ، الأمرت أنك رسول الله ما حاريتك ، اكتب اسمك واسم

وقد تمتع الرسول ﷺ بالحلم والتقوى ، وتمتّع المسلمون بالطاعة والسكينة ، كما ظهر من تعبير القرآن الكريم .

التفسيره

٥٧ - هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمُسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَلْغَ مَجِلَّهُ ...

هم أهل مكة الذين كفروا بالله ويرسوله ، ومنعوكم من دخول المسجد الحرام معتمرين مسالمين ، ومنتفى المدين ، ومنتفى الدين ، ومنتفى المنتفى المنتفى

روى البخارى ، عن ابن عمر قال : هرجنا مع رسول الله ﷺ معتمرين ، فحال كفار قريش دون البيت، فنحر رسول الله ﷺ بننة وحلق رأسه .

وَلُوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَيِسَاءً مُؤْمِنَاتًا لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَعُوهُمْ فَصِيبَكُم مِّنْهُم مُتَوَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ...

كان هناك في مكة ثلاثة رجال وتسع نسوة يُخْفون إيمانهم خوفًا من أهل مكة ، ولو حدث قتال لوطِنهم المسلمون ، أي قتلوهم خملًا بدون عمد .

ومعنى الآية :

لولا وجود هؤلاء الذين يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم – وهم بين أهل مكة – لسلطناكم عليهم فقتلتموهم ، ولو قاتلتم أمل مكة وانتصرتم عليهم ، لقتل قوم من ضعفاء المؤمنين والمؤمنات ، أنتم لا تعرفونهم حين تقتلونهم ، ثم تتألمون وتحزنون بعد قتلهم ، وتصييكم معرّة وأثم ، وريما تجرأ الكفار وقالوا لكم: قتلتم إخوانكم المسلمين بأيديكم ، لهذه الاعتبارات يسر الله أمر الصلح مع أهل مكة .

لَّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ ...

ليحفظ مؤلاء الضعفاء من المؤمنين بقضله ورحمته ، أو ليدخل في دين الإسلام من أراد الله هدايته قبل فتح مكة .

لَوْ تُزَيِّلُواْ لَعَدَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

لو تمرُّز الكفار من المرَّمنين المقيمين بين أظهرهم ، لنصرناكم على الكافرين من أهل مكة ، وقهرناهم بالسبى والقبَّل ، وغير ذلك من ضروب التنكيل الشديد ، والإيلام العظيم . ٣٦ – إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَيِّةَ حَيِّةَ ٱلْجَنْهِلِيَّةِ فَأَنْوَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتُهُ, عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِينَ وَٱلْوَمَهُمُ كَلِمَةَ ٱلشَّوْرِينَ وَكَانُواْ أَخَقُ بِهَا وَأَهْلَهِا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلَّ هَـنِيْ عَلِيمًا

تضع هذه الآية الصقيقة الكاملة لموقف الكافرين والمؤمنين يوم الحديبية ، فالكفار في قلوبهم الأنفة والعزة بالإثم ، المنشوبة إلى الجاهلية ، لذلك صدّرا المسلمين عن المسجد الحرام ، وصدّوا الهدى ومنعوه أن يصل إلى محل ذبحه في منى ، وأخذتهم العزّة بالإثم ، فأبوا أن يكتبوا : بسم الله الرحمان الرحيم، وكتبوا : باسمك اللهم ، كما أبوا أن يكتبوا : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، وكتبوا : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فنسب الله إليهم الحمية ، وهي مذمومة ، وتزداد ذمّا إذا نسبت إلى الجاهلية ، أي التهرُّر والغلظ بدين وجه حق .

وفى المقابل أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، فجعلها محفوظة عنده حتى أنزلها عليهم، والسكينة كلمة طيبة ، ثم نسبها الله إليه ، فجعلها سكينته ، أى الهدوء والإيمان والوقار والرضا ، وعدم العناية بالشكليات .

وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلشَّقُوىٰ وَكَالُوٓا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا ...

أى : مكَّنهم الله من كلمة التوحيد ، والإخلاص لله في العمل ، وكانوا أهلا لها وأولى بها ، وهي لا إله إلا الله .

وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا .

هو المطلع على أحوال كل من المؤمنين والكافرين ، فيجازى كل فريق بما يستحق .

وتفيد الآيتان ما يأتي :

(أ) أن حرمة المسلم عند الله عظيمة (ولقتل نفس مؤمنة أعظم عند الله من زوال الدنيا) فقد أخّر الله فتح
 مكة من أجل ثلاثة رجال ، وسبع أو تسع نسوة .

(ب) دلَّ قوله تعالى: بِغُيرِ عِلْم. على عدالة الصحابة وعصمتهم من التعدَّى، حتى لو أَنَّهم أصابوا أحدًا من المسلمين لكان ذلك من غير قصد، وهذا مشابه لقول النملة تصف ُ جند سليمان: يَا أَيْسُهُمْ ٱلنَّمُلُ ٱلْخُفُوا مَسْلَحِيْكُمُ لا يَخْطُونُ مَنْلَائِكُمْ مُسْلَحِيْكُمُ لا يَخْطُونُ مُلْفَقِيدًا النملة (١٨).

(ج.) لم يكن منع أهل مكة للمسلمين من أداء العمرة لسبب معقول ، وإنما كان تعصبًا لآلهتهم وأصنامهم ، وكراهية لدين لم يقحصوه ، ولم يحاولوا أن يتقهموه ، أما المؤمنون فقد ألزمهم الله السكينة والتقوى ، وينُعد النظر ، وعوضهم بفتح خيير ثم بفتم مكة .

* * *

تصديق رؤيا الرسول علله عام الفتح

المفردات،

محمل قسين : حال كون بعضكم يالق شعر رأسه كله.

ومــــقصـــريــــن: ويعضكم يكتفي بقص جزء منه.

ليظهر عملى الدين كله ، ليعليه على سائر الأديان ، حقها وباطلها ، وأصل الإظهار : جعل الشيء باديًا ظاهرًا للرائي ، ثم شاع استعماله في الإعلام .

تمهيد،

كان ﷺ قد رأى فى المدينة رؤيا ، مؤدّاها : أنه دخل مع أصحابه المسجد الحرام معتدرًا متنسكًا ، فأخير أصحابه بذلك ، فخرجوا فى ألف وأربعمائة رجل بريدون العمرة ، فمنعهم كفار مكة ، فتطلوا عند الصديبية ، ونبحوا الهدى فى الصديبية ، وعادوا من دون أن يعتمروا . قَالَ قَتَادَةَ : لَمَا صَالَحَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَا مَكَةَ بِالتَّدِيبِيَةَ ، أَرَتَابِ الْمَنَافَقُونَ أَو بَعَضَ ضَعَافَ الْإِيمَانَ ، حَتَى قَالُوا: أَيْنَ رَوِّيَاكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَى: نَحْنَ لَمْ نَدَخْلُ مَكَةً ، وَلَمْ نَوْدَ العَمْرَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهِ تَعَالَى مَذْهُ الرَّبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى مَذْهُ الرَّبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى مَذْهُ الرَّبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى مَذْهُ الرَّبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهِ تَعَالَى اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ تَعْلَى اللَّهُ تَعْلَى اللَّهِ لَعَالَى اللَّهُ لَعَلَى اللَّهُ لَعْلَى اللَّهُ لَكُونُ إِنْ اللَّهِ لَعَالَى اللَّهُ لَعَلَى اللَّهُ لَوْلُ اللّهِ لَعَلَى اللَّهُ لَعْلَى اللَّهِ لَعَلَى اللَّهُ لَعَلَّى اللّهُ لِمُثَالِّى اللَّهُ لِمِنْ اللَّهِ لَعَلَى اللَّهُ لِللَّهُ لَكُونُ إِنْ اللَّهِ لَعَلَى اللَّهِ لَعَلَى اللَّهُ لِمِنْ اللَّهِ لَعَلَّى اللَّهُ لَعَلَّى اللَّهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِللَّهُ لَعَلَّى اللَّهُ لِللَّهُ لَعَلَّى اللَّهُ لِللَّهُ لَعَلَّى اللَّهُ لِلللَّهُ لِللَّهُ لَلَّهُ لَقَلْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ لِلَّهُ لَمْ لَكُنْ اللَّهُ لَعَلَى اللَّهُ لِللَّهُ لَمْ لَا لَهُ لَوْلًا لِللَّهُ لَعَلَّى اللَّهُ لَعَلًا لللَّهُ لَعْلَى اللَّهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لَعَلًا لِمُ لِكُلِّلُ اللَّهُ لَمْ لَوْلًا لِللَّهُ لَعْلَى اللَّهُ لِللَّهُ لَعْلَى اللَّهُ لِيلًا لِللَّهُ لَعْلًى اللَّهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِللَّهُ لِمُعْلِلْ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لِللَّهُ لِللللَّهُ لِلللَّهُ لَا لَهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لِلللَّهُ لَاللَّهُ لِلللَّهُ لِلللّهُ لِلللَّهُ لَلْ لَلّهُ لَلّهُ لِلللّهُ لِلللّهُ لِللَّهُ لِلللّهُ لَلْلَهُ لَ

فأكّد صدق رسوله ، ويبنّ الله أنهم سيدخاون المسجد الحرام آمنين ، أي : مؤدين للنسك حال كرنهم آمنين يؤدون العمرة ، ويتحللون من الإحرام حال كون بعضهم حالقين رؤوسهم كاملة ، وحال كرن بعضهم مقصّرين فقط .

وللله سبحانه حكمة في أن يرجُّل فتح مكة ، حتى تفتح خيبر أو حتى يتم صلح الحديبية ، وقد كان أعظم فتح في الإسلام ، حيث أمن الناس ، وزاد عدد المسلمين ، وتم التمهيد لفتح مكة ولفتح حنين والطائف، ثم ذكر الله تعالى أنه هو الذي أرسل رسوله بدين الإسلام ، ليكون الدين العالمي المشتمل على سعادة الدنها والأخرة .

التفسيره

٧٧ – أقمد صَدَق الله رُسُولة الرُّنيَا بِاللَّحَق قدخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن هَاءَ الله عَامِينَ مَخَلَقِينَ رُعُوسَكُمْ
 ٢٥ – أقمد صَدَق الله عالمين مُخلَفها فجعَل مِن دُودِ ذَالِك قَدَّمًا قَرِينًا .

هذه الآية تأكيد لمعدق الرسول ﷺ في رؤياه ، وبيان لحكمة العلى القدير في تأخير فتح مكة ، وفي إنجاز صلع الحديبية .

هائسة

جزيرة العرب عبارة عن صحراء واسعة ، تعتمد هذه الصحراء على المدن القريبة منها فى بهج
منتجاتها ، من الألبان واللحوم والزراعة والخضر والفاكهة ، ويشترى الأعراب من هذه المدن ما يلزمهم من
الكساء والفراش وغير ذلك ، وقد كانت فتوحات الرسول ﷺ وغزواته أفعالاً منظمة مرتبة لحكم عالية ،
وضعت فى حسبانها أن تتم السيطرة على المدينة وما حولها ، وأن يتم قطع الطريق على تجارة مكة ، حتى
تضطر إلى التسليم بالإسلام ، أو مهادنته رهبة أو رغبة ، والمتأمل فى تاريخ السرايا والغزوات يرى أنها
حققت ذلك .

وفي أول حياة المسلمين بالمدينة أرسل النبي ﷺ سرايا استطلاعية لتعرّف أحوال مكة وأعبار تجارتها ، خصوصًا المتحركة إلى الشام ، حيث تمرّ بطريق المدينة ، فمكة في جنوب الجزيرة ، والشام في شمالها ، والمدينة أن الوسط ، وكانت بدر الصغرى وبدر الكبرى بروسًا موجهة إلى أهل مكة ، وتمت غزية أحد وغزوة الخندق ، وفي أعقاب غزوة الخندق قال ﷺ: «سنغزو مكّة ولا تغزونا بعد ذلك» ، ثم تمّ صلح الحديبية ، ومن يسيطر على خيبر بعد شهرين من صلح الحديبية ، ومن يسيطر على خيبر بعد شهرين من صلح الحديبية ، ومن يسيطر على خيبر بعد شهرين من صلح الحديبية ، ومن يسيطر على خيبر بعد المتحكم في الأعراب المحيلة إلى وكان من حكمة الرسول ﷺ أن يحرم مكة من حلفائها ، أو ممن ينستون المعلم معها في حرب المسلمين ، وأخذ ﷺ يعقد معاهدات ومصالحات ، ويستقبل وفود ، من كثرة الوفود التي قدمت من حول مكة ، أمنة على نفسها إلى رسول الله ﷺ وفي عمرة القضاء شاهد الصبيان والنساء بمكة المسلمين في نسكم وعبادتهم ، وناقشوهم في مبادئ الإسلام ، وتهيأت معند من الحلفاء ، وعقد معاهدات ومصالحات مع عدد من العرب في أنحاء الجزيرة ، ورأى أهل مكة أن الإسلام هو دين الغذ ، رأن مناهدات بمعالمين ، ويسر الطريق افتح خيبر ، ثم لعمرة القضاء ، ثم لفتح في تاريخ العسلمين ، فقد تضاعف به عدد المسلمين ، ويسر الطريق افتح خيبر ، ثم لعمرة القضاء ، ثم لفتح مكة بقليل من الجهد ، مع المنطق على حرمة البيت الحراء وحرمة مكة ، قال ﷺ : وإنما أباحها الله لى ساعة من نهاري.

ومن ذلك نعلم أن الغزوات لم تكن ردود أفعال كما يتومّم بعض كُتَاب السيرة ، وإنما كانت خطة محكمة ، اعتمدت على تدريب الرجال ، وإرسال السرايا ، وإعداد المضابرات والعيون ، وتوقيم المعاهدات ، والاستيلاء على الأماكن المؤثرة ، والالتفاف حول مكة ، والتأثير على تجارتها ، وإفهامها أن مصلحتها في مهادنة الإسلام ، ثم التمهيد لفتح مكة بأقلِّ التضميات ، ثم فتع الطائف ، ثم توجيه المسلمين إلى تبوك ، وتبيئة المصحابة ليقودوا معارك في بلاد الفرس ويلاد الروم في مستقبل أمرهم ، حتى أنه لم تمض على وفاة الرسول ﷺ عثر سنوات حتى ورث المسلمون ممالك الفرس والروم .

مع يقيننا بأن قدرة الله القادرة وتوفيقه العظيم ، وهدايته لرسوله ، ويشارته بالنصر ، ومعونة الله له بالملائكة والهداية والتوفيق ، كانت من أهم أسباب النصر .

قال تعالى : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبُّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَوِ . (المدنو: ٣١) .

وقال تعالى : فَلَمَ تَقَالُوهُمْ وَلَدُكِنَّ ٱللَّهُ قَتَلُهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمِيْتَ وَلَدُكِنَّ ٱللَّهُ رَمِّيْ ٱلْمُؤْمِينَ مِنْهُ بَلَاتًا حَسَنَا إِنَّ ٱللَّهَ صَمِعَ عَلِيمٌ ۚ وَلَاكِمُ وَأَنَّ ٱللَّهُ مُومِنُ كَيْدِ ٱلْكَنْفِرِينَ . (الاندان ٢٠،١٧) .

عود إلى التفسير

معنى الآية :

والله لقد صَدَق الله رسوله وما كذبه ، فالله هو الذي أراه الرزيا بالحق ، وكانت الرزيا سبباً في صلح الحديبية ، وقال بعض الناس أو بعض المنافقين : لم ندخل المسجد الحرام ، فنزلت هذه الآية : تَتَخَفُّنُ ٱلْمُسْجِدَةُ آلْحُرَّامُ ... أي في عمرة القضاء ، إنْ شَاءَ ٱللَّهُ ... تأكيد من الله العليم بكل شيء ، وتعليم لنا ونحن لا علم لنا ، أي : ستدخلن المسجد الحرام بمشيئة الله وتوفيقه ، لا بسبب قوتكم أو أسلحتكم .

ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُو سَكُمْ وَمُقَصَّرِينَ ...

حال كرنكم آمنين من عدوان أهل مكة ، تتمتعون بالأمن وأداء العمرة ، بعضكم يتحلل من إحرامه بالجلق لرأسه كاملاً ، ويعضكم يتحلل من إحرامه بتقصير شعر رأسه ، والحلق أفضل بالنسبة للرجل ، أما المرأة فليس لها إلا التقصير .

لَا تَخَافُونَ ...

تأكيد للأمن ، ولتكفّل الله بإلقاء الرعب في قلوب أهل مكة ، ولتطمين المسلمين بأنهم سيؤدون عمرة القضاء آمنين لا يخافون ، وهو تأكيد مقصود في أعقاب غزوات متعددة ، وتعنّت من أهل مكة في معاهدة . الحديبية .

فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعَلَّمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَالِكَ فَعْحًا قَرِيبًا .

إن حكمة الله أن تسير الأمور في أسبابها ، وسقوط خيبر في يد المسلمين حرم كفّار مكة من حلفاء أشداء ، وحرم اليهود في خيبر من حرية الحركة ، وألقى الرعب في قلوب أهل مكة ، ويسَّر فتح مكة على المسلمين في الوقت المناسب ، والله تمالى عالم الغيب لذلك جعل فتح خيبر قبل فتح مكة ، أو جعل صلح الحديبية قبل فتح مكة .

٨٧ – هُوَ ٱلَّذِينَ أَرْسَلَ رَسُولُهُ, بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقُّ لِيُطْهِرَهُ, عَلَى ٱلدِّينِ كُلَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا .

الله تعالى هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهداية والإصلاح والإرساد والتعاليم النافعة ، والأداب السامية ، وبدين الإسلام ، وهو الدين الحق المستمل على توحيد الله تعالى ، والإيمان برسالة محمد ﷺ ، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل ، والعبادات والمعاملات ، ومكارم الأخلاق ، هذا الدين هو خاتم الأديان، وقد جمع محاسنها ، وتخلص من شوائبها ، هذا الدين هو الدين الوسط ، المستمل على الأحكام والتشريع ، وفي نفس الوقت مشتمل على إحياء الضمير ، وإيقاظ الهمة للخير ، دين جمع بين الأحكام والهداية ، بين التشريع وإصلاح القلب ، وأمنه هي الأمة الوسط، التي وجدت المنهج والطريق في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، ووجدت فيهما ما يدعو إلى الهداية والاستقامة ، وللمفة وإيثار الغضيلة ومراقبة الله تعالى .

. وقد أظهر الله الإسلام في حياة رسوله ، حين فتحت مكة وبخل الناس في دين الله أفواجًا ، وحين فتحت بلاد كثيرة في حياة الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم .

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا .

على صدق رسوله ، وأنَّه نبى الله حقَّا ، ورسوله صدقاً ، وهي ذلك ردَّ على سهيل بن عمرو حين قال للنبي ﷺ : لو علمت أنك رسول الله ما حاريتك ، أي أن الله يشهد بأنه ، هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ ، بالهداية ودين الحق وهو دين الإسلام ، لينصر هذا الدين على كل دين سماوى أو أرضى ، لأن الإسلام لا " يتعارض مع الأديان السماوية السابقة ، بل هو مشتمل عليها ، ومتمم لما جاء فيها ، لأنه دين الفطرة والواقع والإنسانية الراشدة ، وكَفَّى بْاللَّهِ شُهِينًا . على صدق هذا الدين ، وعلى صدق الرسول الأمين محمد ﷺ .

* * :

أوصاف الرسول علي وأصحابه

﴿ تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالِّذِينَ مَعَهُ وَ أَشِدًا أَهُ عَلَى الْكُفَّارِرُ حَمَّاهُ يَنْهُمْ مِّرَكُمُ السَجَمَّا يَبْتَعُونَ فَضَدُرَنَ الشَّيْدِ وَنِكَ مَثَلُهُمْ وَالنَّوْرِينَّ وَمَلَّهُمْ فَضَادُهُ وَفَازَرُهُ وَالسَّمَا لَهُ وَالسَّمَا فَالْسَتَوَى عَلَى سُوقِهِ فَيْحِبُ النُّوَاعُ فَالسَّتَوَى عَلَى سُوقِهِ فَيْحِبُ النُّوَاعُ فَالسَّتَوَى عَلَى سُوقِهِ فَيْحِبُ النُّوَاعُ فَالسَّتَوَى عَلَى سُوقِهِ فَيْحِبُ النُّوَاعُ فَالْمَاعُهُ وَقَازَرُهُ وَالسَّتَفَاظُ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ فَيْحِبُ النُّوَاعُ فَالْمَعْ وَعَمِلُوا السَّلِحَاتِ مِنْهُم مَعْفِرةً وَأَحْدًا لِيَعْفِلُ مَعْمُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ مِنْهُم مَعْفِرةً وَأَحْدًا عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ مَعْمَلُوا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ مَعْمَلُوا اللَّهُ اللْعُلْمُ اللَّهُ اللْعُلْمُ اللْعُلِمُ اللْعُلْمُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللْعُلُولُ اللَّهُ اللْعُلُولُ اللْعُلْمُ اللَّالِمُ الللَّهُ اللْع

المفردات :

أشيب مناود واحدهم شديد، والمراد: أقوياء غلاظ قساة على الكفار.

و ب ت فون ، يطلبون في جد واجتهاد .

طفسلا من السلمه و توابًّا ورضا .

سيسماهم ، علامتهم وأمارتهم التي تميرُهم .

مصف الأمثال في الغرابة .

شـــط ماه، فراخه ، أو فروعه التي تنبت حول الأصل.

فبالم وقواه .

فساست قبل ق الغلظ، فصار من الدُّقة إلى الغلظ.

فاستوي على سوقه ، استقام على قصبه وأصوله ، والسوق : ولحدها ساق .

تمهيد،

صفات جامعة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، فهم رحصاء متعاطفون مع إخوانهم المسلمين ، وهم أشداء أقوياء في الحرب والجهاد في سبيل الله ، وهم راكمون ساجدون عابدون، متبتلون بذكر الله ، وابتفاء فضله ورضوانه ، وقد انعكس الطهر والفضل والإيمان والعبادة من قلويهم على صفحة وجوههم ، فترى أثر الصحالاح والتقوى في وجوههم ما وترى النور والبهاء والرضوان على وجوههم من أثر السجود والطاعة لله ، المملاح والتوقى في وجوههم من أثر السجود والطاعة لله ، فأخرج فراخه أو فروعه في منافرة ، أما صفقهم في الإنجيل فهي كزرع زرعه رسول الله ﷺ ، فأخرج فراخه أو فروعه فارت الأصلاح والتوقية المعتدلة ، وكان ﷺ فيزت الأصل وقوته ، فاستفلظ الزرع واشتد وقوى ، واعتدل قائمًا على الساق القوية المعتدلة ، وكان ﷺ يفرح بأصحابي ، لا تسبّوا أصحابي ، من عادام فقد عاداني هذه عادى الله ، ومن عادان للله يوبك أن يأخذه" (")

وقد وعد الله المؤمنين منهم بالمغفرة ومَحْقِ الذنوب ، ويالأجِر العظيم ويجنة عرضها السماوات والأرض .

التفسيره

٢٩ – شُحَمَّة رُسُولَ اللّهِ وَاللّهِن مَقَعَمْ أَهِمَاتًا عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءً بَيَتَهُمْ تُرَسْهُمْ رُكُمَّا سُجِلًا يَتَعُونَ فَاصْلاً مَنْ اللّهِ وَرضُونًا سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِنْ أَلَوِ السُّجُودِ ذَالِكَ مَثَلَهُمْ فِي الشَّوْرَسَةِ وَمَثْلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَوْرَعٍ أَحْرَجَ شَطْعَهُمْ فَي الشَّوْرَسَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الشَّوْرَسَةِ وَمَثَلُهُمْ فَي أَلْفَى اللّهُ اللّهِينَ عَامَتُوا وَعَمِلُوا شَمْعُونَهُ وَأَحْرًا مَظِيمًا عَلَيْ شُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعِ لِيْعِيطَ بِهِمْ الْكَفَّارَ وَعَدَ اللّهُ اللّهِينَ عَامَتُوا وَعَمِلُوا المَّاسِوقِيهِ عَلَيْ شُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعِ لِيْعِيطَ بِهِمْ الْكَفَّارَ وَعَدَ اللّهُ اللّهِينَ عَامَتُوا وَعَمِلُوا اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِينَ عَامِنُوا وَعَمِلُوا اللّهَ اللّهَ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ

أى : هو محمد ﷺ الذي وصف بالرسالة في الآيتين السابقتين ، وهنا يذكر الله تعالى اسمه :

مُحَمَّدُ رُسُولُ ٱللَّهِ ...

مبتدأ وخير ، ما أعذبه وما أطهره وما أحلاه .

وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَّاءُ يَنَّهُمْ ...

صحابته الأطهار الأبرار كانوا مثلاً أعلى في النزاهة والعطاء والطهر، ولِمَ لا ، ومعلَمهم ﷺ هو معلَم الإنسانية كلها ، هو النور المبين الذي أضاء جبين الدنيا ، فعلَم العرب ووحدهم ، وأخرجهم من الطلمات إلى النور ، ومن التفرق إلى الجماعة ، ومن العصبية الجاهلية إلى السكينة والإيمان والوقار ، وهؤلاء الصحابة تربية محمد ﷺ، هم أشداء أقوياء على الكذرة .

قال تعالى : وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بَبُدْرِ وَأَشُمْ أَذِلَّهُ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ نَشْكُرُونَ . (آل عمران : ١٢٣).

وكانوا يهتدون بقوله تعالى: يَنَّالَّهُا ٱللِّينَ وَامْتُواْ قَالِيُواْ ٱلَّالِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلَيْحِمُواْ يِكُمْ مِلْظَةً ... (التوية: ١٢٢)

رُحَمَآءُ يَيْنَهُمْ ...

متعاطفون متوادّون متعاونون ، كما قال سهمانه : أَفِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِينَ أَعِرَّةٍ عَلَى ٱلْكَلْهِرِينَ ... (العالمة: 24)

تَوَمِنْهُمْ زُكُمًا شُجَّدًا يَتَعَفُونَ فَعَشِلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا ...

من صفاتهم العبادة والصلاة والركوع والسجود ، والتبتل ومملاة الفرائض والنوافل وقهام الليل ، وهم في صلاتهم خاشعون خاشعون ، ابتغاء ثواب الله وفضله ورضوانه ، ومحبته رمودته ، وهم لذلك ذاكرون شاكرون حامدون ، لريهم ساجدون .

سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَلَرِ ٱلسُّجُودِ ذَالِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَسَاةِ ...

وقد ظهر نور العبادة والطهر ، وعلامة التقوى والإيمان على وجوههم ، نورًا وحبًّا وفضلاً ، من أكّر السجود والاقتراب من الله تعالى ، تلك صفقهم فى كتاب موسى القوراة (رهى العهد القديم).

أمًا صفتهم فى الإنجيل (وهى العهد الجديد)، فهى كزرع ونبات نام قرّى، أخرج فرعًا صغيرًا بجواره، فأزره وقرًاه وأعانه ، أى أن الزرع قرَّى الشطء لأنه تغنّى منه ، واحتمى به ، وتحرّل من الدَّقة إلى الغلظ والقرة ، واستقام الفرع الجديد على أعواده وسيقانه ، يعجب الزّراع لقوته وحسن منظره ، وكان ﷺ محبًّا لأصحابه ، حريمًا على تقويتهم وتطهيرهم وتعليمهم ليكونوا أساتذة الدنيا ، وليفيظ بهم الكفار، فقد فقحوا الفتروات ، أو كانوا لصعتها وسداها ، حتى جاء نصر الله والفتح . روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتى أبو بكر ، وأشدّهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياه عثمان ، وأقضاهم على ، وأفرضهم زيد ، وأفريّهم أبىّ ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح» (").

ويجوز أن يكون معنى هذه الفقرة ما يأتي :

وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِمْجِيلِ كَزَرْعِ أَخْرَجَ شَطْتُمُ فَتَازَرُهُ, فَآسَتَفَلَظَ فَآسَتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَاعَ لِيقِيظَ بِهِمُ آلكُمَّاءَ ...

بدأ المنحابة قلّة ضعيفة ثم اشتد أمرهم وتقرّت جماعتهم برسول الله ﷺ، كزرع أخرج فسيله حوله ، مثل نبات القمح والشعير وغيرهما ، فيقوى الأصل بما حوله ويشتد ويتحول من الدّقة إلى الغلظ ، ويستقيم على أصوله ؛ فيعجب به الزراع لقوته وغلظه وحسن منظره .

والنحلاصة : إن هذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام وترقُّيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم وأعجب الناس .

لِيُغِيطَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ...

أى: إن الله تمالى قوّاهم وسدد خطاهم ليكونوا غصّة في حلوق الكافرين ، إذ يعتقدون أن الله متمّ بهم نوره ولو كره الجاحدون .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا .

لقد وعد الله تعالى الذين آمنوا من أصحاب رسول الله ﷺ بالمففرة لذنويهم ، وستر عيويهم ، ووعدهم بالجزاء العظيم في الدنيا والآخرة .

هى أعقاب تفسير الآية

ذكر ابن جرير ، عن قتادة أنه قال : مكتوب في الإنجيل : (سيخرج قوم يشههون نبات الزرع ، يخرج منهم قوم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر) .

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف :

هو مثل ضربه الله تعالى لبده الإسلام ، وترقّيه في الزيادة ، إلى أن قوى واستحكم ، لأن النبي ﷺ قام وحده ، ثم قواه الله تعالى بمن معه ، كما يقوى الطاقة الأولى ما يحتف بها مما يتولد منها .

وظاهر قول الزمخشري أن الزرع هو رسول الله ﷺ ، والشطء هو الصحابة .

والتعلاصة أن من المفسرين من رأى الآلى:

الزرع أمد الشماء ، فقوى الشطء واشتد واستوى على سوقه ، وهم الصحابة .

ومن المفسرين من رأى الآتي :

الزرع أخرج الشطم أن القسيلة المجاورة له ، فآزرت القسيلة الزرع ، فاستغلط الزرع وقوى واشتد واسترى على سوقه .

والمراد أن الصحابة آزروا رسول الله ﷺ فقرى بهم ، واكلُّ رجهة ، لكن سياق الآية في وصف الصحابة ، والمضمون والفحوى يؤيد أن الزرع آزر الشطه ، فاستنظ الشطه وقوى واستوى على سوقه ، أي أننا ترجِّح أن الذي استغلظ هم الصحابة ، بدليل قوله تعالى في آخر الآية :

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.

ومن عظمة المعلَّم العظيم أن يمدُّ تلاميذه ويقويهم ليكونوا خير أمَّة أخرجت للناس.

روى البشارى ، ومسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تسبّوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد نهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه (نصفه)، ٣٠٠ . رضى الله عنهم وأرضاهم .

قَال ابن عباس: إن للمعمدية ظلمة في القلب، وسوادًا في الوجه، ونقمنًا في الرزق، ويغضَّا في قلوب الخلق.

وقال بعضهم: إن للحسنة نورًا في القلب ، وضياءً في الوجه ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الناس .

وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان : ما أسرُّ أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه ، و للتأت لسانه .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : من أصلح سريرته ، أصلح الله تعالى علانيته .

وروى الإمام أحمد ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لو أنّ أحدكم يعمل في صخرة صمًّاه ، ليس لها باب ولا كرّة ، لغرج عمله للناس ، كانتًا ما كان» (١٠٠) .

وروى أحمد ، وأبو داود ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ قال : وإن الهدى الممالح ، والسُّمت العمالح ، والاقتصاد جزّه من خمسة وعشرين جزءًا من النبوته (**) وذكر بعض المنسرين أن معنى : سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ . . .

أنها علامة سوياء تظهر في الجبهة من كثرة السجود، وكلام شيوخنا يفيد الآتى: إننا ينبغى ألا تتعمد إظهار هذه العلامة ، ولا نحرص على ذلك ، ومن تعمّد فإنه يتشبّه بالمنافقين ، فإذا ظهرت بدون تعمد فلا حرج ولا بأس .

ونضرب مثلاً بأننا نهينا عن طلب الشهرة ، ونشر الأخبار الصالحة عن أنفسنا ، فإذا قال قائل : إن الصحابة رضوان الله عليهم كانت لهم شهرة ، فأخبار أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وحالد بن الوليد وغيرهم، تملأ الكتب ومجالس العلم ، فيقول أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) ردًا على ذلك ما يأتى : هؤلاء ما تعدّوا الشهرة ، وإنما جاءت الشهرة عفرًا بدون قصد منهم ، فاقصد بعملك وجه الله تعالى وحده ، ولا تقصد الشهرة ولا الرياء ولا حسن السيرة بين الناس ، فإن جاءت هذه الأمور لك بدون قصد منك فلا حرج عليك ، وفي الحديث الصحيح : وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى» (٩٠٠).



خلاصة مقاصد سورة الفتح

١ - بشارة النبي ﷺ بالفتح وإعزاز دين الله.

٢ - وعد المؤمنين ، ووعيد الكافرين والمنافقين .

٣ - ذمّ المتخلفين عن الجهاد من أعراب أسلم وجهينة ومزينة وغفار.

ع - رضوان الله على المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، ووعدهم بالنصر في الدنيا،
 ويالجنة في الأهرة .

البشرى بتحقيق رؤيا رسول الله ﷺ ، وأنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين ، وقد تم لهم ذلك بالفعل في
 العام المقبل .

٣ - وصف النبي ﷺ والذين آمنوا معه بالرحمة والشدة.

٧ - وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمغفرة ، وبالأجر العظيم .

* * *

خاتمة

هذه السورة (الفتح) أهر القسم الأول من القرآن الكريم وهو المطوّل ، وسورة (الحجرات) أو سورة (ق) أبل القسم الثاني ، وهو المفصّل .

والحمد لله الذى بنعمته تتم المبالحات ، وكان الفراغ من تفسير سورة (الفتح) ظهر الأحد ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١ هـ ، الموافق ١٣ من أغسطس سنة ٢٠٠٠ م ، يغندق القوات المسلحة المصرية بالأبيّض ، بعدينة مرسى مطروح ، بجمهورية مصر العربية .



أهسداف سسورة العسجسرات

سورة الحجرات مدنية ، وآياتها ٩٨ آية ، نزلت بعد سورة المجادلة

الآداب العامة:

هذه سورة الآداب المامة ومكارم الأخلاق والتهذيب والتأديب ، سورة هذبت وجدان المسلمين وحركت. فيهم دوافع الخير والمعروف ، وحاربت نوازع السخرية والاستهزاء بالآخرين ، وحثت على إزالة أسباب المضمام والهفضاء ، وحرصت على تأليف القلوب وإشاعة المحبة والمودة بين الناس ، ولذلك نهت عن ظن السوء بالمسلم المخلص ، وعن تتبع العورات المستورة ، وعن الغيبة واللمز والتنابز بالألقاب، وبينت أن الناس جميعاً عند الله سواء ، كلهم لآدم وآدم من تراب ، فهم يتفاضلون عنده بالتقوى ، ويدركون ثوابه بالعمل المسالم .

منهج حياة

سورة الحجرات يمكن أن تكون دائرة معارف شاملة لتربية الفرد وتهذيب الجماعة، فهي تقدم منهجا للحياة السليمة ، ونظامًا تربويًّا فلجحًا لخلق مواطن صالح مؤمن بريه ، يحترم دينه ويؤدى شعائره .

جاء في ظلال القرآن ما يأتي :

هذه سورة جليلة ضخمة ، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة ، ومن حقائق العرجود والإنسانية ، حقائق تفتح للقلب والعقل آفاقا عالية ، وأسادا بعيدة ، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة ، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهذيب ، ومبادئ التشريع والتوجيه ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مثان المرات .

وهى تبرز أمام النظر أمرين عظيمين للتدبير والتفكير.

وأول ما يهرز للنظر عند مطالعة السورة ، هر أنها تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم ، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التى يقوم عليها هذا العالم ، والتى تكفل قيامه أولا وصبهانته أخيرا ، عالم يصدر عن الله ، ويتجه إلى الله ، ويليق بأن ينتسب إلى الله ، عالم نقى القلب نظيف المشاعر ، عف اللسان ، وقبل ذلك عف السريرة ، عالم له أدب مع الله وأدب مع رسوله ، وأدب مع نفسه ، وأدب مع غيره ، أدب في هواجس ضميره ، وفي حركات جوارحه ، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التي تكفل صيانته ، وهي شرائع إينظم تقوم على ذلك الأدب ، وتنبثق منه ، وتتسق منه ، وتتناسق منه ، وتتناسق أحساسيسه وخطاء وهو يتجه ويتحرك إلى الله . ومن ثم لا يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف السليم وصيانته ، لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور ، ولا يوكل كذلك لمجرد التشريع والتنظيم ، بل يلتقي هذا بذاك في انسجام وتتناسق ، كذلك لا يوكل لشعور القرد وجهده كما لا يترك نظم الدولة وإجراءاتها ، بل يلتقي فيه الأخراد بالدولة ، والدولة بالأفراد ، وتتلاقي وإجباتهما ونشاطهما في تماين واتساق "".

معائى السورة

اشتملت السورة على طائفة كريمة من المعانى الإسلامية والآداب الدينية ، فقد أمرت العسلمين ألا يصدروا في أحكامهم إلا عن طاعة الله والتزام أوامره ، ويجب ألا يسبقوا أحكام الله وأن يجعلوا اختيارهم وذوقهم الديني تنابما نهدى الله . (الآية: ١) .

وهى تأمرهم بالتزام الأدب آمام النبى الكريم ، ويحسن المعاملة وخفض الصوت عند خطاب الرسول الأمين ﷺ ، لأنه هو خاتم المرسلين ، وهو الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وربى المسلمين ، تربية إلهية حتى صاروا خير أمة أهرجت للناس . (الأيات ٢ – ٥) .

وتأمر السورة المسلمين أن يتثبتوا في أكامهم ، وألا يصدّقوا أخبار الفاسقين وإشاعات المغرضين . وأراجيف المرحفين ، فالرسول ﷺ مههم ، وهدى القرآن والسنة بين أيديهم ، وحقائق الإيمان وأحكامه وأشحة أمامهم ، وقد حيب الله إليهم الإيمان وحجب عنهم الكفر والعصيان ، فلله الفضل والمنة ، وهو العلهم بعباده ، الحكيم في أفعاله . (الآيات : ٦ – ٨) .

والمؤمنون أمة واحدة ، ربهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وكتابهم واحد ، ودينهم يقوم على التسامح والتعاون والتناصح ، فإذا حدث هلاف بين طائفتين ، أو قتال ونزاع ، فمن الواجب أن نحاول الصلح بينهما، وإذا أصرت إحدى الطائفتين على البقى والعدوان فمن الواجب أن نقف فى وجه المعتدى حتى يقىء إلى الحق ، وعلينا أن نؤكد مفاهيم الحق والعدل ، وأن نحث على الإصلاح ورأب الصدع حفاظاً على وحدة الأم وجدة .

وتأمر الآيات بالبعد عن السخرية والاستهزاء بالآخرين ، فالإنسان إنسان بمخبره وإنسانيته لا بمظهره وتعاليه ، وهناك قيم حقيقية لمقادير الناس هى حسن صلتهم بالله ورضا الله عنهم ، فقد يسخر الغنى من الفقير ، والقرى من الضعيف ، وقد تسخر الجميلة من القبيحة ، والشابة من ألعجوز ، والمعتدلة من المشوهة . ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست المقياس ، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين ، ورب أشعث أغير لو أقسم على الله لأبره . وتحرم الآيات كذلك اللمز والسخرية بالآخرين ، والتنابر بالالقاب التي يكرهها أصحابها ويحسون فيها مهانة وعيبا . فشتان بين آباب الإيمان ، وبين الفسوق والعصيان وظلم الآخرين . (الآية : ١ ١) .

وتستمر الآيات فتنهى عن ظنّ السوء ، وعن تتبع عورات الناس حتى يُعيش الناس آمنين على بيوتهم وأسرارهم ، وحتى تصان حقوقهم وحرياتهم ، وتنهى عن الغيبة وتحدّر منها ، وتبين أن الناس جميعا خلقوا من أصل واحد ثم تفرعت يهم الشعوب والقبائل ، والعلاقة بين الناس أساسها التعارف على الخير ، وأكرم الناس عند الله أكثرهم تقرى وطاعة لأمره والقراما بهديه . (الآيتان ١٢ ، ١٢).

الإيمان قول وعمل

وفي ختام السورة نجد لوحة هادفة ترسم معالم الإيمان ، فالمؤمن الحق من آمن بالله ورسوله ولم يتطرق الشك إلى قلبه ، وأتبع ذلك بالجهاد والعمل على نصرة الإسلام ، وسار في طريق العقيدة السليمة والغزم بآدابها وهديها .

ونجد صورة نابية للأعراب الذين افتخروا بالإيمان ، وتظاهروا به رياء وسمحة ، وجاءوا في تهه وخيلاء يمكّون على النبى لأنهم دخلوا في الإسلام ، وهي صورة كريهة فيها الرياء والسمحة والمنة ، مع أن الله هو العليم بنفوسهم والبصير يخباياهم ، وهو صاحب الفضل والمنة عليهم إن كانوا صادقين .

إن المؤمنين الصادقين هم الذين آمنوا بالله ربيا ، وإحتاروا الإسلام ديننا ، وصدقوا بمحمد ﷺ نبيا ورسولاً ، وجمعوا بين صدق اليقين وأنب السلوك . (الآيات : ١٤ – ١٨) .

وفي الحديث الشريف: «ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل».

الهدف الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادي :

معظم مقصود سورة الحجرات ما يأتى : المحافظة على أمر الحق تعالى ، ومراعاة حرمة الأكامر، والتؤدة فى الأمور ، ولجتناب النجور ، والنجدة فى إغاثة المظلوم ، والاحتراز عن السخرية بالخلق ، والحدر : عن التحسس الغيدة ، وترك الفخر بالأحساس والأنساس ، والتحاشي عن المنة على الله بالطاعة .

وقد تكرر خطاب المؤمنين في السورة خمس مرات بقوله تعالى: يَتَلَّاجُهَا ٱللَّيْنَ وَاسَّواْ ... والمخاطبون هم المؤمنون في الآيات: ١ و ٧ و ١ و ١ و ١ ١ ، والمخاطب به أمر ونهي ، وفي الآية ١٣ : يَنَايُّهَا ٱلنَّاسُ ... والمخاطب به المؤمنون والكافرون ، حيث قال سبحانه : إِنَّا خُلَقَتَنْكُم مَّن ذَكَرِ وَأَنْفِي . والناس كلهم في ذلك.

التأدب في خطاب النبي را

بِسَــــــِهِ اللَّهُ الْخَرْ الرَّحِيدِ

﴿ يَتَأَبُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا الاَنْفَدِهُ وَابْنَ يَدَي اللّهِ وَرَسُولِةٍ وَالْقُوااللَّهُ إِنَّ اللّهَ سَيعُعِلِمٌ ۞ يَتَأَبُّهُا اللّهِ عَلَيْهُ اللّهَ إِنَّا لَقَوْلِكَجَهْرِ مِعْضِكُمْ اللّهِ عَنْ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ وَالْفُولِكَجَهْرِ مِعْضِكُمْ لِمَعْضِ أَن قَبْمُ وَاللّهُ وَاللّهُ مُؤْكِمُ مِن اللّهِ أَلْلَهِ اللّهُ عَلَيْهُ مَعْمَ اللّهُ فَالْوَبُهُمُ اللّهُ فَقُوبُهُمُ النّقَوى لَهُ مُعْفِرَةً وَاجْدُ عَظِيمُ وَاللّهُ مُؤْكِمُ مُ اللّهُ وَاللّهُ مَعْمَ اللّهُ وَاللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ

المطردات :

لا <u>ت</u><u>مسوا</u>، لا تتقدموا ، من قولهم : مقدمة الجيش ، لمن تقدم منهم ، قال أبو عبيدة : العرب تقول: لا تقدّم يين يدى الإسام ، ويين يدى الأب ، أى : لا تمجل بالأمر دونه ، وقيل: المراد : لا تقولوا بشلاف الكتاب والسنّة.

لاترهموالموالكم فوق موث الذين إذا كلمتمره ونطق ونطقتم ، فلا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدُ الذي يبلغه بصوته . يسقضون أصحواتسهم ، يخفضونها، ويلينونها .

امتحن الله قلوبهم اطهرها ونقاها ، كما يمتحن الصائغ الذهب بالإذابة والتنقية من كل غش.

من وراء الصحيحات، من خارجها ، سواء كان من خلفها ، أو من قدامها ، ويرى بعض أهل اللغة أنَّ كامن وراء السعة أنَّ كامن عن خلفها ، أمامك ، وأخرى على ما خلفك ، والحرور على ما خلفك ، والحرور والحرور إبضا الجيم وفتصها وتسكينها) واحدها حُجرة ، وهي القطعة من الأرض المحجورة ، أي المعنوعة من الدخول فيها بحائط وتحوه ، والمراد بها : حجرات نسائة ﷺ، وكانت تسمًا ، لكل منهن حجرة من جريد النخل على أبوابها

المسوح من شعر أسود ، وكانت غير مرتفعة يتناول سقفها باليد ، وقد أدخلت في عهد الوليد بن عبد الملك بأمره في مسجد رسول الله 難، فبكى الناس لذلك ، وكانت المجرات في غاية البساطة .

تمهيده

اشتملت سورة الحجرات على الآداب العامة ، ويدأت بالأمر بحسن الأدب مع الرسول ﷺ ، وعدم التقدم عليه ، بل الخضوع لأمره ، وخَفَض الصوت عند محادثته ، وتوقيره واحترامه ، وعدم نِذَاتُه من وراه المجرات ، بل الانتظار حتى يخرج إلى الصلاة ثم مقابلته .

التفسيره

٢ - يَتَأَيُّهُ اللَّذِينَ عَامَتُواْ لَا تُقَدَّمُواْ بَيْنَ يَدَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِعٌ عَلِيمٌ .

طلب الله تعالى من المسلمين توقير الرسول ﷺ ، واحترامه وإتباعه ، وعدم التقدم عليه .

و المعنى:

لا تسبقوا بأحكامكم أحكام الله ، وأحكام رسوله ، وراقبوا الله إن الله ، سُوبِحُ . لأقوالكم ، طُلِحُ . بأحرالكم فنحن في حياتنا نقتدي بالكتاب والسنة وعمل المسحابة ، ونجعل أحكام الإسلام سابقة غير ، مسبوقة ، فقدَّمة غير متأخرة .

وهذا يعنى أنه أخُر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنّة ، ولو قدمه لكان تقديما بين يدى الله ورسوله .

سبب النزول ،

اختلف الرواة في سبب نزول هذه الآية ، فقال بعضهم : سببها أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : يا رسول الله أمّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمّر الأقرع بن حابس ، فقال

ويقول بعض العلماء: لعلها نزلت من غير سبب ، لتكون دستوراً للمسلمين في أعمالهم وأقوالهم ، فيلتزموا بهدى القرآن ، ويترجيه النبي صلى ، ويتخذوه القدوة والمثل الأعلى .

قال تعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أَمْوَةً حَمَّةً لَّهَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهُ وَٱلْكِمْ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهُ كَلِيرًا . (الأعاب: ٢١)

أنّب الله المسلمين وأنّب العرب والأعراب ، وأنّب الدنيا كلّها في لزيم الأدب وخفض الصوت ، عند مخاطبة الكبراء والعلماء ، والأنبياء والعرسلين ، وإذا تكلم إنسان في حضرة النبي ﷺ في حياته ، أو عند قراءة الحديث الشريف ، أو القرآن الكريم ، فيجب ألا يرف صوته فرق صرت النبي ، بل يكن صوت البني أعلى من جهر بل يكن صوت البني أعلى من جهر النبي أعلى من جهر المتحدث أو المستفهم بحضرته ، حتى تكون مزيّة النبي واضحة، وسابقته ظاهرة ، وامتيازه بيّنا .

وإذا خاطبنا رسول الله ﷺ ، وجب أن نقول له : يا رسول الله ، أو يا نبى الله ، ولا نخاطبه باسمه مجردا ، مثل يا محمد أو يا أحمد ، أي ينبغى أن يشتمل الخطاب على التمظيم والترقير والاحترام .

أمر الله بذلك عشية إزعاج الذبي وإيلامه ، برفع أصواتنا عليه ، أن عدم اللياقة أو الجلافة في خطابه ، وعندنذ يحبط عمل المتكلم ، ويضيع ثوابه ، ويخسر حسناته ، من حيث لا يعلم ذلك في الدنيا ، بل يعلمه يوم القيامة .

وإذا وصل الجهر بالمنوت إلى حد الاستخناف والاستهانة فذلك كفر ، والعياذ بالله ، فالغرض من الآية . أن يكون صنوت المؤمن عند خطابه لرسول الله ﷺ ، خفيضا مناسباً لمقامه وهيبته ، لكن بحيث يسمعه .

وتلحظ أن الله تهانا عن جهر معين فقال : كَجَهْرٍ بَعْضِكُمْ لِيُعْضِ ... أي : ولا تجهروا له بالقول جهرا مثل جهر بعضكم لبعض .

قال القرطبي:

وفي هذا دليل على أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا ، حتى لا يسرغ لهم إلاّ أن يكلموه بالهمس والمخانتة. وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيّد بصفته ، أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم ، وهو الخكّرُ من مراعاة أنّهَم النبرةَ ، وجلالة مقدارها ، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها ، ا هـ .

وقد لاحظنا أن القرآن الكريم حث على توقير الرسول وتعظيمه ، قال تعالى : لا تَجَعَلُواْ دُعَاءَ ٱلرُّسُولِرِ يَهْتُكُمْ كَلُـُعَاءٍ بَعْضِكُم بِعْشًا ... (النور: ١٣).

وقد دات آيات من كتاب الله تعالى على أن الله العلىّ القدير ، لم يخاطب الذبي في القرآن باسمه ، وإنما يخاطبه بما يدل على التمظيم كقوله سبحانه :

يَآأَيُّهَا ٱلَّذِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَلْهِنَّا وَمُبَشِّرًا وَلَلِيرًا . (الأحزاب: ٤٥) .

يَكَأَيْتُهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّعْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ .. (المائدة: ٦٧).

يَنَّأَيْلُهَا ٱلْمُدَّدِّرُ . (المدش: ١) .

مع أنه سبحانه نادى غيره من الأنبياء بأسمائهم ، مثل:

وَقُلْنَا يَنْنَادَهُ ٱسْكُنْ أَلْتَ وَزُوجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... (البقرة : ٣٥).

ومثل : يَنْ وحُ آهْبِطُ بِسَلَم مَّنَّا ... (هود : ٤٨) .

ومثل : وَنَلْدَيْنَكُ أَنْ يَلْإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيُمَا ... (الصافات : ١٠٥ ، ١٠٥).

أما النبي ﷺ فلم يذكر اسمه مجرداً في القرآن في خطاب ، وقد سبق أن ذكرتا أن اسم محمد ﷺ تكرر أربع مرات في القرآن الكريم هي :

١ -- وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... (ال عمران : ١٤٤) .

٧ - مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبَيِّينَ ... (الأحزاب : ٤٠).

٣ - وَٱلَّذِينَ وَامْتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلْلِحَسْتِ وَوَامْتُواْ بِمَا تُؤَلْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفُرَ عَنْهُمْ سَيّاتِهِمْ وَأَصْلَحَ تَالَّهُمْ (مَحَدُّ: ٢). ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ آللَّهِ وَٱللَّذِينَ مَعَهُ أَشِدًاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَّاءُ يَنْتَهُمْ ... (الفتح: ٢٩).

وكلها ليست خطابا للرسول ﷺ ، بل هي حديث عنه ﷺ .

ملاحظات

(أ) قال القاضى أبو بكر بن العربى : حرمة النبى ﷺ ميتا كحرمته حيا ، وكلامه المأثور بعد موته فى الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قُرئ كلامه وجب على كل حاضر ألاَّ يرضع صوته عليه ، ولا يُعرَّض عنه ، كما كان يلزمه ذلك فى مجلسه عند تلفظه به ، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى:

وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَآسْتَمِعُواْ لَهُر وَأَلصِتُواْ ... (الأعراف: ٢٠٤).

وكلام النبيّ ﷺ من الوحى ، وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلاّ معانى مستثناة ، بيانها في كتب الفقه سنّ.

- (ب) النهى المذكور عن رفع الصوت ، هو الصوت الذي لا يناسب ما يهاب به العظماء ، ويوفر الكبراء، أما الصوت الذي يرفع في حرب أو مجادلة معاند ، أو إرهاب عدو ، ونحو ذلك فلوس منهيا عنه ، لأنه لمصلحة ، ففي الحديث أنه على قال للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين: «اصرح بالناس» ، وكان العباس أجهر الناس صوتاً، يروى أن غارة أنتهم يوماً ، فصاح العباس : يا صباحاها فأسقطت الحامل لشرة صوف .
- (ج.) لقد تأدب المسلمون بهذا الأدب الرفيع ، فقال أبر بكر الصديق : والله يا رسول الله لا أكلمك إلا سراراً أو كأخي السرار . وسلك عمر مثله في خفض صوته ، فكان إذا تكلم عند النبي على الله يستشع كلامه حتى يستفهمه .

وفعل مثل ذلك ثابت بن قيس ، لما نزل قوله تعالى : يَنْتَأَبُّهَا ٱلَّذِينَ وَاسُواْ لَا تَرْفُتُواْ أَصُوْاتِكُم أَوْقَ صَوْتِ ٱلْجِيِّ ... فقد دخل بيته ، وأغلق عليه بابه ، ففقده النبي ﷺ ، فأرسل إليه يسأل ما خبره ؟ فقال : أنا رجل شديد الصوت ، وأنا أخاف أن يكون حبط عملى . فقال ﷺ : «لست منهم ، بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة» (٢٠٠

فثبت ثباتاً حميداً يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب، حتى مات شهيدا، وترك ذكراً حميدا.

إنّ الدين يَفشُونَ أَضْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُول, اللّهِ أَوْلَـْئِك اللّهِينَ آمَتِخنَ اللّهُ قُلُونَهُمْ لِلشَّفَوَى لَهُم مَّفْهِرَةٌ وَأَجْرَ
 عغيرة.

إن الذين يخفضون أصواتهم عند محادثة رسول الله ﷺ أو محادثة أحد بجواره ، هؤلاء قوم نتَّى الله قلوبهم ، وأخلص سريرتهم بالتقوى ، وهى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

هولاء الذين تأدبوا بأدب الإسلام ، واستجابوا لدعوة القرآن ، فراعوا الإجلال والتوقير ، والتعظيم لرسول الله ﷺ ، وخفضوا أصواتهم عند مجلسه ، أو أثناء محادثته هؤلاء ، أهُم مُعْفِرةً وَأَجْرُ عَظِيمٌ .

لهم مغفرة لذنويهم ، وستر لعيويهم ، ومحق لخطيئاتهم ، وتثبيت لحسناتهم ، وثواب عظيم على خفضهم لأصواتهم عند نبيهم .

ملاحظة

الامتحان هو الاختبار، وأصله من اختبار الذهب وإذابته ، ليخلص چيده من خبيثه ، والمراد أن الله أخلص هذه القلوب لمراتبته سيحانه .

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

آمَتَعَنَّ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ... من قولك : امتحن فلان لأمر كذا وجرّب له ، ودُرّب للنهوض به ، فهو مضطلع به ،غير وان عنه ، والمعنى : أنهم صبروا على التقوى ، أقوياء على احتمال مشاقها . ا هـ .

وقد التزم المسلمون بهذا الأدب في حياة النبي ﷺ ربعد مماته ، فقد سمع عمر بن الخطاب رجلاً يرفع صوته في المسجد النهوى ، فقال له : من أين أنت أيها الرجل ؟ فقال : من الطائف ، فقال له عمر : لو كنت من أمل المدينة لأوجعتك ضريا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْمُعْجُرَاتِ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

كان من عادة رسول الله ﷺ أن ينام القائلة – منتصف النهار – فجاء وقد من أعراب بنى تعيم فنزلوا فى المسجد، وأخذوا ينادونه من خلف حجرات نسائه، ويقولون: لخرج إلينا يا محمد، فإن متّحنا زين، ولدمّنا شين.

والحجرات جمع حجرة ، وهي الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحيط بها .

وفى رواية عن زيد بن أرقم قال: أتى أناس النبى ﷺ، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هدًا الرجل، فإن يك نبيا فنحن أسعد للناس باتباعه، وإن يك ملكا نعش فى جنايه، فأتوا النبى ﷺ فجعلوا ينادونه: يا محمد، يا محمد. وهناك روايات آخرى في سبب النزول ، وتلتقى الروايات على أن جماعة من جفاة الأعراب ، نادوا رسول الله ﷺ وقت راحته في حجرته ، ولم يصبروا إلى وقت خروجه للصلاة ، حتى يوفُروا له الراحة.

وقد وصفهم القرآن بهذه الآية ومعناها : إن الذين نادوا عليك من وراء حجرات نساتك بأسلوب فهه حلافة الأعراب ، أَكْرُفُهُمْ لاَ يُعْقِلُونَ ، أي : لا يفهمون أصول الأدب واللياقة .

ولعل طائفة منهم لم ترض عن هذا الفعل ، فاستثناها القرآن ، لبيان أن أقلَهم أصحاب عقل وحكمة. وأحيانا بعير بالأكلار عن الكلّ .

. ٥ - وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لُّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

هذا أنب الإسلام ، في الحث على إكرام الكبراء والعلماء ، وعدم إزعاجهم ، والانتظار حتى يخرج العظيم من بيته ، ثم يتفرّغ لهم ، بمعنى أنه لو خرج وشغل بأمر آخر ، وجب الانتظار حتى يكون خروجه إليهم ، ويتوجه بوجهه لهم ، أو يتفرخ لشأنهم.

يمكى عن أبى عبيد – العالم الزاهد الثقة – أنه قال : ما دققت باب عالم قط ، حتى يخرج فى وقت خروجه .

ومعنى الآية :

ولو أن هؤلاء الذين ينادونك من وراء الحجرات ، صبروا ولم ينادوك حتى تخرج إليهم ، لكان ذلك أفضل لهم ، وأنسب وأركى وأطهر.

ثم فتح الله لهم باب الترية فقال :

وَاللَّهُ فَقُورٌ رَّحِيمٌ . لمن تاب منهم عن معميته ، وندم على نداته ، وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره، فالله غفور رحيم به ، أن يعاقبه على ذنبه ذلك يعد أن تاب عنه .

والخلاصة:

إن الله سبحانه وتعالى استهجن الصياح برسول الله ﷺ, في حال خلوته من وراء الجدران ، كما يصاح بأهون النه المستحدث المقت من يراء الجدران ، كما يصاح بأهون الناس قدراً ، لينبه إلى فظاعة ما جسروا عليه ، وليرشد إلى أدب الإسلام في تشير الوقت المناسب للزيارة ، وأدب الطّرّق الشفيف على باب المنزل ، أو استعمالاً خفيفا، لا يزمع أهل المنزل ، وعدم الوقوف أمام الباب بل على جانب منه ، وعدم النظر إلى المنزل عند فتح الباب، ثم السلام على صاحب المنزل عند ظهوره .

قال تعالى: يَنَايَمُهُمُ اللَّهِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُواْ لِيُونَا غَيْرَ أَيُوبِكُمْ حَتَّىٰ لَسَنَالِسُواْ وَلَسَلَّمُواْ عَلَىٓ أَهُلِهَا ذَائِكُمْ خَيْرُ لَكُمْ لَمُلَكُمْ تَذَكُرُونَ ، فِإِن لَمْ مَجِلُواْ فِيهَا آخَذَا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَىٰ يُؤَذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُواْ أَفَوْ أَزَكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . (الذور: ۷۷ ، ۷۷).

* * *

التثبت من الأخبار

﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ اَمَنُواْ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَهِا فَتَمَيَّوْاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِحَهَل لَةِ فَنُصْبِحُوا عَلَى مَافَعَلْتُمْ نَدِمِينَ ۞ وَاعَلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوَيُطِيعُكُمُ فِي كَثِيرِ مِنَ الْأَمْ ي لَعِنْمُ وَلَكِنَ اللَّهُ حَبَّى الِيَتْكُمُ الْإِيمَن وَزَيْنَهُ فِي فُلُوكِمُ وَكُرَّهُ إِلَيَّهُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانُ أُولِيَهِ لَكُ هُمُ الزَّيْشِدُونَ ﴾ فَضَلا مِنَ اللَّهِ وَيْضَمَةً وَاللَّهُ عَلِيمُ حَكِيمٌ ۗ ۞

المفردات

السفساسية ، هو الخارج عن حدود الدّين ، من قولهم : فسق الرُّطب ، إذا خرج من قشره .

يستسيساه بغير.

أن تصيبوا قوما ؛ لثلا تعدوا على قوم .

بسجمهاالة ، جاهاين حالهم .

هـتمـيـحـوا، فتصيروا.

تسادمسيسن ، مغتمّين عُمًّا لازمًا ، متمنين أنه لم يقع ، فإن الندم هو الغمّ على وقوع شيء مع تمنّى عدم وقوعه .

الكسفسر : تفطية نعم الله تعالى بالجدود لها .

السفسيون الخروج عن الحدّ كما سيق.

المصيال، عدم الانقياد.

السراشكون؛ الرشاد: إصابة الحق، واتباع الطريق السوى مع تصلب فيه، من الرشادة وهي الصخرة.

تمهيد،

السورة كلها مشتملة على آداب اجتماعية نافعة ، حيث بينت فيما سبق النزام خفض الصوت بحضرة الأكابر ، والتزام الطاعة لله ولرسوله ، وعدم التقدم على أحكام الإسلام ، وهذا إرشاد إلى أدب عظيم وهو التثبت من الأخيار عند سماعها ، وعدم المسارعة إلى تصديقها ، خشية إساءة الظن بالآخرين .

سبب التزول ا

ذكر أكثر المفسرين أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيِّط.

أخرج ابن جرير ، وأحمد ، وابن مردويه بسند جيد ، عن ابن عباس ، أن الآية نزات في الوليد بن عقبة ابن أبي مُمْيَطْ ، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق مُصدَّفًا (أي: جامعًا للصدقات ، والمراد بها الزكوات) وكانت ببنهما إحن في الجاهلية ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم خافهم ، فرجع فقال : إن القوي همُوا بقتلى ، ومنّعوا صدقاتهم ، فيحث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إليهم ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فرجدهم منادين بالصلاة متهجدين ، فسلموا إليه الصدقات ، وعاد إلى النبي ﷺ فأخبره فنزات الآية .

والآية وإن نزلت بسبب حادث معين ، إلا أنَّها عامة في وجوب التثبت من الأخَّبار .

قال الحسن البصرى : فوالله لثن كانت نزلت في هؤلاء القوم شاصة ، فإنها لمرسلة إلى يوم القيامة، ما نسخها شيء .

وأكد الرازى ذلك ، بأن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيْط شيء بعيد ، لأنه توّهم وظنّ فأخطأ ، والمخطئ لا يسمى فاسقًا ، كيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الإيمان .

قال تعالى : وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَسَهُمُ ٱلنَّارُ ... (السجدة : ٢٠) .

ولكن أكثر المفسرين على أن الوليد كان ثقة عند رسول الله ﷺ ، فصار فاسقًا بكذبه ، والظاهر أنّه سمى فاسقًا تظهر أنه المقا تفيرًا وزجرًا عن الاستعجال في الأمر من غير تثبت ، فهو متأوّل ومجتهد ، وليس فاسقًا على المقوقة» ٢٠٦ المقوقة المقال على المقوقة المق

وقال القرطبي :

وفي الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً ، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق ، من فيت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعًا ، لأن الخبر أمانة ، والفسق قرينة يبطلها . اهـ.

التفسيره

٣ - يَنَاتُهَا ٱلَّذِينَ ءَامْتُواْ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبْإِ فَتَنْتُواْ أَنْ تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فُصْمِبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ لَلْدِمِينَ .

يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم من يحتمل فسقه بخبر عظيم من الأخيار ، فتثبتوا من صدق ذلك الخبر ،
ولا تتسرعوا في الحكم على الآخرين خشية أن تعتدرا على قوم آمنين مستقيمين ، جاهلين إيمانهم
واستقامتهم ، فتصيروا بعد العدوان عليهم نادمين مغتمين ، تتمنون لو أنكم ما فعلتم هذا العدوان على قوم
لا يستحقونه .

" فالآية الكريمة ترشد المسلمين في كل زمان ومكان إلى كيفية استقبال الأخبار استقبالاً سليمًا ، وإلى كيفية التصرف فيها تصرفًا حكيمًا ، فتأمر بالتثبت والتحقق من صحة الأخبار ، حتى يعيش المجتمع الإسلامي في أمان والمئذان ، وفي بُعر عن الندم والتحسّر على ما صدر منه من أحكام .

> - وَآعَلَمُوۤا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يَظِيعُكُمْ فِي كَبِيرٍ مَنْ ٱلْأَمْرِ لَمَشِّمُ وَلَدَكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَسْنَ وَزَيْتَهُ.
 فِي قُلْمِيكُمْ وَكِرْهِ إِلَيْكُمْ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِمْيَانَ أُولَئِيكَ هُمُ ٱلرَّا هِدُونَ .

واعلموا أيها الصحابة الكرام ، أن فيكم رسول الله محمدًا ﷺ الذي غتم الله به الرسالات ، وأوجب عليكم اتباعه ، وأوجب ترقيره واحترامه ، وعدم التقدم عليه وعدم سبق حُكّبه .

وريما كان هناك من الصحابة من زيَّن للرسول ﷺ الهجوم على بنى المصطلق وقتالهم ، بعد سماع كلام الوليد بن عقبة بن أبى مُتيِّط، فكان مضمون الآية مُفيناً الربَّ عليهم ، منبَّها إلى وجوب التثبُّت وعدم التسُّرع ، ووجوب التأثّى فى اقتراح ما ينهغى عمله ، والانتظار لما يشير به الرسول الحكيم ﷺ.

لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَبُّمْ ...

والعنت الوقوع في الشدة والمهالك ، لو أنّ الرسول سارع بإطاعة من حبب إليه قتال بنى المصطلق ، ونقذ الأمر ، ثم تبينتم الحقيقة لوقعتم في الحرج والشدة والضيق ، بسبب وجود قتلي وجرحي أبريام .

والنُّحاة منا يسمُون (لر) حرف امتناع ، أي : بسبب عدم طاعة الرسول للمتسرَّعين ، لم تقعرا في الحرج والهلاك ، وكان مناك عدد من الصحابة لا يميلون إلى التسرَّع ، ويرون التثبث ، وهم الذين عناهم الله بقوله :

وَلَنكِنْ ٱللّٰهَ حَبْبَ إِنَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَرَيَتَهُ, فِي قُلُوبِكُمْ وَكُرُهُ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفُرَ وَٱلْفَسُوقَ وَٱلْبِصَيَانَ أُولَـٰتَكِكُ لِهُمُ الرّاهِندُونَ . تأتى (لكن) للإستدراك ، أي مغايرة ما بعدها لما قبلها ، أي مع وجود بعض المتسرّعين بينكم ، لكنّ الله تعالى حبب الإيمان إلى أكثركم ، ورَيّن الإيمان في قلويكم ، أي جعله محبوبًا محتربًا معشوقًا ، صالحًا للغداء والتضحية ، كذلك كرّه إلى جملة الصحابة ، ٱلْكُفّر . وهو جدود نعمة الله ، وَٱلْفُسُوقَ . وهو الخروج على أمر الله ، وَالْهِشْهَانَ . وهو مخالفة أمر الله أن أمر رسوله .

أَوْلَاهِدُونَ .

هرّلاء الأكثرية المهتدون المطيعون ، هم الذين منحهم الله الرشاد والهداية ، والتوفيق والتمسك بالإيمان ، وطاعة الله وطاعة رسوله .

٨ - فَصْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

لقد تفضل الله على صحابة رسول الله ﷺ بهذه الصفات الحكيمة ، وأنعم عليهم بهذه النُعم ، وهو ، عَلِيمٌ ، مطلع على النفوس ، حَكِيمٌ ، جليل الحكمة في أفعاله .

والآية رسام على صدر هزلاء الصحابة ، فهى وما سبقها تبين أن معظم الصحابة كانوا نموذجًا وخلالاً أعلى في محبة الإيمان والصدق فيه ، والتضحية والفداء ، وكراهة الكفر والفسرق والعصبيان ، وأن هذا المهدى والطاعة ، كان فضلاً من الله ونعمة ، لا تعادلهما أي نعمة ، وقد امتن الله على رسوله بأنه هو الذي هُذي ووفق ، وأخرج من أصلاب الكافرين هؤلاء المؤمنين .

قال تعالى : وَأَلْفَ يَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيمًا مَّا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَلَكِنَّ ٱللَّهَ أَلْفَ يَيْتُهُمْ إِنَّهُ عَرِيزٌ حَكِيمٌ . (الأنفال: ٦٣) .

فى أعقاب التفسير

ذكر الأستاذ وهبة الزحيلي في التفسير المنير (جزء ٢٦ ص ٢٣٢) أنه يستنبط من الآيات السابقة ما يأتي :

- إن وجود الرسول إلى في أصحابه ركن تثبت وأناة وتأن فيمنع التسرع في إصدار الأحكام ، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه ، لكان خطأ ، ووقع في العنت (الإثم والمشقة والهلاك) من أراد إيقاع الهلاك بأولتك القوم ، لعداوة كانت بينه وبينهم ، ويكون المراد من قوله تعالى : وَأَعْلَمُوا أَنْ يَكُمْ رَسُوكَ الله تعالى : عَلَيْكُم رَسُولَ الله الله تعالى ينام رسوله الله أنباءكم فتفتضحون .

- ٧ ~ استدلت الأشاعرة بقوله: حَبُّبَ ، وَكُرُّة ، على مسألة خلق الأفعال ، أي أن الله تعالى خلق أفعال العباد ودواتهم وصفاتهم وألسنتهم وألوانهم ، لا شريك له ، لقوله تعالى: وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ . (السافات: ٩٦). وهذا ردَّ على القدرية ٥٠٠ والإمامية ، والمعتزلة الذين يقولون : إن الإنسان يخلق أفعال نفسه ، ويؤولون آية: حَبُّبَ ، وَكُرُّة ، على اللطف والتوفيق .
- ٣ إن الله تعالى عليم بكل شيء ، يعلم من يتحرّى الخير ومن لا يتحراه ، ومن يريد الرسول ﷺ على ما لا
 تقتضى به الحكمة ومن لا يريده ، وهو فوق هذا يعلم الأشياء ويُعلم الرسول ﷺ بها ، ويأمره بما تقضى
 به الحكمة ، فهجب الوقوف عند أمر الرسول ﷺ ، واجتناب الاقتراح عليه .

وسائل فض المنازعات

﴿ وَإِن طَآ إِهَٰنَانِ مِنَ الْمُوْمِنِينَ اَفْسَتُلُواْ فَاصْلِحُواْ بَيْنَهُمُّا أَوْلِنَهَتْ إِحْدَنَهُمَا عَلَ ٱلْأَخْرَىٰ فَقَنْلُواْ الْتَيْ تَبْغِي حَقَّى يَفِي َ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ آخَوَيَكُرُّ وَاتَّقُوا اللَّهُ لَمَلَكُرُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ آخَوَيَكُرُّ وَاتَّقُوا اللَّهُ لَمَلَكُرُ يُحِمُونَ۞﴾

المقردات :

المسلط المسلط قد الجماعة أقل من الغرقة ، يدليل قوله تعالى : فَلُوَّ لاَ تَفَرّ مِن كُلْ فِرْقَةٍ مُنْهُمُ طَالِفَةً ... (التابع: ١٤٧٧)

هاصل حواب يتهما، فكفوهما عن القتال بالنصيحة، أو بالتهديد والتعذيب.

أمسير المعلمة الصلح ، لأنَّه مأموريه في قوله تعالى : وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ يَبْنِكُمْ ... (الأنفال: ١).

هاسلحوا بيتهما بالعدل ، بإزالة آثار القتال بضمان المتلفات ، بحيث يكون الحكم عادلاً ، حتى لا يؤدى النزاع إلى الاقتتال مرة أخرى .

واقســــــــطـــــــــوا ، واعدارا في كل شأن من شئونكم ، وأصل الإقساط : إزالة القسط (بالفتج) وهو الجور، والقاسط : الجائر ، كما قال تحالى : وأنّا ٱلْقَلْسِطُونُ فَكَانُواْ وُجَهِّمَ حَظًّا . (الجن: ١٥٠).

خصصصصوة ، الإخوة في النسب ، والإخوان في الصداقة ، واحدهم أخ ، وقد جعلت الأخرّة في الدّين ، كالأخرّة في النسب ، كأن الإسلام أب لهم ، قال قائلهم : .

أبى الإسلام لا أب لي منوالا إذا افتخروا بقيس أو تميم

تمهيد،

فى آيات سابقة أمر القرآن بالتثبت فى الأخبار ، خشية العدوان على قوم آمنين غير معتدين ، وهنا يهتم القرآن بالصلح بين المتخاصمين ، ويجعل ذلك مهمة الحاكم ومسئولية الأمة ، فعليهم الدعوة إلى الصلح ، ودفع البغاة حتى يخضعوا إلى حكم الله تعالى ، فإذا خضعوا وجب الحكم بالعدل بينهم ، حتى نقضى على الفتنة ، وتتراضى النفوس بصفة دائمة ، فالله تعالى عادل وقد أمر بالعدل . قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهُ يَأْمُو كُمْ أَنْ تُوَكُّواْ ٱلْأَمْتُلْتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكُمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَنْ تَحْكُمُواْ بِٱلْغَلْرِ... (النساء : ٥٥)

إن بين المسلمين رحمًا عامة يجب أن توصل ، فربُّهم واحد ، ونبيهم واحد ، وكتابهم واحد ، وأمتهم واحدة ، وتبلتهم واحدة ، والإسلام أخرّة شاملة لهم جميعًا ، فيجب المسلم بينهم ، والتقوى وسيلة إلى رحمة الله ، ومففرته وفضله .

التفسيره

٩ – وَإِن طَالِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْتَنْمُوا فَأَصْبِلَحُوا يَبْتَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِخْدَىلَهُمَا عَلَى ٱلْأَخْرَىٰ فَقَاشِلُواْ ٱلَّبِي تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِينَ ۚ إِلَيْ آلَمُ ٱللَّهِ فِإِن فَاءَتُ فَأَصْدِلُحُواْ يَبْتَهُمَا بِٱلْعَدُلِ وَٱلْسِلُولَا إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُفْصِطِينَ .

الإسلام رباط متين بين المسلمين ، وقد حدُّ القرآن الكريم على صلة الرحم ، ورأب الصدع ، والإصلاح بين الناس .

قال تعالى : لا عَيْزَ فِي كَبِيرٍ مِّن يُجْوَسِلُهُمْ إِلَّا مَنْ أَمْرَ بِصَنَةَقَةَ أَوْ مَفْرُو هُو أَوْ إِصْلَنِع مِ بَيْنَ آلناس وَمَن يَشْعَلُ ذَالِكَ آتِيقَةَ عَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْكَ تُولِيهِ أَجْزًا عَظِيمًا . (النساء : ١١٤) .

وقال ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تحاقدوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله تعالى» "١٠٠،

والآية التاسعة من سورة الحجرات أصل فى دعوة المسلمين إلى لزوم الوحدة والجماعة ، وقتال الهفاة ، والصلح بين المتضاصمين بالعدل والقسط.

ومعنى الآية الكريمة:

إن تفاصمت جماعتان أو فئتان من المسلمين ، فينغنى أن نسارع إلى الصلح بينهما بالحسنى والإرشاد ، والكلمة الطيبة والتوجيه ، وذكر محاسن الفئة الأخرى ومحامدها ، ورغبتها فى المسلح والحب والمودة .

قال ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين فينمِّي خيرًا أو يقول خيرًا».

فمن أراد الصلح بين فئتين ، وسمع كلمة طبيبة من إحدامما فنماها وزادها ، أن اخترعها رغبة في التواصل والصلح بين المتخاصمين ، قلا يسمّى كذابًا بل مصلحًا . فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىلَهُمَا عَلَى ٱلْأَخْرَىٰ لَقَاعِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ لَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ...

فإن لم تستجب إحدى الفئتين إلى الصلح ، ولم تخضع للحكم بالعدل ، ولحتمت بالعدوان والبغى على الفئة الأخرى ، وجب ردع المعتدى وتحذيره وإنذاره أولاً ، ومحاولة استدراجه إلى الصلح ، فإن رفض ويغى تعين قتاله إلى أن يرجع إلى حكم الله ، وهو الصلح بين المتنازعين .

فَإِن هَاءَتْ فَأَصْلِحُوا يَنْهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَفْسِطُواْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِطِينَ.

إن رجعت الفقة المعتدية عن بغيها ، وقبلت الصلح والتعاون مع الوسطاء ، وجب على الأمة أن تصلح بين المتنازعين بالعدل والحق والقِسط (بكسر القاف) .

إِنْ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إن الله يحب العادلين في الحكم ، حتى نقطع دابر النزاع من أساسه ، وتعود الأمور هادئة آمنة نافعة راشدة .

قال ﷺ : «إن المقسِطين في الدنيا على منابر من لزائر"، بين يدى الرحمان عز وجل بما أقسطوا في الدنيا» . أهرجه ابن أبى حاتم ، والنسائي ، وإسناده جيد قرى ، ورجال؛ على شرها المصحيح .

وأخرج مسلم ، والنسائي أن رسول الله ﷺ قال : «المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور ، على يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهالهم وما وُلُواء ٣٠٠.

• ١ - إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ آَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱلْقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

المؤمنون إخوة في الدين والإسلام ، وبينهم وشائج الأخوّة الكاملة ، فإن وقع نزاع بين الإخورة ، وجب أن نسارع إلى الصلح بينهم ، ونينل في ذلك الجهد والحكمة ، وحسن الدعوة ، ومحاولة التوفيق ، مع مراقبة الله رجاء رحمته وفضله وإكرامه .

أخرج الشيخان بسنديهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هذا – ويشير إلى صدره – بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حمرام دمه وماله وعرضهه (٢٠٠).

سبب الثرول

تعددت الروايات في سبب نزول الآيتين (٠ ، ٩) من سورة الحجرات ، وكلها تلتقي على أن نزاعًا ما حدث بين الأوس والخزرج ، أو بين قبيلتين من الأنصار ، أو رجلين من الأنصار ، أو حيين من أمل المدينة، ويمكن الجمع بينها بأن نلك من تعدد الأسباب والمنزّل واحد . أخرج ابن جرير ، عن الحسن قال : كانت تكون الخصومة بين الحيين ، فيدّعون إلى الحكم ، فيأبون أن يحيبوا ، فأنزل الله : وَإِنْ ظَالْهُمَاتِ ... إِلَى أَهُر الْأَيْتِينَ .

وقيل: كان النبي صلى متوجها ازيارة سعد بن عبادة في مرضه ، قمرٌ على عبد الله بن أبيّ بن سلول، وكان الله بن أبيّ من سلول، وكان الله إلى المتحارُ ، فبال المحمارُ ، فقال عبد الله بن أبّى – وهو من الأوس – للنبي على : إليك عنى ، فوالله لذ أناني تند حمارك ، فقال عبد الله بن رواحة – وهو من الخزرج – : والله إن بول حماره أطيب ريحًا منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فوقعت بينهم حرب بالجريد والأعال ، فأنزل الله فيهم : وإن طائفتانُ مِن ألْمُؤْمِينُ الْتَعَلُواْ ...

وقد ورد مثل ذلك في مسند أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وابن جرير وغيرهم ، ويُجمع بين الروايات بأن خصومة ما وقعت بين الأوس والخزرج ، أو بين امرأة وكانت من قبيلة وزوجها من قبيلة أخرى ، وأن الرجل حبس امرأته في علية له ، فبعث المرأة إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها ، واستعان الرجل بقومه فجاءوا ليحولوا بين المرأة وأهلها ، فتدافعوا وكانت بينهما معركة ، فنزلت فيهم الآية ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم ، وفاءوا إلى أمر الله تعالى ، ونزلت الآيتان .

هي أعقاب تفسير الآيتين

قتال على ومعاوية:

- ١ كان القتال لشبهة قامت بينهما ، فالإمام على طلب البيعة من أهل الشام وعلى رأسهم معاوية ، ومعاوية ، ومعاوية طلب الأخذ بثأر عثمان ، ممن يوجد من قتلته في معسكر على ، فكان على يقول : الخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه ، وكان معاوية ومن معه يقولون : لا تستحق البيعة وقتلة عثمان معك تراهم صاحبًا ومساءً ، وحدثت معارك وأهوال بين الفريقين .
- ٢ -- قال ابن العربي في أحكام القرآن: هذه الآية أصل في قتال المسلمين ، والعمدة في حرب المتأولين ،
 وعليها عول المحابة ، وإياها عنى النبي رقي بقوله : «ققال عماراً الفئة الباغية» (١٩٩ ، أي عمار بن ياسر.
- ٣ لا خلاف بين الأمة في أنه يجوز للإمام تأخير القصاص، إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة، أو تشتيت الكلمة.
- ٤ الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية ، إذا قام به البعض سقط الطلب عن البناقين ، ولذلك تخلّف قوم من الصحابة ، رضى الله عنهم ، عن هذا الأمر ، كسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمرو ، ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، وصوّب عملهم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، واعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منه .

ه - قوله تعالى : فَإِنْ فَآءَتْ فَأَصّْلِحُوا أَيْنَهُمَا بِٱلْعَدُّلِ ...

يدلُ على أنَّ من الحدل في مطحهم ألا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال ، فإنه تلف على تأويل ، وفي مطالبتهم بذلك تنفير لهم عن الصلح ، واستعرار في البغي .

٦ – ما استهلكه البغاة : إن ما استهلك أثناء تجمع البغاة والخوارج للقتال ، والتفرق عند انتهاء الحرب من
 دم أو مال ، لا ضمان فيه بالإجماع .

من تفسير فتح القدير للشوكاني

إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بهنهم ، ويدعوهم إلى حكم الله ، فإن حممل بعد ذلك التعدّى من إحدى الطائفتين على الأخرى ، ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه ، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية ، حتى ترجع إلى أمر الله وحُكُمه ، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها ، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه ، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ، ويتحرّوا الصواب المطابق لحكم الله ، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم ، وتؤدى ما يجب عليها نحر الأخرى .

من تفسير القرطبي

(أ) لا يجور أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطرع به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا الله بالكف عما شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة المحجة ، وفهى الذبي ﷺ عن سبّهم ، وذكر أن الله قد غفر لهم ، وأخير بالرضا عنهم .

قال تعالى في سورة التوية : وَالسَّنِقُونَ ٱلْأَوْلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلْلِينَ ٱتَبُوهُم بِإِحْسَانٍ رِّحِي ٱللَّهُ عَقُهُمْ وَرَضُهُ أَعْفُى .. (التدبة : ١٠٠).

وقال تعالى في سورة الفتح، لُقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَن ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكُ تُحْتَ ٱلشَّجَ وَ ... (الفتم: ١٨).

هذا مع ما ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ أنه قال : وإن طلحة شهيد يمشى على الأرضى»، فلو كان ما خرج له معصية لم يكن بالقتل فيه شهيدًا.

(ب) سئل بعضهم عن الدماء التي أريقت فيما بينهم ، فقال : تلك دماء طهُّر الله منها يدى ، فلا أخضَّب بها اساني . يريد التحرر من الحكم على بعضهم ، بما لا يكن مصيبا فيه . (ج) قال الحسن البصرى: قتال شهده أمدحاب محمد ش وغينا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ،
 واختلفوا فوتفنا.

وقال المحاسى: فنحن نقول كما قال الحسن ، ونظم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منّا ، ونتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عمّا اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأيا منّا ، ونطم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل، إذ كانوا غير متهمين في الدين .

(د) سئل الإمام على رضمى الله عنه عشُّن قاتلوه : أمشركون هم ؟ قال : لا ، من الشرك فرُّوا ، فقيل له : أمنافقون هم ؟ قال : لا ، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، فقيل له : فما حالهم ؟ قال : هم إخواننا يُغْزًا علينا .

* * *

تحريم السخرية والغيبة ، والأمر بالتقوى

المفردات؛

المسخصريسة، الاحتقار وذكر العيوب والنقائص على وجه يُضحك منه ، يقال : سخر به ، وسخر منه ، وضحك به ومنه ، وهزئ به ومنه ، والامن : السُّخرية ، وقد تكون بالمحاكاة بالقول أو بالفعل أو بالإشارة أو بالضحك على كلام المسخور منه ، أو على صنعته ، أو على قبح صورته .

تسميوم: شاع إطلاقه على الرجال دون النساء، كما قال زهير:

أقسوم آل حصسن أم نسساء

ومما أدري ولست إخمال أدري

ولا تلمزوا أنفسكم ، لا يعب بعضكم بعضا بقول أو إشارة ، باليد أو العين أو نحوهما . .

الـ تستسايسة، التعاير والمناداة للشغص بما يكرهه من الألقاب.

الاسميم، الذكر والصيت، من قولهم: طار اسمه بين الناس بالكرم أو اللوَّم.

الإنسيم، الذنب.

المسفي يسميه ، ذكر الإنسان بما يكره في غيبته .

من ذكر وأنشى؛ من أدم وحواء ، قال إسحاق الموصلى :

الناس في عالم التبثيل أكفاء أبسوهسم آدم والأم حسواء فإن يكن لهم في أصلهم شرف يُضاخرون به فالطين والماء

شمويها وقم اثيل ، الشعوب: رؤوس القبائل ، كربيعة ومضر، والقبائل فروعها .

قال في تفسير المراغي:

والشعوب واحدهم شُعَب (بفتح الشين وسكون العين) ، وهو الحي العظيم المنتسب إلى أصل واحد ، كربيعة ومضر ، والقبيلة دونه كبكر من ربيعة ، وتعيم من مضر ، وحكى أبو عبيدة أن طبقات النسل التى عليها العرب سبع :

الشُّمْبُ ، ثم القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخِذ ، ثم الفصيلة ، ثم العشيرة ، وكل واحد منها يدخل فيما قبله .

فالقبائل تحت الشعوب ، والعمائر تحت القبائل ، والبطون تحت العمائر ، والأفخاذ تحت البطون ، والفصائل تحت الأفخاذ ، والعشائر تحت الفصائل .

فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة (بفتح العين وكسرها) وقصى بطن ، رعبد مناف فخذ ، وهاشم فصيلة ، والعباس عشيرة ، وسمّى الشّعب شعباً لتشعب القبائل منه كتشعب أغصان الشجرة .

تمهيد،

السورة من أوّلها حافلة بالدعوة إلى الآداب العامة ، والالتزام بأحكام الشريعة ، وعدم رفع الصوت على الكبراء والأنبياء ، ثم التثبت عند سماع الأحبار ، وعدم الاعتداء على الآخرين ، ثم الدعوة إلى الإمسلاح بين المتخاصمين ، وهنا نجد دعوة إلى الامتناع عن السخرية والهمز واللمز ، والتنابز بالألقاب وإساءة الظن، وتتبع عورات الناس ومعايبهم ، والغيبة والنميمة ، ووجوب المساواة بين الناس ، واعتقاد أن معيار التفاضل والتميز هو التقوى والصلاح وكمال الأخلاق .

ونلحظ أن السورة دائرة محكمة ، وآياتها متتابعة في الترقى بالإنسان في حسن السلوك ، والابتعاد عن أسباب الخصام ، إلى البعد عن إيذاء الآخرين ، إلى الاعتقاد بأن الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط، يتفاضلون عند الله بالتقوى والعمل الصالح .

التفسيره

١٩ – يَـٰٓلَلُهُمْ ٱللَّهِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرَ لَوْمٌ مِّن قَوْمِ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا عَيْرًا مَنْهُمْ وَلَا يِسَاءً مِّن نَسَاءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنْ خَيْرًا مَنْهُمْ ...

هذه الآية وما بعدها تكاد تكون دائرة معارف إنسانية ، تركّز على أهم العيوب التي تشيع بين الناس، ومنها ما يأتي :

السخرية والاستهزاء بالأخرين ، وهذا تطاول على عباد الله متضمن معنى الأنانية ، كأن الساهر كامل ، والمسخور منه ناقص ، ولتأصّل هذه العادة في الناس تكرر النهى عنها مرتين ، فقال سبحانه :

يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ لَا يَشْخَوْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُولُوا خَيْرًا مِّنهُمْ ...

أى: لا يسمّر ولا يستهزئ رجال من آخرين ، عسى أن يكون المسخور منه أفضل حالاً أو أعلى قدراً عند الله من الساخر ، وربما انحط قدر الساخر ، وارتفع شأن المسخور منه ، كما قال بعضهم :

ولا تهمن الفقيسر عممملك أن تركمع يوماً والدهمر قد رفعه

وبالرغم من أن النساء يدخلن في هذا النهى عادة في الخطاب التشريعي ، إلا أن القرآن الكريم أفردهن بالنهي لأهمية الموضوع ، وتأكيده بالنسبة لهنّ ، فقال :

وَلَا لِسَاءً مِّن نُسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنُّ عَثِرًا مِّنْهُنَّ ...

ولا تسخر امرأة جميلة من دميمة ، أو طويلة من قصيرة ، أو بيضاء من سرداء ، أو كاملة الأطراف من ناقصتها ، أو السليم من المريض ، أو الصحيح من المعاق – كالأعمى والأعرج والأبرص والأقرع والكسيح والمريض – فكل هؤلاء ضُعفاء في حاجة إلى المساعدة والمعاونة والتشجيع والحنان ، وربما كانت المسخور منها أفضل وأعلى قدراً عند الله من الساخرة . قال ﷺ : «رب أشعث أغير ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس ، لو أقسم على الله لأبرَه » (° ، رواه الحاكم. (الطُّمر : اللُّوب الْخَالِق الهالي) .

ورواه أحمد، ومسلم بلفظ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه» (١٣٠).

وإنما خصٌّ مجامع الرجال والنساء ، لأن أغلب السخرية تكون في مجامع الناس .

ولكن علة النهى عامة ، فتفيد عموم الحكم لعموم العلة ، فلا يجوز أن يسخر فرد من فرد ، ولا رجل من امرأة ، ولا امرأة من رجل ، فالتمايز عند الله تمالى بالأعمال ، ونظافة القلوب والتقوى ، لا بالمظاهر والشروات ، ولا بالألوان والممور ، ولا بالأعراق والأجناس .

آخرج مسلم ، وابن ماجة أن رسول الله ﷺ ، قال : وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلويكم وأعمالكم » (°°).

وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ...

واللمز هو التنبيه على عيوب الآخرين ، قال تعالى :

وَيْلُ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لَّمَزَةٍ . (الهدرة : ١) .

والعيَّاب اللَّمان إنما يعيب نفسه أو يرشد إلى حقارة شأنه ، فمن كان رفيع القدر انشغل بعيوب نفسه عن عبوب أخيه .

ولأنَّ المؤمنين إخوة فمن عاب أخاه فكأنما عاب نفسه ، لذلك قال تعالى :

وَلَا تَلْمِزُ وَا أَنفُسَكُمْ ...

أى: لا تعييرا الآخرين ، ولا تنشغلوا بعيريهم ونقائصهم ، طإنكم بذلك إنما تعييرن أنفسكم ، وترشدون إلى تدنّى قدركم ، ورحم الله امرأ انشغل بعيرب نفسه عن عييب أخيه .

والغرق بين السخرية واللمز ، أن السخرية احتقار الشخص مطلقا على وجه مضحك بحضرته ، واللمز هو التنبيه على ممايبه باللفظ أو الإشارة .

وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ...

ولا يضاطب أحدكم غيره بالألفاظ التي يكرهها، بأن يقول له: با أحمق ، أو يا أعرج ، أو يابن السوداء، أي : لا يحير شخص أخاه بما يسوره ، سواء أكان هذا اللقب المكروة للشخص ، أم لأمّه ، أم لأبيه ، أم لغيرهم، ويستثنى من ذلك أن يشتهر الشخص بلقب لا يسوؤه ، فيجوز إطلاقه عليه ، كالأعمش والأعرج من رواة الحديث ، وكان ﷺ ينادي أصحابه بأحبً الأسعاء لديهم .

مثل : عتيق لأبي بكر ، والفاروق لعمر ، وذو النورين لعثمان ، وأبو تراب لعلى ᠩ ، وسيف الله لخاله. وأمين الأمة لأبي عبيدة .

بِعْسَ الْإَسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ ...

بئس الذكر والشهرة الإنسان بالفسوق والخروج عن أمر الله ، بعد دخوله في الإيمان ، فعن تعوَّد على السخرية أن اللمز ، أن التُقص للذّخرين يصبح فاسقا بعد إيمانه ، ويتس هذا التحوّل .

من تفسير الطبرى

قال الطبرى : يُفسَ الْإَشْمُ ٱلْفُسُوقُ يَعْدَ ٱلْإِيمَسْنِ ...

يقول تعالى: ومن فعل ما نهينا عنه ، وتقدم على معصيتنا بعد إيمانه ، فسخر من المؤمنين ، ولمن أهاه المؤمن ، ونيزه بالألقاب ، فهو فاسق ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، يقول : فلا تفعلوا فتستحقوا إن فطتموه أن تسمُّنا فساقا بعد أن وصفتم بصفة الإيمان ...

وقال الفخر الرازي في تفسيره :

قوله تعالى: بِفُسَ الْإَسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ...

من تمام الزجر، كأنه تعالى يقول:

يَـُتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَتُوا ۚ لاَ يَسْحَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ - وَلاَ تَلْمِزُوٓا أَنْفُسَكُمْ – وَلاَ تَنَابُرُواْ ا فإن من يفعل ذلك يفسق بعد إيمانه ، والمؤمن يقيح منه أن يأتي بعد إيمانه بفسوق ، ويصير التقدير : فِنسَ الإِنسَمُ ٱلْفُسُوقَ بُعَدُ ٱلْإِمش ...

وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى : بِلْسَ الآسَمُ الْفُسُولُ بَلْدَ ٱلْإِيَمَّانِ ...بنس أن يسمى الرجل كافراً أو غاسقاً بعد إسلامه وتوبته ، أى : لا يجوز أن تقول للمسلم : يا غاسق ، بعد أن هداه الله للإسلام ، أو بعد أن تاب إلى الله .

وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَلْفِكَ هُمُ ٱلطَّلْلِمُونَ .

ومن لم يرجع عن الانشقال بعيوب الناس ، والتنقيب عن خطاياهم ، وعيبهم ولمزهم واتهامهم ، فقد ظلم نفسه وظلم إخرانه ، والله لا يحب الظالمين . يا من آمنتم بالله ربًّا ، ويمحمد ﷺ نبيا ورسولا ، اجتنبوا طن السوء بالمسلمين الذين ظاهرهم المسلاح ، أمًّا من عرُّض نفسه للتهم ، فدخل حانات الخمور ، أو جالس النساء الفاسدات ، فهو الذي عرض نفسه للشهات ، ومن حقّنا أن نظن به السوء .

إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنَّ إِثْمٌ ...

أى: إن ظن السوء بأهل الخير ، أو ظن الشر بالمؤمن نتب مؤثم ، موقع في الإثم لنهى الله عنه ، كما قال تعالى : وَظَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُتُمْ قَوْمًا يُرِدًا . (النتج: ٢٠) . أي : هلكي .

روى مالك ، والهخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، أن رسول الله ﷺ قال : وإياكم والظن ، فإن الظن أكنب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسُّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناء (٣٠) .

وَلَا تُجَسَّسُواْ ...

أى: لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم ، وتستكشفوا ما ستروه ، وتستطلعوا أسرارهم .

آخرج أبو داود وغيره ، عن أبى برزة الأسلمى قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : ديا معشر من أمن يلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه ، لا تتبعوا عورات المسلمين ، فإن من تتبع عورات المسلمين فضحه الله في قعر بيته» (**).

وأخرج الطبراني ، عن حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله 藥 : «ثلاث لازمات لأمتى : الطبرة الأم والحسد ، وسوء الظن » ، فقال رجل : وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال 藥 «إذا حسدت فاستغفر ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيرت فامض».

وَلَا يَغْتَب بِّفْضُكُم بَعْضًا ...

الغيبة هي ذكر الإنسان في غيبته بالسوء ، في نفسه أو أسرته أو من يتصل بهم ، وفيها تقطيع لأواصر المودة الإنسانية ، وعدوان على الأخرين . وقد ثبت في الصحيح من غير وجه أنّه ﷺ قال حين خطب في حجة الوداع : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» . رواه الشيخان عن أبي بكرة .

وقد نفر القرآن الكريم من الغيبة، حيث بين أن المغتاب يفترس لحوم الآخرين ، فقال تعالى :

أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَحِيهِ مَيْنًا فَكَرِهْتُمُوهُ ...

أي: هل يقبل أحدكم أن يأكل لحم أخيه حال كونه ميتا ، فهذه صورة كريهة ، أن تنهش لحم أخيك وهو غائب عنك ، وإذا كرهت هذه الصورة المزرية المهيئة، فابتعد عن الغيبة ، وتُبْ إلى الله مِنْها وكفُر عنها، بأن تذكر الناس بالغير ، وأن تردّ غيبة المغتاب في غيبته .

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ .

أي: راتهوا ريكم ، وإعمارا بأوامره ، واجتنبوا نواهيه ، وتوبوا إليه ، واستقيموا على طاعته ، فإن الله تراب لمن تاب ، رحيم بعباده .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ . (البقرة : ١٤٣) .

قال الحسن:

الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله: الغيبة ، والإفك ، والبهتان : •

١ - فأما الغيبة : فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه .

٢ - وأما الإفك: قأن تقول فيه ما بلغك عنه.

٣ -- وأما البهتان : فأن تقول فيه ما ليس فيه .

وررى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «آندرون ما الغيبة» ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» ، قيل: يا رسول الله ، أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد لفتيته ، وإن لم يكن فقد بهته» "" .

والمقصود من هذا صيانة أعراض الناس ، وتركهم إلى الله فيما بينهم ويينه .

قال العلماء والغزالي في الإحياء :

ويجب على المغتاب أن يبادر إلى الترية حين صدورها منه ، بأن يقلع عنها ، ويندم على ما فرط منه، ويعزم عزما مؤكداً على ألا يعود إلى مثل ما صدر منه ، ولا تحرم الغيبة إذا كانت لغرض صحيح شرعاً. لا يتوصل إليه إلا بها ، وينحصر ذلك في ستة أمور :

- التظلم: فمن ظُلم فله أن يشكو لمن يظنُ أنه يقدر على إزالة ظلمه أو تخفيفه.
 - ٢ ~ الاستمائة على تغيير المنكر بذكره لمن يُظُنُّ قدرته على إزالته .
- ٣ الاستفتاء: فيجوز للمستفتى أن يقول للمفتى: ظلمني فلان بكذا، فهل يجوز له ذلك؟
- ٤ تحذير المسلمين : كجراح الشهود والرواة المتصدّين للإفتاء مع عدم أهليتهم لذلك ، وكان يُشير وإن لم يُستشر - على مريد التزرج أو مخالطة غيره في أمر ديني أو دنيوي ، ويقتصر على ما يكفي ، فإن احتاج إلى ذكر عيب أو عيبين ذكر ذلك .
 - ٥ أن يجاهروا بالفسق ، كالمدمنين على شرب الخمور ، وارتياد محال الفجور ، ويتباهوا بما يفعلون.
- ٦- التعريف بلقب أن نحوه ، كالأعور والأعمش ونحو ذلك ، إذا لم تمكن المعرفة بغيره ، والأمة مجمعة على
 قبح الغيبة وعظم آثامها ، مع ولوع الناس بها حتى أن بعضهم يقول : هى صابون الللوب ، وإن لها
 حلاوة كحلاوة التمر ، وضراوة كضراوة الخمر .
- ١٣ يَــَالَهُمَا النَّاسُ إِنَّا خَلَفَنَكُم مِّن ذَكَرِ وَأَنْنَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُمُونَا وَقَائِلَ يَتَعَرُلُواْ إِنَّ أَكُومَنَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَنْفَنكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ .

تأتى هذه الآية في أعقاب الأداب الإسلامية السابقة ، والنهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، وظن السره ، والتجسس والغيبة .

والمعنى:

يا كلّ الناس ، لماذا التمالى على عباد الله ، أو السخرية منهم ، أو غيبتهم ، أو ظن السوء بهم، إنكم جميعا من أصل واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، فقد خلق الله آدم بيده وزوّجه حواء ، ومن نسل آدم وحواء خلق جميع البشر ، فلماذا التعالى والتفاهر والترفّع والتكبر على الآخرين إذا كنتم جميعا من أصل واحد ، ومن إناء واحد ؟

قال ﷺ: وبا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمى ، ولا لعجمى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، ألا هل بلَفت ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم الغائب ، اللهم الغائب ، الله .

وَجَعَلْمُناكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ...

الشعوب : الجمهور الكبير من الناس ، والقبائل : العائلات الكبيرة ، ومنها تتفرع الغروع الصغيرة ، تقول: أنا من شعب مصر ، ومن محافظة كذا ، ومن بلاة كذا ، ومن قبيلة كذا ، أو من عائلة كذا ، ويذلك يعرف الناس أنسابهم وأصرابهم ، ويحافظون على أنسابهم بالزواج الشرعى ، والبعد عن الزنا والسفاح .

قال ﷺ: «وُلِدت من نكاح ، ولم أُولد من سفاح» (١٠٠١).

وقد كان الناس - عربا أو عجما - عند نزول الآية قبائل متمايزة ، ضمن شعوب تعمُّهم ، ولكنهم الأن في معظم الأمم قد اختلط بعضهم ببعض ، وأصبح التعارف بينهم بالانتماء إلى الأمم ، وبيان البلدان التي يعيشون فيها ، والمساكن التي يأوون إليها .

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَلَّكُمْ ...

أى: اقد جعلت النسب للتمارف وصلة أارحم ، وليس للتمالي والتفاخر بالأنساب والأحساب ، فإن السمو الحقيقي ورفعة المنزلة إنما تكون بتقوى الله ومراقبته ، والعمل بما يرضيه ، والبعد عما نهى الله عنه .

أخرج ابن أبى حاتم ، والترمذى ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيما الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيما الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية – أى : تكبّرها -- وتعظّمها بآبائها ، فالناس رجلان: رجل بُرتقى كريم على الله ، ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى ، إن الله عنز وجل يقول : يَناآبُهُهَا آلنّاسُ إِنَّ عَلَيْهُمْ وَمِنْ اللهِ عَنْو وَكُلُ مِنْ ذَكُرٍ وَأَنْيُ وَجَعُلُنَكُمْ شُعُوبًا وَقَائِلٍ يَعَارُلُواْ إِنَّ أَكُومُكُمْ عِندَ آللهِ أَنْقَدَكُمْ إِنَّ آللهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . ثم قال ﷺ : «أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

وروى مسلم ، وابن ماجة ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلويكم وأعمالكم، (١٠٠)

وعند الطبرانى ، عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحثّن الله عليه ، وإنما أنثم بنو آدم ، رأحبّكم إليه أتقاكم» ***.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

هو سبحانه مطلع على القلوب ، عليم بأحوال عباده ، خبير بأفعالهم ، فيثيب من تخلّق بهذه الأخلاق، ويعاقب من أعرض عنها .

فى أعقاب التفسير

٧ - لحتج مالك بقوله تعالى: إِنَّا خَلْقُنْكُم مِنْ ذَكُو رَأْشَيْ... على عدم اشتراط النسب في الكفاءة في الزواج ، إلا الدين ، فيجوز زواج المولى بالعربية ، وقد تزوج سالم مولى امرأة "" من الأنصار امرأة عربية حرّة، حيث تبنّاه أبو حذيفة بن عتبة ، بن ربيعة ، وأنكحه هند بنت أخيه الوليد بن عتبة ، وتزوج بلال بن رباح أخت عبد الرحمان بن عوف ، وتزوج بلال بن رباح أخت عبد الرحمان بن عوف ، وتزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، فالكفاءة إنما تراعى في الدين فقط.

روى أحمد ، وأصحاب الكتب الستة أن رسول الله ﷺ قال : وتنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدّين تربت يداك » "^(س).

وقال الجمهور: يراعى الحسب والمال عملاً بالأعراف ، ومراعاة لواقع الحياة المعيشية ، وتحقيقاً لهدف الزواج وهو الدوام والاستقرار.

وأرى أن هذه الأمور متشابكة ، ولا نستطيع الفصل بينها بسهولة .

والحسل :

- ١ أن نعطى للذين والتقوى درجات كبيرة الزوجة والزوج ، مع مراعاة الأمور الأخرى بنسبة ما ، وبذلك
 نجمع بين ما رأه مالك وما رأه غيره .
- أررد الإمام ابن كلير طائفة من الأصاديث النبوية التي تنهى عن التفاهر، وتحض على التقرى، فم
 قال: فجميح الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية،
 وهي طاعة الله ورسوله.
- ررى البخارى بسنده ، عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الناس أكرمهم ؟ قال : «أكرمهم أتقاهم» ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : «فأكرم الناس يوسف نبى الله ، ابن يعقوب نبى الله ، ابن إبراهيم خليل الله» ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : «فعن معادن العرب تسألون» ؟ قالوا : نعم ، قال: «خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» (40) .
- ٣ وردت أحاديث نبوية كريمة في معنى الآية ، منها ما رواه أبو بكر البزار في مسنده ، عن حذيفة رضى الله
 عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «كلكم بنو أدم ، وأدم خُلَق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بأباتهم، أو
 ليكونن أهون على الله تحالى من الجُمُلان» (٥٠٠)

وعن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : وإن الله تعالى يقول يوم القيامة : إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتِم إلا أن تقولوا : فلان ابن فلان ، وأنا اليوم أرفع نسبى لأضع أنسابكم، أين المتقون: ؟

وهَى صحيح مسلم ، من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً : وإنّ أولياء أبّى ليسوا في بأولياء ، إن وليّي اللّه وصالحو المؤمنين» (۵۰٪.

* * *

أصول الإيمان الصحيح

المفردات:

الأصـــــــــابه: هم سكان الهادية بخاصة ، والأعراب اسم جنس وليس جمعا ، والنسبة إليه أعرابى ، والعراد يهم هنا جماعة منهم لا كلّهم ، أما العرب فهم أهل الأمصار ، وهو اسم جنس ، أيضا ، والنسبة الله عربي .

استستناه صيقنا بألسنتنا وقلوينا

أسلب مناه صدقنا بألسنتنا دون قلوينا .

لا يسلستسكسم ، لا ينقصكم ، يقال : لاته يلته إذا نقصه ، حكى الأصمعي عن أم هشام السلولية : (الحمد لله الذي لا يُغات ولا يُلاثُ ولا يُستَّم بُلا أصوبات).

يمنون عليك، يذكرون ذلك ذكر من اصطنع لك صنيعة وأسدى إليك نعمة.

مهيات د

حث القرآن على التقوى وإخلاص العمل لله سبحانه وتعالى ، وإلى جوان ذلك ذكر نموذجا سيئاً من الأعراب ، يتشاهر بالإيمان ويدّعيه ، وهو لا يتصف إلا بالإسلام والانقياد الظاهري .

سيب التزول ،

ذكر الواحدى في أسباب الغزيل أن هذه الأيات نزلت في بنى أسد بن خزيمة ، قدموا العدينة في سنة مجدد المدينة ولي سنة مجدبة ، وأظهروا الشهادتين ولم يكرنوا مزمدين في السّر ، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ : أتيناك بالأفقال والمعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بدو فلان ، فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه ، فأنزل الله تمالى فيهم هذه الأبات .

من تفسير القرطبي

ذكر القرطبي ، عن السُّدَى أن الآيات نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح ، أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغِضا و الدَّيل وأشجح ، قالوا آمنًا ليأمنوا على أنفسهم ، فلما استنفروا إلى المدينة تتطفوا . ا هـ .

وقيل في سبب النزول غير ذلك.

التفسيره

٤ ١ – قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَامَنَا قُل لَمْ تَطِيقُوا رَكَنكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ آلإِيمَسْنُ فِي قُلُوبِكُمْ رَإِن تَطِيعُواْ ٱللَّهُ وَرَسُو لَهُ لِا يَلِنكُمْ مِّنَا أَعْصَلِكُمْ شِيئُمًا إِنَّ ٱللَّهُ عَقُورٌ رَحِيدٌ .

قال ابن كثير:

وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل حين سأل عن الإسلام ، ثم عن الإيمان .. فترقى من الأعم إلى الأخص .

كما دلّ منا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية إنما هم مسلمون ، لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنقسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه : فأدبوا بذلك . ا هـ .

ومعنى الآية:

ادعت فئة من الأعراب أنهم آمنوا، أي صدّقوا بالله تعالى ريا، ويمحمدﷺ نبيا ورسولا، ويالإسلام دينا، بينما واقعهم غير ذلك، فهم أظهروا الإسلام طمعا في المخانم، فالأموال عندهم أهم من ثواب الأخرة.

قُل لُمْ تُؤْمِنُواْ وَلَئِكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...

أعلم الله رسوله بحقيقة حالهم ، وأن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم .

أى: قل لهم: لم تؤمنوا حين قدمتم إلى، ولكن، أَولُوا أَسْلَمْنَا ...

أي: سالمناك ولن ننضم إلى قوم يحاريونك، ولا نقف في حرب ضدّك.

وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...

تفيد لما فى النحو قرب وقوع ما بعدها ، تقول : قاربت الوصول إلى بلدتى ولمًا أنخلها ، أى : أتوقع قريبا دخولها ، والقرآن يشُوقهم إلى قرب دخول الإيمان إلى قلوبهم ، والانضمام إلى جماعة المسلمين المخلصين .

وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ, لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيَّنَا ...

إذا أطعتم الله ورسوله بالدخول الحقيقى في دين الإسلام ، فإن الله لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً .

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

فهر واسع المغفرة ، رحيم بعهاده ، يأخذ بأيديهم إلى طاعته ، ويتقبل التوية عن عباده ويعقو عن السيئات .

وفى الأية أدب جميل من أدب الخطاب ، وفيها استمالة إلى الإيمان وتحريض عليه ، وفتح أبواب الثوبة والمغفرة لهم متى أخلصوا .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِثُونَ ٱللَّهِنَ ءَامَثُواْ إِللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَنَهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَٱنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ لَشِيكَ اللَّهِ أَوْ لَشِيكَ هَمْ ٱلصَّنْدَةُ وَنَ

تلك صفات المؤمنين الصادقين ، وهي :

(أ) الإيمان الصادق، واليقين الجازم بالله تعالى ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

(ب) عدم الشك والارتياب في صدق الرسول ﷺ ، وصحة هذا الدين .

(جـ) المشاركة العملية مع المسلمين في جهادهم ، والتضحية بالمال والنفس في سبيل الله .

ونلاحظ أنه قدّم المال على النفس ، لأن هؤلاء قدموا راغبين في المال ، أو لأن كثيراً من الناس يكون المال أكثر همّهم . فمن جمع هذه الصفات من الإيمان واليقين والسلوك العملي في الجهاد بالمال والنفس ، فهولاء هم الصادقون في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم ، وإنه لوسام عظيم لهؤلاء المؤمنين الصادقين ، وفي الآية تعريض بالأعراب وأنهم لم يصدقوا في إيمانهم .

١٦ - قُلُ أَتَعَلَّمُونَ ٱللَّهُ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

قل لهم ، أتخبرون الله بدخولكم فى دين الإسلام ، والله سبحانه وتعالى تنكشف أمامه جميع الموجودات، انكشافًا تامًّا دون سبق خفاء وهو سبحانه مطلع على الخفايا ، عليم بالنوايا ، فأخلصوا له توايكم ، فإنه يعلم ما فى السماوات من أملاك وأفلاك وشموس وأقمار وأرزاق ، وما فى الأرض من إنسان وحيوان وطيور وحشرات وزواحف ، وهو سبحانه يكل شيء عليم ، أى هو عليم بالماضى والحاضر والمستقبل، وعليم بكل ما فى الوجود ، على حدّ قول الفائل :

يا عالم الأسرار حسبي محنة علي بأنك عالم الأسرار

١٧ - يَمُثُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْتَمُواْ قَل لا تَمُثُواْ عَلَى إِسْنَدَمْكُم بَلِ الله يَمَنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَسْكُمْ لِلْإِيمَنْنِ إِن كُشُمْ
 منديقين .

يمنون عليك أيها الرسول بإيمانهم، ويتفضلون ويظهرون المنّ والنعمة عليك بإيمانهم، حيث قالوا: جتناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتك كما قاتك بنو فلان، فقل لهم أيها الرسول الكريم: لا تُمُثُواْ عَلَيٌّ إِسْلَمْكُم ... فهو إيمان مدخول، واستسلام ظاهر رضبة في غنائم الدنيا.

آما الإيمان الحقيقى فهو نور من الله ، وهداية ويصيرة صادقة ، ويقين حقيقي بالله الخالق الرازق ، المعطى المانع ، والهداية الحقيقية لهذا الإيمان منحة من الله ، فمنه الهداية والمشيئة والتوفيق والرعاية ، وله سبحانه وتعالى الفضل والمنة لأنه هداكم للإيمان ، ووفقكم للدخول فيه ، إن كنتم صادقين في دعواكم.

وموضع الشاهد هذا قول الأنصار:

(الله ورسوله أمنٌ وأفضل).

أو: (لله ورسوله القضل والمنَّة).

١٨ - إِنَّ ٱللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَنُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَعِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

الله سبحانه وتعالى عليم بما ظهر وما غاب ، فى جميع أنحاء السماوات والأرض ، ومن جملة ذلك ما يستره كل إنسان فى نفسه ، والآية تأكيد وتكرير لسعة علم الله ، سعة ترتجف أمامها قلوب المؤمنين ، ليقينهم بأنه سبحانه مطلع على كل حركة أو سكون ، فأولى بهم أن يطلعوه على خير فى قلوبهم .

قال تعالى : وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ... (البقرة : ١٩٧) .

خلاصة ما تضمئته سورة الحجرات

آداب سورة الحجرات يمكن تقسيمها إلى قسمين:

قسم منها أدب بين المسلمين ونبيّهم الكريم محمد ﷺ ، وهو :

- ١ ألا يقضى المؤمنون في أمر قبل أن يقضى الله ورسوله فيه ، وألا يسبقوا برأيهم أو اجتهادهم حا فرضه
 الله ، أو ما أمر به رسول الله ﷺ.
 - ٢ الهيبة والإجلال لرسول الله 数، وألا تتجاوز أصواتهم صوته.
 - ٣ ألا يخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضهم بعضاء ، بل عليهم أن يخاطبوه بالنبي والرسول .
 - ٤ الذين يُخفضون أصواتهم عند رسول الله هم المتقون الذين أخلصهم الله لتقواه وطاعته.
- الذين نادره من رُراء المجرات وقت القيلولة فيهم جلافة وسوء أدب ، ولو صبروا إلى وقت خروجه لمسلاة العصر لكان خيرًا لهم .
 - ٦ ذمَّ المنَّ على رسول الله ﷺ بالإيمان.
 - والقسم الثاني يخص الأمة الإسلامية ، وهو إما ترك للرذائل ، وإما تحلية بالفضائل ، ويتمثل فيما يأتي :
 - ١ ألاً نسمع كلام الماسق حتى نتثبت منه وتظهر الحقيقة .
 - ٢ إذا بغت إحدى طائفتين من المؤمنين على أخرى وجب قتال الباغية ، حتى تفيء إلى أمر الله .
 - ٣ حبب الله الصلح بين المؤمنين .
 - ٤ النهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب.
 - ٥ النهى عن ظن السوء بالمسلم ، وعن تتبع العورات المستورة ، وعن الغيبة والنميمة.
 - آ الناس جميعا سواسية ، مخلوقون من ذكر وأنثى ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ١٨٠٠.



أهداف سيورة قَ

سورة (ق) مكية ، وآياتها ٥٥ آية ، نزلت بعد سورة المرسلات

سورة الخطبة

كان ﷺ يضطب خطبة الجمعة بسورة (ق) ، حتى قالت النساء: ما حفظنا سورة (ق) إلا من عطبة النبى ﷺ بها ، وهى سورة تحمل أصول التوحيد ، وتلفت النظر إلى دلائل القدرة فى خلق السماء والأرض، وآثار الله الملموسة في إنزال المحل وإنبات النبات ، وترشد إلى سنن الله فى إهلاك الظالمين ، واستحقاق الموعبد للمكنبين ، وتجول بالإنسان داخل نفسه ، وتستعرض مشاهد القيامة ، وجزاء المتقين فى الجنة وجزاء العصاة فى النار.

وقد سلكت السورة في عرض معانهها أسلوبًا رائمًا أهادًا ، له سيطرته على النفس والحس ، وطريقته الغذة في هز أوتار القلوب .

جاء في ظلال القرآن : `

سورة (ق) سورة رهيبة ، شديدة الوقع بحقائقها ، شديدة الإيقاع ببنائها التعبيرى ، وصورها وطلالها وجرس فواصلها ، تأخذ على النفس أتطارها ، وتلاحقها في خطراتها وحركاتها ، وتتدقيها في سرها وجهرها ، وفي باطنها وظاهرها ، تتعقبها برقابة الله التى لا تدعها لحظة واحدة من المولد إلى سرها وجهرها ، وفي باطنها وظاهرها ، تتعقبها برقابة الله التى لا تدعها لحظة واحدة من المولد إلى الممات ، إلى البعث إلى الحساب ، وهي رقابة شديدة دقيقة رهيبة ، تطبق على هذا المخلوق الإسامات المسعيف إطباقا كاملاً شاملاً ، فهو في القبضة التى لا تفغل عنه أبدًا ، ولا تُغفل من أمره دقيقًا ولا بطيلاً ، ولا تفارة كثيرًا ولا قليلاً ، كل نفس معدود ، وكل هاجسة معلومة ، وكل لفظ مكتوب ، وكل حركة محسوبة، والرقابة الكاملة الرهيبة مضروبة في وساوس القلب ، كما هي مضروبة على حركة الجوارح ، ولا حجاب ولا ستار دون هذه الرقابة النافذة المطلعة على السر والنجوى اطلاعها على العمل والحركة ، في كل

وكل مذه حقائق معلومة ، ولكنها تعرض في الأسلوب الذي يبديها وكأنها جديدة ، تروع الحس روعة المفاجأة ، وتهز النفس مرًّا ، وترجها رجًّا ، وتثير فيها رحد " الخوف ، وروعة الإعجاب ، ورجفة الصحو مر الغفلة على الأمر المهول الرهيب . وذلك كله إلى صور الحياة ، وصور الموت ، وصور الـلى ، وصور البعث ، وصور الحشر ، وإلى إرهاص الساعة في النفس ، وترقعها في الحس ، وإلى الحقائق الكونية المتجلية في السماء والأرض ، وفي الماء والنبات ، وفي النمر والطلم (⁽¹⁴⁾.

لَيْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلُّ عَيْدٍ مُّنِيبٍ . (ق : ٨) .

فواتح السور

تبدأ سورة (ق) بهذا الحرف المفرد: ق .

وقد بدأت بعض سور القرآن بهذه الأحرف المقطعة ، فعنها ما بدأ بحرف واحد مثل : صَّ وَٱلْقُوْءَانِ فِيَ اللَّحُر . ومثل : فَي وَالْقُوْءَانِ ٱلْمُحِيدِ . ومثل : ثَ وَالْقَلْمَ وَمَا يُسْفُرُونَ .

ومنها ما بدأ بحرفين مثل: طه . ومثل: يس . ومثل: حمّ .

ومنها ما بدأ يثلاثة أحرف مثل: الَّر . الَّمْ . طسم .

ومنها ما بدأ بأربعة أحرف مثل: المَّقَى . الَّمَّو .

ومنها ما بدأ بخمسة أحرف مثل: كَهيقَعَن . ومثل: حَيْر وعَسَقْ.

معاني هذه القواتح:

هذاك رأيان في معنى هذه الفواتح:

الرأى الأول: إنها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، ولذلك نجد في تفسير الجلالين ، وهو تفسير مختصر: ق : الله أعلم بمراده به .

الرأى الثاني: أن لها معنى ، وقد ذهبوا في معناها مذاهب شتى:

١ -- فمنهم من قال: هي أسماء للسور التي بُدئت بها .

 - ومنهم من قال: هي إشأرة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته ، وروى عن الضحاك في معنى (الّر): أنا الله أرفع .

٣ -- ومنهم من قال: هي قسم.

٤ -- ومنهم من قال: هي حروف للتنبيه ، كالجرس الذي يقرع فينيه التلاميذ لدخول المدرسة .

ومنهم من قال: هي حروف للتحدى وبيان إعجاز القرآن.

٢ - وقيل: إن هذه الأحرف قد اشتمات على جميع المحانى التى تكرها العلماء فى تفسيرها ، فهى أسماء
 للسور ، وهى إشارة إلى أسماء الله تعالى وصفاته ، وهى للقسم ، وهى أدوات للتنبيه ، وهى حروف
 للتحدى والإعجاز ، وهى أيضًا مما أستأثر الله بعلمه .

معاني سورة ق

هذه سورة مكية عنيت بسوق الحجج والأدلة على قدرة الله وعلى تأكيد البعث والجزاء.

وقد بدأت السورة بمواجهة المشركين ، وعرض أفكارهم وعجبهم أن يكون الرسول بشرًا مثلهم ، كما أنهم أنكروا البعث والحشر بعد الموت ، واستدلوا بدلول ساذج هو تفسخ الأجسام وصيرورتها ترابًا .

والقرآن يرضّح قدرة الله وعلبه الشامل بما تأكّله الأرض من أجسامهم ، فهم لا يذهبون شياعًا إذا ماترا وكانوا ترابًا ، أما إعادة الحياة إلى هذا التراب فقد حدثت من قبل ، وهي تحدث من حولهم في عمليات الإحياء المتجددة التي لا تنتهي . (الآيات : ١ – ٥)

ويلفت القرآن نظر الناس إلى آفار قدرة الله ، فالسماء سقف مرفوع ، والأرض بساط تحفظه الجبال ، وتجرى فهه الأنهار ، وتنمو فيه صنوف النهات ، والمطر ينزل فيبعث البركة والنماء ، وينبت الحَبِّ والنَّفيل والأعناب ، ويبعث الحياة في الزرع والأرض ، ويمثل هذه القدرة المالية يحيى الله الموتى ويبعثهم من قبورهم ، بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية . (الآيات : ٣ – ١٩).

ويلفت القرآن النظر إلى عبرة التاريخ ويذكّر الناس بما أصاب قوم نوح من الفرق ، وما أصاب المكتبين من الرعيد والهلاك ، ومنهم أصحابٌ الرس (والرس هي البثر) وأصحاب الرس بقية من ثمود ، كانت لهم بئر فكنبوا نبيهم ودسوه في البئر ، وأصحاب الأيكة : وهم قوم شعيب ، والأيكة : الفيضة ، وهي الشجر الملتف الكليف ، وقوم تبع ، وتبع لقب لعلوك حمير باليمن .

إن مؤلاء الأقوام أنكروا الرسالة الإلهية ، وكذبوا رسل الله إليهم ، فاستحقوا عذاب السماء ، وهذا العذاب يصيب كل مكذب بالله وأندناكه . (الآبات: ١٧ سـ ١٥) .

رقابة الله

خلق الله الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وصانع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها ، فهو سبحانه عليم بخفايا الصدور ، مطلع على هواچس النفوس ، قريب من عباده لا يغيب عنهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، وهناك ملائكة تسجل أعمال العباد ، نؤمن بها ونفوض حقيقة المراد منها إلى الله تعالى، ولقد عرفنا نحن البشر وسائل للتسجيل، تسجل الحركة والنبرة، كالأشرطة الناطقة وأشرطة السينما والتليفزيون، فليس ببعيد على الله أن يجعل من ملائكته شهود عيان يحصون على الإنسان أقواله وأفعاله بالحق والعدل. (الآيات: ٦٦ – ١٨)

قال تعالى : كِرَامًا كُلتِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ . (الانقطار: ١٢٠١١).

مشاهد القيامة

تحدثت السورة عن البعث والحشر، ولفتت الأنظار إلى آثار الله في الآفاق، وإلى سننه في التاريخ، وإلى عجيب صنعه في حنايا البشرية . ومن إعجاز القرآن أنه ينتقل بالمشاهد من الماضي إلى الحاضر، ويلون في أسلوب العرض ، ويعرض النفس الإنسانية لسائر المؤثرات ، رغبة في الهداية والإصلاح . قال تعالى : وَكَذَلِكُ أَنْزِتُكُ أُوْزِكُنا كُرِيًّا وَصُرَّقًا فِدِمِنْ آلْوَجِدِ لَعَلَهُمْ يَشُونًا أَنْ يُحْدِثُ لُهُمْ وَرُكُّرًا . (ط. ١٣٠).

وقد عرضت سورة (ق) لمشاهد القيامة ، وفي مقدمتها حضور سكرة الموت فجأة بلا مقدمات ، والموت طالب لا يملّ المطلب ، ولا يبطئ الفطا ولا يفلف الميماد ، فَالِكَ مَا تُستَوَّفُ وَهِمْدُ . (ق: ١٩) . أي : تهرب وتفزع ، والآن تعلم أنه حق لا مهرب منه ولا مفر ، وتنتقل الآيات من سكرة الموت إلى وهلة العشر وهول الحساب ، وهي مشاهد تزلزل الكبرياء الجامح ، وتحارب الفرور والطفيان ، وتدعو للتقي والإيمان ، قملك الموت ينفخ في الصور ، فيقوم الناس من القبور ويهرع الجميع إلى الحساب ، وتأتي كل نفس ومعها سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، وقد يكونان الملكين الكاتبين العاقظين لها في الدنيا ، وقد يكونان غيرهما ، والأول أرجح ، عندئذ يتيقن المنكر ، ويرى البعث والحشر والجزاء مشاهدًا أمامه ، ينظر إليه ببصر حديد نافذ لا يحجبه حجاب من الغفلة أو التهاون . (الآيات : ١٩ – ٢٧) .

ويشتد غضب الجبار على العصاة المعاندين ، فيأمر الله الملكين – السائق والشهيد – أن يلقها في النار كل كفور عنيد ، مناع للخير متجاوز للحدود شاق في الدين ، الذي جعل مع الله إلها أهر ، فاستمق العذاب الشديد.

ويشتد الخصام بين الشيطان وأتباعه من العصاة ، يحاول كلُّ أن يتنصل من تبعة جرائمه ، وينتهى الحوار بين المجرمين بظهور جهنم تتلمظ غيظًا على من عصاً الله ، ويلقى فيها العصاة ، ولكنها تزداد نهمًا وشوغًا لعقاب المخالفين ، وتقول في كظة الأكول النهم : خُلُّ مِن مُّرِيْدٍ . (الأيات : ٢٤ – ٣٠).

وعلى الضفة الأخرى من هذا الهول مشهد آخر وديع أليف رضّى جميل ، إنه مشهد الجنة تقرب من المتقين حتى تتراءى لهم من قريب ، مع الترحيب والتكريم . (الآيات : ٣٩ – ٣٩).

ختام السورة

فى الآيان الأخيرة من السورة (الآيات: ٣٨ - ٥٥) نجد ختاماً مؤكدًا للمعانى السابقة ، كأنه الإيقاع الأخير في اللمن ، يعيد أقوى تغماته في لمس سريع ، فيه لمسة التاريخ ومصارع الخابرين ، وفيه لمسة الأخير في اللمن ، يعيد أقوى تغماته في لمس سريع ، فيه لمسة لتعديم ويتابه المبين ، وفيه لمسة البعث والحشر في مشهد جديد ، ومع هذه اللمسات الترجيه الموحى للمشاعر والقلوب : قاضير على عالي على عالي المؤرب وقد الكام المؤرب وقد الآرض ، والقرآن وطلوع الشعبيع والحمد والسجود ، ويضم إليها الصبير والأمل في الله القوى القادر ، فعليك يا محمد أن يربط إليها القسبيع والحمد والسجود ، ويضم إليها المسبر والأمل في الله القوى القادر ، فعليك يا محمد أن تبلغ القرآن للناس عليم يتعظون أو يضافون : نُحنُ أَعَلُم بُمَّا يُقُرُونُ وَمَّا أَسْ عَلَهِهم بِحَبَّارٍ فَلَكُم بِالمَّافِق : نُحنُ أَعَلُم بُمَّا يَقُولُونُ وَمَّا أَسْ عَلَهِهم بِحَبَّارٍ فَلَكُم بِالمَّافِق : وتعديد وعيد للعصاة والكافرين .

أهداف السورة إجمالا

قال الفيروزبادي:

مقصود سورة (ق): إثبات النبوة للرسول ﷺ ، ويبان حجة التوحيد ، والإخبار عن إهلاك القرون الماضية ، وعلم الحق تعالى بضمائر الخلق وأسرارهم ، وذكر الملائكة الموكلين على الخلق المشرفين على أقوالهم ، وذكر بعث القيامة ، وذل العصاة يومئذ ، ومناظرة المنكرين بعضهم بعضاً في ذلك اليوم ، وتغيظ الجميم على أهلها ، وتشرف الجنة بأهلها ، والخبر عن تخليق السماء والأرض ، وذكر نداء إسرافيل بنفخه في الصور ، وتكليف الرسول ﷺ أن يعظ الخلق بالقرآن المجيد (٤٠٠).

بِنْ إِلَّهُ الْحَيْدِ

﴿ فَ ۚ وَالْفَرَهَ اِنِ ٱلْمَحِيدِ ۞ بَلْ عَِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَفِرُونَ هَذَا شَيْءُ عَيِبُ ۞ أَوِذَا يِتَنَا وَكُنَا زُايَّا ذَلِكَ رَحْعُ أَعِيدُ ۞ قَدْ عَلِمْنَا مَا نَفْصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمٌّ وَعِندَنا كِنَابٌ حَفِينُظ ۞ بَلْ كَذَبُواْ بِٱلْحَقِّ لِمَا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرِ مِنْ عَرْبِيجٍ ۞ ﴾

المفردات :

ä

، حروف افتتح الله بها بعض السور للتحدى والإعجاز ، وجنب الانتباء، كالجرس الذي يقرع فيتنبه التلاميذ إلى مخرل المدرسة .

والسقران السمسجيساء المجيد: في العجد والشرف على سائر الكتب ، لكثرة ما فيه من الخير الدنيوي والأخروي .

بل هجيوا أن جاءهم منشر ، استعجبوا مما ليس بعجيب ، أن يختار الله بشرًا رسولاً يثيمًا فقيرًا.

شيريء عسجيه، يقتضي التعجب والإنكار كما زعموا.

ذلك رجع يسمسيسك ، ذلك البعث رجع بعيد عن الوقوع ، أو عن الإمكان .

ماتستهم الأرض مشهم: ما تأكل من لحوم موتاهم وعظامهم.

مصف يسخف حافظ لتفاصيل الأشياء كأما .

ب النبوة الثابتة بالمعجزات.

هــهـــم هــى أمــر مــريســــي» فهم فى أمر مضطرب ، من مرّجَ الخاتم فى أصبعه ، إذا تحرك واشطرب من الهزال .

تمهيد،

كان النبي ﷺ يقرأ سورة (ق) في خطبة الجمعة والعيدين والمجامع الكبيرة ، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور ، والميعاد والحصاب ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب ، والترغيب والترهيب . -أخرج أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، عن أبي واقد الليثي أنَّه ﷺ كان يقرأ في العيد بسورتي ق ، واقتريت (٩٠٠).

وفى الآيات الأولى من السورة مناقشة الكافرين والردّ عليهم ، ودعوة ثلتاًمل فى خلق السماوان والأرض وما فيهما من يدائع وعجائب.

التفسيره

.....

حروف بدأ الله بها بعض السور للتحدّى والإعجان ، وييان أن القرآن مكون من حروف عربهة تنطقون بها ، وكثيرًا ما يأتى ذكر القرآن بلفظه أو بمحتواه بعد هذه الأحرف ، مما يدل على أن من أهدافها التحدُّى بهذا الكتاب ، والتنبيه إلى أهميته وفضله ، وهذه الأحرف :

١ - منها ما هو مكون من حرف ولحد ، مثل : قّ ، نّ ، صّ ،

٢ -- منها ما هو مكون من حرفين ، مثل : عمَّ ، طه ، يس ،

٣ - منها ما هو مكون من ثلاثة أحرف ، مثل : طسم . الر . الم .

٤ - منها ما هو مكون من أربعة أحرف ، مثل : المَّقَل . الَّقر .

٥ - منها ما هو مكون من خمسة أحرف ، مثل : كَهِيتَهُن ، حمّ ، عَسْق .

وقد أقسم الله تمالى بأمور كثيرة لبيان فضلها ، أو لفت الأنظار إليها ، أو بيان العظمة الإلهية في خلقها وتسخيرها ، ومما أقسم الله به ما يأتى مفرنًا أي مرة واحدة ، وأحيانًا يقسم بأمرين ، وأحيانًا بثلاثة أمور، وأحيانًا بأريمة أمور ، ويخمسة أمور ، ومثال ذلك ما يأتى :

١ - القسم بأمر واحد مثل : وَٱلْقَصْرِ (العصر: ١) ، ومثل : وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى . (النجم: ١)

٢ - القسم بأمرين مثل: وَٱلصُّحَىٰ * وَٱلنُّي إِذَا سَجَىٰ . (النسمى: ٢ . ٢) ، ومثل: وَٱلسُّمَاءِ وَٱلطُّارِقِ . (الطارق: ١)

٣ - القسم بثلاثة أمور ، مثل : وَٱلصَّنَّقُتِ صَفًا هِ قَالَوْ حِرَاتٍ زَجْرًا هِ قَالثَالِيْتِ ذِكْرًا ه إِنْ إِلْتُهُكُمُ لَوْ حِلّا .
 ١ - ١٤ (المسافات : ١ - ١٤)

القسم بأربعة أمور، مثل: وَٱللَّارِيَسْتِ فَرَوًا هَ فَالْحَلْمِلَاتِ وِقْرًا هَ فَالْجَلْمِيْسْتِ يُسْرًا ه فَالْمُفَسَّمَاتِ أَمْرًا ه إِنَّمَا تُوعَلُونَ لَصَادِقٌ ه وَإِنَّ ٱللَّذِينَ لَوَالِهِمُّ (الداريات: ١ - ٦).

ومثل : وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ * وَٱلْيُومِ ٱلْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ . (البروج : ١ - ٣) .

ومثل : وَٱلْقِينِ وَٱلْزِيْتُونِ هِ وَطُورِ سِينِينَ هِ وَهَلْكَ ٱلْبُلُو ٱلْأَمِينِ هِ لَقَدْ حَلَقْنَا ٱلْإِسْسَانَ فِي ٓأَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . (النين: ١ - ٤)

٥ - القسم بحمسة أمور مثل: وَٱلطُّورِ و وَكِتُدْبِ مُسْتُطُورٍ و فِي رَقَّ مُسْتُورٍ و وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَقْمُورِ و وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْلُوعِ و وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَقْمُورِ و وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْلُوعِ و وَٱلْبَيْتِ الْمَقْمِ (الطور: ١ - ١) .

ونمي (والمرسلات ...)، ونمي (والنازغات)، ونمي (والفجر ...) .

ولم يقسم بأكتر من همسة أشياء إلا في سورة واحدة ، وهي : وَٱلنَّمْسِ وَصُحَنَهَا ، وَٱلْقَمْرِ إِذَا تَلْهَا ، و وَٱلْهَارِ إِذَا جَلَنْهَا ، وَٱلْمَارِ إِذَا يَضْتَنْهَا ، وَٱلسَّمَاءِ وَمَا بَنْهَا ، وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحْنَهَا ، وَلَلْهِمَهَا ، فَٱلْهَمَهَا فَعُلَاهِمَهُمَا مَا لَلْهُمَاءِ اللهِ عَلَيْهِمَا وَلَمُ اللهَمَاءِ اللهُ اللهَمَاءِ اللهُ اللهُمَاءِ اللهُ اللهُمَاءِ اللهُمَاءِ اللهُ اللهُمَاءِ اللهُ اللهُمُ مَن رَكْنُهَا ، وَلَذَ عَلَهَ عَن دَسُنْهَا . (الشين ١٠ - ١٠).

عوذ إلى التفسير

وَٱلْفُرْءَانِ ٱلْمَحِيدِ .

وأقسم بالقرآن صناحب المجد والشرف ، والكرم والسعة ، الذي يجد فيه كل طالبو جاجته ، والذي هيئم على الكتب السماوية السابقة ، ووضع صوابها ، وما فيها من تحريف أو تبديل ، والذي غتم الله به الكتب ، وجعله مشتملاً على أصول التشريع والآداب ، والقصص والتاريخ ، وسنن الكون ، ونواميس الوجود، وأخبار القيامة والبعث والحش ، والبوزاء والعقاب ، والجنة والنار ، مع سلامة اللفظ ورشائة المعنى ، وقوق الشبك ، وجزالة الأداء ، مع الإشتمال على صنوف الإعجاز ، وعجز العلوم مع تقدمها عن أن تنقض أي حكم من أحكامه ، واشتماله على الإعجاز اللفظى ، والإعجاز اللفظى ، والإعجاز اللفظى ، والإعجاز اللفظى ، والإعجاز اللفظى ، وموافقته لكل زمان ومكان ، وهو ناسخ لما سبقه ، غير منسوخ إلى يوم الدين .

قَالَ تَعَالَى : إِنَّا لَعَثْنُ لَزَّلْنَا ٱلذُّكْرَ وَإِنَّا لَكُر لَحَنْفِظُونَ . (المجر: ٩).

ومعنى الآية : أنسم بـ ق ، وأنسم بالقرآن المجيد ، وجواب القسم محذوف دل عليه ما بعده ، وتقديره: إنك أيها الرسول لصادق فيما تبلُغه عن ربك من أن البعث حق ، والحساب حق ، والجزاء حق ، ولكن الجاهدين لم يؤمنوا بذلك . ٢ - بَلْ عَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مُّنلِز مَّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَلْدَا شَيْءً عَجِبٌ .

بل عجب كفار قريش من أن جاءهم رسول منهم ينذرهم القيامة والبعث والحشر والجزاء والعقاب، فأنكروا الرسالة والرسول ، وَجَحُدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَاتِهَا أَفْسُهُمْ ظُلُمًا وَغُلُواْ ... (النما: ١٤).

فَقَالَ ٱلْكُلْفِرُونَ هَلْذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ .

لم يكتفوا بالإنكار بل انتقلوا إلى التعجب ، فاستكثروا أن يكون الرسول بنشرًا ، وقالوا : لو أراد الله أن يرسل رسولاً لاختار مَلكًا من الملائكة ، واستكثروا أن يكون فقيرًا يتيمًا : وَقَالُواْ أَنْوَلاَ نُوْلَ مُشَلَّا ٱلْفُرُ ءَانُّ عَلَيْ رَجُل مَنَ ٱلْفَرْيَكِيْنِ عَظِيمٍ . (الذهرف: ٢١) . واستكثروا البعث والحياة بعد الموت والبلى .

٣ - أُولَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُوَابًا ذَالِكَ رَجُعٌ بَعِيدٌ.

إذا متنا رئفِينًا في الأرض ، وتفسخت أجسامنا ، وأدركنا الفناء والبلى ، فإن عودة الحياة إلينا بعيدة . فما أبعد الفرق بين الموت والغياب في الأرض ، وتمزَّق الجسد ووهن العظام وتفتّتها ، ثم الحياة والحركة والبعث .

وكثيرًا ما استعرض القرآن شبهات الكافرين وناقشها وفنَّدها ، فذكر ما يأتي :

- (أ) الذي بدأ الخلق أول مرة قادر على الإعادة مرة أخرى.
 - (ب) قدرة الله لا حدود لها ، فهو على كل شيء قدير .
- (جـ) علم الله مُحيدً بكل شيء ، فهو يعلم كل ذرة في أجسامهم ، وعنده كتاب قد سجَّل فيه كل شيء عنهم .

قال نصالى : وَصَرَبَ لَمَا مَكُوْ وَسَبَى مُلْقَهُمْ قَالَ مَن يُعْضِ الْمِطْلَمْ وَهِي رَبِيمٌ ۥ فَالَ يُعْضِهَا اللّذِي اَنشأَهَا أَوْلَ مُرَّوْ وَهُوَ بِكُلُّ خَلْقِ عَلِيمٌ ۥ اللّذِي جَعَلَ لَكُمْ مَنَ اللّـجَرِ الْأَحْصَرِ لَارًا فَإِذَا أَشِمْ مَنّهُ وَقِلُونَ ۥ أَوْ لِيَسْ اللّذِي عَلَيْ السَّمْمُونَ بِي وَالْأَرْضَ بِصَلْدِرِ عَلَيْ أَن يُخْلِقَ مِلْهُمْ بَلَىٰ وَهُو ٱلْخَلْقُ الْعَلِيمُ ، إِنْمَا أَمْرُهُ ۚ إِنَّا أَمْرُهُۥ إِنَّا أَمْرُكُونَ ۥ فُسْبَحْنَ اللّذِي بِمُوهِ مَلْكُونُ كُلُ هَـيْءٍ وَإِلْقِهُ فَرَجْفُونَ . (بس : ١٨ – ٨٤)

\$ - قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَلْبٌ حَفِيظً .

إن بعثهم لا صعوبة فيه على الله ، فقد علم ما تأكل الأرض من لحوم موتاهم وعظامهم ، وعنده كتاب حافظ لكل شيء ، وقد سجل فيه كلّ شيء ، والله تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا ، ومع ذلك سجّل أمور الناس م كتاب، تصويرًا لشدة الضبط والإحامة ، فإن من شأن الناس إذا أرادوا حفظ شيء وضبطه أن يسجلوه في سجل محتاب ، تصويرًا لشدة الضبط المسابات والمبيعات والمشتريات ، والله غنى عن كل ذلك ، لكنه أراد تقريب هذا الضبط إلى أذهان البش ، ولا يبعد على الله استعمال ذلك ، فهو سبحانه قد أحاط بكل شيء علمًا، وهو سبحانه سجل أعمال العباد وما يتصل بهم في سجلات يشاهدونها يوم القيامة ، لوزداد يقينهم ويتأكدهم ، ولأن هذا ألبلغ في العدالة والضبط ، فهذه الكتب بعثابة الشاهد الملموس المحسوس .

قال تعالى : وَوُصِعَ ٱلْكِسُّبُ قَتَرَى ٱلْمُعَوِّمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَلُولَكُنَا مَالرَهَلَمَ ٱلْكَيْسُبِ لَا يُعَاوِرُ صَعِيرَةً وَكَ كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَلُهَا وَوَجَدُواْ مَا عَبِلُواْ حَاجِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . (الكهف: ١٤٩) .

٥ - بَلَّ كَذُّبُواْ بِٱلْعَقَّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُرِيجٍ.

بل للإضراب والانتقال إلى ما هر أعظم من استيعادهم للبعث والحشر، فهم قد كذبوا بالوحى الإلهى ، وهو القرآن الكريم ، وكذبوا بالنبى محمد ﷺ ورسالته لما جاءهم ، وقالوا عن القرآن : أساطير الأولين ، وقالوا : أضغاث أحلام ، وقالوا : إنها يعلمه بشر ، وقالوا عن النبى ﷺ: ساحر ، وشاعر ، وكاهن ، وكاذب ، وفقير ، وقالوا : إنه بشر ، هلا كان ملكاً ، وقالوا غير ذلك مما يدل على اضطرابهم واختلالهم ، فهم لم يثبتوا على حال واحدة من القول ، والقرآن يصور اضطرابهم بحال إنسان يريد أن يوجه تهمًا متعددة لآخر ، فينتقل من رأى إلى آخر ، ولا يستقر على حال .

قال تمالى: بَلُ قَالُواْ أَضْفَتْ أَخَلَتُم بِلَ الْقَرْسَةَ بَلُ هُوَ شَاعِرٌ فَلَيُّاتِنَا بِغَايَةٍ كَمَّا أُوسِلَ ٱلْأَوْلُوفَ . (الأنبياء: ٥) . ونلحظ أن القرآن هذا قد استعمل كلمة مناسبة في الردّ عليهم حين قال :

فَهُمْ فِي أَمْرِ مُرِيجٍ .

أى : مضطرب مختلط ، بحيث لا يستقرُون على حال ، يقال : مزّج الأمر - برنة طَرْب - إذا لمتلط وتزعزع وقد الثبات والاستقرار والصلاح ، ومنه قولهم : مرجت أمانات الناس ، إذا فسدت وعمّتهم الخيانة، ومرج الخاتم في أصبح ، فلان ، إذا تخلفل واضطرب لشدة هزال صاحبه .

أدلة القدرة الالهية

﴿ أَفَامْ يَنْظُرُوٓ إِلِنَ السَّمَآ وَفَقَهُمْ كَيْفَ بَلَيْنَهَا وَذَيْنَهَا وَمَالِمَا مِن فُرُوج ۞ وَالأَرْضَ مَدَدْنَهَا وَٱلْقَيْنَا فِيهَا رَوَّسِيَ وَأَنْشَافِيها مِن كُلِدَقِج بَهِيج ۞ بَّصِرَةً وَذَكْرَعَا لِكُلِ عَبْدِ مُّنِيبٍ۞ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَآ مَالَّهُ بُعِرًا فَأَلْبَتْنَا بِهِ جَنَّنَتٍ وَحَبَ الْمُصِيدِ۞ وَإِلنَّحْل بَاسِقَنْ مِنْ لَمَا لِمُنْفِيدٌ ۞ زِنْقَا لِقِبَادُ وَأَحْيَثَنَا بِهِ جَنَّدَ وَحَبَّ الْمُوْتُ ۞ ﴾

المشردات :

يني تاها وأحكمنا بناءها وفجعلناها بغير عمد .

وزيستساهسا؛ بالكواكب على أبدع نظام ، وأكمل إحكام .

طــــروج: شقوق.

مستخلساهساء بسطناها.

وواسم عنه جهالاً ثوابت تمنعها من الاضطراب.

تعج ، صبنف.

يسميسه ، ذي بهجة وحس .

تبصرة وذكرى ، تبصيرًا وتذكيرًا .

حب الحصيد ، حبّ الزرع الذي من شأنه أن يحصد ، كالبر والشعير .

بـــاســقـــات؛ طويلات.

طسسلسسع؛ ما ينمو ويصير بلحا ثم رطبًا ثم تمرا.

قصييب ، منضود بعضه فوق بعض .

كذلك الخروج: مثل ذلك خروجكم للبعث من قبوركم.

تمهيد،

يقدم القرآن منا الدليل العملى المشاهد على قدرة الله العلى القدير في هذه الصور المتتابعة، وهي: (أ) السماء الحالية البناء في رينتها وعدم تشققها . (ب) الأرض المبسوطة ، وفوقها الجبال الراسية ، وقد خرجت منها صنوف النباتات والأزهار ، والزرع وغير ذلك .

(ج) نزول الأمطار التي تنبت الجنَّات والبساتين ، وحبَّ الذرة والشعير والقمع الذي يحصده الفلاح ، فيقتات به الإنسان والحبوان وغيرهما .

(د) والنخل الباسقة الطويلة ، تحيط بها قلادة البلح المنظِّم النَّضير.

(هـ) هذه النعم رزق للعباد ، وقد أحيينا الأرض الميتة بالماء ، وكذلك نبعث الموتى بقدرتنا ، فهو سبحانه على كل شيء قدير .

التفسيره

٣ - أَفَلَمْ يَعظُرُواْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْلَهُمْ كَيْفَ بَنيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ .

أظم ينظر هؤلاء الكفار بأمّ أعينهم إلى السماء فوقهم ، وهي قبة مترامية الأطراف ، لا تعتمد علي أعمدة ليتأمُّلوا في هذه القبة الزرقاء ، كُوْفَة بَشِيّاتُهَا رَأَيْنَاهَا وَمَا لِهَا مِن فُرُوحٍ .

كيف أحكمنا بناءها ، ورفعنا بُنيانها بدون عمد يرونها ، وزيناها بالنجوم ، كالثريا التي تزين المنازل ، ولم تجعل في السماء شقوقًا ولا عيويًا ولا تصدُّمًا .

فُرُوجٍ ، جمع فرج ، وهو الشق بين الشيئين ، والمراد : سلامتها من كل عيب وخلل .

كما قال سبحانه وتعالى : ألَّذِي خَلَقَ سَبِعَ سَمَنَوْت طِبْقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰدِمِ مِن تَفَانُوتِ فَارْجِعِ آلْبَصَرُ هَلْ أَرَىٰ مِن فُطُورٍ و لُمُ آرْجِع آلِبَصَرَ كُرْنِينَ يَقَلِب إلَيْكَ آلْبَصَرُ خَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ (الدلك: ٣ ، ٤).

أى: لن تجد في السماء عيبًا ولا تشققًا ولا تصنّعًا ولا خللاً ، ومهما بحثت عن عيب وكررت النظر مرازًا ، فسينقلب البصر كليلاً متعبًا ، بعد لأن وجهد لأنه لم يجد أى عيب في السماء ، وقد جعل الله النجوم في السماء لثلاثة أهداف :

الأول : أنها زينة للسماء.

الثاني : أنها هداية للسائرين في الصحراء والبحار ، ليعرفوا بها الجهات الأربع الأصلية ، ومن ثمّ يهتدون إلى الطريق الذي يسلكونه .

الثالث: أنها رجوم وشهب تصيب الشياطين، الذين يحاولون استراق السمع من السماء.

قال تمالى : إِنَّا زَيْنَا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنِيَا بِزِينَةِ ٱلكَوَاكِبِ ﴿ وَخِفْظًا مِّن كُلِّ طَيْطُننِ مَادِد ﴿ لَا يَسْمُعُونَ إِلَى ٱلْمُكَرِّ آلاَغْلَى زَيْفَدْلُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿ دُسُورًا وَلَهُمْ غَلَابٌ وَاصِبٌ ﴿ إِنَّا مَنْ عَلِفَ ٱلْنَحْفُلُهُ فَأَنْبَعُهُمْ فِيهَابُ قَاقِبٌ .

(الصافات: ٢ – ١٠)

وقال سيحانه وتجالى : وَعَلَاهُاتٍ وَبَالْتُجْمِ هُمْ يَهْعَدُونَ . (النحل ١٦٠) .

٧ - وَٱلْأَرْضَ مَدَدُنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

والأرض بسطناها في نظر العين ، ويُسْطُها لا ينافي كرويتها وحركتها أمام الشمس ، ويترتب على ذلك الليل والنهار، فالجرء المتعرض للشمس يكون نهارًا ، والمختبئ عن الشمس يكون ليلاً .

وَأَلْقَيْنَا لِيهَا رَوَّاسِيَّ ...

وخلقتا فيها جبالاً رواسى ، تحفظها من أن تميد أو تضطرب ، والجبال من أنعم الله تعالى ، ففى قمتها تتجمع الثلوج فى الشتاء ثم تنزل فى الصيف فتسقى الزرع ، وتغيض على المرتفعات ، والجبال ملجاً للهارب ، وأمان للعابد ، ويبت لراغب الخلوة ، ولأمر ما سبّعت الجبال مع داود ، وحرَّ الجبل أمام موسى عندما تجلى الله تعالى للجبل ، وكانت خلوة النبى قي فى غار حراء حين نزل الوحى أول مرة ، وابتدأت الهجرة من غار ثور ، ويجوار جبل أحد كانت غزوة أحد ، وهناك دفن شهداء المحابة ، وقال ﷺ: ﴿ أحد جبل بحبًا ونحبّه " أ

وشعائر الحج تتم عند جبل عرفات ، وعند السعى بين الصفا والمروة وهما جبلان ، وفي الأثر: (الحج وقفة رطواف) ، أي : وقِفة بجبل عرفات ، وطواف الإفاضة حول الكعبة .

والجبال أوتاد تحفظ الأرض وتحفظ توازنها.

قال تعالى : وَٱلْحِبَالَ أَرْسَلْهَا . (النازمات: ٣٢).

وقال تعالى : وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَعِيدَ بِهِمْ ... (الأنبياء: ٣١) .

ولأمر ما كانت الرسالات السماوية ونزول الوحي يتم عند الجبال ، حيث يتفرغ الإنسان لمقابلة مولاء، متظصًا من الدنيا وزحامها ومشاغلها ، فقد ثادى الله تمالي موسى عند جبل الطور ، ونزل وحي السماء أول مرة : أقرّاً . في غار حراء ، وهو خلوة في أعلى جبل .

وَأَلْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

أنبتنا في الأرض صنوف النباتات ، والأزهار والثمار ، والحب والقضب ، والحدائق والبساتين ، والورود والنبات البائم النضير .

٨ - تَبْعِبرَةُ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدِ مُنِيبٍ.

إن هذه الصنعة البديعة ، والخضرة الناضرة ، وألوان الزروع والنياتات ، والثمار والكووم والغواكه ، وألوان النبات المتعددة تأخذ بالألباب ، وتبصّر القلب والنفس ، وتذكر الغؤاد والحس بأنَّ من أحيا الأرض يعد موتها قادر على إحياء الإنسان بعد الموت ، وقادر على البعث والنش والحساب والجزاء .

والعبد المنيب: الذي أناب إلى الله ، ورجع إلى مولاه ، وتأمل في يديع مخلوقاته ، وانتقل من جمال الصنعة إلى جلال الصائم .

٩ - وَنَوْلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبْلَرَكًا فَأَنْبَعْنَا بِهِ جَنَّلْتٍ وَحَبَّ ٱلْحَمِيلِ.

ولينظروا إلى آثار قدرتنا ، حيث يسُرنا نزول المطر من السماء ، وهذا الماء كثير البركة ، حيث ينبت البساتين الناضرة ، والزروع المثمرة ، والحبّ الذي يحصد مثل الشهير والقمع .

١٠ – وَٱلنَّاخُلَ بَاسِقَلْتِ لُّهَا ظَلْعٌ نَّضِيدٌ .

وأنبتنا بهذا الماء النخل الطويلات، بها بلح منظم منضّد متراكم بعضه على بعض، مما يدل على كلرته، وتخصيص النخل بالذكر مم اندراجه في الجنات ابيان فضل النخلة على سائر الأشجار.

وفى الحديث الشريف: «إنها أمَّكم الذية».

وفي الحديث أيضًا : وألا أدلكم على شجرة كقلب المؤمن لا تجف صيفًا ولا شتاءًه ، قلنا : بلى يا رسول الله، قال : وإنها النخلة» ٢٠٠٦

وقد ورد في الحديث أن من الصدقات الجارية زراعة النخيل ، ووقف البصحف ، ودعاء الابن لوائده . قال القائل :

ورائة مصحف، ودعاء نبجل وغرس النخل، والصدقات تجري

١١ - زُزُّقًا لُلْعِبَادِ وَأَخْيَبَنَا بِهِ بَلْقَةً مُّيُّنَا كَلَا لِكَ ٱلْخُرُوجُ .

أنبتنا كل ذلك رزقًا للعباد ، ونفعًا لهم وتيسيرًا لحياتهم ، وأحيينا بهذا الماء أرضًا ميتة ، جعلناها تهتز وترتفع بالنبات ، وتثمر من كل زوج بهيج ، وكما أحيا الله الأرض بعد موتها بالماء فإنه سبحانه بقدرته يبعث الإنسان ويحييه بعد الموت .

والآيات لوحة هادفة في منظرها ونظامها وإبداعها ، وقد ذكر الإمام الرازى أن الله تعالى ذكر في كل آية ثلافة أمور متناسبة :

قفى آية السماء ذكر البناء والتزيين وسد الغريج ، وفى آية الأرض ذكر المدّ والقاء الرواسى والإنبات فهما ، وكل واحد هنا في مقابلة واحد مما سبق ، فالمدّ في مقابلة البناء ، لأن المدّ وضع ، والبناء رفع ، والبناء رفع ، والبناء رفع ، والبناء رفع ، والرواسي في الأرض ثابتة ، والكواكب مركوزة مزينة للسماء ، والإنبات في الأرض شقها ، في مقابل أن السماء سقف ليس به شقوق ، وفي آية المطر إنبات الجنات والحب والنخل ، وهذه الأمور الثلاثة إشارة إلى الأجناس الثلاثة إشارة إلى مما للأولى من المن له أصل ثابت يستمر مكله في الأرض سنين وهو النخيل ، وما ليس له أصل ثابت مما لا يطول مكله في الأرض سنين وهو النخيل ، وما ليس له أصل ثابت المناوع وهو البساتين ، وهذه .

* * *

التنكير بحال المكذبين الأوثين

﴿ كَذَبَتْ قَلَهُمْ قَوْمُ ثُوْجِ وَأَصَّكُ الرَّيْنِ وَتَمُودُ ۞ وَعَادٌّ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَنُ لُوطِ۞ وَأَصْنَبُ ٱلأَيْكَةِ وَفَوْمُ ثُنَّعٍ كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَقَ وَعِيدِ۞ آفَعَيِينَا بِٱلْخَلِّقِ ٱلْأَوْلِ بَلْهُمْ فِ لَبْسِ مِّنَ خَلْقِ جَدِيدٍ ۞ ﴾

المفردات:

فسر صدون: المرادية: هو وقومة ، كما تسمَّى القبيلة ياسم أبيها .

الأيسكسة: الغيضة الملتفة الشجر.

وقسوم تسيسع: هو تبّع الحميري ملك اليمن ، أسلم ودعا قومه للإسلام فكذبوه ؛ فأهلكهم الله .

عند أو قوم منهم أو جميعهم .

ه حسق و عيد : وجب نزول العذاب على الجميم ، وحل عليهم وعيدى .

أه حسيس تماء أفمجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة ، والعيّ بالأمر العجز عنه ، والهمزة للاستفهام الانكاري .

ر بس و شك شديد ، وحيرة واختلاط .

تمهيد:

يقدم الحق سبحانه وتعالى طائفة من الأدلة على صدق الرسالات والبعث ، فذكر فيما سبق أصناف المخلوقات في السماء والأرض ، وهذا يستعين بحقائق التاريخ ، حيث أرسل الله طائفة من المرسلين ، مثل المخلون أمثل الله المكنبين ، ونجى المرسلين ، وقد تكررت عليه السلام ومن بعده من الرسل ، فكنهم المكنبين مقابلة الله المكنبين ، ونجى المرسلين ، وقد تكررت هذه الأفكار في عدد من السور المكية ، تهديدًا للمشركين حتى لا يصيبهم ما أصاب المكنبين من قبلهم ، وفيها تسلية للرسول الأمين ، كما قال سبحانه : فآمير كمّا صَبَر أُولُوا أَلْقُومْ مِنْ الرَّسُلُ ولا نَستَعَجل أَهُمْ ... (الأحقاف: ٣٥)

التفسي :

١٧ - كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ لُوحٍ وَأَصْحَلْبُ ٱلرُّسَّ وَتُمُودُ .

لم تكن أنت بدعا من الرُسل ، ولم يكن تكذيب قومك بدعًا من تكذيب أقوام الرسل ، فقد كذب قوم نوح نوح نوح نوح نوك المنطقة الله المعلوفان ، وأصحاب الرس – وهي البئر التي لم تُبن ، وقد قيل : إنهم من بقايا قبيلة ثمود – بعث الله إليهم واحدًا من أنبيائه ، فكذبوه ورسّوه في تلك البئر ، أي ألقوا به فيها ، فأهلكهم الله سمعانه بسعت ذلك .

وقيل : هم الذين قتلوا حبيبا النجّار ، عندما جاءهم يدعوهم إلى الدّين الحق ، وكانت تلك البئر -أنطاكلة ، و مع قتلهم له ألقوه فيها .

وقيل: هم قوم شعيب عليه السلام ، واختار ابن جرير الطبرى أن أصحاب الرسّ هم أصحاب الأخدود، الذين جاء الحديث عنهم في سورة البروج ،

١٣ - وَعَادٌ وَلِوْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ.

وُعَادٌ ، هم قوم عاد الذين كانوا يسكنون بالأحقاف ، وهي كثبان الرمل المعوجة ، في جنوب جزيرة العرب ، بين اليمن وسلطنة عمان عند مدينة صلالة ، كذبوا نبيهم واغتروا بقوّتهم ، وعثرت الحفريات على مدائن مطمورة قرب صلالة بسلطنة عمان ، يرجعُ أنها لقبيلة عاد .

وَقُرْعُونا أ. هو الذي أرسل الله إليه موسى ، فكنَّبه وقال : أنا ربكم الأعلى ، وتكررت قصته في القرآن الكريم ، كنموذج واضح لجبار متكبر ، لقي حتفه غرفًا في الماء جزاء كفره وتكذيبه .

وَإِخْوَانُ لُوطٍ .

قوم لوط الذين شاع بينهم الشذوذ الجنسى ، واستغناء الرجال بالرجال ، ولم يكن لوط منهم ، بل تزرج منهم ، فكانوا إخوانه بالمصاهرة لا بالنسب ، وقد أمطرهم الله بالحصباء ، وجعل عالى الأرض التى يقطونها أسطاها ، لأنهم انتكسوا بالفطرة ، وجامعوا الرجال وتركوا النساء ، فخسف الله بهم الأرض .

١٤ - وَأَصْحَلْبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبْعِ كُلُّ كَدُّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ .

وأصحاب الأبكة هم قوم شعيب عليه السلام .

قال تعالى : كَذَّبَ أَصْحَلْبُ أَنْيُكُمْ آلْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعْسِهُ أَلَا تَتَّقُونَ . (الشعراء : ١٧٦ ، ١٧٧) .

والأيكة اسم لمنطقة كانت مليثة بالأشجار ، ومكانها فى الغالب بين الحجاز وفلسطين حول خليج العقبة ، ولملها المنطقة التى تسمّى معان .

وَقَوْمُ تُبْعِ ...

وهو تبع الأكبر الحميري ، واسمه أسعد وكنيته أبو كُربر ، وكان رجلاً من أهل اليمن ملكاً منصوراً ، فسار بالجيوش حتى انتهى إلى سمرقند ، فرجع فأخذ طريق الشام ، ثم منَّ بالبيت الحرام فدخله مُحرمًا ، فقضى نسكه ، ثم انصرف نحو اليمن راجعًا ، حتى إذا قدم على قومه طلب منهم أن يؤمنوا كما آمن فامتنعوا، فنزات من السماء نار فأحرفت من لم يؤمن منهم ^{(۱۹}).

قال تعالى: أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ لُبْع وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهمْ أَهْلَكُما بُهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ . (الدخان: ٢٧).

كُلُّ كَلُّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدٍ.

كل هوّلاء كذبوا جميع رسلهم ، فحق عليهم وعيدى ، وثبتت عليهم كلمة العذاب على التكذيب ، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء الأقوام .

وقد ورد هذا المعنى فى سورة غافر فى الآية الشامسة ، والآية الحادية والعشرين وما بعدها ، وفى عدد من السور المكية ، وفى الآية الثنائثة عشرة من سورة فصلت وما بعدها . د

وفى سورة الفجر فى قولمه تعالى: أَلَمْ تَرَ كُفْفَ قَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ هَ إِرَّمَ ذَاتِ ٱلْمِمَادِ هَ آلْبَى لَمُ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِى ٱلْمِلَنَدِ هَ وَتُمُودُ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّحْرَ بِٱلْوَادِهِ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَرْتَادِ هَ ٱلْذِينَ طَوْاً فِى ٱلْمِنْدَاهِ فَصَبُّ عَلَيْهِمَ رَبُّكَ سَوْظُ طَمْلَهِ هِ إِنَّ رَبِّكُ لَهُ الْمِرْصَادِ . (المجر: ١- ٤١).

أَفْعِيمًا بِٱلْحَلْقِ ٱلْأَوْلِ بِلْ هُمْ فِي لَبْسِ مَّنْ خَلْق جَدِيدٍ .

استفهام إنكارى مؤدًّاه : هل عجزنا عن خلق الإنسان من تراب ، ثم من نطقة ، ثم من علقة ، ثم من من عققة ، ثم من مضغة إلى أن مسار خلقاً آخر ، تبارك الله أهسن الخالقين الذي خلقه ؟ هل عجزنا عن خلق هذا الكرن ، بكلٍّ ما فيه من سماء وأرض وفضاء ، وأنهار وأشجار وبحار ، وليل ونهار ، وشمس وقمر وكواكب ؟ هل عجزنا عن حفظ هذا الكون وتماسكه بلايين السنين ؟

وإذا كان ذلك لم يعجزنا ، فإن الإعادة أهون من البدء ، كما قال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُواْ ٱلْخَلُقُ ثُمُ يُعِدُهُو وَهُوَ أَهُونُ خُلِّهِ .. (الربيء ٢٧) .

قالله سبحانه على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وهم يسلمون بأن الخالق الكون ولآدم وذريته هو الله، ثم يقمون بعد ذلك في الحيرة والشك والاضطراب والاختلاط، حين يتعلق الأمر بالنشأة الأخرة والبعث بعد الموت.

جاء فى الحديث القدسى المحميع ، يقول النبى ﷺ : «يقول الله تعالى : يؤذينى ابن آدم ، يقول : لن يعيدنى كما بدأتى ، وليس أرّل الفلق بأهرن علىّ من إعادته «°° .

والخلاصة:

إننا لم نمجز عن خلق هذا الكون ، وخلق الإنسان أول مرّة ، وإذا لم نعجز عن البدء ، فإن الإعادة أهون من البدء ، لكنَّ الكفار في حيرة واضطراب ، منهم من يرَّمن بالبحث ، ومنهم من ينكره ، وما تكذيب المكلبين إلا من باب تقليد السابقين ، أو المكابرة والمناد ، أو الشك واللَّيس وعدم الاهتداء .

تقرير خلق الإنسان وعلم الله بأحواله

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَنَ وَتَعْلَرُمَا أَوْسُوسُ بِدِ نَفْسُتُّمُ وَتَحَنَّا أَوْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبِلِ الْوَرِيدِ ﴿ وَجَآهَ تَ الْمُتَلَقِّينَ الْمَيْوَ لِلْهِ اللّهَ اللّهَ وَفِيثُ كُنْ وَجَآهَ تَ الْمُتَلَقِّينَ الْمَيْوَدِيلُ لَلْهَ وَفِيلًا لَلْدَيْهِ وَقِبُ كَنْ مَنْ وَجَآهَ تَ سَكُرَةُ اللّهَ وَيْ وَاللّهَ وَقِيمُ الْوَجِيدِ ﴿ وَجَآهَ تَكُنُ فَعْلَمْ فِي اللّهُ وَرِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَجِيدِ ﴾ وَجَآهَ تَكُنُ فَقْلُو مِنْ هَا لَمُنْ اللّهُ وَمُ الْوَجِيدِ ﴾ وَجَآهُ تَكُنُ فَعْلَمْ وَيْمُ اللّهُ وَلَا مَكْمُنُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَمْ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا مَنْ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ وَاللّهُ وَال

المفردات:

حسب السوريد؛ عرق كبير في العنق، وللإنسان وريدان مكتنفان بصفحتي العنق.

المحت<u>اطة مهان</u>، هما ملكان جعلهما الله لكل إنسان ، ليكتبا أعماله من خير وشر ، عن اليمين وعن الشمال .

قصم والمجالس معنى مُقَاعِد ، كالجليس بمعنى المجالس .

السمس السمس ملك يرقب قوله ويكتبه ، فإن كان خيرًا كتبه ملك اليمين ، وإن كان شرًّا كتبه ملك السمس الشمال . الشمال .

عست ين والبشر. عليه الكتابة ما يؤمر به من الخير والبشر.

وجاءت سكرة الموت : وأحضرت شدة الموت حقيقة ما كتبه الله على عباده من الموت .

وتسقيخ فين الصبور ، ونفخ في البوق .

بسوم الموهميد، يوم إنجاز الوعيد.

السائق والشهيك؛ ملكان ، أحدهما يسوق النفس إلى أمر الله ، والآخر يشهد عليها بعملها .

الصفطاء: الحجاب الذي سببته الغفلة والانهماك في اللذات.

مصطبح الأعذار.

تمهيد:

بعد أن ألبت الحق سبحانه وتعالى قدرته على البعث والحشر، بيَّن هنا علمه الواسع وقدرته البالفة، فهو خالق الإنسان ، وهو العليم بكلَ ما فيه ، ومع علمه بكلَّ شيء جعل لكل إنسان ملكين يكتبان عليه الحسنات والسيئات ، فإذا جاء الموت – وهو الحقيقة التي ستنزل بكل إنسان – تبعه النفع في المسور، وصنعق الناس ، ثم بُعثوا من قبورهم ، وجاء كلُّ إنسان ومعه ملكان ، أحدهما يسوقه ، والأخر يشهد عليه .

لقد حجبته الغظة ولذَّاتُ الدنيا عن حقيقة الآخرة ، أما الآن فبصره حديد نافذ ، يرى الحقيقة كاملة، لانعدام الغظة وظهور الآخرة حقيقة مشاهدة .

التفسيره

٩٠ - وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَلْنَ وَلَعْلَمُ مَا تُوسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ, وَلَحْنُ ٱلْقَرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْل ٱلْوَرِيدِ.

تالله لقد خلقنا جنس الإنسان ، أى كل إنسان فى هذا الوجود ، من آدم إلى قيام الساعة ، وعلمنا معتد إلى خارجه وداخله ، فنحن نعلم العلانية ، ونعلم وسوسة النفس وحديثها ، ومعوتها الخفى الذى لا يسمعه أحد ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، وهو وتين العنق إذا انقطع مات الإنسان ، أى لا تخفى علينا خافية من أمره ، ونحن أقرب إليه من دمه الذى يجرى فى عروقه .

وتصور الآية سعة اطلاع علم الله على ما فى داخل الإنسان ، وعظيم قريه واطلاعه ، ففى جناب الله رهبة وخوف وعظمة ، وقرب مشاهدة وعظيم إحاطة ، وفيه فى نفس الوقت محبة ومودة وحتان وعطف ، ومن رحمة الله وفضله أنه لا يعاقب الإنسان على حديث نفسه حتى يتكلم به أريعمل به .

أخرج أصحاب الكتب الستة (البخاري، ومسلم، وأبو داوره، والترمذي، والنسائم، وإبن ماجة) أن رسول الله 3 قال : وإن الله تعالى تجارز لأمُّني عما حدثت به أنفسها ، ما لم تتكلم به أو تعمل به. ⁸⁹ .

١٧ - إِذْ يَعَلَقَى ٱلْمُعَلَقَّهَانِ عَنِ ٱلْهَمِينِ وَعَنِ ٱلشَّمَالِ لَعِيدٌ .

اذكر حين يتلقى الملكان الحفيظان ما يفعك الإنسان فيسجلان عليه أفعاله.

وقد ورد فى تفاسير الزمخشرى، والقرطبي، والبيضاوى، وروى ابن أبي حاتم أن رسول الك ﷺ قال: «كاتب الحسنات على يعين الرجل ، وكاتب السيئات على يسار الرجل ، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرًا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سيم ساعات ، لعله يسبّم أو يستفقر».

عَن ٱلْيَعِينِ وَعَنِ ٱلشَّمَالِ قَعِيدٌ .

والقعيد من يقعد معك ، فماك المسنات قعيد على اليمين ، وملك السيئات قعيد على الشمال ، والأصل أن يقال: عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد ، فهذفت من الأولى لدلالة الثانية عليها ، فالملائكة تسجل على الإنسان المسنات والسيئات ، والله تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا ، لكنّه سبحانه أواد أن يعلم الإنسان، أن كلّ شيء مسجل ومكتوب ، وفي إحصاء دقيق لا ينسى .

كما قال سيحانه : أَحْمَنْهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ... (المجادلة : ٦) .

وقال عز شانه : رَيَقُولُونَ يَهُوْ يُلَقِنَا مَالَ هَلْمَا ٱلْكِتَلْبِ لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً خَاصِرًا وَلَا يُطْلِمُ رَئِكَ أَحَدًا . (الكهف: ٤٩) .

يقول أحد الصالحين:

ل من لا أنسوح وأنسانه وجسوع جسوى مدنه لنفسى لقبح فعالها بسيسان السوري تستسأنه مملك السيسيس أرحمته لمم يلق شيسلاً يكتب مملك الشمسال بحكسة ليسلاً نسهارًا يستسعب

١٨ - مَّا يَلْفِطُ مِن قَوْلِ إِلَّا لَلَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيلًا .

ما يتكلم الإنسان كلمة إلا وهناك ملك مستعد متهيَّى لتسجيل هذه الكلمة ، فإن كانت خيرًا سجلها ملك اليمين ، وإن كانت شرًّا سجلها ملك الشمال .

' والرقيب: المتتبع للأمور الحافظ لها .

والعتيد : الحاضر الذي لا يغيب ، والمهيأ للحفظ والشهادة ، وإذا كان القول يسجّل على الإنسان ، فإن العمل يسجل من باب أولى .

قال تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَنْفِظِينَ * كِرَامًا كُنتِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَشْعَلُونَ . (الانفطار: ١٠ – ١٢).

قال الحسن البصرى:

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشَّمَالِ أَعِيدٌ .

يا ابن آدم ، بسطت لك صحيفة ، وركل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك ، والآخر عن شمالك ، فأما الذي عن يسارك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيناتك ، فاعمل ما شئت ، أقلل أو أكثر، حتى إذا مِنَّ طويت صحيفتك ، وجعلت في عنقك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول تمالى ، وَكُلُّ إِنْسَانِ أَأْزُمْسَانُ كُلِّوْرُهُ فِي عُقْهِ وَلُحْرِجُ لَدُ يُوْمُ الْفِيكَة كِنْسُانِكَ الله عَلَيْكُ مَنْدُورًا و أَقُواْ كَيْبُكُ كُمُّي يَفْسُلِكَ . تمالى ، وَكُلُّ إِنْسَانِ الله عَلَيْكَ مَنْدُورًا و أَقُواْ كَيْبُكُ كُمُّي يَفْسُلك . " تَلْوَمُ عَلَيْكُ حَسِياً ، (الإسراء : ١٣ ، ١٤) . ثم يقول : عَلَى والله فيك ، من جعك حسيب نفسك .

٩ ٩ – وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَالِكِ مَا كُنتَ مِنْهُ لَحِيدُ .

حضرت لله أيها الإنسان شدة الموت بالحق الذي وعدك به الرسل ، ذلك الحق هو ما كنت عنه تميل وتنسرف عن التفكر فيه ، إنها المحقيقة الكاملة التي تنزل بكل إنسان مهما عظم أمره أو صغر ، مهما طار في الهواء أو غاص في الماء ، أو وصل إلى القمر أو المريخ ، فهناك لحظة يسكن فيها هذا الإنسان ، وتخرج ورحه ، ويصبح جثة هامدة ، لا حياة ولا حركة ، لقد نزل به قوله تعالى : وَجَاءَتْ سُكُرةُ ٱلْمُؤْتِ بِٱلْحَقِّ ذَائِكَ ، مَا تُعْمِدُ . نزلت شدة الموت .

وفى الحديث الصحيح ، عن عائشة أن النبى ﷺ لما تفشاه العوت ، جعل يمسح العرق عن وجهه ، ويقل : «سبحان الله ، إن اللموت اسكرات» ٣٠٠ .

ولما ثقل أبو بكر، جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بقول حاتم:

لعبرك ما يُغْني الثراء عن الفتي إذا حشرجت يوما وضلق بها الصدير

فكشف أبو بكر رضى الله عنه عن وجهه ، وقال : ليس كذلك ، ولكن قولى : وُجَاءَتُ سُكُرُةُ ٱلْمُوْتِ بِٱلْحُقُ ذَا لِكَ مَا كُنتَ مَنْهُ لَعِيدٌ .

. ٢ - وَلَفِحَ فِي ٱلصُّورِ ذَا لِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ .

الصور هو البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل ، ولإسرافيل نفختان في الصور ، إحداهما تموت عندها الخلائق ، والثانية يبحث عندها الموتى وهي المرادة هذا .

قال تعالى : وَنَفِحَ فِي ٱلصَّورِ لَعَمَعِنَ مَن فِي ٱلسَّمَنوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن هَاءَاللَّهُ ثُمُ يُفِحَ فِيدٍ أَحْرَى فَإِذَا هُمْ فِهَامٌ يَنظُرُونَ : (الزمر: ١٨٦) .

ويكون معنى الآية :

ونفح في الصور النفخة الأخيرة ذلك الوقت ، وهو الوقت الذى ترعّد الله فيه كل كافر بسوء المصير ، كما وعد كل مرَّمن بحسن الجزاء ، وخص الوعيد بالذكر لتهويل اليوم ، وتحذير العصاة مما سيكون فيه .

٢١ – وَجَاءَتُ كُلُّ نَفْسٍ مُعَهَا سَالِقٌ وَشَهِيدٌ .

جاءت كل نفس خلقها الله تعالى ، من آدم إلى قيام الساعة ، جاءت إلى أرض المحشر للحساب والجزاء ، ومعها سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها ، وقد جاء في الحديث الشريف : «أن أحدهما ملك الحسنات، وثانيهما ملك السيئات، اللذان كانا يكتبان أعمال العباد في الدنيا» ، أخرجه أبو نعيم في الطلق مرفوعًا عن جابر .

٢ ٧ - لَّقَدْ كُنتَ فِي عَفْلَةٍ مِّنْ هَلْذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ خِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلَّيْوَمَ حَدِيدٌ .

أى: يقال للكافر أو لكل إنسان من بر وفاجر: لقد كنت في الدنيا غافلاً عن هذا اللقاء ، شغلتك عنه زخارف الدنيا وشئونها ، وأكبرت الدنيا ، ونسيت الآخرة ، والآن كُشف الفطاء ، وظهرت الحقيقة ، ورأيت القيامة رأى العين فبصرك اليوم ، حملية . أي : قوى شديد نافذ .

قال الحجاج يتوعد بعض الرجال المخالفين له : لأحملتك على الأدهم ، فقال الرّجِل : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، فقال الحجاج : ويحك إنه من حديد ، فقال الرجل : لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا .

قال المفسرون :

لَبَصَرُكَ ٱلَّيْوْمَ حَنْبِيلًا.

أى: فبصرك ونظرك فى هذا اليوم نافذ قوى ، تستطيع أن تبصر به ما كنت تنكره فى الدنيا ، من البعث والحساب والثواب والعقاب ، والآيات فى قوتها وجرسها وتصويرها لوحة هادفة ، تأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم ، وتزيح عنه الغفلة فى الدنيا ، وترسم له طريق الذجاة فى الآخرة .

من مواقف الحساب

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ مَهَذَا مَالَدَى َ عَيدُ ثُنَّ أَلْقِيافِ مَهَا ثَمَّ كُلَّ كَفَّادٍ عَيْدِ ۞ مَثَاعِ لِلْخَرِمُمْ مَدَدُمُرِبٍ ۞ الَّذِى جَعَلَ مَعَ النَّهِ إِلَهُ اَءَا حَوَقًا لِقِياهُ فِي الْعَدَادِ إِلَّشَيْدِ فِ ۞ قَالَ وَيَدُونَا مَا أَطْفَيْتُهُۥ وَلَكِنَ كَانَ فِي صَلَالٍ بَعِيدٍ ۞ قَالَ لاَ غَنْفِيمُوالَّذَ تَ وَقَدْ قَدَّ شُوْ إِلَيْكُمُ إِلْوَعِيدِ ۞ مَلِبُدَلُ الْقَرْلُ لَذَى وَمَا أَنَا ظِلَدِ لِلْقِيدِ ۞ ثَوْمَ فَوْلُ لِجَهَةً مُولِ أَمْتَلاً وَوَتَمُولُ هَلْ مِنْ مَرْبِيوٍ ۞ ﴾

المفردات:

السقسريسة ؛ الملك الموكّل بالمرء .

م ت ب ب ب معلُّ محضَّى

مناع المغروضة عليه.

مستبر، متجاوز للحق ظالم.

مـــــريب، شاك في الله وفي دينه.

البحة حريصة ، المراد هذا : الشيطان المقيِّض له .

ب منوق في الباطل.

لا تختصموا ثدي، لا يجادل بعضكم بعضا عندى.

بالسومسيد، على الطغيان في دار الدنيا، في كتبي، وعلى ألسنة رسلي.

ما يبدئل القول لدى ، لا يقع فيه الخلف والتغيير ، فلا تطمعوا أن أبدُل وعيدى.

مــــزيـــد، زيادة.

تمهيد،

من شأن القرآن الكريم أن يعرض الآخرة أمام الإنسان كأنما يراها رأى العين ، وهنا يعرض صورة للملاك يقدم ما سجِّله على الكافر ، حيث يؤمر بالكافر أن يوضع في جهنم ، جزاء كفره وعناده ويغله ، وكأن الكافر يعتذر بأن الشيطان أغواه ، فيعترف الشيطان بأنه وسوس له ، وزيَّن له فقط ، أما الاستجابة للشُّ والضلال ، والاستعداد للغولية والكفران فقد كانت منه ، فالتبعة عليه . ثم يقول الحق سبحانه: لا فائدة من الخصام عندى، فقد جعلت ناموساً وقانُونا أنزلته إلى الدنيا في كتبي، وعلى ألسنة رسلى، ولن يتغير هذا الناموس، فالنَّار أهلها، وللجنة أهلها، بدون ظلم كبير ولا قليل، بل بالعدل والقمطاس المستقيم.

التفسيره

٣٣ - وَقَالَ قَرِينُهُ هَلْدًا مَا لَدَىُّ عَيد

أى: قال الملك الموكل به - أي بابن آدم -: هذا ما عندى من كتاب عملك معد محضَّر بلا زيادة ولا نقصان

قال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني مه قد أحضرته ، واختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد.

ونسر الزمخشرى وغيره القرين هنا بأنه الشيطان الذي أضلُّ الإنسان ، يقول : هذا أعددته لجهدم وأغريته وأضللته ، أي : أن ملكا يسوقه ، وآخر يشهد عليه ، وشيطانا مقرونا به يقول : هذا قد أعددته لجهدم، واستشهد الزمخشري بقول الله تعالى :

وَمَن يَفْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرُّحْمَلٰنِ لُقَيِّضْ لَهُ, شَيْطُكُ فَهُوَلَهُ, قَوِينٌ. (الذهرف: ٣٦).

وأنا أرجُع أن القرين في هذه الآية للملاك ، السائق والشهيد .

ونلاحظ أن اللفظة في القرآن الكريم قد تكون واحدة ، ويكون لها أكثر من تفسير بحسب السياق الذي ترد فيه ، فلفظ (الهدى) في القرآن يأتي بمعنى الهداية إلى الخير ، ويمعنى الإسلام ، إلى ستة عشر معني، والسياق هو الذي يحدّد اختيار معنى على آخر .

٢٤، ٧٥، ٢٦ – ألقيًا في جَهَيْمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَبِيدٍ ه مِنَّاعٍ لَلْخَيْرِ مُقتَّدِ شُرِيبٍ ه ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَّلَهَا ءَاسَحَرَ فَالْقِبَاهُ فِي ٱلْقَدَاسِ ٱلشَّدِيدِ .

سبب النزول :

قيل: نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة ، لما منع بني أخيه عن الخير ، وهو الإسلام .

أي: يقول الله تعالى للسائق والشهيد.

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارِ عَنِيه ۗ .

اطرحا في جهتم كل من كفر بالله ، وأشرك به ، وعائد الحقّ والرسل ، ومنع الخير ، ومنع أبناء أهيه عن الدخول في الإسلام ، والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآيات شاملة لكل كافر منع نفسه أن غيره عن الإيمان ، واعتدى على أمل الحق ، ووقع في الريب والشك وعدم الإيمان .

الَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَيْهَا ءَاحَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ .

الاسم الموصول مبتدأ مفيد معنى الشرط، ولذلك دخلت الفاء في الجواب.

والمعنى: الذى عبد د مع الله الأصنام والأوثان ، والمال والجاه والسلطان ، فألقياه أيها الملكان فى أشد العذاب فى جهنم .

والآيات عبرة ظاهرة لكل كفّار أو طاغية بغره أيّ سلطان ، أو يبعده عن الحق والإيمان والمهداية أيّ شيء، مهما كان قدره، فالباطل ساعة ، والحق دائم إلى قيام الساعة ، قال تمالى :

قُلْ إِنَّ زَمِّي يَقْدِف بِالْحَقِّ عَلْمُ ٱلْفُيُوبِ وقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُندِئَ ٱلْبَنطِلُ وَمَا يُعِدد (سبا: ١٤٨ . ٤٥).

٧٧ - قَالَ قَرِينُهُ رَبُّهَا مَآ أَطْفَيْتُهُ وَلَلْكِن كَانَ فِي صَلَّلْلِ بَعِيدٍ.

كأن الكافر في مواقف القيامة يريد الاعتذار بانُّ الشيطان أطفاه وزيُن له الشر، فوقع صريعا لإغواء الشيطان ، هاللُّم والعقاب ينبغي أن يكون على السبب في ذلك وهن الشيطان .

فيجيب قرين الكافر أو العاصى وشيطانه ، ويقول : ربنا ما أهدتُ بنامسيته إلى الطغيان والضلال ، وكل ما فعلته أننى زينت له الشر ، وحسَّنت له الكفر ، فوجدت عنده الاستعداد كامالا للضلال البعيد عن الحق المغرق في الطغيان .

إن كلاً منهما يريد أن يهوَن من مسئوليته عن أنواع الشرّ والكفر و ويرى أنَّ الشيطان يخطب في أهل جهنم خطبة بتراء ، يعلن فيها تنصله من المسئولية ، ويلقى التبعة على من أعطاه الله المغل والإرادة والاختيار ، وقد كان في استطاعته في النبها الرشاد ، فاختار الضلال بمحض إرادت ، فلا ينبغى أن يلوم الشيطان ، بل ينبغى أن يلوم بنفسه ، مالشيطان لم يتُسِرُه ولم يُكرهه، وكل ما فعله هو أنه دعاه إلى الشرّ، فاستجاب طائعاً مختارًا ، ويقول الشيطان : لن أنقنكم من جهنم ، وأنتم كذلك لن تنقذوني ، فمألنا واحد وهو العذاب .

(ルレル: ソ・ハ)

قال تعالى : وقَالَ آلشُيْطَانُ لَمُا قُعِينَ آلَامْسُ إِنَّ آللَّهُ وَعَنْكُمْ وَعَنْ آلْحَقُ وَوَعَلَكُمْ فَأَخْلَتُكُمْ وَمَا كَانَ لَيْ عَلَيْكُم مِّن سُلَطَنن إِلَّا أَن دَعَوْلَكُمْ فَاسَتَجَيْمُ لِى قَلَا لَلُومُولِي وَلُومُوۤا أَنْفُسَكُم مَّآ آنَا بِمُصْرِعِيكُمْ وَمَآ أَنْمَ بِمُصْرِعِي إِلَى كَفَرْتُ بِمَاۤ أَشْرَكُتُمُونِ مِن قَبْلَ إِنَّ آلطَّلْلِين لَهُمْ عَلَىكا أَلِيّهِ . (الداحة ٢٠١) .

٧٨ – قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىٌ وَقَدْ قَلَمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ .

قال الله تعالى للكافر وقرينه: لا تتخاصموا ولا تتجادلوا عندى وأمامى، فكل واحد منكما يريد أن " يلقى بالتبعة على الآخر، لقد قدمت إليكم بالوعيد والإنذار بالخذاب للمخالفين على ألسنة رسلى ، وفي ثنايا كتبى ورسالاتى ، وقامت عليكم الحجج والبراهين ، والمراد : إن اعتذاركم الآن غير نافع .

٢٩ - مَا يُهَدُّلُ ٱلْقُوْلُ لَدَى وَمَا أَنَّا بِظَلُّ مِ لَلْعَبِيهِ.

لا يقع عندى تغيير ولا تبديل لما أنزلته في كتبى ، وما أوّحيت به على ألسنة رسلى، بأنّى أعددت الجنة لمن أطاعنى ، والنار لمن عصانى ، ولا أعنب أحداً ظلما بغير ذننب اقترفه ، بل كل إنسان يحصد جزاء ما قدم، ويجنى عاقبة عمله ، كما قال سبحانه : فَمَن يَهْمُلْ مِثْقَالَ مُرَّاعٍ خَبِرًا يَرَةُ, و وَمَن يَهُمُلْ مِثْقَالَ مُرَّعٍ ضَرًا يَرَةُ,

، ٣ - يَوْمَ نَفُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ آمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّلِهِ إِن

تأتى جهنم يوم القيامة تتلمظ غيظا وغضبا على من عصى الله تعالى، ويوضع فيها الكفار والعماة، وكلّما وضع فيها اتَّسعت وطلبت الزيادُة من العصاة ، غيظا عليهم ، وتضبيقا للمكان عليهم ، حتى يضع الله عليها رحمته ، فتقول : كفاني كفاني ، فقد امتلاتُ .

وعلى هذا يكرن الاستفهام الأول للتقرير ، فالله يقررها بأنها امتلاّت ، أى يجعلها تقر بذلك ، واستفهام جهنم : طُلُّ مِن مُرِيعٌ . للنفي ، بمعنى : هل بقي فيُّ مزيد ؟ أي لا أسم غير ذلك ، وهو جواب الاستفهام الأول .

وتحتمل الآية معنى ثانياً وهو أنها تطلب الزيادة على من قد صار فيها ، وأنها لا تشبع من الكفار. قال الزمخشرى في تفسير الكشاف :

قال أهل المعاني:

سرًال جهنم وجوابها من باب التخييل والتصوير ، الذي يقصد به تقرير وتصوير المعنى في النُّفْس وتلبيته ، وفيه معنيان : أحدهما : أنها تمتلئ مع اتساعها ، حتى لا يزاد عليها شيء.

الغاني: أنها من السعة حيث يدخلها من يدخلها ، وقيها موضع للمزيد . ا.هـ .

وقال الشوكاني : وهذا الكلام على طريقة التخييل والتمثيل ، ولا سؤال ولا جواب ، كذا قيل . والأولى أنه على طريقة التحقيق ، ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع . لهـ.

وقال الواحدي: أراها الله تصديق قوله تعالى:

لْأَمْلَأُنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْحِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ . (مود: ١١٩).

ظما امتلات ، قال لها : قَلِ ٱمْتَلَأْتِ؟ وتقول هي : قَلْ مِن مُزِيادٍ؟

أى : قد امتلأت ولم سق في موضع لم يمتلئ .

أحاديث البخاري ومسلم

أخرج البخارى ، عن أنس بن ماك رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «يُلقى فى النار ، وتقول : هَلْ ر مِن مُزِيارٍ؟ حتى يضمع قدمه فيها فتقول : قطّ قطّ ، أى : كفى كفي» .

وفي رواية : قطّْتِي قطّْتِي ، أي : كفاني كفاني (١٩٠٠).

وأخرج مسلم في صحيحه ، عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : فيُّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : فيُّ ضعفاء الناس ومساكينهم، قلُّمَـيُ بينهما، فقال للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذَّب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكما مؤها» (**).

+++

جنة المتقين

﴿ وَأَنْفَسَتِ الْمِنَةُ لِلْمُنَقِينَ غَيْرَيَعِيدِ ۞ هَذَامَاتُوعَدُّونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَّنَ خَشِى الرَّحَنَ الْمُغَيِّبِ وَجَاءً بِقَلْبٍ شَنِيبٍ ۞ اَدْخُلُوهَا بِسَلَّتْرِ ذَالِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ۞ لَهُمَّ اَبَشَاءُ وَنَ فِيهَا وَلَدَيَّنَا مَزِيدٌ ۞﴾

اللف دات :

أزا ____ أدنيت وقريت.

غير بسع يسد، في مكان غير بعيد منهم ، بل هو بمرأى منهم .

هـ الله الما توصدون، هذا هو الثواب الذي وعدتم به على ألسنة الرسل.

أواب ، رجًاع إلى الله ، أو رجّاع عن المعصية إلى الطاعة .

حبط يقد عاقظ لحدود الله وشرائعه .

ب-السفيه، خاف عقاب ربه وهو غائب عن الأعين حين لا يراه أحد، أو حال كونه غائبا عن الناس. المستنسسية، مخلص مقبل على طاعة الله.

بسميلام، سالمين من العذاب وزوال النعيم.

الخلب سيدود، في الجنة إذ لا موت فيها .

مسمستريسميد، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

تمهيد:

ذكر القرآن حال أهل النار – حفظنا الله منها – ثم ذكر هنا مقابل النار وهى الجنة ، وذكر ألوان النعيم فيها ، وتكريم الله الأهلها ، وتفضّله عليهم بالمزيد من كرمه ونعمائه .

التفسيره

٣١ - وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ .

أُدنيت الجنة من المتقين ، الذين جعلوا بينهم وبين المعاصى وقاية ، وحافظوا على حدود الله وأوامره ، فقرُّب الله إليهم الجنة ، يرونها بأعينهم غير بعيدة عنهم .

٣٧ – هَلْدًا مَا تُوعَدُونَ لِكُلُّ أَوَّاكٍ حَلِيطٍ .

تقول لهم الملائكة : هذا ما وعدكم الله به في كتبه وعلى ألسنة المرسلين ، بأن الجنة لكل رجًّاع إلى ربه ، يتوب إليه من الذنب ، ويرجع إلى مولاه ، عابداً تاثبًا مناجيا متقربا .

مُفِيظٍ . كثير الحفظ لحدود الله وشرائعه ، أو يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه ولا يهمل منه شيئاً.

٣٣ – مِّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَانَ بِٱلْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مِّنِيبٍ .

هذا الجزاء الموفور ، والنعيم المذكور ، لمن خاف مقام الله ، حال كونه لا يشاهده بعينيه ، أو حال كونه غانبًا عن النّاس ، خاليا منفرداً لا يراه أحد ، لكنّه يراقب الله . وفي الحديث الصحيح: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...» ، ومنهم:

«رجل ذكر الله تعالى شاليا ففاضت عبناه» (١٠٠٠).

وَجَمَاءَ بِقُلْبٍ مُنِيبٍ .

أى: جام إلى ربّه يوم القيامة بقلب عاش مقبلا على طاعته ، طامعاً في رحمته ، كثير الإنابة والتوبة والرجوع إلى الله ، ومناجاته في الأسمار ، وفي أعقاب الصلوات ، مع الخضوع لأوامره ، والهدعن محارمه.

٣٤ - ٱذْخُلُوهَا بِسَلَّمْ ذَالِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ .

أي : يقال لأهل الجنة : ادخلوها حال كونكم سالمين من كل آفة .

وسلام من الله لكم: تَعِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْلَهُ رَسَلَتْمٌ ... (الأحزاب: ٤٤).

وسلام من الملائكةِ: وَٱلْمُنَكِّكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلُّ بَاهِ ، سَلَمْ عَلَيْكُم هِمَا صَيْوَتُم فَيْصَ عَلَيْ . (الرمد ٢٠٠١)

ذَالِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ .

ذلك يوم الإقامة الدائمة في الجنة ، فلا ينقطع نعيمها ، ولا يفني أهلها ، بل هم في سرور متصل .

قال تعالى : أُكُلُهَا ذَاتِمٌ وَظِلُّهَا لِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱلَّقُواْ وَعُقْبَى ٱلْكَنْفِرِينَ ٱلثَّارُ . (الرعد : ٣٥) .

٣٥ - لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ .

لهم هي الجنة كلَّ ما يطلبون ، ولهم ذرج لا ينفد ، وأنهار من ماء نظيف صناع ، وأنهار من لبن طازج. وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفِّى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من رّبهم ، ولهم في الجنة ما لا عين رآت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب يشر .

وعند الله المزيد من الرضوان والفضل ، ورؤية المتقين لله تعالى، كما يُرى القمر ليلة البدر ، وهذا أعلى نعيم في الجنة .

قال تعالى: لَّلَّذِينَ أَخْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... (يونس: ٢٦).

وقد جاء في صحيح مسلم ، عن صهيب بن سنان الرومي أن هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم . اللهم لجعلنا منهم يارب العالمين .

حُتام رائع لسورة قُ

﴿ وَكُمْ أَهْلَكَ نَافِيكُمُ مِن قَرْنِهُمْ أَشَدُّ مِنْمُ بَطْشُا فَنَقُبُواْ فِي الْلِلَدِ هَلَّ مِن تَجِيمِن ﴿ وَلَقَدَ خَلَقَتَ الْفَقَ فَالْكَلَاكُ اللَّمْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّكَافِي وَمَا مَسَنَا مِن لُغُوبٍ ﴿ وَلَقَدَ خَلَقَتَ السَّمَونِ تِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْنَهُمُ الْفِي سِتَّةِ أَيَّا مِ وَمَا مَسَنَا مِن لُغُوبٍ ﴿ وَهَا فَاصْبِرْعَلَ مَا يَقُولُونَ وَمَا يَشَالُ مِن لُغُوبٍ ﴿ وَهَا مَسْتَعَ مِن مَنَ الْفَلُوعِ اللَّهُ مُولِ مَن الْفُولِ السَّمَعُونَ السَّيْحَةُ مَا يَشَا المَعْرِقِ اللَّهُ مُولِ اللَّهُ مُولِ اللَّهُ مُولِ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِن اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَلْ اللَّهُ مِن مَعَالَقُولُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِن اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللْمُولُولُكُولُولُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

المقردات ،

المستقصيري، الجيل من الناس.

غرب المناع ا

هَنْصَبُوا هَي البلاد ، ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمكاسب ، ويقال لمن طوَّف في الأرض : نقَّب فيها ، قال امرز القيس :

رضيت من الغنيسة بالإياب

فقد نقبت في الآفاق حتى

مستحسيس، مهرب وملجأ يلجأون إليه.

السندكسيري؛ لعبرة.

قىسىسىلىد لېدى يە .

التسميع، أصفى لما يُتلى عليه من الوحى.

سبح بحمد ديك؛ نزهه عن كل نقص، وأكثر من حمده وبشكره.

أهار السجود، أعقاب الصلوات، واحدها: نُبُر (بضم فسكون، أو بضمتين).

واست مع الما أخبرك به من أهوال يوم القيامة.

يوم ينادى المنادى ، أي : يخرجرن من القبور يوم ينادى المنادي.

من مكان قديب؛ بحيث لا يخفى الصرت على أحد، والمنادي هو جبريل عليه السلام ، على ما ورد في الآفار يقول : أيتها المطلم البالية ، والأوصال المتقطعة ، واللحرم الممزَّقة ، والشعور المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

الصير حسة ؛ المرّة من الصوت الشديد ، والمراد بها نفخة البعث .

يكالصحيق ، بالبعث والجزام .

يسوم السخسروج، يوم الخروج من القبور للبعث، وهو من أسماء يوم القيامة.

السموسيسر: المرجم للجزاء في الأخرة.

ته تي تتصدّع.

ســـاعــا: مسرعين.

حشــــــر؛ جمعٌ بعد البعث.

يسج ينار، بمسيطر ومسلط، إنما أنت داخ ومنذر.

المستكسين فخوف وحدّر.

تمهيد:

هذا ختام سررة (ق) يتناول تهديد المشركين ، وقدرة الخالق في خلق الكون بدون أن ينزل به تعب أو مشقة ، ثم أمر الحبيب المصطفى ﷺ بالصبر على عنادهم ، والاستمانة بذكر الله وتسيحه بالليل والنهان ثم عرض صورة رائعة للبعث والحشر والنَّفْخ في الصور ، وأمر الموتى بأن تجتمع أجزاؤهم ليقوموا لرب المالمين .

وَاحْدِ آيَة تَرْكُد علم الله بأحوال المكتبين ، وأن الذبي ﷺ مبلّغ فقط ، وليس مسيطرا عليهم ، فليذكر بالقرآن من يخاف القيامة ، حتى يعمل لذلك اليوم .

التفسير،

٣٦ - وَكُمْ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِن مُحِيصٍ.

أى: كثيراً ما أهلكنا قبل مشركى مكة ، من أمم كانت أشد منهم قوة ومنعة ، وقد انتقاوا في البلاد وأكثروا السير فيها ، بالتجارة والسياحة والتغلّب ، فما عصمهم ذلك من الهلاك ، حين أراد الله أن ينزله بساحتهم .

أي: لم يستطيعوا فربا ولا مناصا من الهلاك ، وأجدر بأهل مكة أن يعتبروا بهم .

٣٧ - إِنَّ فِي ذَالِكَ لَلِكُورَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ .

في هذا القرآن ، وفي هذه السورة ، وفي الآية السابقة المُتضمَّنة هلاك المكذبين ، مثل قوم نوح وعاد وثعود وقوم تبع ، في كل ذلك عظة لمن كان له قلب حاضر ، أو لمن كان له استماع متأمّل ، وهو شاهد بجسمه وقلبه ، فيجتمع له من سلامة القلب ، وإلقاء السمع ، وحضور الذهن ، ما يحقق له النفع ، والوقوف على جلية الأمر ، وهو شهيد وحاضر بالجسم والفؤاد المتيقظ ، كأنَّ من لم يتأمل غاتب غير شهيد.

٣٨ – وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَنْوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَايَيْتَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامُ وَمَا مَسْنَا مِن تُعُوبٍ .

تالله لقد خلقنا السماوات والأرض ، وما بينهما من فضاء وهواء ، في سِّقَرَّ أَيَّامٍ ... أي : في ست مراحل ، مرحلة بعد أخرى ، وما أصابنا من تعب أو مشقة في ذلك الخلق العظيم .

قال الحسَنُ وقتادة :

قالت اليهود : إن الله حلق الخلق في ستة آيام ، واستراح يوم السابع ، وهو يوم السبت ، يسمُّرنه يوم الراحة ، فأنزل الله هذه الآية .

روح القرآن

روح القرآن تغيد أن الكون قد خلقه الله من العدم، وتغيد النصوص الدينية أن المق سبحانه ألقى الكرة وكانت ملتهبة ، فارتفعت السماء وهدأت تشرتها الخارجية ، وانبسطت الأرض وهدأت تشرتها الخارجية ، وأرسى الله الجبال والبحار والأنهار، والفضاء والهواء، ثم تشققت السماء بالمطر، والأرض بالنبات، وجعل الله الماء أساس الحياة .

وفى حوالى سنة ١٩٩٤ م انعقد فى الولايات المتحدة الأمريكية مؤتسر علمى للبحث فى أصول الكون، وبالتحديد فى عمر الكون . وانقهى المؤتمر إلى أن عمر الكون ١٣ بليون سنة ، منها ٦ بلايين سنة كان الكون كرة ملتهبة غير صالحة للحياة ، وبعد سنة بلايين سنة من خلق الكون هدأت قشرته الخارجية ، وصار صالحا لحياة الإنسان على هذا الكون مثلها سهمة بلايين سنة .

قال تعالى: أَوْلُمْ يَرُ ٱلَّذِينَ كَفُولُواْ أَنَّ ٱلسَّمَاوُاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَنا رَقَّا فَفَتَقْتَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلُّ هَيْءٍ حَيُّ الْعَرَيْهُمُونَ ۚ (الأنساء: ٣٠).

وفي التفسير أن الرقق ضد الفتق ، أي كانت السماء صمّاء لا تمطر ، والأرض صمّاء لا تنبت ، ففتق . الله السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، وقد مرّ الكون كله بست مراحل ، حيث كانت السماء رخوة أشهه بالدخان ، ثم مرّت بمراحل ست ، وكذلك الأرض ، حتى صار الكون صالحا للحياة .

وذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير:

أن المراد بقوله تعالى : في سِتَّة أيَّام ... سنة أطول، لا الأيام المعروفة في وضع النَّعة ، لأن اليوم عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الأرض ، منَّ الطلوع إلى الغروب ، وقبل هلق السماوات لم يكن شمس ولا قمر ، لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت والحين . ل.هـ.

ويمكن أن نقول إن اليوم يطلق في كلام العرب على سنين متعددة ، فيوم بعاث ، ويوم البسوس ، ويوم ذي قار ، هي كلها حروب امتدت عشرات السنين ، وفي القرآن الكريم : وُإِنَّ يُومًا عِندُ رَبِّكُ كَٱلْفُوسُنَةِ مُمَا تَطُونً . (الدج : ٤٤)

ويقول سبحانه : تَعُرُجُ ٱلْمَلَكِكُةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ، خَمْسِنَ ٱلْفَ سَنَةِ . (المعارج: ٤). والخلاصة:

أن الله تحالى هو الذي خلق هذا الكون ، بما فيه من سماء وأرض وفضاء ، فى مراحل متعددة ، ليعلُمنا الصبر والأخذ بالأسباب ، وهو سبحانه على كل شىء قدير ، ولا يصبيبه تعب أو إعياء ، والآية تقرير للميعاد. لأن من بدأ الخلق قادر على آن يحيى الموتى بطريق الأولى .

قال تعالى: لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاس ... (غافر: ٥٧).

وقال عن شأنه : أَوَلَمْ يَرُواْ أَنَّ اللَّهُ اللَّهِي عَلَقَ السَّمَلُوْاتِ وَالْأَرْضُ وَلَمْ يَعْي بِخَلْقِهِنْ بِغَلْدِرِ عَلَيْ أَن يُعْجَى الْمَوْتِي لَمْنَ إِنَّهُ حَلَى كُلِّ هُونِهِ قَامِيرٌ . (الأحقاف: ٣٣) . ٣٩ ، ٤ ٤ - فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلُ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْفُرُوبِ • وَمِنَ ٱلْبَيْرِ فَسَبَّحْهُ وَاقْبَشِرُ ٱلسُّجُودِ .

فاصبر على ما يقول المشركون من الكفر ، أو إنكار البعث ، وانشفل عنهم بمناجاة الله ، والتسبيع بحمد الله ، خصوصا في أوقات تظهر فيها عظمته وجلاله ، قبل طلوع الشمس حين ينتهى الليل ، ويأتى نور النهار رويدًا ، وكذلك قبل الغروب حين تكون الشمس على سعف النّخيل ، حين يتغير لونها إلى الصفرة والحمرة ، وترسل خيوطها الذهبية ، تودّع هذه الدنيا ، وتُظهر جلال القدرة التي خلقت هذا الكون ، وتُطلب من صاحب الفطرة السليمة أن يقول : سبحان الله ويحمده ، سبحان الله العظيم ، فما أجل الروعة قبل الشروق وقبل الغروب .

وقد كان أهل سبأ يسجدون للشمس من دون الله ، وعلى لسان الهدهد يقول القرآن الكريم :

وَجَدَتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُنُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطُنُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدْهُمْ عَنِ السِّيطِ فَهُمْ لا يَهْتَمُونَ وَالَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهُ اللَّهِى يَصْرِجُ النَّحِبَةُ فِي السَّمَاوُاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعَلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُطْلِئُونَ وَاللَّهُ لاَ إِلَىٰتَهِ إِلَّا هُوَ رَبُّ القَرْضِ الْعَظِيمِ . (الدمل: ٢٤ - ٢٧) .

ويقول سبحانه وتعالى: وَمِنْ ءَاتِنِهِ أَلْهَلُ وَالشَّهُارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلْهِ اللّهِي مَلْقَهُنَّ إِنْ تُحْمُو إِلَيْهُ تَعْبُدُونَ . (هملت: ٧٧).

وكذلك أمرنا الله أن نسجد له سبحانه في أوقات متعددة من الليل ، عندما نرى الظلام الدامس والنجوم توصعومي من يعيد ، ولسان الحال يرشد أن لله ما سكن وما تحرك في الليل والنهار .

والمراد: اذكر الله هي أوقات متعددة بالنهار والليل ، حين يتحرك القلب وتهنز النفس بروية مظاهر القبرة والعظمة في الصباح والمساء ، وأثناء الليل أو في وقت السُّحر والهزيم الأخير من الليل .

قال تعالى : وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ . (ال عمران: ١٧) .

وقال سبحانه : فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ ٱلْحَمَدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَدِيًّا وَحِنَ تَظْهِرُونَ . (الدوم : ١٧ ، ١٨) .

وقال ابن عباس

المراد بالتسبيح والتحميد قبل طلوع الشمس : مبلاة الفجر، وقبل الغروب : الظهر والعمس، ومن الليل: المغرب والعشاء ، وأديا ر السجود : الثوافل بعد الغرائض ، أو التسبيم بعد الصلاة .

ودوى البخارى ، عن ابن عباس قال : أمر رسول الله ﷺ أن يُسَبِّع في أدبار الصلوات كلَّها ٥٠٠١ ، يعنى قرله : وَأَفْهَرُ ٱلسُّحُودِ .

وروى البخارى ، ومسلم ، عن أبى هريرة أنه قال : جاء فقراء المهاجرين فقالوا: يارسول الله ، ذهب أمل الدُّفور بالدرجات العلى والنعيم العقيم ، فقال: «وما ذاكه ؟ قالوا : يصلَّون كما نصلًى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق، فقال ﷺ : «أمثلا أعلمكم شيئًا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل عثل ما فعلتم ؟ تسبّحون وتحمدون وتكبرون الله دبركل صلاة غلامًا وثلاثين؟ من مقالوا ذلك ، ثم عمل الأغنياء مثل عملهم ، فقالوا : يا رسول الله ، سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا مثل علمهم ، فقالوا : يا رسول الله ، سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا مثل علم عن يشاء . "" ؟

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: فَآصَيْرُ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِعَمَدِرَبَكَ قَبَلَ عُلُوعٍ ٱلشَّهْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَائَى النَّلِ فَسَيِّع وَأَطْوَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلْكَ ثَرْضَىٰ . (ط. ١٣٠) .

ومن العلماء من رأى أن المراد من الآيتين: مسلاة العصر، وصلاة الفجر، وصلاة الشعر، عيث ورد في صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهان ويجتمعون في صلاة العصر وفي صلاة الفجر، اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى: وَقُرْوَانَ ٱلْفَجْرِ إِنْ قُوْمَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُو مُا الله تعالى: (وَقُرْوَانَ ٱلْفَجْرِ إِنْ قُوْمَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُو مَا الله الله على الله الله على الله الله على الله عل

ورأى بعضهم أن العراد من الصلاة الوسطى صلاة العصر حيث أقسم الله بالعصر فقال : وَٱلْعَمْرِ . (العمر : ١)

وقال تعالى : حَنْفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَلْيِينَ. (البقرة : ٢٣٨) .

وفي مصحف ابن مسعود زيادة تفسيرية هكذا: (والصلاة الوسطى - صلاة العصر).

والمتتبع لطريقة القرآن الكريم في تثبيت المقيدة ، يلحظ أنه كثيرا ما يلفت الأنظار إلى مظاهر الكرن في خلق السماء والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار، وأقسم الله تمالي بهذه المظاهر الكونية ليرشدنا إلى ما فيها من دلالة على عظمة الله . قال سبحانه: كُلَّا وَٱلْقَمْرِ وَٱلْيَلِ إِذْ أَفْبَرَ هِ وَٱلصَّبْحِ إِنَّا أَسْفَرَ هِ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبُرِ هَ فَلِيرًا لَلْبَشْرِ هِ لِمَن شَاءً منكُهُ أَنْ يَتَقَلَّمُ أَنْ يَتَأَلِّمُ . (العداد : ٣٧ – ٣٧) .

وقال عز شأنه:

فَلاَّ أَقْسِمُ بِمَوَاقِع ٱلنَّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . (الواقعة : ٧٦ ، ٧٠) .

وانظر إلى قسمه سبحانه وتعالى بالشمس والقمر، والنهان والليل ، والسماء والأرض والنفس، ولم يجتمع أكثر من القسم بخمسة أشياء إلا في صدر سورة الشمس حيث يقول سبحانه وتعالى : وَٱلشَّمْسِ وَصُحُنْهَا وَٱلْقَمْرِ إِذَا تَلْنَهُا وَٱلْكُولُ إِذَا يَغْشُلُهَا وَٱللَّمِاتَةِ وَاللَّمْسَةِ وَمَا يَنْنَهُا وَٱلْأَرْسِ وَمَا طَحُلُهَا وَاللَّمْاتِ وَمَا يَنْشُلُهَا وَٱللَّمَاتِ وَمَا يَنْشُلُهَا وَاللَّمَاتِ وَمَا يَنْشُلُها وَاللَّمَاتِ وَمَا يَنْشُلُها وَاللَّمَاتِ وَمَا يَشْلُها وَاللَّمَاتِ وَمَا يَنْشُلُها وَاللَّمَاتِ وَمَا طَحُلُها وَاللَّمِاتِ وَمَا طَحُلُها وَاللَّمَاتِ وَاللَّمَاتِ وَاللَّمَاتِ وَاللَّمَاتِ وَاللَّمَاتِ وَاللَّمَاتِ وَاللَّمَاتِ وَمَا يَعْشُلُها وَلَقُولُ مِنْ وَمَا طَحُلُها وَلَلَّهُ مَنْ وَكُنْها وَقُلْ خَابِ مَنْ دَسُلُها . (الشمس ١٠ - ١٠).

ق ال تعالى: فَالاَّ أَقْسِمُ بِالشَّفَقَرِهِ وَٱلْبِلِ وَمَا وَسَقَ هِ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱلْسَقَ هَ لَتُرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ . (الانتقاق: ١٦ – ١٩)

ومن وراء ما نراه ونبصره عوالم كثيرة ، ومخلوقات متعددة ، عِلْمها عند علام الغيوب .

قال تعالى : فَلاَ أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لا تُبْصِرُونَ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ . (الماقة : ٣٨ - ٤٠) .

٤١ - وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُهَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مُّكَانٍ قَرِيبٍ .

ترقب يا كلّ من يتأتى منه الاستماع ، أو راستمع يا محمد أنت ومن آمن بك ، يوم ينادى المنادى فيقول : أيتها العظام البالية ، واللحوم المتمزقة ، والشعور المتفرقة ، إن الله يأمركنُ أن تجتمعن لقصل القضاء .

قبل: إسرافيل ينفغ ، وجبريل ينادى بالحشر ، والأمر كما نرى فيه تهويل وتفخيم يهزُّ الألباب ، ويسترعى الأسماع ، ويأخذ على النفوس إعراضها ، وكأنه يقول : توقعوا هول هذا اليوم الذى يأتى وتستمعون فيه نداه المنادى بالبعث ، منْ مكان قريب يسمعه للخلائق كلهم ، على حالة واحدة ، فلا يخفى على أحد قريب أو بعيد ، فكأنهم نودوا جميعًا من مكان قريب .

٢ ٤ - يَوْمَ يَشْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَالِكَ يَوْمُ ٱلْحُرُوجِ.

فى ذلك اليوم يسمعون صوت النفخة الثانية سماعاً متلبسا بالحق ، ويقال لهم : ذلك يوم الخروج من القبور للعرض على الله سبحانه وتعالى ، وفي الآية تفخيم وتهويل لذلك اليوم ، الذي يسمّى يوم الخروج. قال تعالى : يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْلَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ . (القمر: ٧) .

والأجداث هى القبور ، ومنظر الجراد عند انتشاره منظر رهيب ، حيث يسير فى مجموعات متعددة ، ربتيًر اتجاهها بسرعة ، ويمكن أن تهلك الزروع هالأكا مروعا .

وقــال سبحـانه وتعالى : وَنُفِحَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مَنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ وَقَالُواْ يَسُوَيُلْنَا مَنْ بَعَقَا مِن مُرْقَدِنَا هَلَمْدًا مَا وَهَدَ ٱلرَّحْمَدُنُ وَصَدَقَ ٱلْمُوْسَلُونَ . (يس: ٢٠,٥١) .

٣ ٤ - إِنَّا لَحْنُ نُحْي. وَنُعِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَعِيرُ .

الحياة بيدنا ، والموت ببدنا ، والمرجع إلينا وحدنا ، فالله تعالى هو الذي غلق آدم من تراب ، ثم نفع فيه الررح ، ثم زرَّجه حواء ، ثم بث من آدم وحواء الخلائق إلى يوم الدين ، فالروح من أمر الله ، ولا يقدر أحد على خلق الروح إلا للله ، كما أن الموت بيد الله .

قال تعالى : قُل ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمُّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِنَّىٰ يَوْمَ ٱلْقَيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ... (الجائية : ٢٦).

فائله خلقنا وأحيانا ، ونفخ الروح في الجنين وهو في بطن أمه .

قال تعالى: ثُمُّ أَنشَأَنَاهُ خَلْقًا وَاحْرَ فَتَهَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَلْفِينَ (المؤمنين: ١٤).

وعند نهاية الحياة تقبض الروح بأمر الله ، وبيد ملك الموت ومعه مساعدون من الملائكة .

قال تعالى: ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا.. (الزمر: ٤٧).

وقال عز شأنه : قُلُ يَتَوَقَّلْكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱللِّي وُكِّلَ بِكُمْ أُمَّ إِلَىٰ رَبُّكُمْ أُوجَعُونَ . (السجدة ١٠٠).

وقال تعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَقَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ . (الأنعام: ٦١) .

وُإِلَيُّنَا ٱلْمُصِيرُ . وإلينا المرجع والمآب والحماب والجزاء .

\$ \$ - يَوْ مَ تَشْفُقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَالِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ.

يوم تتصدع الأرض ، وتتشقق عن أجسادهم ، فيقومون لفصل القضاء ، ويسيرون مسرعين ، ذلك الحشر والنجم هينن يسير علينا ، فلا يعجزنا شيء ، فَقُدُرُتنا لا حدود لها .

َ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ قَانِيرٌ . (البقرة: ٢٠).

أى: مع شدّة التقرّق ، وتناثر الأشلاء ، وتمرّق بعض الناس ، وتحلل البعض إلى تراب ، كل ذلك جمعه ويعثه وحسابه وجزاؤه هين يسير على الله .

قال تعالى : كَمَا بَدَأْنَا أَوْلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ, وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَلْعِلِينَ . (الأنبياء: ١٠٤) .

وانشقاق الأرض وإلقاء ما فيها ورد في القرآن الكريم مراراً على أنه من مظاهر القيامة وأهوالها.

قال تعالى : وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَلَنَحُلَّتْ . (الانشقاق : ٣ .٤) .

وقال عز شأنه:

إِذَا رُقُولَتِ ٱلْأَرْصُ رِلْوَالَهَا - وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْصُ أَلْقَالُهَا - وَقَالَ ٱلْإِسْسَنُ مَا لَهَا - يَوْمَهِدِ فَحَدَثُ أَحْبَارَهَا - بِأَنْ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا - يَوْمَعِدِ بَصْلَدُو ٱلنَّاسُ أَشْتَامًا لَيُووْا أَعْصَلُهُمْ - فَمَن يَعْمَلُ مِفْقال ذَرْةٍ . شَرًا عَرَهُ . (النازلة: ١ - ٨) .

وقراءة حفص: تَشَقُّقُ أَى: تنشق الأرض ، ويخرج الموتى من بطونها ، وتعود الحياة إليهم ، ثم يذهبون مسرعين لفصل القضاء في شئونهم ، وفي قراءة أخرى بتشيد الشيُّن: تشُقَّقُ ، أي : يشتد تشققها واضطرابها وزازالها، ومن مظاهر القيامة تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات وانشقاق السماء على غلظها، وتطق الملائكة بأرجائها . وسير الجبال ، واستراء أرض المحشر فتصبح أرضا مستوية ، لا ارتفاع فيها ولا اخفاض .

قال تعالى : وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْحِبَالِ لَقُلْ يَسَفُهَا رَبِّى نَسْفًا هَ فَيَلَوْهَا فَاعَا صَفْصَفًا ه لاَ نَوَى فِيهَا عِوَجًا وَ لاَّ أَمْتُهُ يُوْجَلِ يَتَّهِنُونَ ٱلذَّاعِيَ لاَ عِزْجَ لَهُ, وَصَلَّعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحَمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا . (ط ١٠ - ١٠٨) .

وقال سبحانه : يَوْمَ تُبَدُّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَيَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ . (ابراهيم : ٤٨).

وقىال عز شأنه : وَمَا قَفَرُواْ ٱللَّهُ حَقُ قَفْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَيْمَتُمُهُ, يَوْمُ ٱلْقِيَسَمَةِ وَٱلسَّمِسَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَهِيهِ صُبْحَنْتُهُ وَتَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . (الذمن ٧٠) .

وكل ذلك يدل على نهاية هذا الكرن ، وتبدّل ما فيه ، وانتهاء حياته ، وتغيير نواميس الكون بنواميس جديدة وضعها الله لهذه الحياة الآخرة ، فتنطفئ جذوة الشمس ، ويصيب القمر الخسوف ، وتنكس النجوم ، وتسجَّر اللهمال فقصبح نار الله الكبرى، ويمسك الله تعالى الأرض بشماله ، والسماوات بيمينه – وكلتا يديه يمين – ويقول : أنا الملك ، أنا الديّان ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبادين ؟

فذلك قوله تعالى: وَمَا قَلَدُواْ ٱللَّهُ حَقَّ قَلْدِهِ وَٱلْأَرْضُ جَعِيمًا فَيَعَشُهُ, يُوَمُ ٱلْفِيسَمُةِ وَٱلسَّمَلُوْاتُ مَطُوبِيُّاتًا بِيَجِينِهِ سُبْحَنْهُ، وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُطْرِكُونَ . (لازمر: ٢٧).

ختام السورة

ه ٤ - نُحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارِ فَلَكَّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَاف وَعِيدِ .

خالعلم الكامل لله تعالى ، فهو عالم بأقوال الكافرين ، حيث ينكرون البعث ، ولا يصدّفون بالقرآن ، ويتهمون محمدا 義 بأنه شاعر أو كاهن أو مجنون أو مفتر ، فالآية تسرّى عن الرسول 義، وتخبره بأن عليه البلاغ ، وليس عليه الهداية .

قال تعالى: فَلَدَّكْ إِلْمَا آلَتَ مُذَكَّر و لَنْتَ عَلَيْهِم بِمُعَيْطِر و إِلَّا مَن تُولَى وَكَفَرَ و فَيَعَلَيْهُ ٱللَّهُ ٱلْعَدَابُ ٱلأَكْثِرَ و إِنَّا إِلَيْهَ إِنَّ إِلَيْنَا إِلَيْهُمْ و العلمية ١٠٠ - ٢٠).

فَلَاكُرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدٍ .

اقرأ هذا الكتاب ، وأرشد به الناس ، وحوّف هؤلاء المنكرين رجاء أن تلين قناتهم ، وأن ترتدع نفوسهم.

لقد لون الله تعالى فى أسلوب هذا الكتاب ، فتراه أحيانا يكون رفيقا هادتًا فى قصصه وتشريعه ، وبيان رحمة الله ومفقرته ، وأحيانا تراه قويا عاصفا فى حديثه عن القيامه وأهوالها ، والبعث والحشر والحساب والجزاء ، لأن من النفوس من يرئسها الوعد ، ويرضيها الهدوه واليسر ، ومن النفوس الجامحة من تحتاج معه إلى الشدّة والوعيد ، لترى القيامة وأهوالها حتى تفيق من سباتها .

وقد اشتمل القرآن الكريم على الوعد بالجنة ونعيمها للمتقين ، ووصف الجنة ، وأنهارها وأشجارها، وثمارها وحورها وولدانها ، ورضوان الله فيها ، ترغيبا للناس في نعيمها .

كما وصف القرآن الثّار ولهيبها ، ويحمومها وغسلينها ، وعذاب أهلُها ، وغضب الجبار على الكافرين والمنافقين ، حتى يهدهد كبرياء المحالين ، ويضم الحقيقة كاملة أمام الإنسان في هذه الدنيا ، فلا يحتج يوم القيامة بأن الرُّسل لم تبلُّغه ، وأن الكتب السماوية لم تصف له عذاب الأخرة حتى يأخذ حذره ويفيق من

قال تعالى : وَلُوْ أَلْنَا أَهْلَكُنْهُم بِعَدَابٍ مِّن قَلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَاَ ارْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَشِيعَ عَلَيْتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ لُلِلَّ وَلَحْرَىٰ . (هد : ١٣٤) .

والأصل أن القرآن تذكرة للراغب في الجنة ، وتحذير للكافر بالنار ، لكنه هنا ذكر التذكير بالقرآن لمن يخاف وعيد الله ، في مجابهة المشركين والكافرين .

قال تعالى : بَشِيرًا وَلَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . (فصلت: ٤) .

وقــال عـن شأنـه : يَـَـَالَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْتُـلْكَ شَلْهِمُا وَنُبَشِّرًا وَلَلْبِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْبِهِ وَسِرَاجًا شَيرًا . (الأحداب: ٤٥، ٤٥)

وقال تعالى : وَكَلَالِكَ أَنزَلْتُكُ قُومَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّلْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَهُمْ يَتَقُونَ أَوْ يَحْدِثُ ثَهُمْ ذِكْرًا . (طه: ۱۹۲)

وكان قتادة يقول :

اللهم اجعلنا ممن يشاف وعيدك ، ويرجو موعودك ، يا بارٌ يا رحيم .

ونحن نقول معه ذلك إلى الأبد.

اللهم ارزقنا الجنة ، وما قرب إليها من قرل وعمل ، اللهم رينا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقرا ومقاما ، اللهم لجمل عملنا خالصا لوجهك ، اللهم إنا نعرذ بك أن نشرك بك مثينا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه ، رينا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، وصلً اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحيه وسلم .

خلاصة ما اشتملت عليه سورة قّ

١ - إنكار المشركين للنبوة والبعث.

٢ - الحث على النظر في السماء وزينتها ويهجة بنائها ، وفي الأرض وجبالها وزروعها وأمطارها.

٣ - الاعتبار بالدول الهالكة كعاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبع، وما استحقوا من وعيد وعذاب.

الله هالق الإنسان ، وهو العليم به ويأعماله ، وبيان أنه محوط بالكرام الكاتبين يحصون أعماله ،
 ويرقبون أحواله ، وسيأتيه الموت حتما ، وسيحاسب على كل ما قدم .

ا ه - ما خلق الله السماوات والأرض باطلا.

٦ - القرآن عظة وعبرة لمن كان له قلب واع يستمع ما يلقى إليه سماع متأمل يقظ.

البعث ، وتهديدهم على ذلك.
 البعث ، وتهديدهم على ذلك.

أ ٨ - أمر الرسول ﷺ بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار.

٩ - أمر الرسول ﷺ أن يُذكِّر بالقرآن من يخاف وعيد الله ويخشى عقابه.

* * *

وكان القراغ من تفسير سورة (قّ) عشيّة يوم الاثنين ١٤٢١/٥/٢٨ هـ ، الموافق ٢٠٠٠/٨/٢٨ م بمدينة مرسى مطروح (فندق الأبيّض للقوات المسلحة المصرية) ، جمهورية مصر العربية .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصل اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



أهبداف سبورة الذاريبات

سورة مكية ، وآياتها ٩٠ آية ، نزلت بعد سورة الأحقاف

معائى السورة

بدأت السورة بهذا القسم:

وَآللَّا رِيَسْتِ ذَرُوًا ﴿ فَٱلْحَسْمِلُسْتِ وِقْوًا ﴿ فَٱلْجَسْمِيلَ اِيسُوًا ﴿ فَٱلْفَقَسْمُسْتِ أَمْرًا ﴿ إِنَّا تُوعَفُونَ لَصَادِقَ ﴿ وَإِنَّ آلَكُينَ لَوَالِمَّ ﴿ (العَادِياتِ ١ - ١ ﴾ .

وهي كلمات غير مطروقة وغير متداولة ، وقد سئل الإمام على رضى الله عنه ، عن معنى قوله تعالى: وُآلَّذَا رِيَّلْتِ وُرُّوًا . فقال رضى الله عنه : هى الربح ، فسئل عن : فَٱلْحَلْمِلْتَ وِقُرًا . فقال : هى السحاب ، فسئل عن : فَٱلْجَلْرِيْلْتَ يُسِّرًا . فقال : هى السفن ، فسئل عن : فَٱلْمُفَسَّمَّتُ أَمْرًا . فقال : هى الملائكة .

وَٱللَّارِيَكْتِ فَرُواً . هي الربح التي تذرو التراب وغيره ، فَالْحَنْمِكْتِ وِلْوَا . أَى : السحب الحاملة المطر، والوقر : الحمل الثقيل ، فَالْجَنْرِيُنْتِ يُسْرًا . أَى : السفن الجارية في البحر جريًا سهلاً ، فَالْمُفَسَّمَنْتِ أَمْرًا . أَى : الملائكة التي تلسم وتورَع أمور الله من الأمطار والأرزاق وغيرها .

لقد أقسم الله بالريح وبالسحب وبالسفن ويالملائكة ، وفي هذا القسم ما يوحى بأن الرزق بيد الله ، فهو الذي يسوق السحاب ، وهو الذي يسخر الريح للسفن ، وهو الذي جعل الملائكة أصنافًا تقسم الأمور ، فالخلق البديع المنظم وراءه قوة عليا مبدعة ، وهو سبحانه قد وعد الناس أن يجازيهم بالإحسان إحسافًا، وبالسوء سوءًا ، ورعده واقع لا محالة .

و السّمآء ذَاتِ اللّمَائِكِ . (الذاريات: ٧) . الحبك بضمتين : جمع حبيكة ، وهى الطريق ومدار الكواكب ،
والمراد الطرائق التى هى مسير الأجرام السماوية من نجوم وكواكب ، يقسم الله بالسماء المتسقة المحكمة أ
الترتيب ، بما فيها من نجوم وكواكب تسلك طريقها مسرعة في مجراتها العظيمة بنظام دقيق وإبداع شامل،
على أن المشركين يخوضون في حديث باطل وقول متناقض مضطرب ، فصنع الله محكم ، وعمل الكافرين

باطل مضطرب فتراهم حيثًا يقولون عن النهى : إنه شاعر ، وتارة يقولون : ساحر ، ومرة ثالثة يقولون: مجنون ، وهذا دليل على التخبط وفساد الرأى .

وقد رسمت السورة صورة الكافرين يذوقون عذاب جهذم ، ويقال لهم : فُولُواْ فِتَتَكُمُ هَمُذَا ٱلَّذِي كُتُمْ بِهِ تَسْتَعْجُلُونَ ، (الداريات: ١٤).

أى : تعرضوا لعذاب النار ، وقد كنتم تستعجلون مجيئه استهزاء بأمره واستبعادًا لوقوعه .

وعلى الضفة الأخرى ، وفي الصفحة المقابلة ، يرتسم مشهد أخر لفريق أخر ، فريق مستيقن بالأخرة، مستيقظ للعمل الصالح، فريق المتقين الذين أدرا حقوق الله بالصلاة وقيام الليل ، وأدرا حقوق الناس بالزكاة والصدقة .

آيات الله في الأرض والسماء

تشير الآية المشرون إلى آثار قدرة الله في خلق الأرض ، فيقول سبحانه : رفي آلاً رض وَاللّمَت للمُولِينَ.

(الداريات: ٢٠) . وإذا تأملنا مضمون مذه الآية رجدنا أن هذا الكوكب الذي نعيش عليه مغرض هائل لآيات

للله وعجائب صنعته ، هذه الأرض تكاد تنفرد باستعدادها لاستقبال هذا النوع من الحياة وحضائته ، ولو

اختلت خصيصة واحدة من خصائص الأرض الكثيرة جدًّا لتعذر وجود هذا النوع من الحياة عليها .. ولو تغير

حجمها صغراً أو كبراً ، لو تغير وضعها من الشمس قرياً أو بعدًا ، لو تغير حجم الشمس ودرجة حرارتها ، لو

تغير ميل الأرض على محورها هنا أو هنا ، لو تغيرت حركتها حول نفسها أو حول الشمس سرعة أو بطئًا ،

لو تغير حجم القمر أو بعده عنها ، لو تغيرت نسبة الماء إلى اليابس فيها زيادة أو نقصا .. لو .. لو .. لو . إلى

آلاف الموافقات العجيبة المعروفة والمجهولة التي تتحكم في صلاحيتها لاستقبال هذا النوع من الحياة

ورتنوع مشاهد هذه الأرض ومناظرها ، حيثما امتد الطرف ، وحيثما تنقلت القدم ، وعجاتب هذه المساهد التي لا تنفد : من وابر وجبل ، ووهاد وبطاح ، ويحار ويحيرات ، وأنهار وغدران ، وقطع متجاورات، وجنات وأعناب ، وزرع ونغيل صنوان وغير صنوان .. وكل مشهد من هذه المشاهد تتناوله يد الإبداع والتغيير الدائبة التي لا تقتر عن الإبداع والتغيير الدائبة التي الا تقتر عن الإبداع والتغيير الدائبة التي الإبداع والتغيير الدائبة التي لا تقتر عن الإبداع والتغيير الدائبة التي الإبداع والتغيير الدائبة التي لا تقتر عن الإبداع والتغيير الدائبة التي الإبداع والتغيير الدائبة التي لا تقتر عن الإبداع والتغيير الدائبة التي الإبداع والتغيير الدائبة التي الإبداع الدائبة التي الإبداع والتغيير الدائبة التي لا تقتر عن الإبداع والتغيير الدائبة التي الدائبة التي لا تقتر عن الإبداع والتغير الدائبة التي الإبداع الدائبة التي الدائبة التي الدائبة التي الدائبة التي الدائبة التي الإبداع والتغيير الدائبة التي الإبداع والتغير الدائبة التي الدائبة التي الدائبة التي الإبداع التي الدائبة التي الإبداع الدائبة الدائبة التي الإبداع الدائبة الدائبة التي الإبداع الدائبة ا

وَفِيَّ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . (الذاريات: ٢١) .

خلق الله الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وشق له السمع والبصر ، وزوده بالحواس المتعددة ووسائل الإدراك المختلفة . «وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير ، تكوين أعضائه وتوزيعها ,
وظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف ، عملية الهضم والامتصاص ، عملية التنفس والاحتراق ، دورة الدم
في القلب والعروق، الجهاز العصبي وتركيبه وإدارته للجسم، الغدد وإفرازها وعلاقتها بندو الجسد وانتظامه،
تناسق هذه الأجهزة كلها وتعارفها وتجاوبها الكامل الدقيق ، وكل عجيبة من هذه تنطوى تحتها عجائب.
وفي كل عضو وكل جزء من عضو خارقة تحير الألباب، أسناً.

وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . (الذاريات: ٢٢) .

فبيد الله الخلق والرزق والهدى والضلال ، وأرزاق السماء تشمل الأرزاق المادية والمعنوية .

وفي السماء أسباب أقواتكم ، فالظواهر الفلكية ، وجريان الشعوس والكراكب رتوابعها ، واعتلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، ويث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، كل هذه الظواهر ذللها الله لخدمة الإنسان ، فليس الرزق موقوفًا على شيء يتعلق بالأرض وحدها ، بل الأمر كله لله تعالى ، يقبض ويبسط، وإليه المآب، "٣٠".

ثم يعقب الله بالقسم: بحق رب الأرض والسماء إن هذا الأمر لحق مثل نطقكم ، فهل تشكون في أنكم تنطقون؟

قصة إبراهيم

يشتمل القطاع الثاني من سورة (الذاريات) على الإشارة إلى قصص إبراهيم ولوط وموسى ، وعاد قوم هود ، وثمود قوم صالح ، ثم آية واحدة عن قوم نوح ، وهذا القصص مرتبط بما قبله ، ومرتبط بما بعده في سياق السورة .

وإبراهيم أبو البش اتخذه الله خليلا ، وأرسل إليه ملائكة مكرمين ، فأكرم الخليل وفادتهم ، وقرب لهم عجلاً سمينًا ودعاهم للأكل منه ، ولكنهم أمسكوا عن الطعام ، فخاف منهم إبراهيم فلما شاهدوا خوفه أخبروه بأنهم ملائكة من السماء أرسلهم الله إليه ، ثم بشروه بغلام حليم .

وأقبلت زرجته ، وقد استولى عليها هول المفاجأة ، فضريت وجهها بأطراف أصابعها ، وصاحت متعجبة من الحمل وهى عجوز عقيم ، فأخبرتها الملائكة بأنه لا وجه إلمجب فذلك أمر الله ، وهو الحكيم في أعماله ، الغليم بعباده .

قصة لهط

واتجهت الملائكة بعد ذلك إلى لوط عليه السلام ، فلما رآهم لوط أنكرهم وضاق بهم ذرعًا ، فقالت له الملائكة : يا لوط ، إنا رسل ريك ، جتنا لإنقائك ومن معك من المرّمنين ، فأسر بأهلك في ظلام الليل ، ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فقد حقت عليها كلمة العذاب مثل هزلاء الظالمين .

ولم تجد الملائكة في قرى قوم لوط غير أهل بيت واحد من المسلمين هو لوط وابنتاه .

ولما خرج لرط وابنتاه ، جعل الله ديارهم عاليها سافلها ، وساق إليهم عاصفة رعدية أمطرتهم بحجارة مسمومة ، استأمنات شأفتهم وتركتهم أثرًا بعد عين ، وجعلهم الله عظة وعبرة للمعتبرين .

إشارات إلى قصص الأنبياء

أشارت الآيات (٣٨ - ٤٦) : من العبرة والمثلة من قصة موسى ، ومن قصص غيره من الأنبياء في لمحة عاحلة .

لقد أرسل الله موسى – ومعه سلطان الهيبة وجلال النبوة – إلى فرعون وملثه ، فأعرض فرعون عن موسى واتهمه بالسحر والجنون ، فأغرق الله فرعون وجنده فى البحر ، وألبسه ثوب الخزى والندم .

وأية أخرى في عاد قوم نبى الله هود ، حين كذبوا نبيهم فأرسل الله عليهم ريحًا عاتية تحمل العذاب والدمار .

وآية ثالثة في ثمود ، أمهلهم الله ثلاثة أيام ، ثم أرسل عليهم صاعقة فأصبحوا هالكين .

والحجارة التى أرسلت على قوم لوط ، والريح التى أرسلت على عاد ، والصاعقة التى أرسلت على ثمود، كلها قوى كرنية مدبرة بأمر الله ، مسخرة بمشيئته ونواميسه ، يسلطها على من يشاء فى إطار تلك النواميس ، فتؤدى دورها الذى يكلفها الله كأى جند من جند الله .

أية رابعة في قوم نوح ، فقد أهلكوا وأغرقوا لفسوقهم وكفرهم وخروجهم على طاعة الله .

وللتنبيه إلى يدائع صنعه إيقاغًا للعاطفة الدينية ، عاد فذكر أنه رفع السماء ووسعها ، وخلق الأرض ومهدها ، وأعدها لما عليها من الكائنات ، ومن كل شيء في هذه الأرض خلقنا ذكرًا وأنثى ليكون ذلك وسيلة للعظة والاعتبار . ثم يحث القرآن الناس على أن يتخلصوا من آثار المادة والهوى والشيطان ، فرارا بدينهم ، وطمعًا في رحمة خالقهم ، ورغبة في حماه وفضله ؛ فَقُرُرُ إِنِّي ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِنَّهُ بَلْيرٌ فُسِنَّ . (الذاريات: ٥٠) .

وتكشف الآيات عن طبيعة المعاندين في جميع العصور ، فقد كذبوا الرسل واتهموهم بالجنون أن بالسحر كأنما وصنّى السابق منهم اللاحق ، وكأن الكفر في طبيعته ملة واحدة ، والرسالات كلها فكرة واحدة ، فمن كذب برسول واحد فكأنما كذب برسل الله أجمعين .

كَذَا لِكَ مَا أَتَى ٱللَّهِينَ مِن قَبْلِهِم مَّن رَّسُولِ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ه أَتَوَاصَوْاْ بِه بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاهُونَ . كذا لِكَ مَا أَتَى ٱللَّهِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولِ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ه أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاهُونَ .

ختام السورة

هذه السورة تربط القلب البشرى بالله ، وترشده إلى عظيم صنعه ، وفى ختام السورة يؤكد الله هذا المعنى فيبين أنه ما خاق الجن والإنس إلا ليعرفوه ويوحدوه ويؤمنوا به ، فهو سبحانه وتعالى غنى بذاته، وهم فى حاجة وافتقار إليه .

إن معنى العبادة هي الخلافة في الأرض ، وهي غاية الوجود الإنساني ، وهي أوسع وأشمل من مجرد الشمار ، و تتمثل حقيقة العبادة في أمرين رئيسيين :

الأول : هو استقرار معنى العبردية لله في النفس ، أي استقرار الشعور بأنه ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعهود ، وإلا رب واحد والكل له عبيد .

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة.

بهذا وذاك يتحقق معنى العبادة ، ويصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض ، وعمارة الأرض ، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله كالمسبد على الشدائد والرضا بقدر الله ، كلها عبادة، وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها ، وكلها خضوع للناموس العام الذي يتمثل في عبودية كل شيء لله دون سواه .

والعؤمن الحق هو الحريص على أداء واجباته ومرضاة ربه ، وهو لا يعنى نفسه بأداء الواجبات تحقيقًا لمعنى العبادة في الأداء ، أما الغايات فموكولة لله يأتي بها وفق قدره الذي يريده .

إن الله تعالى لم يخلق الجن والإنس ليستعين بهم لجلب منفعة لذاته أو لدفع مضرة ، وما يريد الله منهم أن يرزقوا أحدًا من خلقه أو يطعموه ، إن الله سبحانه وتعالى هو الكفيل برزقهم ، والمتفضل عليهم بما يقوم بمعيشتهم ، وهو سبحانه ذو القدرة والقوة ، وهو الغالب على أمره فلا يعجزه شيء . وفى ضوء هذه الحقيقة ينذر الذين ظلموا فلم يؤمنوا بأن لهم نصيبًا من العذاب مثل نصيب من سبقهم من الظالمين ، فالله يمهل ولا يهمل ، وتختتم السورة بهذا الإنذار الأخير : قَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مُثْلً ذُوبٍ أَصْحَرْبِهِمْ فَلاَ يُسْتَصْوِلُونِهِ هَوَيْلً لِلَّذِينَ كَفُرُواْ مِن يُؤْمِهِمْ اللَّذِي يُوعَلُونَ . (الذاريات : ٥٠ . ٢٠).

المعنى الإجمالي للسورة

قال الفيروزبادى :

معظم مقصود سورة الذاريات ما يأتى: القسم بأن البعث والقيامة حق ، والإشارة إلى عذاب ألهل الضيافة ، وملاك قوم لوط الضيافة ، وحجة الوحدانية ، وكرامة إبراهيم في باب الضيافة ، وملاك قوم لوط وفرعون وقومة لمخالفتهم أمر الله ، وتدمير عاد وثمود وقوم نوح وخسرانهم ، وخلق السماوات والأرض للنقع والإغادة ، وذوجية المخلوقات للدلالة على قدرة الخالق ، وتطليق الطلق الأجل العبادة ، واستحقاق المذكون للعذاب والمقوية ""؟

قسم ووعيد



﴿ وَالذَّرِيَنِ ذَرُوا ۞ فَالْمَيلَتِ وِقَرَا ۞ فَالْمَنْوِينَتِ يُسَرُّ ۞ فَالْمُقَسَّمَنِ اَمَّرًا۞ إِنَّاقُومَتُونَ لَمَهَادِقٌ ۞ وَإِنَّ النِّيْنَ لَافِعٌ ۞ وَاسْمَاءَ ذَبِ الْمُبُكِ ۞ إِذَّكُمْ لَفِ فَوْلِ عُنْلَفِ۞ يُوْفُكُ عَنْهُ مَنْ أَوْكَ ۞ فُولَ الْمَدَّرَصُونَ۞ الَّذِينَ هُمْ فِخَرُوَسَاهُونَ۞ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَرَمُ الذِينِ۞ يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِيُفَنَنُونَ۞ ذُوقُواْ فِنْنَتَكُرُ هَذَا الَّذِي كُنُمُ بِمِنَّ مَعْجُونَ۞ ﴾

المفردات :

السيداريسات ، الرياح تذرق التراب وغيره ، أي : تفرَّقه .

التصاملات وقراء السحب المثقلة بمياه الأمطار.

هالمقسمات أمرا : الملائكة التى تنقذ أوامر الله وقضاءه ، أو الرياح التى تقسم الأمطار بتصريف السحاب . إشما تسومدون : هو البعث والحشر والحساب والجزاء .

وإن الدين ثواقع ، وإن الجزاء لحاصل .

المحكم المسك، طرائق النجوم ، واحدها حبيكة .

يسؤفك عستسه ، يصرف عنه - أي بسبه - من صرف عن الإيمان .

المخبرًا محون ؛ الكذَّابون من أصداب القول المختلف.

فسي غسمسرة؛ في لجَّة تغمرهم ، وجهل يشلهم شمول الماء الغامر .

__اهـ_ون ؛ غافلون عما أمروا به .

أيان يوم الدين ، متى يوم الجزاء ، من : بنتُه ، أي : جازيته .

يسقستستسون ؛ يحرقون ، وأصل الفتنة : عرض المعدن على النار لتظهر جودته ، فاستعمل في الإحراق والتعذيب .

فتنتكم ، عذابكم المعدُّ لكم .

تمهيده

كانت العرب تحترز عن اليمين الكاذبة ، وترى أنها تدع الديار بلاقع ، وقد جرى النبي ﷺ على نهجهم فحلف بكل شريف ، وكانوا يعلمون أنه لا يحلف إلا صادقًا .

وقد جاء القسم في صدر بعض السور لإثبات أحد الأصول الثلاثة :

- (أ) الرحدانية .
- (ب) رسالة محمد ﷺ .
- (جـ) البعث والحشر والجزاء.

فغى سورة الصافات كان القسم لإثباث وحداثية الله ، حيث قال سبحانه : إِنَّ إِلَّنْهَكُمْ لَوَحِدٌ. (الصافات: ٤)

وفي سورتي النجم والضمي لإثبات صدق رسالة محمد ﷺ.

حيث قال سبحانه : وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى ْهَ مَا صَلَّ صَاحِيتُكُمْ وَمَا غَوَى ْهِ وَمَا يَسِطِنُ عَنِ ٱلْهَوَى ْ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحَيْ يُوسَى (اللجم : ١ – ٤) .

وقال تعالى : وَٱلصُّحَىٰ * وَٱلْيُل إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدُّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ . (الضحى: ١ - ٣).

وأقسم في سور كليرة على إثبات البعث والجزاء ، مثل : الذاريات ، والطور ، والموسلات ، والنازعات. والعاديات .

التفسير:

٩،٥،٤،٣،٣،١ – وَآلَدُّ رِيَنْتَ ذَوُا ۽ فَالْخَنْطِلْتِ وِلْرًا ءَ فَالْجَنْوِيْلْتِ يُسْرًا ءَ فَالْفَفَسَمُلْتِ أَشْرًا ءَ إِنَّهَا تُوعَدُونَ لَصَادِقَةَ ءَ رَإِنَّ ٱللَّذِينَ لَوَافَعُ .

هذا القسم يأخذ بالألباب ، في رشاقة ويسر وتناسق ، وقد ثبت من غير وجه عن أمير المؤمنين على البن أبي طال الله البن أبي طالبي ، أنه صعد منبر الكرفة ، فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله ، ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك ، فقال إليه ابن الكرَّاء فقال : يا أمير المؤمنين ، ما معنى قوله تعالى :

وَٱللَّهُ رِيَالِتِ فَرْوًا. قال عليُّ : الريح .

قال: فَٱلْحُلْمِلُكِ وَقُرًّا. قال: السحاب.

قال : فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْرًا . قال : السُّفن ،

قال: فَٱلْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا . قال الملائكة .

ه الله تعالى بدأ السورة بالقسم بالريح ، التي تذرو الرياح ، وتثير السحاب ، وتهز البحار والأمواج . وتلقّح النبات ، كما أقسم بالسحاب المثقل بالأمطار ، الذي يوزعه الله على عباده .

قال تعالى : ٱللّٰهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرَّيْحَ فَشِيرُ سَحَانا فَيَبْسُطُهُ, فِي ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجَعَلُهُ, كِسَفًا فَعَرَى ٱلْوَفْقَ يَعْرُجُ مِنْ خِلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ حَيَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُولَ . (الديم: ٤٨) .

وأنسم سبحانه بالسفن الجاريات في البحر كالأعلام ، التي تنقل البضائع والتجارة والأشخاص من يلد لأخر، في سهولة ويسر.

وأقسم عز شأنه بصنوف الملائكة ، ومنهم الموكلون بالأبرزاق ، وتوزيع الأمطار والخيرات بأمر الله تعالى ومشيئته .

قال تعالى : قُلْوِاللَّهُمُّ مَسْلِكَ الْمُلْكِ تُولِي الْمُلْكِ مَن مَثَاءً وَعَوِجُ الْمُلْكِ مِيْن مَثَاءً وَتُعِلُّ مَن مَشَاءُ بِيَعِكَ الْحَيْرُ إِلْكَ عَلَى كُلِّ هَيْءٍ قَلِيرٌ * تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَانولِجُ النَّهَارَ فِي الْقِيلُ وَتُعْرِجُ الْمَحَىِّ مِنَ الْمَهَّتِ وَتُعْرِجُ الْمُيَّتِ مِنَ الْمَحَىِّ وَقَرُونُ مَن تَشَاءً بِعَيْرٍ حِسَاسٍ . (ل عدول : ٢٧ . ٢٧) .

وكان من دعاء الرسول ﷺ عند تلاوة هذه الآية : «اللهم ارزقنا وأنت خير الرازقين ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» .

رأي آخر في تفسير الذاريات

من المفسرين من ذهب إلى أن القسم في صدر السورة للرياح وذروها للتراب ، وحملها السُّحاب وجربها في الهواء ييسر وسهولة ، وتقسيمها الأمطار .

جواب القسم

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقعٌ .

أى: إن ما توعدون من أمر البعث والحشر والجزاء والجنة والنار لصادق ثابت ، لا مجال للريب فيه .

رَإِنَّ ٱللَّذِينَ لَوَاقِعٌ .

الدِّين هو الجزاء يوم القيامة ، من دنتُه ، أي: جازيته ، وفي سورة الفاتحة : مَللِكِ يُوْمِ ٱلنَّيْنِ . وفي قراءة : مَلِمُكِينَمُ ٱلنَّيْنِ .

فهو سنحانه المالك وحده ليوم القيامة ، وينادى سبحانه : لَمَنِ ٱلْمُلِّكُ ٱلْيُرْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ . (غافر: ١٦).

فلابد من يوم تدين فيه الناس لرب العالمين ، وينالون ما يستحقون من جزاء عادل ، قال ﷺ: ، «والذى نفس محمد بيده ، للموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستهقتلون ، ولتحاسبنَ على ما تعملون ، ولتجزين بالإحسان إحسانا ، وياالسوم سوءا ، وإنها لجنة أبدا ، أو لنار أبداء .

٩،٨،٧ - وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ وِ إِنْكُمْ لَفِي قَوْل مُخْتَلِفِ و يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ .

ٱلْحُبُكِ: طرائق النجوم .

وقال إن عبَّاس وغيره : ذات الخلق المستوى الجيد ، من قولهم : حيكت الشيء ، أي : أحكمته وأحسنت عمله . .

والمعنى:

والسماء ذات الطرق المختلفة لمسيرة النجوم ، في خلق مستدٍ ، وزينة منتشرة في نواحيها ، أو والسماء ذات البهاء والجمال ، والحسن والاستواء .

وإذا تأملت في هذا القسم وجدت أنه لا مانع من اجتماع التفسيرين ، فالله يُقْسم بالسماء ذات الطرق المتعددة للنجوم ، وإلسماء أيضًا ذات جمال ويهاء وزينة ، وامتداد يماذُ الأفق .

قال تعالى: وَأَنْهُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَم إِلسَّمَاءُ بَنْهُا و رَفَعَ سَمْكُهَا فَسُوَّتُهَا و وَأَغْطَشَ لَيُلُهَا وأَخْرَجَ ضُحَلْهَا.

(النازعات : ۲۷ – ۲۹)

إِنْكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ .

إنكم معشر المشركين في قول مختلف مضطرب ، لا يلتئم ولا يجتمع ، حينًا تقولون . محمد شاعر ، وحينًا تقولون : هو كاهن ، وحينًا ثالتًا تقولون : هو مجنون ، وحينًا رابعًا تقولون : هو كذَّاب ، وحينًا خامسًا تقولون : مُتَقُولُ ينقل أساطير الأولين ، وينسبها إلى الله ادعاء ، وتقولون عن القرآن : إنَّه سحر ، ثم تقولون . هو شعر ، ثم تقولون تشعر ، ثم تقولون تشعر ، ثم تقولون : هو كهانة ، وهو دليل حيرتكم واضطرابكم وانتقالكم من رأى إلى آخر بدون تثبّت واستقرار . انظر إلى قوله تعالى : بَلُ قَالُوٓاْ أَضْفَلْتُ أَخَلَهِم بَلِ ٱلْقَرَلَهُ بَلَ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِقَايَةٍ كَمَآ أُرْسِلُ ٱلْأَوْلُونَ . (الأنبياء: ٥)

فهم حياري يبحثون عن أيُّ عيب ليلصقوه بالقرآن ، أو برسول الله ﷺ .

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ .

يمسرف عنه - أي . عن القرآن ، أو عن الرسول ﷺ - من صرفه الله عن الخير ، فصار محرومًا من هداية القرآن ، أو من التصديق بمحمد ﷺ ، أي من حرم من هداية القرآن ، ونور الإسلام ، وإرشاد محمد ﷺ. فهو المحروم حقًا ، المصروف عن الشهر .

١ - أَقْتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ .

لُبِن هؤلاء الكذابون الذين افتروا على القرآن الكذب، وعلى الرسول التُّهم الكاذبة.

جاء في القاموس:

قُبِلَ ٱلْإِنسَانُ مَا أَكُفَرَهُ. (عيس: ١٧) . أي : لعن ، قَاعَلَهُمُ ٱللَّهُ ... (التوبة: ٣٠) . أي : لعنهم :

فالآية دعاء عليهم ، جزاء تخرُّصهم الكذب ، والافتراء على القرآن وعلى النبي على .

١١ – ٱلَّذِينَ هُمُّ لِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ .

الذين هم في غمرة وشدّة وجهل عموق ، وغفلة عظيمة عما أمروا به ، لقد جامهم نباً عظيم من رسالة ورسول ، فتهاوتوا بهما ، واختلقوا الأقاويل في تكذيبهما ، وأصابتهم غفلة غمرتهم ، كما يغمر الماء ما تحته، فغفلوا عن هذا الدين مع أهميته وفضله .

١٧ - يَسْقَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ .

يسألون سؤال استبعاد واستنكار واستهزاء: متى يجيء يوم القيامة الذى تخوفوننا به ؟

ثم فاجأهم القرآن بالجواب المُفْرَى ، فقال :

١٣ – يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَتُونَ .

أى : سيكون هذا اليوم – يوم الدُين – يوم يوضعون فى النار فتحرقهم وتفتنهم ، كمًّا يوضع الذهب فى النار لفتنته واختبار الصحيح من المفشوش ، نعاملهم معاملة المختبر . قال عكرمة : ألم تر أن الذهب إذا أنخل النار قبل فُينَ ، فهولاء يفتنون بالإحراق ، كما يفتن الذهب لاظهار حقيقته ، ويقول لهم خزنة حهد امتهانًا وتبكتنا :

٤ ٩ – ذُولُواْ فِتْنَتَّكُمْ هَـٰلَـا ٱلَّذِى كُتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ .

أى : ذوقوا هذا الحذاب الذي كنتم تستعجلون وقوعه استهزام ، وتظنون أنه بعيد الوقوع ، فقد حاق بكم ما كنتم به تستهزئون .

صفات المتقين

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّنْتِ وَعُمُونِ ۞ مَنِينِينَ مَا مَانَىهُمْ رَثُهُمُ ۚ إِنَّهُمُ كَانُواْ فَلَ ثَلِكَ تُعْسِنِينَ ۞ كَانُواْ فَلِيكُمْ اَلَّهُمْ رَثُهُمُ ۚ إِنَّهُمُ كَانُواْ فَكُمْ سَتَغَفِّرُونَ ۞ وَفِي ٱمْوَلِهِمْ حَقَّ لِلسَّالِمِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَفِي ٱلْأَرْضِ مَائِثُ لِلْمُونِينَ ۞ وَفِيّ ٱلْفُسِكُمُّ أَفَلَا ثُبْصِرُونَ۞ وَفِي الشَمَا وَمَا تُوَعَدُونَ ۞ فَوَرَبِ الشَمَاةِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَهُونَيْ أَنْهُ لِمَقْلَ مَا الْكَثْمُ تَطِفُونَ ۞

المطردات:

هي جنات وصيون ، في بساتين تجري من تحتها الأنهار.

آخذين ما آتاهم ربهم؛ قابلين ما أعطاهم ربّهم ، راشين به .

محست مجوّدين لأعمالهم.

يه جوع : النوم ليلاً.

العب ... الأحمل و المستحدي الطالب العطاء .

الـــهـــحـــروم؛ هو المتعفف الذي يحسبه الجاهل غنيًّا ، فيُحرم الصدقة من أكثر الناس.

الماء ... والنبات والحيوان والماء ...

ومساتسوعسدون ، والذي توعدونه من خير وشر .

تمهيده

فى مطلع السورة قسم بمظاهر القدرة الإلهية على وحدانية الله ، وبيان تعنت المستركين واضطرابهم. وتشككهم فى البعث ، وعقابهم فى جهنم ، وهنا يذكر المتقين وصفاتهم الكريمة ، من اليقين والالتزام بما أمر به الله تعالى ، وقيامهم الليل راكعين ساجدين ، واستغفارهم بالأسحار ، وإخراجهم زكاة أموالهم ، ورعايتهم للقفراء والمتعففين عن السؤال ، وتفكّرهم فى آيات الله فى الأرض والبحار والأنهار ، وارتفاع البابسة عن الماء ، وفى خلق الإنسان وعجائب تكوينه ، وفى السماء وما فيها من الأمطار والأرزاق ، ثم يقسم الحق بنفسه ، إن ذلك حق واقع ، مثل نطقكم وكلامكم .

التفسيره

١٥ ، ١٩ - إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونِ هِ ءَاخِلِينَ مَا ءَاتَلُهُمْ رَأَتُهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَالِكَ مُحْسِنِينَ .

يأتى الحديث عن المتقين بعد الحديث عن المكنّبين ، وفى الحديث عن المتقين تجد نعمة الرّضا والتكريم ، فهم فى جنات ناضرة ، فيها الزروع والثمار ، والبساتين وألوان النعيم ، وفيها عيون تجرى بالماء زيادة فى التكريم .

ءَاخِلِينَ مَا ءَاتَنْهُمْ رَبُّهُمْ ...

لقد أعطاهم الله نعيم الجنة ، ورضوانها وهناءها ، مع الخلود والحسنى وزيادة ، ثم إن هذا المطاه من الله ، من ربّهم الذى يرعاهم ويكرمهم ، ويعطف عليهم ويزيدهم من فضله ، وعطاء الكريم العظيم لا يكون إلا كريمًا وعظيمًا .

إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَالِكَ مُحْسِنِينَ .

أي: لقد أحسدًا إليهم في الآخرة لإحسانهم العمل في الدنيا .

قال تعالى : هَلُ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلاَّ ٱلْإِحْسَانُ . (الرحمن : ٦٠).

وقال سبحانه وتعالى : كُلُواْ وَآشْرَبُواْ هَنِيتَنَّا بِمَا أَسْلَقُتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْحَالِيَّةِ . (الحاقة : ٢٤) .

١٨ ، ١٧ - كَانُواْ قَلِيلاً مِنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبَٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .

تركوا الذوم بالليل ، وقاموا متطهرين يناجون ربُهم في فك رقابهم ، واقفين على أقدامهم ، عابدين لربهم ، قارئين لكتاب الله ، إذا جاء ذكر الجنة طارت نفوسهم شوقًا إليها ، وإذا جاء ذكر النار اشتد خوفهم من عذابها . وعن أنس قال: كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء.

وقد وصفهم القرآن الكريم بالنشاط في الصلاة والزكاة.

قال سبحانه وتحالى: تَتَجَالَىٰ جُنُّرِيُهُمْ عَنِ ٱلْمُصَاحِعِ يَلْعُونُ رَبَّهُمْ عَوْلًا وَطَمَّا وَمِمَّا رَزَقْتُهُمْ يُنِفُونَ . فَلاَ تَعَلَمُ نَصْنُ مَّنَا أَخْيِنَ لَهُم مِّن لُورُةٍ أَعْنِي جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . (السِيدة ١٦٠ . ١٧) .

وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .

في السدس الأخير من الليل ينشغلون بالاستغفار.

قال تعالى : رُٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ . (ال عمران: ١٧) .

وفي الحديث المحميح يقول النبي ﷺ: «ينزل ربُّنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فينادى : يا عبادى ، هل من داع فاستجيبْ له ، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأنوب عليه، هل من طالب حاجة فأقضيها له ، حتى يطلع الفجر» ⁰⁻⁹ .

وقال ﷺ: «من لزم الاستففار جعل الله له من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب، ٢٠٠١ .

وقد بين القرآن الكريم أن الاستغفار سبب في سعة الرزق ، والإمداد بالمال والبنين ، وتيسير المطر والبركة ، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : فَقُلْتُ آسْتَغْفِرُواْ وَيَكُمْ إِنَّهُ كَانَ فَقَارًا ، وُرْسِلِ ٱلسَّمَّاءَ عَلَيْكُم مُذْرَارًا » وَيُمِّدِدُكُم بِأَمْوَال وَيُبِينَ وَيُجْفَل لَكُمْ جَنَّسَت وَيَجْفَل لَكُمْ أَنْهَدُرًا . (ونح : ١٠ - ١٠) .

وفى وقت السَّحر ينام الأخرون ، ويجتهد المتقون ، ولذلك مدحهم القرآن بقوله : كَانُواْ قَلِيلاً مَنَ ٱلْتَلِو مَا يَهُمِجُوناً هُ وَبِالْأَسْمَار شُمُهُ يُشْتَعْفُرُونَ .

قال ابن عباس: ما تأتى عليهم ليلة يذامون حتى يصبحوا ، إلا يصلون فهها شيئًا ، إمّا من أولها أو من وسطها .

وقال الحسن البصري:

كابدوا قيام الليل ، فلا ينامون من الليل إلا أقله ، وريما نشطوا فجدُّوا إلى السحر، فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلَّقُواً في ليلهم الجرائم ، فهم متواضعون ، مشفقون من عذاب الله ، راغبون في مغفرته ورضاه .

١٩ – وَفِي ٓ أَمُوا لِهِمْ حَقٌّ لَّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ .

وقد أوجبوا على أنفسهم حقًّا واجبًا للفقير السائل، وللمحروم المتعفف الذي لا يسأل الناس، ويحسب الجاهل بحاله غنيًّا من تعفقه ، فهم مهتمون بسائر أنواع المحتاجين

أخرج أبن جرير ، وابن مردويه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس المسكين الذي ترزّه التمرة والتمرتان ، والأكلة والأكلتان» ، قيل : فمن المسكين ؟ قال : «الذي ليس له ما يغنيه ، ولا يُعلم مكانه فيتصدق عليه ، فذلك المحروم» (١٠٠٠).

. ٢ - وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَنتَ لَلْمُوفِينَ .

كلما مد الإنسان بصره في هذه الأرض وجد أمامه دلائل القدرة الإلهية، أكتب الآن وأمامي بحر ممتد، مهامه عميقة نرقاء ، وأمواجه متتابعة ، ونهايته لا تحيط بها العين ، ثم ترسل الشمس أشعتها على المحيطات والبحار ، فيتصاعد البخر إلى السماء ، ويتكثف السحاب ، وتسوقه الرياح ، ويسقط المطر الذي يروى الإنسان والحيوان والنبات ، وترى ما على الأرض من شمس وقمر ، وليل ونهار ، ويرد وحرّ ، وقصول متتابعة ، فالشتاء والربيع ، والصيف والخريف ، وفي الأرض الجبال والأنهار ، والأشجار والإنسان والحيوان ، وفي الأرض الجبال والأنهار ، والأشجار والإنسان الأمصاب والمعروب وحوش ، ونافع ومؤذ ، وعبر ودلائل لأمصحاب الأنهام والإيمان ، بل في حركة الشمس والقمر والنجوم ، والهواء والفضاء والرياح والأمطار ما ينبئ عن هذه القدرة العالية ، ويرشد إلى آيات تعمّق الإيمان .

قال تعالى : وَكَأَيِّن مِّنْ عَالَةٍ فِي ٱلسَّمَـٰلُواتِ وَٱلْأَرْضِ يُمُوُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعُو طُونَ . (يوسف : ١٠٥).

٢١ – وَفِيَ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْعِيرُونَ .

في تحدد الألوان والأشكال والألسنة والطباع ، وفي تركيب الأعضاء والققرات ، وتعدد الأجهزة في هذا الجسم الإنساني المفاوي ، وإذا تعطل جهاز من الجسم الإنساني العجيب ، فالجهاز الهضمي ، والجهاز العصبي ، والجهاز المفاوي ، وإذا تعطل جهاز من هذه الأجهزة ، أو مفصل من المفاصل ، أو عضو من الأعضاء ، جاء العجز والذلّ ، وإذا شفي المريض زال الكرب وجاء المفرج .

قال تعالى: سَنُرِيهِمْ عَايَاتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَقَبَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... (فصلت: ٥٣).

وقد تقدم العلم ، ورأينا وسمعنا العجب العجاب عن عوالم متعددة في هذا الكون ، ونحن لم نطُّلع على عُشر ما هو موجود في هذا الكون . قال تعالى : فَلاَ أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، (الحاقة : ٣٨ - ٤٠) .

والعجبب أنَّه كلما تقدم العلم لم يصطدم بأى آية من كتاب الله ، بل إن تقدم العلوم يؤكد ما جاء في القرآن، ويبين أنه ليس من صنع بشر ، بل هو تنزيل من حكيم حميد ، فتقدم العلوم اصطدم بأخبار ومعارف كانت مسلَّمة فأسقطها ، وتقدم العلوم وحقائق التاريخ ووثائقه اصطدت بمعارف في التوراة والإنجيل ، لكن تقدم العلوم وحقائق التاريخية ، أن نفسية أن أدبية ، أن غير ذلك وَرَادتُ في القرآن الكريم.

وقد ذكر المستشرق موريس بوكاى ، فى كتابه الذى ترجمته دار المعارف فى مصر ولبنان ، بعنوان (التوراة والإنجيل والقرآن فى ضوء العلم) ، ذكر أن القرآن يتميز بمعلومات عن الكون ونشأته ، وعن الإنسان، وعن الشمس والقمر والنجوم ، والليل والنهار ، والدنيا والآخرة ، لم تصطدم بأى حقيقة علمية ، بل كأن العلم ينزع إلى تأييد القرآن ، كما قبال سبحانه وتعالى : سُنْرِيهِمْ عَانْشِنًا فِي ٱلْآلُولُو وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَى يَتَشَنَّ نُهُمْ أَنْهُ الْمَوْقُ ... (قملت : 97) .

٧٢ - وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ .

في السماء السحاب ، وأسباب المطر من الشمس والقمر والفضاء ، وتتابع الفصول ، وحركة الأرض وتناسق الكون ، كل ذلك يؤدي إلى تكامل الكون ، ويزول المطر وأسباب الرزق ، وإنبات النّبات .

أو أن المعنى: بيد الله الأقدار والأرزاق، وهو مسبب الأسباب، ومقدّر الأقدار، وميسر الأرزاق.

٣٣ - أَوَرَبُّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقَّ مِّنْلَ مَاۤ ٱنْكُمْ تَنطِقُونَ .

أقسم الحق سبحانه وتعالى بنفسه ، على أن الرزق والغيب والقدر بيده ، وذكر المفسرون أن القسم شامل لكل ما تقدم فى هذه السورة من أوّلها .

والمعنى : فورب السماء والأرض ، إن كل ما تقدم فى هذه السورة من أخبار وأحوال ، وأوصاف وتذكير ، حق واقع ، وأمر ثابت لا يرقى إليه شك ، ولا يختلف فى أحقيته أحد ، وكما أنكم لا تشكرن فى أنكم تنطقون ، ينبغى ألاّ تشكرا فى حقيقته ، فهو كما نقول : إن هذا حق مثل ما أنك تبصر وتسمع .

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن الحسن أنه قال فيها : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : «قاتل الله قرمًا أقسم لهم ريّهم ثم لم يصدقوا» .

قصة الخليل إبراهيم

﴿ هَلَ أَنَىكَ حَدِيثُ صَنِيفِ إِنَرِهِيمَ الْمُكْرِمِينَ ﴿ إِذْ دَعَالُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَمَا قَالُم مُنكُرُونَ ۞ فَلَغَ إِلَى آهِ إِلَهِ فَجَابَهِ مِبْلِ سَمِينِ ۞ فَقَرَّبُهُ وَ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ فَأَوْصَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفَّ وَيُشَرُّوهُ بِعُلَيْمٍ عَلِيهِ فَاقَ فَالْمَا أَمْهُ فِي صَرَّةِ فَصَكَّتَ وَجَهَهَا وَقَالَتَ عِمُوزُ عَقِيمٌ ۞ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنّهُ وَهُوا الْحَكِيمُ ٱلْمَلِيمُ ۞ المعقودة والمعقودة والمعقودة والمعقودة والمنافقة المنافقة ا

و هسروخ السي أهسلسه و ذهب اليهم خفية من شيفه .

ســــــهـــــين ، ممتلئ بالشحم واللحم .

شقسرٌ بسه السيسهم ، قدَّمه إليهم .

هاوجس متهم كيفة : أضمر في نفسه الخوف منهم .

امسسسراتسسه : هي سارة ، لما سمعت بشارتهم له .

صــــرة؛ صيحة وضبجة .

قصكت وجهها، ضربت يدها على جبهتها، أو ضحكت، وقالت: يا ويلتاه.

عبجموز عقيم، أنا كبيرة السن لا ألد.

تمهید :

ذلك جانب من قصة الخليل إبراهيم ، صدَّرها الله بالاستفهام ، تشويقًا للنبي ﷺ ، وتفقيمًا لشأن الحديث ، كما تقول لمفاطبك : هل بلغك كذا وكذا ، وأنت تعلم أنه لم يبلغه ، توجيهًا لأنظاره حتى يُصغى إليه ، ويهتم بأمره ، ولو جاء على صورة الخبر لم يكن له من الروعة والجلال مثل ما كان وهو بهذه الممورة، وتنبيها إلى أن الرسول ﷺ لم يعلم به إلا عن طريق الوجى .

التفسيره

٢٤ - قَلُ أَتَلَكَ حَلِيثُ طَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ.

هل بلنك يا محمد نبأ ضيوف إبراهيم المكرمين عند الله ، والمكرمين عند إبراهيم ، حيث أحسن استقبالهم ، وعجًّل ضيافتهم بعجل حنيذ مكتنز لحمًا وشعمًا فتيًّا ، وهو أشهى في الأكل وأفضل .

٥٧ - إِذْ دَحَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَنْهَا قَالَ سَلَنْمٌ قَوْمٌ مُّنكُّرُونَ .

أى: هل أتناك حديث الضيف ، وقت أن دخلوا على إبراهيم بيته ، فبادروه بقولهم : نؤمنك أمانا، ونسلّم عليك سلاماً ، متى لا يروعك ولا يشيفك دخولنا ، فقال ردًّا عليهم : عليكم سلام دائم ، أو أمرى معكم سلام.

قَرْمٌ مُّكَرُّونَ . مجهولون عندى لا أعرفهم ، ولا عهد لى يهم ، ولمل هذا كان تمهيدًا ليتعرف بهم مستقملاً.

٧٦ - فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ.

أى: مال إلى أهله فور دخولهم عليه، وقدُّم لضيوفه عجلاً سمينًا، أنضجه شيًّا.

كما جاء في آية أخرى : فَمَا لَبثُ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَبِيلٍ ، (مود: ١٩) .

أي : شرى على الرضَّف .

٧٧ - فَقُرَّبَهُ رَ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ .

أى: فقدم الطعام إلى ضيوفه ، وعرض عليهم أن يأكثرا ، كما نقدم الطعام إلى الضيف ونقول له : تفضّل اتناوله ، وقد انتظم كلامه وعمله آداب الضيافة ، إذ جاء بطعام من حيث لا يشعرون ، وأنى بأفضل ماله ، وهو عجل فقنّ مشرى ، ووضعه بين أيديهم ، وتلطف فى العرض فقال : ألا تأكلون ؟

٢٨ - فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ...

أي: فأعرضوا عن طعامه ولم يأكلوا، فأضمر في نفسه الخوف منهم ظنًّا منه أن امتناعهم إنما كان

(هود: ۷۰)

لنشَّر يريدونه به (فإن من لم يأكل طعامك لم يحفظ زمامك) وللطعام حرمة ، وفى الإعراض عنه وحشة موجبة لسوء الثانّ ، وقد جاء فى سورة هود : فَلَمَّا رَءَآ أَيْدَيْهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرُهُمْ رَأُوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ...

لكن الملائكة طمأنته:

قَالُواْ لَا تَحَفُّ ...

نحن ملائكة الله جثنا لك بالأمان والبشارة ، وفي آية أخرى : قَالُواْ لاَ تَحَفُ إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ. (هود: ٧٠)

وَيَشَرُوهُ بِغُلَامِ عَلِيمٍ.

فكانت البشارة متضمنة عدة بشارات: فهو غلام ذكر ، يجمع صفات العلم ، ويبلغ مبلغ الرجال ، وينجب ولذًا آخر من صلبه يكون حفيدًا لإبراهيم ، كما جاء في سورة هود : فَيَشَّرُنَلُهَا بِإِسْحَنْقَ وَمِن وَرَآءٍ إِسْحَلْقَ يَقْفُوبُ ، (هود: ٧١).

٧٩ - فَأَقْبَلَتِ آمْرَأَتُهُ, فِي صَوْةٍ فَصَكَّتْ وَجُهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ .

كانت سارة في ناحية من البيت ، فسمعت بشارة الملائكة بقلام عليم ، فأقبلت وهي تصرح صرخة عظيمة ، وضربت بيديها على جبهتها – على عادة النساء إذا سمعن أمرًا عجيبًا – وقالت : أنا عجوز عاقر ، فكيف ألد ؟

وجاء هي آية الهرى: قَالَتْ يُلزَيْلُنَيْ وَأَلَدْ وَأَلَاْ عَجُوزٌ وَهَلْدًا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَلْدًا لَشيءَ عَجِيبٌ و قَالُواْ ٱلْفَجِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ وَحَمْثُ ٱللَّهِ وَيَرْكُنتُهُ، عَلَيْكُمْ أَطَنُ ٱلنَّبِتِ إِنَّهُ حَجِيدٌ . (مود : ٧٧ ، ٧٧)

٣٠ - قَالُواْ كَلَالِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ .

استكثرت الزرجة أن تلد في هذه السن الكبيرة ، وكانت قد تجاوزت ثمانين عامًا ، ولم تكن تلد في صباها وشبابها ، وقالت : أنا عجوز طاعنة في السنّ ، وعقيم لم ألد في شبابي ، فكيف ألد في هذه السن ؟ فكأنّها قالت : ليتكم دعوتم دعاء قريبًا من الإجابة ، ظنًا منها أن ذلك صدر منهم كما يصدر من الضيف من الدعوات الطيبات ، كما يقول الداعي : أعطاك الله مالاً ، ورزتك ولدًا .

فردُّوا عليها بأن هذا ليس دعاءً ، ولا خبرًا من عند أنفسهم ، بل هو أمر الله الذي بيده الخلق والأمر ، وليس هذاك من أمر عجيب على قدرته ، فقد خلق آدم من تراب ، وخلق حواء من آدم ، وهو سبحانه الذي رفع السماء بلا عمد ، ويسط الأرض على الماء فجمد ، وقسَّم الأرزاق فلم ينس أحدًا ، وهو سبحانه إذا أراد أمرًا هيأ له الأسباب، ثم قال له كن فيكون، وهو سبحانه قادر على كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ وَإِذَا أَزَادَ شَيْمًا أَن يَقُولَ لَهُ, كُن فَيَكُونُ و فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بينيهِ مَلَكُوتُ كُلٌّ شَيءٌ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . (يس: ٨٣ ، ٨٢) .



(١) في ظلال القرآن ٣١ / ٢١ .

(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى، المتوفى سنة ٨١٧ هـ. تحقيق الأمناذ محمد على النجار (١/ ٧٤٠). طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٣ه.

(٢) وما يدريك أن الله أكرمه:

رواء البخاري في الجنائز باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه (١١٨٦).

(2) العشرة الميشرون بالجنة:

هم الخلفاء الأريمة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وسعد بن أبى وقامر، وسعيد بن زيد، وطلعة بن مبيد الله. والزبير بن ألموام، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنهم.

(٥) تفسير القامسي مجاد ٢، ص ٢٢٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابوتي، مجلد ٣، صفعة ٣٧٧، واقرأ الحاشية بهذه الصفحة.

(٧) التقسير المدير: أ. د. وهية الزهيلي جاء ٢٩، ص ١٨.

(٨) إن الله زوى لى الأرض:

مسلم هن الفتن (۲۸۸۷)، والترمـنـى هي الفتن (۲۷۱۷)، وأبو داود هي الفتن (۲۱۷۱)، وابن مـاجـة هي الفتن (۲۹۵۷). وأحمد (۵/ ۲۷۸)، (۲۸۶)، من حديث ثويان، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٩) يركبون ثبح هذا البحر منوكا على الأسرة:

رواه البخارى فى الجهاد والسير، يلب: النشاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء (٢٣٦٦)، ومسلم هى الإمارة، باب: فضل الغزو هى البحر (١٩١٢) من حديث آنس مرفوعا: «ناس من أمتى، عرضوا على غزاة فى سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة، أو: مثل الملوك على الأسرة».

(١٠) إلكم ستقتحون أرضا يذكر فيها القيراط:

رواه مسلم هي باب وصية النبي ﷺ باهل مصدر (٢٥٤٣) من حديث أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ وإنكم ستقتعون آرضاً يذكر فيها القيراط، فاسترصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منهاء.

(١١) أضاء في في الأولى قصور العيرة ومدائن كسرى:

 جبريل أن أمتى ظاهرة عليها، وأضاء لى في الثانية قعمور العمير من أرض الروم كانها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها، وأضاء لى في الثالثة قصور صنعاء كانها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتى نظاهرة عليها، فأبتروا بالنصره، فاستيشر المسلمين، وقالواء العميد لله موعد مسادق بأن رعينا النصر بعد العصير، فطلمت الأحراب، فقال المسلمين، فإهذا ما وعيدنا الله ورسوله وصندق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليماً»، وقال المنافقين، الاحتراب وقال وسلمياً معاشرة على المنافقين، ومداكن مداكن عميرة، ومداكن كسري، وابنا تقتح لكم، وانكم تحفرون الحيرة، ومداكن كسري،، وأبنا لقتران في ذلك: ﴿وَإِلا يَقِعلُ المُنافقينَ مَن تبرؤوا، وأذل القرآن في ذلك: ﴿وَإِلا يَقِعلُ المُنافقينَ مَن تبرؤوا، وأذل القرآن في ذلك: ﴿وَإِلا يَقِعلُ المُنافقينَ مَن تبرؤوا، وأذل القرآن في ذلك: ﴿وَإِلا يقول المُنافقينَ مَا والنابِينَ في قلويهم مرض ما وعدنا الله ورموله إلا فروزا﴾.

(۱۲) كيف يك إذا ليمت سواري كمري:

ذكره المتاوى فى الفيض استشهادا (۱۱۰) هقال: قال له المعطفى ﷺ: فكيف بك إذا لبست سوارى كسرى، فلبسهما
زمن عصر، وفيه أيوب بن سويد بن مصمود الحميرى ضعفه ابن ممين وغيره، وذكر الهندى فى كذر العمال (۲۵۷۳)
عن ألحسن أن عمر بن الخطاب ألى بغروة كسرى ابن هرمز فوضعت بين يديه، وفى القوم سراقة بن مالك فأخذ
عمر سواريه فرس بهما إلى سراقة، هاخذهما فجعلهما فى يديه فبلغا منكيه، فقال: الحمد لله، سوارا كسرى ابن
مرسر قى يدى سراقة بن مالك بن جشعم أعرابي من بني مدلج، ثم قال: اللهم إنى قد علمت أن رسولك قد كان
مرسر على ابن يصبي ما لا ينفقه فى سبيلك وعلى عبادك فزريت عنه ذلك نظرا منك وخيارا، اللهم إنى قد علمت
آن آبا بكر كان يصبى مالا ينفقه فى سبيلك وعلى عبادك فزريت عنه ذلك اللهم التي أعوذ بك أن يكون مكر منك
بهمن ثم تاذ ﴿ وَإِيسَانِ النَّمَا تَمَدَّهُم بِهُ مِنْ مَالِ اللهِ وَبَسِه لهدِ بن حبيد وابن النظر.

(١٣) وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله:

رواه البخارى فى باب: مناقب عبد الله بن سلام (٢٠٠١) ومملم فى فضائل المسعابة، باب: من فضائل عبد الله بن سلام (٢٨٨٣) من حديث عامر بن معد بن ابى وقاص، عن ابيه قال: ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحد يعشى على الأربن: إنّه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَشِيْتِ شَاهِهُ مَنْ مِنْ مِنْ مِنْ م الآلَّة، قَالَ: لا أَدَى قَالَ: ما للهُ الآية أَ فِي العديث.

(۱٤) يا معشر الههود أروتي اثني عشر رجلا متكم:

رواه الطبراني من حديث عوف بن مالك الأشجمي. قال: انطاق النبي ﷺ يوما وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهور يوم عيدهم فكرهها دخلوه منهم، فقال وصول الله ﷺ: بيا معشر اليهود ارتبي الشي عشر رجلا منكم يشهورين آباد إله إلا الله إلا الله والله والمعتمداً وصول بالهيه، فأسكوا ما أجابه أحد لم رد عليهم فلم يجبه أحد لم الث هلم يجبه أحد مقال: «أبيتم فرائله لأنا الحاشر، وأنا الماقب، وأنا الملقي، وأنا المقدى، أمنتم أو كنيتهم لم أنسرف وأنا معه حتى أثنا كنذا أن تخرج نلوى وجل من خلف، فقال: عالما أنت يا معجد، فقيل فقال ذاك الرجل: أي رجل تطبون فيكم يا معشر اليهود، فالوا: والله ما نمام فينا رجلا كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه مثل ولا من أميك قبلك ولا من جدك قبل أبياك، فالن فقيل غلول الله الذي تجدون في التوراة فقاوا: كنيت، في روبا عملي، وقال الله عن وجل؛ فوال أرايتم إن كان من عند الله وكفره، فقال: فضرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ وأنا وأبن واستكريتهان الله عن وجل؛ فوال أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم، فالعلم إن العلم إن ورجاك رجال المسعمية.

(١٥) تقدم تكريجه.

- (۱۲) مختصر تقمير ابن كثير، تطبق محمد على الصابوني، دار الصابوني تنطباعة والنشر، ۲۰ ش بوسف عياس، مديئة نصر - الكاهرة.
- (٧٧) انظر نفسير الكشاف، وفيه أن النبي ﷺ سأل اليهود عن عيد الله بن سلام فمدحوه بالطم والخير والسيادة، فلما أخيرهم أنه أسلم ذُمُّو، وانتقصوه .
- (۱۸) تفسير القاسمي، تحقيق محمد أوّاد عهد الباقي، صححه هشام البغاري، المجلد ٢، ص ٣٣٤، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، ثبتان.

(۱۹) من أحق الناس بحسن صحابتي:

رواه البخارى فى الأدب (٥٧٧)؛ ومسلم فى البر (٨٥٤٧)؛ وأحمد هى مستند (٨٤٤٤)، من حديث أبى هرورة رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله من أحق النامن بحسن صحابتى؟ قال: دامك»، قال: ثم من؟ قال: دامك»، قال: ثم من؟ قال: دامك»، قال: ثم من؟ قال: دام أبورك».

(-۲) أغرجه العائظ الموسلي، وروى من غير هذا الوجه في مسند أحمد، وانظر مختصر تلسير ابن تشير، تحقيق محمد
 طبي الصابوتي ۲ / ۲۹۱ .

(۲۱) من رغب عن سنتي قليس ملي:

رواء البخاري في التكاح (۲۳ °)، ومسلم في التكاح (۱۰-۱۱)، والتسائق في التكاح (۲۳۱۷)، واحمد (۱۳۱۲)، ا-۱۳۳۱، ۲۳۱۱ (۱۳۲۱)، ورواء اين ماجة في التكاح (۱۸۶۲) يلقطاء والتكاح من سنتي فين ثم يسمل بسنتي فليس مثين،،، الحديث، كلهم من حديث آنس، ورواء احمد (۲۳۲۲) عن مجاهد عن رجل من الأنصار، ورواء الدارمي في التكاح (۲۱۱۹) من حديث سعد بن إبي وقاس،

(۲۲) استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك:

قال الثناوى هن الفيض؛ ورمز المسئف لحسنه، ورواه أحمد والدارمى هى مسئديهما، قال التووى هي رياضه: إسناده حسن، وتبعه المؤلف هكان ينيفى له الابتداء بمؤوه كمادته، ورواه أيضا الطبراني، قال الحافظة المراقى: وقهه علده الملاء بن ثملية مجهول.

(٣٣) البر ما اطمأنت إليه النفس:

رواء مسلم هي البر (٢٥٥٣) والترمذي هي الزهد (٢٣٧٨)، والدارمي هي الرفاق (٢٧٨٩)، وأحمد هي مسنده (١٧١٧) عن النواس بن سممان الأنصاري، قال: سائت رصول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك هي صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

(۲۷) العلال بين:

رواه البخارى في باب: فضل من استبرا لدينه من حديث التعمان بن بشير، قال: سممت رسول الله ﷺ، يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبيغهما مشبهات لا يطبها كثير من النام، فمن اتقى المشبهات استبرا لدينه وعرضه، ومن وفي هي الشبهات كان يربعي حول الحمى أوشك أن يواقعه، الا وإن تكل ملك حمى، الا وإن حمى الله في أرضه محارمه، الا وإن في الجمع مغينة إذا صلحت مثل الجمعد كله، وإذا فصعت فعند الجمعد كله، الا وهي القلبه، روواه مسلم في المعاقات، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات (١٩٩٥).

(٢٥) اللهم إنى أسألك خيرها:

رواه مملم هي باب التعوذ عند رؤية الربح والغيم، والغرج بالمطر (۱۹۸۹)، من جديث عائشة، قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الربح، قال: اللهم إني أسالك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به، قالت: وإذا تخيلت السماء، تقير لونه وخرج ودخل، وأقبل وأدبي فإذا امطرت سرى عنه، هرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته، فقال: دلما يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فاما رأوه عارضا مستقبل أونيتهم ذلك في وجهه، قالت عائشة: فالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتقير وجهه، فإذا أمطرت السماء سرى عنه، فهرفته عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: معا أدرى لما كما قال قوم عاد؛ وأوه عادر والمراد، (۱۸۱۸).

(٣٦) هذا هو اللاموس الذي أنزله الله على موسى:

هذا اللفظ جزء من حديث طويل رواء البخاري (٣، ٢٩٥٦)، و٥٩٥٩)، ومسلم هي كتاب الإيمان (٢٣٢، ٣٣٢)، والترمدي هي كتاب المناقب (٢٥١٥)، وأحمد هي مسلنم (٢٠٥٧، ٢٤٠٨١، ٢٤٠٨١).

(٣٧) فريتك حجتنا آنيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويمقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأبوب ويوسف وسوسى وهارون وكذلك تجزى المحسنين » وزكريا ويحيى وحيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماطيل والبسع ويونس ولوطا وكلا أضلنا على العالمين » ومن آبانهم وزرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (الأنعام: ٨٣ – ٨٨).

(٢٨) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٣٠ تحقيق النجار . طبع المجلس الأعلى للشانون الإسلامية ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ١٩٢٤ .

(٢٩) التقسير المنير للدكتور وهية الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الهزء ٣١، ص ٨٢.

(٣٠) يقفر للشهيد كل ذنب:

رواه مسلم هي الإمارة باب: من فتل هي سبيل الله كفـرت خطاياه إلا الدين (١٨٨٦)، من حديث عبد الله بن ممرو بن الماص، أن رسول الله ﷺ قال: «يفقر للشهيد كل ذنب إلا الدين».

(٣١) لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة:

رواء البخارى في باب القصاص يوم القيامة (-١١٧) من حديث ابي سعيد الخدري، قال: ظال رسول الله ﷺ بيخامس القولمين من النار، فيحبسين على قنطرة بين الجنه والنار، فيقتص لبمشهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا كذبوا وتُقواً انن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنياء.

(٣٢) المؤمن يأكل في معَى واحد:

رواه البخارى فى الأطمعة، باب: المؤمن ياكل فى مِمّى واحد (٥٠٧٥) ومسلم فى الأشرية، باب: المؤمن ياكل فى مِمْن واحد (٢٠٦٣) ، ٢٠٦٣)، من حديث نافي قال: كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه، هادخلت رجلا يأكل معه شاكل ككيرا، فقال: يا ناهم، لا تُدخل هذا علىَّ، سمعت النبي ﷺ، يقول: «المؤمن يأكل هى مِمْى واحد، والكافر يأكل فى سبعة امماء».

- (٣٣) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محد على الصابوني، المجاد الثالث، ص ٣٣٥.
 - (۳٤) ما أسر عبد سريرة:
- ذكره الهيئمي في المجمع (١٠ / ٢٨٧) من جندب بن سليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: دما أسر عبد سدورة إلا البسه الله رداءها إن خيرًا فخير وإن شرًا فضره. وقال: رواء الطبراني هي الكبير والأوسط، وفيه حامد بن آدم وهو كذاب.
 - (٣٥) صفوة التقاسير الشيخ محمد على الصابولي، المجلد الثالث، ص ٢١٣، نقلا عن التسهيل لطوم التتزيل.
- (٣) تيمبير الكريم الرحمان في تقسير كلام المنان، للعلامة الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي ١٣٠٠ ١٣٧١ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- (٢٧) مختصر تأسير ابن كثير، للثبيخ محمد علي الصابودي، الطبعة الثانية، ألمانيا الغربية ١٣٩٦ منقصة، (دار القرآن الكريم) دمشق، بيروت.
 - (٣٨) لو كان الدين عند الثريا:

رواه مسلم هي باب هضل هارمن (٢٥٤٦) من حديث أبى هريرة، قال: قال رسول الله 鑽؛ دلو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس – أو قال: من أبناء فارس – حتى يتناوله».

- (۲۹) این اسحاق.
- (٤٠) این اسحاق.
- (١١) المرحلة: مسورة يوم بالإبل، وهي نحو ٣٠ كيلو مترا، أو ٢٠ ميلا.
 - (٤٢) السالفة: صفحة العنق، وانفرادها كناية عن الموت.
 - (٤٣) أخرجه البقاري في كتاب المغازي، وباب غزوة الحديبية.
- (1) يصائر ذوى التمييز في قطائف الكتاب العزيز للفيروزيادي، تحقيق الأستاذ النجار، ١/ ١٣٢ (يتصرف).
 - (40) انظر: كنز السال (١/ ١٤٥).
 - (٢٦) لا نبرح حتى نناجز اللوم:
- رواه الطبرى هي تقسيره (٢٤٣٦٢) من حديث عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين بلغه أن عثمان قد قتل، قال: «لا نبرح حتى نتاجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، فكان جابر بن عبد الله، يقول: إن رسول ﷺ لم بيليمنا على الموت، ولكنه بايعنا على يعتم برسول الله ﷺ الناس، وام يتخلف عنه الحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس آخو بني سلمة، كان جابر بن عبد الله، يقول: لكاني آنظر إليه لاسقا بإبط ناقته، قد آختها إليها، يستتر بها من الناس، ثم آتى رسول الله ﷺ الناس، ثم آتى بايعان بالله، ثم آتى بايعان بالمان، ثم آتى بسول الله ﷺ أن الناس، ذكر بها من الناس، ثم آتى بسول الله ﷺ أن الناس، ذكر بها من الناس، ثم آتى بسول الله ﷺ أن الناس، ذكر بها من الناس، ثم آتى بايعان باطل

(٤٧) الإيمان يزيد وينقص:

نكره العراقى فى تخريج الإجياء، كتابه قواعد الفقائد. حديث «الإيمان يزيد وينقص»، وقال: أخرجه ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة، وقال ابن عدى: باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب لللحى يتممد الكنب، وهو عند ابن ماجة مرقوف على أبى هريرة وابن عباس وإبى الدرداء.

(4) لنظر تلصيل القصة في صحيح البخاري، وفي سيرة ابن هشام، وفي ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، وفي تلسير القاسمي تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، مجلد ٢، ص ٣٦٧ - ٣٦٣، طبعة دار إهباء التراث الحربي. بيروت، لهنان.

(٤٩) أيها الناس البيعة البيعة:

(٥٠) اكتب ياسمك اللهم:

رواء البغارى هى الشروط باب: الشروط هى البهاد، والمسائحة مع أمل الحرب، وكتاب الشروط (٢٥٨٦ ،٢٥٨١) من السنينية...
حديث المسور بن مخرصة، ومردوان، يصدق كل واحد مفهما حديث صادبيت قائلا خرج رسول الله ﷺ زمن الحنينية.. الحديث، وفيه عن مكرمة، أنه أم عميل بن عمرو، قال الذين ﷺ: انقد سهل لكم من أمركه، قال محمرة قال الذين ﷺ: انقد من أمركه، قال محمرة قال الذين ﷺ: القدن شحة الله نقد الله يﷺ اكتاب، فقال الذيرى شحة الله الرحمن الدين ما هو ، ولكن أكتب باسمك اللهمة الذيرى على المسلك اللهم على المسلك اللهم على المسلك اللهم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم، لم قال: مناه قالمن عليه محمد رصول الله ما مستدناك عن البيت قال: ولا قائلنان الله على مستدناك عن البيت ولا قائلنان الله يلكن المسلك اللهم الله المسلك اللهمة للمسلك اللهمة المسلك اللهمة الله المسلك اللهمة المسلك اللهمة المسلك اللهمة اللهمة المسلك المسلك اللهمة المسلك المام المام المام المام الملهم، مسلك المام المسلك المام المام المام المام المام المام المسلك المسلك المسلك المسلك المام المام المام المام المسلك المسلك المسلك المسلك المام المام المام المام المسلك الم

(٥١) لا تعبوا أصعابي:

رواه البخبارى هى باب: قول النبى ﷺ: «لو كلت متخذا خليلا» (٢٤٧٠) من حديث أبى سميد الخدرى، قال: قال النبى ﷺ: «لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

(٥٢) أرحمُ أمتى بامتى أبو بكر:

رواه اين ماجة شى فضائل أصعحاب رسول الله، باب فضائل خباب (۱۵٤) من حديث أنس مرفوعا: «ارحم أمنى بأمتى أبو يكر، وأشدنُّهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب، وأفرشهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام مُعاذ بن جيل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

(٥٣) لا تسبوا أصحابي:

تقدم تخریجه، انظر هامش (٥١).

(٥٤) لو أن رجلا عمل في صفرة صماء:

ذكره السيوطى في «الدر المنثور» قال: وإخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهض عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: دنو أن رجلا عمل في صخرة مساء لا باب فيها ولا كوة خرج عمله إلى الناس كائنا ما كان».

(٥٥) إن الهدى الصالح والسمت الصالح:

رواه آبو داود فى باب فى الوقار (٤٧٧٦) من حديث عبد الله بن عباس أن نبى الله ﷺ، قال: «إن الهدى المسالع والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة».

(٥٦) إنما الأعمال بالنيات وإنما نكل امرئ:

رواه البخارى (١ / ١٦٨٩، ١٩٦٣)، ومصلم هى كتاب الإمارة (- ٢٥٣)، والترمذى هى كتاب هضائل الجهاد ((١٥٥١) وإنسائى هى كتاب المهارة (٤٧)، هى الطلاق (٢٨٣٣) وهى الأيمان والندور (٢٣٧٣) وأبو داود هى كتاب الطلاق (١٨٨٧)، وابن ماجة هى كتاب الزهد (٢١٩١)، وأحده شى مصنده (١٢٨٣ ، ١٨٣) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر، قال، صممت رمول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى همن كانت هجرك إلى دنيا يصبها أو إلى أمرأة ينكمها فهجرنة إلى ما هاجر إليه».

(٥٧) في ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب (٢٦ / ١٢٥).

(٥٨) يصائر ذوى التمييز في نطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي ١ / ٢٣٦ .

(٥٩) الحد لله الذي وأق:

رواه ابو داود هي الأقضية (٢٥٩٧)، والترمش هي الأحكام (١٣٧٣)، والدارس هي المقدمة (١٢٨٨)، وإحمد هي مستند
(١٠ ١٨)، (١٥ ١٨)، عن أناس من أمل حمص من أصحاب مملذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما أزاد أن يبعث
مداذا إلى اليمن، قال: وكيف تقضي إذا عرض الله قضاءة قال: أقضي يكتاب الله؛ هال: وقوان لم تجد هي كتاب الله؛ هال أنها الله عنه والله؛ هال أنها الله؛ هال أنها إلى ولا الله هي دول الله على الله عنه الله هي ولا عن كتاب الله؛ هال أبو عيسا
هضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: والحمد لله الذي وقو ربول رسول الله لما يرضى رسول الله، هال أبو عيسا
هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا ألوجه وليس إستاده عندي بعتصل، وقال الزيلس في نصب الراية: وأخرجها أيضا
عن أناس من أصحاب مماذ أن رسول الله ﷺ مرسال: هال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا ألوجه وليس
إستاده بهتصل، انتهى. وقال البخاري في دتاريخه الكبيره: الحارث بن عصرو بن أخي المقيرة بن شمية الثقفي من
أصحاب مماذ من مماذ، وري عنه أبو عون، ولا يعمي، ولا يعرف إلا بهذا، مرسا، انتهى، وفيه كتاب. ورواه النسائل
في أداب الشخاء (١٩٣٥)، والنارس في المقتصة (١٧) عن شريح أنه كتب إلى عمر يسائله فكتب إليه أن الفني بها
في أداب الله في نم يكن في كتاب الله فيسنة رسول الله ﷺ فإن لم يكن في كتاب الله ولا هي سنة رسول الله ﷺ ولم يقض به المسالحون فإن مثلت فتاخر ولا أرى التأخر إلا خورا لك والسلام عليكم.

(١٠) أحكام القرآن ٤ / ١٧٠٣، وانظر التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي الجزء ٢٦ صفحة ٢٢٢، ٣٢٣.

(۱۱) أما ترضى أن تعيش حميدًا:

رواء مالك هن الوطأ ابواب السير، باب فضائل اصحاب رسول الله ﷺ (18) من حديث ثابت بن قيس بن شماس الأتمنارى، فال: يا رصول الله، لقد خشيت أن أكون قد هلكت، قال: هلم؟ قال: نهانا الله أن نحب أن نحمد بما لم نفحل وأنا أمرؤ أحب الحمد، ونهانا عن الخيلاء، وأنا أمرؤ أحب الجمال، ونهانا الله أن نرفع أصواتنا فرق موتك، وأنا رجل جهيز الصوت، فقال رسول الله ﷺ: بها ثابت، أما ترضى أن تعيض حميدًا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة،

(١٢) التقسير المدير، د. وهية الزحيلي، الجزء ٢١ ، صفحة ٢٢١ ، ٢٧٧ .

(٣/) الجبرية والقدرية: فرقتان شائدًان في المقيدة، خرجنا عما عليه جمهور الطماء، تقول الجبرية: إن الله تعالى سُجورً العبد على غطه، وليس بزرادة الإنسان واختياره دخل حقيقى فيه، وتقول القدرية: إن العبد خالق لأفعال لفسه، دون أن يكون لله عليه سلطان فيها، ويقولون: لا قدر والأمر أنشاء أي مستأنف.

(١٤) التقسير المنير، د. وهية الزحيلي، الجزء ٢٦، ص ٢٧٧ وما بعدها، بالمغيض والمتيار.

(١٥) لا تعاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا:

رواه البختاري هي المظالم (۱۶۲۷)، وهي الإكبراه (۱۹۲۱)، ومصمام هي البسر (۲۵۰)، وابو داود هي الأدب (۲۸۰۳)، واباد داود وارد هي الأدب (۲۸۰۳)، واباد داود وارد هي الأدب (۲۸۱۳)، واباد داود الله عنهما أخيره ان رسول الله هي الماد الملم أخوا المنطق المنطق ولا يسلمه، ومن كان هي حاجة أخيه كان الله هي حاجة أخيه كان الله هي حاجة ومن هرج عن مسلم كرية هرج الله عنه القيامة، ووراه مسلم هي البر (۲۵۱۶)، والترميذي هي البر (۲۵۱۶)، والترميذي هي البر (۲۵۱۷)، والحمد هي مسلم هي البر (۲۵۱۷)، والترميذي هي البر (۲۵۱۶)، والترميذي هي البر (۲۵۱۷)، والحمد هي مسلم هي البر (۲۵۱۷)، والترميذي الله يعه بعضكم على بيح بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخوانا، ولا يقدله ولا يعدلك ولا يعدلك ولا يعدلك ولا يعدلك ولا يعدلك ولا يعدلك ولا يعدل الله يعم بعضكم على بيح بعض وكونوا عباد الله من الشر أن يعتم أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، ورواه أحمد في مسنده (۱۸۲۱) من حديث أنس بن مالك أن الله إخوانا، ولا يتماني ولمن لمسلم حديث أنس بن مالك أن النابي هي قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا وكرنوا عباد الله إخوانا، ولا يعدل لمسلم حديث أنس بيدا بالسلام،

(٦٦) ليس الكذَّابِ الذِّي يصلح بين النَّاسِ:

رواه البخارى هى المبلح (٢٩٦٧)، ومسلم هى البر (٢٦٠٥)، وابر داود هى الأدب (٤٩٠١)، ١٩٤١)، واحمد هى مسلده (٢٧٢٨) من حديث أم كالوم بلت عقبة أنها سمعت رسول الله 難يؤول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينسى خيرا أو يقول خيراء.

(۱۷) إن المقسطين على مناير من نور:

رواء مسلم في الإسارة (۱۸۲۷) والنسكش هي آداب القضاء (۱۹۲۹) وأحمد هي مسنده (۱۵۵۱) من حديث عبد الله ابن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: وإن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكاننا يديه يمين الذين يعدلون هي حكمهم وأهليهم وما ولواء.

(١٨) المسلم أخو المسلم لا يظلمه:

رواء البخساري هي المطالم (٢٤٤٢) وفي الإكبراه (١٩٥١)، ومسلم هي البدر (١٩٥٠)، وأبو داود هي الأدبر (١٩٨٦). والترميذي في الحدود (١٤٤٢)، وأحمد هي مسئدم (٥٣٢٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عقهما اخبره أن رسول الله ﷺ، قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان هى حاجة أخيه كان الله هى حاجته و ون ضرح من مسلما سترة الله يوم القيامة. روام وون ضرح من مسلما سترة الله يوم القيامة. روام مسلم ضى البر (18 تا) والترمذي هى البر (18 تا) والترمذي الي مسلم وكونوا عباد الله قال رسول الله ﷺ: «لا تحامدوا ولا تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تيابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بعسب أمرئ من الشر أن يحقر أخذا المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه ومالة وعرضه». وواه أحمد في مسئد (18 11) من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تنابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل المسلم حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تنابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل المسلم حديث أنس بن مالك أن النبي شي الهمدة هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالمساره».

(٦٩) ويح عمار ، ثقتله الظنة الباغية: ``

رواه البخارى فى باب: التماون فى بناء المسجد (٢٦٤) من حديث عكرمة قال: قال لى ابن عباس ولابنه على: انطلقا إلى أبى سعيد، فاسمما من حديث، هانطلقنا، فإذا هو فى حائط يصلحه، فاخذ رداءه فاحتبى، ثم انشا يحدثنا، حتى اتى ذكر بناء المسجد، فتال: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى ﷺ فينضن التراب عنه، ويقول، ويح عمار، تتنله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى الناره، قال، يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.

(۲۰) رب أشعث أغير:

(۷۱) رپ أشعث أغير:

انظر السابق.

(۷۲) إن ائله لا ينظر إلى صوركم:

رواه مسلم هى البر (۲۵۱۶) وابن ماجة هى الزهد (۱۱۶۲) واحمد هى مسئده (۷۷۲۸) من حديث ابى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلويكم وأعمالكم».

(٧٢) لما عليه من التراب عندما أيقظه ﷺ من نومه نحت نخيل في أرض بني مدلج.

(٧٤) (باكم والظن، قإن الظن أكذب الحديث:

رواه البيخارى فى النكاح باب: لا يخطب من خطب اخيه حتّى يتكح او يدع (١٨٤٩)، ومعدلم هى البر والصلة، باب: تحريم الظن والتجمس والتنافس (٢٥٦٣)، قال ابو هريرة: قال النبي ﷺ: إياكم والظن، فإن الظن اكذب الحديث، ولا تجمسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة اخيه حتى يتكح او يترك،،

الجزء السادس والعشرون (۷۵) يا معشر من آمن بلسانه:

رواه أبو داود هى الأدب بلب النبية (٤٨٧٢) من حديث أبى برزة الأسلمى، قال: قال رسول الله 囊، بيا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تتنابوا المسلمين ولا تتهموا عوراتهم فإنه ممن اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يضمحه في بيته».

(٧٠) الطيرة، ما يتضام به من الفأل الردىء، وكان ﷺ بحيّ الفأل العصن، ويكوه الطيرة، فإذا رأى ما يكره، قال: طالهم لا يأتني بالخير إلا أنت، ولا يذهب المعوه إلا أنت، اللهم اكفنى الصوء بما شنت، وكيف شنت، إلك على ما تشاء قدير». ثم يعضى متوكلاً على الله.

(٧٧) أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم:

رواء مسلم هى البر (۲۸۸۲)، وابر داود هى الانب (۲۸۱۷)، والترمذى هى البر (۲۰۱۶)، والدارمى هى الرفاق (۲۷۲)، واحمد هى مسنده (۲۰۱۷) من حديث ايى هرروق آن رسول الله ﷺ قال: «الدرون ما الفيبة»، 5 قالوا: الله ورسوله اعلم، هال: «ذكرك آخاك يما يكرو»، قيل: آفرايت إن كان هى آخى ما اقول، قال: وإن كان فيه ما تقول فقد اغتيثه، وإن لم يكن فهد قعد بهته».

(٧٨) رواه الطبري بسنده عن أبي نضرة في كتاب (أداب النفوس).

(٧٩) خرجت من نكاح وثم أخرج من سفاح:

أخرجه البيهقي في دلائل التبوة (١١٨/١) من حديث أنس، بلفظا: وأنا محمد بن عبد الله بن عبد الطلب،، الحديث، وفيه: «فأخرجت من بين أبوي قلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن أدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي شأنا خيركم نسبا، وخيركم أباء. وذكره السيوطي في الجامع الصغير أيضا (٢٩٠١) بلفظه: «خرجت من نكاح غير سفاح». ونسبه لابن سعد عن عائشة، وقال: حسن، قال المناوي في فيض القدير: قال الذهبي: فيه الواقدي هالك، وذكره السيوطي في الجامع الصغير أيضا (٣٩٠٢) بلقظ: «خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاحه، ونسبه لابن سعد عن ابن عباس، وقال: حسن، قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث، ولم أعرف المديني ولا شيخه، ويقية رجاله ثقات. قال الهيثمي في المجمع: وعن على أن النبي ﷺ، قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأميه، وقال: رواء الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن على، صحح له الحاكم في المستدرك وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات، قال الزيلمي في نصب الراية: أخرجه البيهقي في «سننه»، والطبراني في «معجمه»، عن هشيم حدثتي المديني عن أبي الحويريث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: مما ولدني شيء من سفاح الجاهلية، وما ولدني إلا نكاح كلكاح الإسلام، انتهى، وروى ابن الجوزي في «التحقيق» من طريق الواقدي حدثتي محمد بن أخي الزهري عن عمه عن عروة عن عائشة مرفوعًا: «خرجت من نكاح غير سفاح»، قال في «التنقيع»: الواقدي متكلم فهه، وفي الأول المديني، وهو إن كان والد عليَّ فهو ضعيف، وكذا إن كان إبراهيم بن أبي يحيي، وقال الطبراني: هو عندي فليم بن سليمان، وأبر الحويرث اسمه عبد الرحمن بن معاوية، وهو متكلم فيه، انتهى. قال العجلوني في كشف الخفاء (١٢٠٦): رواه البخاري في الأدب والطبراني في الأوسط عن على رهمه بزيادة: من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء، وفي لفظ من رواية ابن سعد عن ابن عباس: خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح،

(۸۰) إن الله لا ينظر إلى صوركم:

تقدم تخریجه، انظر هامش (۷۲) .

(٨١) إن الله عز وجل لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم:

ذكره الهيشمى هى المجمع (١٧٧١) فقال: وعن أبى مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل لا ينظر إلى أجمعامكم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، فمن كان له قلب صالح تحان الله عليه، وإنما أنتم بنو آدم واحبكم إلى الشاكم، وقال: رواء الطيراني، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضميف.

(۸۲) أي: عتيقها .

(٨٣) تلكح المرأة لأربع:

رواه البخارى هى النكاح باب: الأكفاء هى الدين (١٤٠٣) ومسلم هى الرضاع، باب: استحباب اتكاح ذات الدين (١٤٦٦) من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «تتكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاطفر بذات الدين تربت يداك»،

(٨٤) تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام:

رواء البخاري هي المذاقب باب: قول الله تعالى: ﴿وَيا ابِها الناس إنا خَلَقِتَاكَم مِن ذَكَّر وَانْسُ وِجمَلِتَكُم شُمويا...﴾ الآيد،

(٣٠٠). ٣٠٠ (٣٠٠) وهي الأدب باب: ما قيل هي ذي الوجهين (٣١١) وهي الأحكام، باب: ما عكره من ثقاء السلطان، وإذا
خرج قال شير ذلك (٢٧٥٧) ووصلم هي البر والصلة والآداب، باب: من دي الوجهين وتحريم همله (٣٥٢٦) والترمشي
هي البر الصلة باب: ما جاء هي ذي الوجهين (٤٠٠٠) وأبو داود هي الأدب باب هي ذي الوجهين (٤٨٧١) والمالك هي الموطأة أبواب المدين، باب هي يكورة مرهوما:
الموطأ أبواب المدين، باب ما يكره من الكنب وموره المُؤن، والتجمس والنميمة (٨٩٨) من حديث أبي هريرة مرهوما:
متجمون النام معادن خيارهم هي الجاملية خيارهم هي الإسلام إذا فقهوا، وتجمون خيار الناس هي هذا الشائل المثاني المثاني احديث أشدهم له كراهية، وتجمون شر اللناس ذا الوجهين المدينة هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، واللفظ للبخاري هي إحديد
رواياته وكذا مسلم، وروي معتصرا بوجوء متعددة.

(۸۵) كلكم لآدم وآدم من تراب:

رواء الترمدي هي تقسير القرآن (٢٢٧٠) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: ويا القالم المرادي هي تقسير القرآن (٢٢٧٠) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: ويا الناس إن الله قد الفعب من تكر والتي وجملتاكم عبن على الله وفاجر شقي عبن على الله والناس بن أدام وخلق الله: وأن الله عليه خيوم. قال البن بأنا خقائم من تكر والتي وجملتاكم من مديث غيريه لا نموقه ممن حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه وعبد الله بن جمفر يضعف، ضعفه يحيى بن معيل وغيره وعبد الله بن جعفر هو والد على بن الملايان، قال: وقي الباب عن الهي هريرة وابن عباس. ورواء الترمذي في المنافرة (١٤٠٥ من حديث أمي على المرادة على المرادة على الله عن المنافرة الترمذي في جعفر المرادة الترمذي في جعفر أو ليكونن أهون على الله من الجمل الذي يدهده الخراء بأنفه إن الله قد الفعب عنكم عبية الجاهلية وفخيرها عربه. وزاء أبو داود في الأنب (١٦١٥)، وأحمد في مصنفره المؤلى ومسعيد هما بنائري، مؤمن تقي وقاجر حديث أبي هريرة وارداء والم من الراب، فأن الو ومعيد همن وهذا اصح عليه مؤلم والماء مثي والماء من المؤلى ومسعيد المنامة عديث أبي هريرة والم من المؤلى ومسعيد المنامة الميث من الحديث المن عناء من الحديث المن عند من الحديث المن عناء من الحديث المن المؤلى ومسعيد المنامة عليه المهديث المن عناء من الحديث المناهة عليث المناهة عناء من الحديث المن المؤلى ومسعيد المناء عليه مؤلم والناب الله عني هريرة.

(٨٦) إن آل أبي نيسوا بأونيائي:

رواه البخارى فى باب: تبل الرحم ببلالها (٤٤٢ه)، ومسلم فى الإيمان، باب: موالا المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، (٢٥) من حديث عموو ين الماصر، قال: ممحت النبي ﷺ جهازاً غير سر، يقول: «إن آل ابى نيسوا بـأوايالى، إنما ولين الله ومسالح المؤمنين، وإن عنيسة بن عبد الواجد عن بيان، عن قيس، عن عمرو بن الماص، قال: سممت النبي ﷺ يقول: «ولكن لهم رحم أيلها ببلالها» بين أمالها بمثلها،

(٨٧) مقتيس من تضير المراغى لسورة الحجرات يتصرف.

(٨٨) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، ٢٦ / ١٥٤ .

 (٨٩) يصائد ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادى، تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١/ ٤٣٧، طبع المجلس الأحقى للشنون الإصلامية – القاهرة.

(۹۰) کان يقرأ في العيد يـ ق واقتريت:

رواه مسلم هن مسلاة المدينين (٨٩٨)، وأبيد داود هن المسلاة (١٥٥٤) والترمذي هن الجمعة (٢٥٥) والتماثل هن مسلاة النيدين (٢٥٧) وابن ماجة هن إشامة المسلاة (١٩٦٦) من حديث عمر بن الخطاب سال ابا واقد الليثي، ما كان يقرآ به رميل الله ﷺ وسلم هن الأضمى والقطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بدق والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر.

(٩١) هذا جبل بحبنا ونحيه:

رواه البخارى فى الجهاد (٢٨٨٩) من حديث أنس ين مالك، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيير أخدمه ظما قدم النبى ﷺ راجعا وبدا له أحد قال: دهنا جبل يعينا ونعبه» ثم أشار بيده إلى الدينة، وقال: داللهم إنى أحرم ما بين لابتها كتعريم إيراضيم مكة، اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا».

(٩٢) إنها النظلة:

رواه البخارى في العلم (١٦) ومسلم في منفة القيامة (٢٨١١) من حديث أبن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: وإن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل السلم فحدثونى ما هيء؟ فوقع الناس في شجر البوادى، قال عبد الله: ووقع في نفسى آنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: دهي النخلة».

(٩٣) لا تمروا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم:

رواه البيخاري هي الصبلاة (190)، وهي أحاديث الأنبياء (٢٦١، ٢٦٣)، وفي الفنازي (٤٧٦، ٨٠١)، وهي تفسير القبران (٢٣٣ع)، ومسلم هي الزهد (٢٩٢٥، ١٩٩٣)، وأحمد (٢٣٣، ١٤٧٤، ١٩٥٠)، من حديث عبد الله بن عمر بلفظ: لا تدخلوا على هؤلاء المدنين إلا أن تكونوا باكين ..، الحديث.

(٩٤) انظر التقمير الوسيط بإشراف مهمع البحوث باذرَهر، وتقسير الآلوسي لقوله تعالى: وأهم خير أم قوم عيج. (الدخان: ٣٧)

(٩٥) يشتمني ويكذبني وما ينبغي له:

رواه البيخارى في بدء الخلق (۲۱۹۳)، وأحمد هي مسلم (۸۷۷) من حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: أراه قال الله تمالى: ويشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، ويكنبني وما ينبغي له، أما شتمه طقوله إن لي ولدا، وأما تكذيبه فقوله ليس يعينني كما بدائيء.

(٩٦) إن الله تجاوز لأمتى:

رواء البخبارى هى الأيسان والندور (٦٦٦٤) وابن مساجة هى الطلاق (٢٠٤٠، ٢٠٤٤)، (٢٤٢١) من حديث أبى هريزة يرهمه قال: وإن الله تجاوز لأمتى عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تممل به أو تكلم.

(٩٧) لا إنه إلا الله إن للموت سكرات:

رواه البخارى هي المغازى (2534) من حديث عائشة انها كانت تقول: إن من نعم الله على آن رسول ﷺ توفى هي بيتى وهي بوسي وبين مسرى ونحرى وان الله جمع بين ريقى وريقه عند موقد حذل على عبد الرحمن وبيده السواك وإنا مستندة رسول الله ﷺ هراچته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لله فأشار براسه أن نمم متاولته هاشتد عليه وقات: الهند الله، فأشار براسه أن نمم، فاينته فأصره وبين يده ركوة أو علية – يشك عمر – هيها مام فجعل بيدخل يديه هي الماء فيمسع بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الوفق الوفق العلمية حدى قبض ومات يده.

(٩٨) يلقى في الثار (وتقول هل من مزيد):

رواء البطارى فى التفسير (٤٨٤٨) من حديث آنس عن النبى ﷺ، قال: ديلقى فى النار ﴿وتقول هَل من مزيد﴾ حتى يضع قدمه فتقول: قمل قمله،

(٩٩) تعاجت الجنة والنار، فقالت النار:

رواء مسلم هي الجنة (۲۸۵۷) من حديث ابي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «تصاجت الجنة والنار. فقالت النار: أولرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت: الجنة هما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغراتهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحملي أرحم بك من أشاء من عبلات، وقال للنار: إنما أنت عنابي أعذب بك من أشاء من عبلات، ولكل واحدة علوها، هاما النار فلا تمثل حتى يضم الله تبارك وتمالي رجله فتقول: قفله قفده فهنالك تمثلي وزوى بحضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما البخة فإن الله ينش لها خلقاء، وحدثنا عشان بن أبي شبية حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي مصيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجت الجنة والنار...» فذكر نحو حديث أبي هريرة إلى فوات وكانكية من الموات، فذكر نحو حديث أبي هريرة إلى فوات وكانكية عالماراً عن الم ينتم عن أبي معيد الموات، والم ينكر ما يصعا من الزيادة.

(١٠٠) أخرجه البغاري في صحيحه، والحديث كاملا هو:

قال ﷺ: مسبعة يظلهم الله تمالى فى ظلَّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشاب نشا فى طاعة الله تمالى، ورجل قلبه مطلّ بالمساجد، ورجل ذكر الله تمالى خاليا فقاضت ميناه ورجلان تحابًا فى الله اجتمعا عليه وافترها عليه، ورجل دعته أمراة ذات منصب وجمال؛ فقال: إنى أخاف الله رب المالين، ورجل تصدق يصدقة فأخفاها حتى لا تعلّم شماله ما أنفقت بمينه».

(١٠١) أمره أن يسبح في أدبار الصلوات:

رواه البخارى فى التقسير (٤٨٥٢) من حديث ابن عباس: أمره أن يسبح فى أدبار السئوات كلها، يمنى قوله: ﴿وَادبار السجود﴾.

(١٠٢) دُهب أهل النثور بالأجور:

رواه مسلم فى النزكاة (١٠٠٦) من حديث ابى ذر أن نامنا من اصحاب النبي ﷺ، قالوا للتبي ﷺ؛ يا رميول الله، ذهب أهل الدفور بالأجوز يصلون كما تسلى ويصوبون كما تصوم ويتصدقون بفضوا أمرائهم، قال: «أو ليس قد جمل الله لكم ما تصدقون، أن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تعييلة مستقة، ولم تعلقه، وأصر بالمروف صدفة ونهى عن متكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رصول الله، أياتي احدثا شهوته ويكون له فيها أجرة قال: «أرايش الونكل له أيها.

(١٠٣) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل:

رواه البخارى هى مواقيت الصلاة (000)، وهى التوحيد (٧٤٦٦)، ومسلم هى المساجد (٣٢٢)، والنسائق هى الصلاة (١٣٤)، والنسائق هى الصلاة (١٤١٥)، من حديث أبى هريرة بلفظ: بيتماقيون : الصلاة (١٨٥)، والمسائل والمسائلة (١٤١٦)، من حديث أبى هريرة بلفظ: بيتماقيون : هيكم ملاتكة باللهار، ، الحديث، ورواه البخارى هى الأدان (١٤١٩)، وهى تصبير القرآن (١٧١٧)، وسلم هى المساجد (١٤٦٩)، والترمشي هى التفعيير (٢٧١٥)، والنسائلة عنى الصلاة (١٧٠)، والمسابح (١٤٥٠)، والنسائلة عنى الصلاة (١٧٠)، والنسائلة عنى الصلاة (١٧٥)، والمسابح مان مسلاة الواحد خمص وعضرون درجة وتجتمع ملاكة الليل وملائكة النهار هى صلاة المصبح»، يقول أبو هريرة؛ اقراوا إن شنتم فوشران الفجر إن قرارة ان شنتم فوشران الفجر إن قرارة النسائلة على مسلاة المواحدة على المسلمة والمسابح»، يقول أبو هريرة؛ اقراوا إن شنتم فوشران الفجر إن قرارة الفراء إن شنتم فوشران

(١٠٤) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، ٢٦ / ٢١ .

(١٠٥) (العرجع السابق).

(١٠٦) التفسير القريد تلقرآن المجيد، د. معدد عبد المتعم الجمال، ص ٢٩٤٤ .

(١٠٧) يصائر دوى التمييز في نطانف الكتاب العزيز، ١/ ٢٣٩ (بتصرف).

(۱۰۸) ينزل الله إلى سماء الدنيا:

رواء البخاري هي الجمعة (١٤٤٥)، وهي الدعوات (١٣٦٢)، وهي التوجيد (١٤٢4)، ومسلم هي مسلاة المسافرين (١٨٥٨)، وابد واود هي الصبلاة (١٢٥٥) وهي المسافرين (١٨٥٨)، والترمذي هي وصلاة المسافر (١٤١٦) وهي المسافر (١٤١٦)، والترمذي هي الصبلاة (١٤١٦)، وإن ما مناجه في إقدامة المسلافة (١٤١٦)، وفي الدعوات (١٤١٨)، والدور (١٤١٨)، ١١٠٤٥، ١١٠٢٠، ١١٠٢١، ١١٠٢٠، ١١٠٢١) من حديث المسافرة (١٤١٥)، وأحمد (١١٠١٠، ١١٠٢٠، ١١٠١٠)، وأحمد (١١٠١٠)، وأحمد (١١٠١٠)، وأحمد (١١٠٢٠، ١١٠١٠)، من حديث (١٤١٥)، وأحمد (١١٠٢٠، ١١٥٢١)، وأحمد (١١٠٢٠)، من حديث (١١٥١)، وأحمد (١١٥٢٠)، وإدامة الجهاد، ورواه أحمد (١١٥٢٠)، ١١٥٥) من حديث (١١٥١)، وأحمد (١١٥٢)، ١١٥١)، وأحمد (١١٥٢)، ١١٥١)، وأحمد (١١٥١)، وأدامة المسافرة (١١٥١)، ١١٥١)، وأحمد (١١٥١)، وأدامة المسافرة (١١٥)، وأدامة (١٩٥)، وأدامة (١١٥)، وأدامة (١١٥)، وأدامة (١١٥)، وأدام

(١٠٩) من نزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا:

رواه أبو داود هى المسادة (1014)، وابن ماجة هى الأدب (1714)، وأحمد هى مسئده (1773) من حديث ابن عباس، هال: قال رسول الله ﷺ: من ترتم الاستففار جبل الله له من كل حقيق حقيرها ومن كل مع فيجا وريقه من حيث لا يحتسب، قال الثانوي هى الفيض: قال الحاكم: مسجع ورده الدغمي بأن فيه الحكم بن مصمع فيه جهالة. ! . م. وقال هى الهندب: مجهول وظاهر صنيع المنتف أن هذا لم يخرجه احد من الشنة وليس كذلك بل خرجه أبو داود والمسألي في اليوم والليلة، قال الحافظ المراشئ: وضعفه ابو حاتم وقال المددر للناوي: فيه الحكم بن مصمع لا يحتج به ، قال المراقى فى تضريج الإحياء: اخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجة وانحاكم، وقال: صحيح الإسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان.

(١١٠) ليس المسكين الذي ترده اللقمة:

البخارى هى الزكاة (۱۱۷۳) ومسلم طبها (۱۳۷۹) والنسائى فيها (۲۷۷۱) والدارمى فيها (۱ / ۲۷۹) والزُوطأ هى صفة النبى ﷺ (۲۹۳۲/) وأحمد (۲۱۲/۲) عن أبى هرورة.

* * *

تم بحمد الله تخريج أحاديث وهوامش الجزء (السادس والعشرين)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
0770	تَفْسير سورة الأحقاف .	-
0141	أهداف سورة الأحقاف .	~
7310	(.,)	١
7310	﴿ تَــنزيــل الــكــتــاب مــن الــابـه الــعـزيــز الــمـكـيـم . ﴾	۲
7310	﴿مَا خَلَقْنَا السَمَانَاتَ وَالْأَرْضَ وَمَا بِينَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	٣
7310	﴿قَـلُ أَرَابِـــّــم مـا تــدعــون مــن دون النابــه أرونــي﴾	٤
7310	﴿وَمِنْ أَضَلَ مَمَنْ يَدِعُو مِنْ دُونَ اللَّهُ مِنْ لا يَسْتَجِيْبِ لَهُ﴾	٥
7310	﴿ وإذا حشــر الـــــــاس كـــانـــوا لــمهــم أعـــداء﴾	٦
0187	﴿وإذا تشلى عليهم أياتنا بينات قال الذين كفروا	٧
7310	﴿أُمْ يَقُولُونَ افْتُرَاهُ قُلُ إِنْ افْتُرِيتُهُ فَالْأَتْمَلِكُونَ﴾	٨
0157	﴿قُلْ مَا كُنْتَ بِدِعًا مِنَ الرِسِلُ وِمِا أُنْدِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمْ﴾	4
0101	﴿قَلَ أُرأَيتُم إِنْ كَانَ مِنْ عَنْدَ اللَّهُ وَكَفَرَتُم بِهُ﴾	١.
9101	﴿ وقال الدين كفروا للذين آمنوا لوكان خيراً ﴾	.77
0101	ورمن قبيسه كتاب مروسي إسامًا ورجمة	۱۲
0101	﴿إِنَ الدِّينَ قَالُوا رَبِنَا اللَّهُ ثُمِ اسْتَقَامُوا قِلاً خَوِفَ عَلَيْهِم﴾	14
0101	﴿ أُولِـتَكُ أُصِـحِبَابِ الْجِنْدَةُ شَالِحِيْنَ فَيَهَا ﴾	18
0107	وروصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حماته أمه كرها	10
0100	﴿أَوْلِنُكُ النَّذِينُ نَتَقَبِلُ عَنْبَهِمَ أُحِسَنُ مِنَا عَمْلُوا﴾	17
7510	﴿ وَالدِّي قَبَالَ لِيوَالدِيهَ أَفَ لَكُمِنا أَتَّعِدَانَنِي أَنْ لَحْرِجٍ﴾	17
77710	﴿ أُولِنُكُ الدَّيِينَ حِينَ عِبْلِيهِمِ النَّقِيلِ فِي أَمِم قَد خَلِث﴾	1.4
7710	﴿ ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم	19
7710	﴿ ويسوم يسعسوض السنيسن كسفسروا عسلسي السنسار ﴾	۲٠
9177	﴿ وانكر أها عاد إذ أندر قومه بالأحقاف ﴾	71
۹۲۲۰	﴿ قَالِوا أَجِنْتَنَا لِينَا أَشَكُنَا عِنْ ٱلْهِنْنَا ﴾	44
9177	 أقال إشما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسات به 	44
9177	وند ما رأوه عارضًا مستقيد لأوديتهم	37
9177	وتيمركل شيء بأمر ريها فأمبحوا لايرى	۲0

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
۷۲۲٥	﴿ والقدمكذاهم فيما إن مكذاكم فيه ﴾	77
۷۲۷٥	﴿وَلِقَدَ أَهْلَكُنَا مَا حَوَلَكُمْ مِنْ القَرِي وَمِيرِفِنَا الْآيَاتِ﴾	77
٥١٦٧	﴿ فِلُولًا نَصِرهِم الذينَ الشَفْدُوا مِنْ دُونَ اللَّهُ قَرِيانًا ﴾	YA
۵۱۷۳	﴿ رَادْ صَارِفْتُنَا إِلَيْكَ نَفَرُا مِنْ الْجِنْ يَسْتَمِعُونْ الْقَرَآنْ﴾	79
۵۱۷۳	﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى﴾	٣٠
٥١٧٣	﴿ يِسَا قَسُومَسْنَا أَجَسِيمِوا داعِبِي السَّلِيهِ وَأَمَسْوا بِهِ ﴾	71
٥١٧٣	﴿ومِنْ لا يَبِينِ داعَى اللَّهُ فَلَيْسَ بِمَعْضِرُ فَيَ الأَرْضِ﴾	۳۲
0174	﴿ أَوَا صِورًا أَنْ اللَّهِ الدِّي خَلْقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضِ ﴾	44
0174	﴿ويدوم يدعرض السنيان كسفسروا عساسي السنسار	37
0174	﴿ فاصير كما صيد أولو العنم من الرسل ﴾	40
٥١٨٣	خلاصة ما اشتملت عليه سورة الأحقاف	-
٥١٨٥	تفسير سورة محمد	-
PA10	أهداف سورة محمد	-
0197	﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم .	' '
7910	﴿والسذيس أمسنسوا وعسملسوا العسائسسات وأمسنسوا	4
0197	﴿ ذلك بِسَأَنَ السَّدِيسَ كَسَفْرِوا السَّيْسَوا السِّسَاطَسَل ﴾	٣
0190	وفسإذا استسهدتم الدين كسفروا فضرب الرقساب	٤
0190	فرسيات ويسلم ويسلم ب	٥
0190	ويدد المسلم السجيدة عروسها ليهم .)	1
0190	﴿يا أيها النفين أمنوا إن تنصروا الله ينصركم	٧
0140	﴿ والنين كفروا فستعسَّا لهم وأضل أعمالهم .	۸ :
0190	﴿ ذلك بِالْسِهِ عَصِرِهِ عِنْ أَسْرِلُ السِلْهِ ﴾	1
٥٢٠٠	﴿ أَفْسِلْمِ يَسْيِسِرُوا فَسِي الأَرْضَ فَسِيْسِنْسِطْسِرُوا ﴾	1.
07	﴿ذلك بِانَ الملب مسواسي السنيسن أمسنسوا	11
07	(إن الله يدخل الذين أمنوا وعملوا الصالحات جنات)	14
٥٢٠٠	وكسأيسن مسن قسرية هسى أشد قسوة مسن قسريستك	14
04	﴿أَفْمَنْ كَانَ عَلَى بِينَةَ مِنْ رِبِهُ كَمِنْ زِينَ لَهُ سُوءً عَمِلُهُ﴾	12
٥٢٠٣	﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار ﴾	10

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7.70	﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك	17
٥٢٠٦	﴿ والدِّينَ اهتدوا زادهم هدَّى وأشاهم تقواهم .	17
7.70	﴿ فَهِل يَسْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَنَاتَنِيهُم بِخَتَّةً ﴾	1.4
7.70	﴿ مُسَاعِدُ مِنْ أَنْ لَهُ لِا إِلَىٰ إِلَّا اللَّهِ وَاسْتَنْفِيضُ لِلْذَبِيكِ ﴾	111
.07.9	﴿ ويحقدول المديدن آمسنسوا لسولا نسزات سسورة ﴾	۲٠
٥٢٠٩	﴿ طباعبة وقسول مسعسروف فسإذا عسرم الأمسر﴾	71
04.4	﴿ فَهِلَ عَسَيَتُمَ إِنْ تَسَالِينَمَ أَنْ تَفْسَدُوا فَيَ الأَرْضَ ﴾	77
04.4	﴿ أُولَٰ لِكُ الدَّيْنِ لَعَنْهِمِ اللَّهِ فَأَصَمَهُمْ وَأَعْمَى أَيْصَارِهُمْ ﴾	74
٥٢١٣	﴿أَفُلا يَسْدَيرون البَقَرَآن أَم مَلَى قَلُوبِ أَقَفَالِهَا ﴾	45
٥٢١٣	﴿إِنْ السَّدِيسِ ارتبدوا عسلسي أدبسارههم من بسعد	. 40
0717	﴿ذَلَكَ بِالنَّهِمِ قَالُوا لَلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ النَّهُ ﴾	77
0717	وُفكينة إذا تمانية هم المبلاثكة يضريس	44
9717	وُذلك بِسَائِسِهِمَ السِيعِسِوا مِسَاأُسِمُسِطُ السِّهِ، ﴾	: YA
9717	﴿أُم حَشِي الصَّدُيدِينَ قَصَى الصَّالِحِيدِ هِمَ مَصَرَحُن﴾	79
9717	﴿ وَا رَبْدُ اهِ لاَرِيتَ اكْمِهُم قَالِمَ رَفْقَهُم يَسْهُمُ اهْمُ ﴾	۳٠.
9717	و المادين من من المام المجاهدين منكم والصابرين	71
9170	﴿إِنْ الدَّيْسِ كَشَرِوا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا	77
0719	وْيا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	77
0719	﴿إِنْ الدِّينَ كَفْرِوا وَصَدُوا عَنْ سَجِيلَ اللَّهُ ثُمْ مَاتُوا﴾	37
0714	وُفَادُ تَهِنُوا وَتَدَعُوا إِلَى السَّلَمُ وَأَنْتُمُ الْعُلُونُ﴾	70
0777	﴿إنْ حَا الْمَدِينَاةَ الْمَدْنِينَا لَسَعْبِ وَالْسَهِسُ﴾	47
٥٢٢٣	وإن يسألكموها قيحفكم تبقلوا ويفرج أضفانكم.)	**
0744	﴿مِنْ أَنْتُمْ مِنْ لام تَدِمُونَ لَتَنْفَقُوا فَي سِبِيلَ اللهِ﴾	44
٥٢٢٧	موجر مقاصد سورة محمد .	_
0779	تفسير سورة الفتح .	
٥٢٣٠	أهداها سورة المتح .	_
0770	﴿إِنَا فَيْمُوا مِيدًا ﴾	,
0740	واليفقر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر	۲

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٥٣٣٥	﴿ وي نص راء ال ا به نص راء حزي درا . ﴾	٣
۸۳۲۵	﴿ هِ و الدِّي أَسْرُلِ السكينة في اللَّوبِ المؤمنين ﴾	٤
۸۳۲۵	﴿لَيْ دِخْلُ النَّمُ وُمُنْدِينَ وَالنَّمَاوُمِنْنَاتَ جِنْنَاتَ﴾	٥
۸۳۲۵	﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾	٦
۸۳۲۰	﴿والله جسف والسم الأرض ﴾	٧
7370	﴿إنسا أرسلتاك شاهداً ومسيشراً ونسذيسراً .﴾	٨
7370	﴿ السَّرُمُ سَنُوا بِاللَّهِ ورسولَهُ وتُعَزِّرُوهُ وتَوقَّرُوهُ	1
7370	﴿إِنْ الدِّيسَ يَسِايدِ هَوْكَ إِنْ مِنَا يَبِايدِ هُونَ اللَّهِ ﴾	١٠.
V370	وسيقول لك المخلفون من الأعراب شفلتنا أموالنا ﴾	- 11
V370	﴿ بِل ظَنْ مَنْ مُنْ أَنْ لَنْ يَنْقَلُكِ الرَّسِولِ وَالْمَوْمِنُونَ ﴾	14
4370	ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإذا أعتدنا للكافرين سعيراً .	14
4370	﴿ولله ملك الصماوات والأرض ينققس لنمن يشناء	18
1070	﴿سيقول المخلفون إذا لنطلقتم إلى مغاتم لتأخذوها	10
7070	﴿قُلُ لَلْمَخْلَفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتَدِعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بِأَسْ﴾	17
7070	﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج	14
3070	ولقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة	14
3070	ومغانم كثيرة بأخذونها وكان الله مزيزًا مكيمًا.	11 .
0404	وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه	۲٠
OYOV	﴿وَأَحْدِي لَمَ تَقْدِرِوا عِلْمِيهِا قَدَ أَمِاطُ اللَّهُ بِهِا﴾	17
0707	ولو قات كم الذين كفروا لولوا الأديسار	77
0707	وسنمة الله المتى قدد خمات مسن قسيسل	77
0707	﴿وهـو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم	37
1570	مسم النيان كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام	40
1570	(إذ جعل الدين كفروا في قلويهم الحمية)	77
٥٢٦٥	ولنقد مندق الله رسبولية السرؤينا ببالنصبة ﴾	77
0770	المندى أرسال رسواسه بالمدى ودين المحق)	YA.
٥٢٦٩	﴿مصمد رسول اللَّه والَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَاءَ عَلَى الْكَفَّارِ﴾	79
. 0440	خلاصة مقاصد سورة الفتح .	

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7440	﴿أَفِلُم يَنْظُرُوا إِلَى السماء فَوقَهُم كَيْفَ يِنْيِنَاهُا﴾	1
۲۲۳٥	﴿ والأرض مددنساها وألقدينما فيها رواسي	٧
7770	وتـــبصـــرة ونكـــرى لـــكــل عــبــد مـــنــيب.	٨
7770	﴿ وندزا بندا مدن السماء ماء ميداركا ﴾	1 4
7770	﴿والسنسخسل بساسيقسات لسهسا طسلسع نضسيسد.﴾	١.
7770	﴿رزَقُسا لـلـعبام وأحيينا بمه بـلـدة ميـتـا﴾	11
044.	﴿ كَذَبُتِ قَسِلَهُم قَسَوم نَسُوح وأصنحنابِ النَّرِس وشَمَّود. ﴾	14
٥٣٣٠	﴿ وعاد وفي رعان وإخران الموط .	14
۰۲۲۰	﴿وَاصْدَ عَدَابِ الْأَيْدِ كَدَةَ وَقَدُومَ تَدَيِّدِ ﴾	١٤
۰۳۳۰	﴿أَفْ مَا يَسِينَا إِسَالَاتُ لِلَّهِ الأَوْلِ إِسَالَ هُمِمْ فَسَى لَنِيسَ﴾	١٥
٥٣٣٤	وُولَقَد عَلَقَتَا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه	17
3770	﴿إِذِ يَتَلَقَى المَتَلَقَيَانَ عَنَ الْيَمِينَ وَعَنَ الشَّمَالُ قَعِيدٍ ﴾	17
3770	ومسا يسلسفسط مسن قسول إلا لسديسه رقسيب عستسيد. ﴾	1.6
3770	﴿ وجاءت سكرة المسون بالسحق	19
٤٣٣٥	﴿ وَنَصَافَتُ عَلَيْهِ الْمُصَاوِرِ ذَلْكَ يَصُومُ السَّوَعَالِيَسَادِ . ﴾	۲-
3770	﴿ وجساءت كسل تسفس مسعسهسا صسائسق وشهديد. ﴾	71
3770	وليقيد كسنت في غصف السة مين مسنا ﴾	77
0779	﴿ وقال قريدند هنذا منا لندى عستنيد . ﴾	44
0440	﴿ أُلِـقَـيِـا فــى جـهنـم كـل كـفـار عـنـيـد.﴾	45
0779	<u> راع الفير مسعد ت</u> دمريب.♦	۲0
0444	والدي جدف ل مدح الطب إلسهسا أذسر﴾	44
0779	﴿ قَال قريست ريست اما أطفيت	
0779	وقد ال لا تختصم والدي وقد قدمت إليكم بالوعيد. ﴾	7.4
٥٣٣٩	وما يبدل القول لدي وما أنها بنظالام للمسيد.)	79
0779	ريوم نقول لجهتم هل امتالات وتقول هل من مزيد.)	٣٠
0727	﴿ وَأَزَا فَتِ الْجِنْةِ الْمُعْتَقِينَ غَيْرِ بِمَعْيِدٍ. ﴾	۳,
7370	رود هـــذا مــا تـــوعــدون لـــكــل أواب حــفــيـــظ.﴾	44
97270	ومن خشى الرحمان بالغيب وجاء بقلب مقيب.	**

رقم الآية الفيسير سورة العجرات. الملداف سورة العجرات. (ما المبداف سورة العجرات. (ما المبداف سورة العجرات. (ما المبداف سورة العجرات. (ما المبداف		2,0	الجرع السادس وا
الملداف سورة العجبرات . الملداف سورة العجبرات . (الملداف سورة العجبرات . (المرا الميان إلى المناز لا تقدموا بين يدى الله ريسوله) (المرا المدين إلى المناز لا تقدموا بين يدى الله ريسوله) (المرا المدين إلى المناز لا ترفعوا المساقية من سرب الله) (المرا المدين إلى المناز المناز المناز المناز المناز المهم) (المرا الميان المناز المناز المناز المناز المهم المناز المهم) (المناز المناز المناز المناز المناز المناز المهم المناز المهم) (المناز ا	رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
المناف الدورة العلاين أمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وإلى اليها الذين أمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وإن البين أمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وإن البين ينادونك من وراه الحجرات أكثرهم لا يعقلون وإن اللين ينادونك من وراه الحجرات أكثرهم لا يعقلون وولى أنهم الدين أمنوا إن جاءكم هاسق بنيا أهتينوا وولى أنهما الدين أمنوا إن جاءكم هاسق بنيا أهتينوا والمنافرات أنهم من الله أو يطبعكم في كثير من الأمر والمنافرات أنهم الله أو يطبعكم في كثير من الأمر والمنافرات أنهم الله أو يطبعكم في كثير من الأمر والمنافرات أنهما الله أو يطبعكم في كثير من الأمر والمنافرات أنهما الله أو يطبعكم في كثير من الأمر والمنافرات أنهما المؤمنون المتوافرات المؤمنون المتوافرات المؤمنون المتوافرات المؤمنون المتوافرات أنهما المؤمنون المؤمن والمؤمن والمؤمن المؤمن	٥٢٧٧	تقسير سورة الحجرات .	-
	۸۷۷۵		_
	1470	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله	\ \
\$	1470	﴿ مِنا أَمِهَا الذِّينَ آمنوا لا ترفعوا أمنواتكم قوق صوت النبي ﴾	۲ ا
0 (ول أنهم معيورا حتى تشرج إليهم لكان شيرًا لهم ال	1440		۳ ا
ولي الهيما الذين أمنوا إن جامكم فاسق بنما أفتينوا واعلموا أن قيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر وفي المنطقان من الله ونحمية والله عليم حكيم وإن طائفقان من المؤمنين القتقان أعاملموا بينهما وإن طائفقان من المؤمنين القتقان أعاملموا بينهما وإن طائفقان من المؤمنين المقتوة في المحلموا بينهما وإن الهيما الذين أمنوا لهتقبول في من قوم وإن أيها الذين أمنوا لهتقبول كثيراً من النظن وإن أيها الذين أمنوا لهتقبول كثيراً من النظن وإن أيها الذين أمنوا لهتقبول كثيراً من النظن وإن أيها الذين أمنوا للين أمنوا بالله ورسول وأنما المعاون الله يعلم غير الساموات والأرض والله بمير بما تعلون وأن الله يعلم غيب الساموات والأرض والله بمير بما تعلون المناف سورة ق المناف سورة ق وال الله يعلم غيب الساموات والأرض والله بمير بما تعلون المناف سورة ق وال الله علم غيب الما وكذب المناف منا الله ربح بعيد والنا منا منا منا منا منا منا منا منا منا م	1470	﴿إِن الذين يناسونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون .	ا ٤
	1470	﴿ وَلَوَ أَنْهُمْ صَيْرِوا حَتَّى تَشْرِجُ إِلَيْهُمْ لَكَانَ شِيرًا لَهُمْ ﴾	
۸ (المنفقان من الله و تحصة والله عليم حكيم ، الم (١٩٥٥)	٨٨٢٥	ويا أبها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنباً فتبينوا	٦
وران طانفتان من المؤمنين المتناوا فأصلحوا بينهما و وان طانفتان من المؤمنين المتناوا في الموكم و وان المعرف في المورة في المراب المعرف في الموكم و وان المها الذين آمنوا لهنتبوا كثيراً من الطن و وان الهها الذين آمنوا لهنتبوا كثيراً من الطن و وان الهها الذين آمنوا لهنتبوا كثيراً من الطن و وان الله يمين من الذين آمنوا بالله ورسوله و وان الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون و المسلم ما في السهرات و المسلم من المناف المهادي و المسلم المناف المناف المناف المناف المناف و المسلم من المناف المناف و المسلم المناف المناف و المسلم المناف المناف و المسلم المناف و المسلم المناف المناف و المسلم و	۸۸۲۵	﴿ واعلموا أن قيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر ﴾	v
	۸۸۲۵	وننسلاً من السلم ونسع منة والسلم عليم حكيم.	_ ,]
۱۱ (المنافر المنافر المنافر الا يسكر قدوم من قدوم الله ١٩٩٥ (المه ١٩٩٥	٥٢٩٣	وران طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما	4
١٢ (أويا أيها الذين آمنوا لجنتبوا كذيراً من الطن ﴾	٥٢٩٣	﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم	١
١٣ (أوبا أوبها الناس إنا علقتاكم من ذكر وأنثى ﴾ ١٥ (أقساك الأعراب أصنيا قسل ليم ترفضنوا ﴾ ١٥ (أقساك الكرين أمنوا بالله ورسوله ﴾ ١٥ (أقساك المنين الله يعينكم والله يعلم ما في السماوات ﴾ ١٥ (أو الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بعمير بما تعملون . ﴾ ١٨ (أو الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بعمير بما تعملون . ﴾ ١٨ (المنطق مما قضهنته سورة العجرات . المنطق سورة ق	٥٢٩٨	﴿ إِمَا أَيْسِهَا الْمُنْدِينَ أَمَنْدُوا لا يَسْتُ رَفُّومُ مِنْ قَوْمٍ ﴾	- 11
\$ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \	10791	﴿ يِا أَيِهِا الذين آمِنوا اَجِتنبوا كثيرًا مِن الظن	14
١٥ ﴿ الْمَا الْمَرْمُنُونِ الْلَهِ بِينَكُمُ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ١٦ ﴿ وَلَمْ الْمَعْوَنِ اللّهِ بِعِينِكُمُ وَاللّهُ عِلْمُ مَا فَي السماوات﴾ ١٧ ﴿ وَمِمْنُونَ عَلَيْكُ أَنْ اللّمُعِلَّمُ عَلَى إِسلامُكُمْ﴾ ١٨ ﴿ وَاللّهُ يعلمُ غَيْبِ السماوات والأَرْضُ والله بِعَيْدِ بِمَا تَعَلَّونَ .﴾ ١٨ خلاصة ما تضميته سورة العجرات . ١٥ الفداف سورة ق . ١٥ ﴿ وَاللّبِ قَلْمُ عَلَى السماوات والأَرْضُ والله بِعَيْدِ اللّهِ اللهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللللللللللللللللللللللللللللللللل	۸۶۲۵	﴿ بِا أَيِهِا السَّاسِ إِنَا عَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكُرِ وَأَنْثَى ﴾	15
۱۲ و و الله يعلم ما في السماوات و الأرش والله بصبير بما تعطون ، و ۱۲۵ م	۸۰۳۰	﴿قَسَالَتِ الأعسرابِ آمستسا قسل لسم تسوَّمستسوا﴾	١٤
١٧	۸۰۳۰	وإنما المؤمنون الذين أمنوا بساللة ورسوله	10
١٧	۸۰۳۰	وقل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات	17
- خلاصة ما تضمنته سورة العجرات تضيير سورة ق اهداف سورة ق اهداف سورة ق الحداف سورة المحداف الحداف ا	۸۰۳۰		17
- خلاصة ما تضمنته سورة العجرات تضيير سورة ق اهداف سورة ق اهداف سورة ق الحداف سورة المحداف الحداف ا	٥٣٠٨	وإن الله يعلم غيب السماوات والأرش والله بصير يما تعملون .	14
- اهداف سورة ق	٥٣١٣		-
۱ (ق والبق ران السميم منذ و منهم من الا منهم منه و منهم منه و منهم منه و منهم منهم	. 0710	تفسير سورة ق .	_
۲ ﴿ اِسْ عَدِيدِ اللّٰهِ اللهِ مِنْ اللّٰهِ مِنْ اللّٰهِ اللّٰمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْمِلْ	1170	أهلاف سورة ق .	
۳ ﴿ أَلَدُنَا مُسْلِمُنَا لِكُنْمَا تَسِرابُنَا ذَلِكَ رَجِع بِعَيْدٍ . ﴾ (۱۳۲ مُسْلِمُنَا لَذِلكَ رَجِع بِعَيْدٍ . ﴾ (۱۳۳ مُسْلِمَا مَا تَسْلَمُونُ لَا يُسْلُمُنُ مُسْلِمِ ﴾ (۱۳۲ مُسْلِمُنْ مُسْلِمِ ﴾	٥٣٢١	﴿ق والسِسقِسِ رَأَنْ السِمِسِيسِيدِ . ﴾	,
ع ﴿ قدعا ممنا ما تمن قص الأرض منهم ﴾	١٣٣٥	ويسل عرب بسوا أن جراءهم منتزر منتهم»	4
ع ﴿ قدعا ممنا ما تمن قص الأرض منهم ﴾	١٢٣٥	﴿أَنْ مَا مَا فَعَا وَكُنَّا أَسْرَابًا ذَلِكَ رَجِع بِعَيْد.﴾	1
	0471		1
٥ ﴿ بِسِل كَسَدِيسِوا بِسِالْسِحِسِقُ لَسِمِنا جِسَاءِهُسِمِ﴾	٥٣٢١	ويدل كدنيسوا بدالددق لسمسا جساءهسم	-

	(-3,5,000) 033	
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7370	﴿انكابوها بسالم نلك يسوم الكاسود.﴾	4.5
7370	واسهم ما يشماءون فسيسها ولسديسنسا مسزيد .	۳٥
7370	﴿ وَكِمْ أَهَا كِنَا قَبِلَهُمْ مِنْ قَرِنَ هُمْ أَشْدُ مِنْهُمْ يِطِكًا ﴾	4.7
1 7370	﴿إِن فَـــى ذَلِكُ الـــذِكـــرى الــمـــن كسان الـــه قـــلب﴾	77
7370	﴿ وَالْقَدُ مُثَلِّقُتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضُ وَمَا يَيْتَهُمَا ﴾	47
7370	﴿ فَعَاصِهِ مَعَلَّى مَا يَنْقَولُونَ وَسَيْحَ بِنَحَمَدُ دِيكَ ﴾	79
7370	ورمين السليل فسيسميه وأدبيار السيجود.»	٤٠
7370	﴿ واستمع يسوم ينساد الممشادي من مكمان قريب. ﴾	13
7370	(يرم يس <u>مع</u> ون المسيسحية بسائدكي)	73
1370	﴿إِنَا تَحِنْ تَحِينَى وَنَمِينَ وَإِلَيْنَا الْمَصَيْرِ،﴾	2.8
7370	﴿ يسوم تشبق الأرض عسنهم سسراعًا ﴾	٤٤
7370	وندن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجهار	٤٥
04.00	خلاصة ما اشتمات عليه سورة ق	-
0404	تمسير سورة الذاريات	-
۰۲۲۰	أهداف سورة الذاريات	-
1770	والـــــادروا.﴾	1 1
1770	وزالادالات والـــــال	۲
7770	(- l)	٣
1770	ونيال مستسمات امسرا.)	٤
1770	﴿إنا الله الله الله الله الله الله الله ال	١ ٥
1770	﴿ وإن السديد ن السواة سع ﴾	1
1770	والساء ذات السعميك .	V
1770	﴿إِنْ كَمِم السَّفِينَ قَسِولَ مَنْدُنَّا فَ ﴾	^ [
7770	وي رفك ع ن أفك . ﴾	1 4
1770	رامــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.
1770	﴿السنيسن هم قسى غمصرة سماهمون.﴾	11
1770	ويسالون أيان يسوم السديسن.)	117
1770	. فيسوم هسم عسلسي السنسار يسفستسنسون. ﴾	14

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7770	﴿ دُوق وا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون . ﴾	٠ ١٤
٥٣٧١	﴿إِن السمستسقسيسن فسي جسنسات وعسيسون .﴾	10
۱۷۷٥	﴿أخــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	17
1770	♦ كانوا قليلاً من الليل مايه جعون . ♦	17
1770	﴿ويسالاً سسمسار هسم يستسفسف رون . ﴾	١٨
0771	﴿ وفي أمسوالسهم حسق لسلسسائسل والسمسدروم . ﴾	19
0771	﴿ وفيسى الأرض آيسات المستمر واستنين . ﴾	٧٠
١٧٧٥	﴿ وفين أنه في كم أفيلا تسيمسرون . ﴾	71
۱۷۳٥	﴿ وفسى السمساء رزقكم ومسا تسوعدون . ﴾	77
۱۷۳۰	﴿ فــــورب الســـمـــاء والأرض إنـــه لـــمـــق	77
7770	﴿ مل أتناك مديث مسهد إسراهيم المكرمين. ﴾	4.5
7770	﴿إِذْ دَحْسَا سِوا عَسَلِينَهُ فَسَقَسَالُسُوا سَسَلَامُنَا﴾	70
1770	﴿ فَ رَاغِ إِلَى أَهَالِهِ بِجِنَّاء بِعَجِنَلُ سَمِينَ . ﴾	77
٥٣٧٦	﴿ فسقسريسه إلسيسهدم قسال ألا تسأكساس .	**
0411	﴿ فَاوِجِس مِنْ هِم هُدِي فِي قَالَدُوا لَا تَدْف ﴾	A.Y.
7770	﴿ فَالْقَالِيمِ اللَّهِ الْمُسْرَاتِيةِ فَسَى صَارَةً فَصَاكِت وَجِنَهِمِهِما ﴾	79
7770	﴿ قَالَدُوا كَذَٰلِكُ قَالَ رِيكُ إِنَّهُ هُـو السَّمْكِيمَ السَّعَلَيْمَ . ﴾	٣٠
٥٣٨١	تخريج أحاديث وهوامش .	-
0846	فهرس الكتاب .	_

تم بحمد الله الجزء (السادس والعشرون) ويليه الجزء (السابع والعشرون) بإذن الله تعالى

